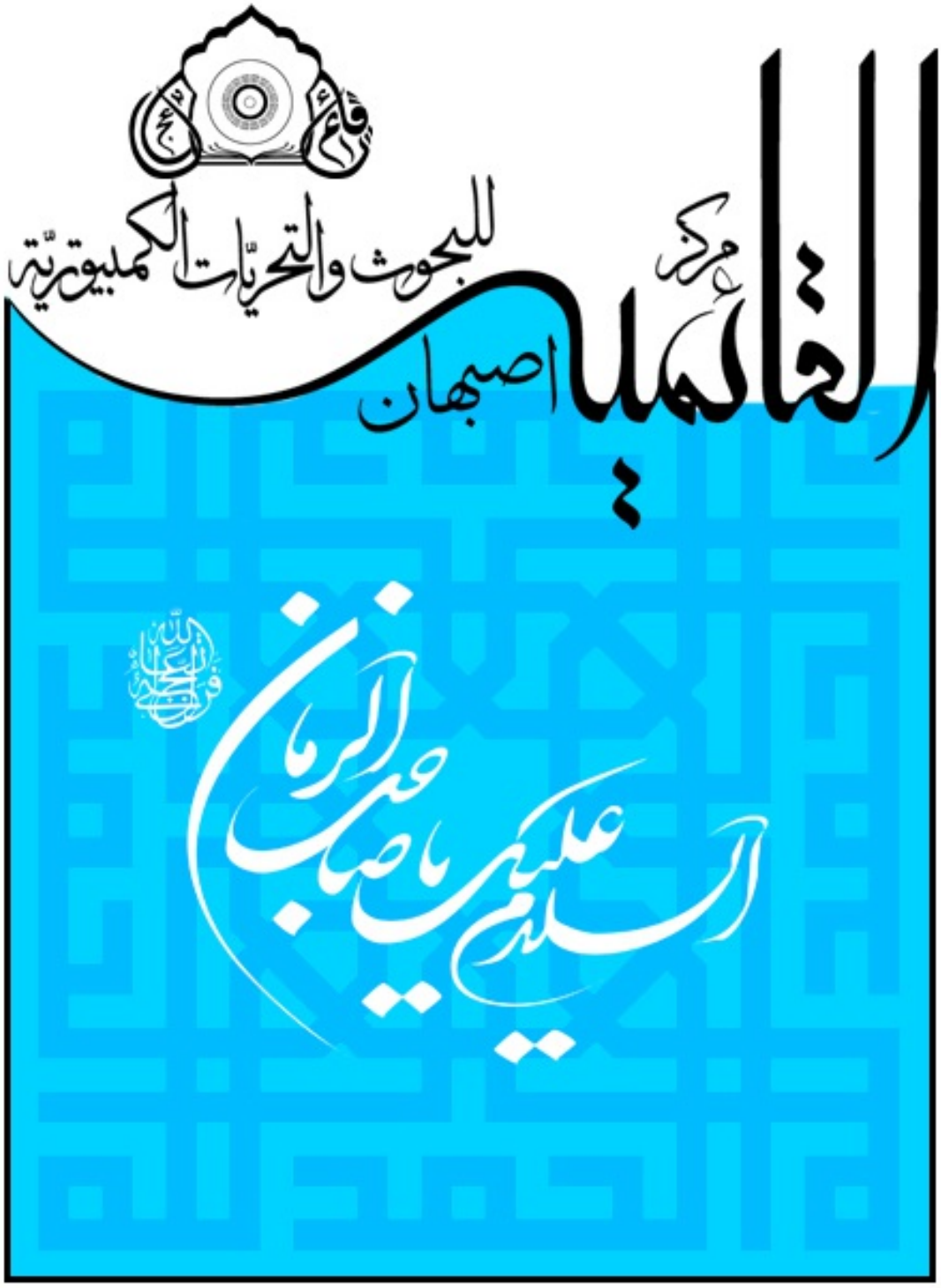

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

رحلة ريج

المقيم البريطاني في العراق عام ١٨٢٠

إلى بغداد - كردستان - إيران

دار المدينة للمعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلة ريج

كاتب:

كلاوديوس جيمز ريچ

نشرت فى الطباعة:

الدار العربية للموسوعات

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
رحلة ریج ----- ۸
اشارة ----- ۸
حیاة المستر ریج ----- ۸
اشارة ----- ۸
«شیفورد، بالقرب من کمبرج ۳۰ کانون الأول ۱۸۰۳». ----- ۹
بدایة الرحلة ----- ۱۵
الفصل الأول الرحیل من دار الإقامة- کیفیة السفر- وصف جماعتنا- الزوابع- کفری- الخرائب الساسانیة- ضیافة رئیس عشیرة البیات- منابع النفط فی (طو
الفصل الثانی مغادرة طوز خور ماتو ----- ۲۶
الفصل الثالث عثمان بک- الدخول إلی السلیمانیة- زیارة الباشا- وصف دارنا- تعلق الکرد برؤسائهم- قصص- عراک الحجل- أفغانیون فی شهرزور- زه نیفور
الفصل الرابع حدیث مع الباشا- کیخسرو بک- عشیرة الجاف الکردیة- مناخ السلیمانیة- فطور مع الباشا- نفوس السلیمانیة- الرمایة- تخت سلیمان- حفریا
الفصل الخامس الجندی الروسی الباسل- قسوة أمیر کرمنشاه ----- ۶۰
الفصل السادس الرحیل من السلیمانیة إلی الجبال ----- ۶۶
الفصل السابع الدخول إلی إیران ----- ۷۵
الفصل الثامن الرحیل عن (سنه) ----- ۸۸
الفصل التاسع زیارتنا لوالی سنه ----- ۹۵
الفصل العاشر فشل التطعیم ضد الجدری ----- ۱۰۳
الفصل الحادی عشر کآبة الباشا و حزنه ----- ۱۱۴
الفصل الثانی عشر الرحیل من السلیمانیة ----- ۱۲۳
الملاحق ----- ۱۳۳
اشارة ----- ۱۳۳
الملحق الأول شذرات من مذکرات السیدة ریج فی رحلتها من بغداد إلی السلیمانیة ----- ۱۳۳
الملحق الثانی رحلة إلی أطلال (زندان) و (قصر شیرین) و (حوش که ره ک) ... إلخ عند حدود کردستان الجنوبیة خلال شهری آذار و نیسان ۱۸۲۰ ۳

الملحق الثالث معلومات مستقاة من الأهلين، عن الجزيرة و البلاد المجاورة لها ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۸
الطريق من الموصل إلى الجزيرة: ----- ۱۶۰
الطريق من (الجزيرة) إلى (سعرد): ----- ۱۶۱
الطريق من (سعرد) إلى (بتليس): ----- ۱۶۱
الطريق من (بتليس) إلى (أرضروم): ----- ۱۶۱
الملحق الرابع سلسلة أمراء العائلة البابانية من (سليمان بابا) أو (سليمان به به) حتى باشا (السليمانية) ----- ۱۶۲
اشارة ----- ۱۶۲
تواريخ و حوادث لها علاقتها بتاريخ كردستان ----- ۱۶۴
الملحق الخامس معلومات مستقاة فی (أحمد كلوان) عن الطرق المؤدية إلى أماكن مختلفة فی منطقة (قزلجة) إلى (زه هاو) ----- ۱۶۶
اشارة ----- ۱۶۶
من (أحمد كلوان) إلى (كرمنشاه) بطريق شاميان ----- ۱۶۶
*** المعلومات المستقاة فی (سنه) عن الطريق من (سنه) إلى (همدان) ----- ۱۶۶
إلى (كرمنشاه) ----- ۱۶۶
إلى (تبريز) ----- ۱۶۷
إلى (مه راغه) ----- ۱۶۷
الطريق من (سنه) إلى (همدان) كما صحح استنادا إلى مذكرات المستر (به ل لی نو) ----- ۱۶۷
الملحق السادس تفاصيل خاصة بطوبوغرافية كردستان ----- ۱۶۸
اشارة ----- ۱۶۸
من (أحمد كلوان) إلى نالباريز ----- ۱۶۸
طريق المسافرين فی (شهرزور) ----- ۱۶۸
من السليمانية إلى (بانی خيلان) ----- ۱۶۹
***- من بانی خيلان إلى (زه هاو)- ----- ۱۶۹
*** من (زه هاو) إلى (كرمنشاه) ----- ۱۶۹

من السلیمانیة إلی (کرمنشاه) بطریق (حلبجه) ---- ۱۶۹
ممرات زاغروس بین کردستان البابانیین و إیران ---- ۱۷۰
فهرس المحتویات ---- ۱۷۰
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۷۴

رحلة ريج

اشارة

نام كتاب: رحلة ريج / تعريب بهاءالدين نورى

نويسنده: ريچ، كلاوديوس جيمز

تاريخ وفات مؤلف: ۱۸۲۰ م

موضوع: سفرنامه

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: الدار العربية للموسوعات

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۲۹ ه. ق

نوبت چاپ: اول

حياة المستر ريج

اشارة

ولـد (كلوديوس جيمس ريـج) كاتب هذه اليوميات فى ۲۸ آذار سنة ۱۷۸۷ م. على مقربـة من (ديجون) من أعمال (بورغونـدى) فى فرنسا. ثم نقل و هو طفل إلى (بريستول) فى إنكلترا حيث قضى السنوات الأولى من حياته برعاية والديه.

و لقـد ظهرت عليه أمارات النبوغ الفائق منـذ نعومـة أظفاره. فإنه عنـدما كان يجتاز مراحل الدراسـة الاعتياديـة و يتلقى مبادىء اللغتين اللاتينيـة و اليونانيـة على يد أحد أقربائه، ساقه حب الاطلاع الموفق إلى تعلم لغات عصـرية متعددة بدون معلم، مسـتعينا بالكتب. و لما بلغ الثامنـة أو التاسـعة من عمره عثر على مخطوط عربى فى خزانـة أحـد و جهاء (بريسـتول)، فساورته رغبـة شديدة بالوقوف على هذه اللغة. فكان ذلك الحافز الذى وجه الرغبة الملحة التى كانت تختمر فى ذهنه، و التى و طّد العزم على تحقيقها أكثر من أى شىء آخر، و هى ميله إلى دراسة العلوم الشرقية التى كان لها الأثر الفعال فى توجيه حياته المقبلة. فقد تمكن بواسطة كتاب فى النحو، و قاموس و بعض المخطوطـات التى اسـتعارها من المستر (فوكس) فى (بريسـتول) من إتقان هـذه اللّغـة العسـيرة قراءة و كتابـة، و أن يتخاطب بها بسهولة و ذلاقة كبيرتين، حتى إذا ما بلغ الخامسة عشرة من عمره، قاده هذا التوجيه الفكرى الراسخ فى ذهنه إلى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۶

المثابرة على تحقيقه بلا ملل، و إلى أن يحرز تقدّما بارزا فى لغات شرقية عديدة بينها العبرية و الكلدانية و الفارسية و التركية.

و حـدث فى تلك الأثناء أنه بينما كان يتنزه ذات مساء فى (كينكزدن) من ضواحى (بريسـتول)، أن صادف رجلا تركيا، فساقته الرغبة باختيار مـدى إتقانه النطق باللّغـة التركيـة بحيث يفهمها منه أحـد أبنائها، فتقـدم من الرجل و خاطبه بهـذه اللّغة. و بعد أن أظهر التركى سروره و دهشـته من أن يخـاطب بلغته على غير انتظـار، أعلم محـدثه بـأنه يحترف التجـارة و أنه الآـن فى مأزق لأن السـفينة التى كان يركبها قد تحطمت عند شواطىء إيرلندا.

و إلى جانب سرور المستر ريج بنجاح تجربته أراد أن يظهر امتنانه من هذا الغريب فانبرى لإسعافه.

ثم لم تلبث براعته الفائقة فی هذا المسلک الدراسی غير المطروق أن أثارت اهتمام معارفه الأقربين. فقدمه المستر- الدكتور فيما بعد- (مارشمان) إلى الدكتور (رايلند) و هو يومئذ من أعلام رجال اللاهوت فی ذلک البلد. فتمكن بذلک من إنماء علاقته بعدد آخر من رجال الأدب فی (بريستول)، كان أخصهم المستر (فوكس) الذی ظل المستر ريج يذكره على الدوام بود خاص و عرفان الجميل، و الذی بفضل إرشاده و الرجوع إلى مكتبته تمكّن من إحراز التقدم الذی بلغه يومئذ فی دراساته الشرقية المحببة.

على أنه بالرغم من استلفاته الأنظار إلى اتجاه دراساته غير الاعتيادية، فإنه لم يكن أقل مباشرة على تهذيب نفسه بوجه عام. فقد امتاز فی هذا العهد المبكر من حياته بخلّته العالية السّخية الأبية، و الهمة التی أظهرها فی شتی صفات الرجولة و الكمال.

و قد دلّه الاتجاه الذی انصرفت إليه دراسته مثلما دل غيره على أن الهند ستكون خير مرشح لإظهار نبوغه فی المستقبل. ففی عام ۱۸۰۳ تمكّن أحد أصدقائه المهتمين به من التوسط له لدی شركة الهند الشرقية

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نوری، ص: ۷

لتعيينه طالبا حربيّا فی الخدمة العسكرية. و عندما أعلمه هذا الصديق بتعيينه، مبديا أسفه لأنه لم يتمكّن من أن يجد له منصبا خيرا من هذا، أظهر المستر ريج شدة اعتماده على نفسه فاندفع يقول بسرور: «دعنی فقط أصل إلى الهند، و اترک الباقی إلیّ».

هكذا أصبح ميدان العمل الواسع الذی كان حتى الآن يجول فی مخيلته، و بالأحرى بعيدا عنه، فی متناول يديه. و راحت تملأ ذهنه كل الخيالات النيرة التی تلوح عادة لأنظار آمال الشباب، فأسرع إلى لندن، و راجع دائرة الهند لإتمام الإجراءات الضرورية التی كان عليه أن يتمها قبل تسلمه مهام وظيفته.

و فی هذه الفترة كتب (روبرت هول) المشهور الرسالة التی نقتطف منها العبارات التالية إلى صديقه (السير جيمس ماكنتوش)، حيث يظهر فيها أكثر من أی شیء آخر ما كان المستر ريج يتركه فی نفوس المتصلين به حتى فی هذه الحقبة المبكرة من حياته.

«شيفورد، بالقرب من كمبرج ۳۰ كانون الأول ۱۸۰۳».

«اسمحوا لی قبل أن أختتم رسالتی، أن ألفت اهتمامكم إلى سيد شاب يدعى المستر ريج، الذی سيرافقكم فی نفس الأسطول الذی سيقلكم إلى بومباى، كطالب حربی».

«إنه من أهالی (بريستول) و قد كان لی السرور بمقابلته مؤخرا، و هو شاب فوق المستوى المعتاد، تمكّن بدون مساعدة أو بالقليل منها من تعلم لغات الشرق، فأتقن العبرية و الكلدانية و الفارسية و العربية و بالإضافة إلى اللاتينية و الفرنسية مع بعض الوقوف على اللّغة الصينية التی بدأ يحل رموزها و هو لما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره».

«و هو اليوم فی السابعة عشرة من العمر، تساوره رغبة ملحة للسفر إلى الهند ليتاح له الانغمار فی ميله الشديد إلى الآداب الشرقية، و لذلک

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نوری، ص: ۸

و بعد مشاق عديدة تمكّن بالأخير من الحصول على منصب طالب حربی».

«إنه شاب من عائلة كريمة، ذو شخصية و حذق عظيمين، و يدعى كما بينته لكم على ما أظن المستر ريج. و إذا وجدتم من المناسب منحه شرف التعرف إليكم، فإنی على ثقة من أنه سوف لا يجعلكم تندمون على عطفكم و تلطفكم».

هذا و بينما كان المستر ريج ينتظر فی دائرة الهند، إذ اتجهت أنظار المستر- و الان السير تشارلس و يلكس- المعروف بعلو كعبه فی لغات الشرق إلى مقدرة هذا الطالب العسكری فی اللغات الشرقية، فقد وجده بعد الاختبار أعظم مما كان يتوقع، و أن حذقه كان غير اعتيادی إذا قورن بالوسائل التی تمكّن بها من تعلم هذه اللغات. و لذلک فإنه لم يلبث أن عرضه على أعضاء مجلس الإدارة كشاب يحمل من النبوغ الفريد النادر مما يجعله يشرّف أية مهمة يضطلع بها تحت رعايتهم.

و بناء على هذه التوصيات التى عرضت بشأن مؤهلات المستر ريج فقد عينه المرحوم (إدوار بارى) بتقدير كلّى لوظيفة كاتب تحريرات فى مؤسسة بومباى و هكذا تغيرت وجهته من الخدمة العسكرية إلى الخدمة المدنية فى تلك المصلحة. و لأجل أن يتمكن من إتقان اللغتين العربية و التركية اللتين سبق أن أحرز فيهما تقدما غير منتظر، ألحق بسكر تارية المستر (لوك) الذى كان يومئذ فى طريقه إلى مصر كقنصل عام للحكومة البريطانية. و قد حفظت له وظيفته خلافا لما اعتادته الشركة خلال اضطلاعه بهذه المهمة كمن قد تسلمها فعلا فى الهند.

أقلع المستر ريج فى مطلع عام ۱۸۰۴ على ظهر سفينة شحن تدعى هندستان للالتحاق بالمستر (لوك) فى البحر الأبيض المتوسط و لكن النار شبت فى هذه السفينة لسبب ما فى خليج (روماس) فى إيطاليا فالتجأ المستر ريج إلى شاطىء (قاتالونيا) مع الملّاحين، و من هناك استأنف

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹

سفره إلى (مالطة) بمعاونة صديق له من (بريستول) ينتمى إلى فرقة الارتجافيين . و بعد إقامة طويلة فى إيطاليا أتقن اللّغة الإيطالية الجميلة و انكب على دراسة الموسيقى، و ذلك الفن الذى ظل يتوسع به فى كل أدوار حياته بكل حماس و لذة.

و لقد لاءمت إيطاليا اتجاهه الفكرى أكثر من أى قطر آخر زاره، فكان يرجع بذاكرته إليها بسرور عظيم. و حدث أن توفى صديقه المحبوب المهذب المستر (لوك) قبل تسلمه مهام منصبه، و عندئذ سمح مجلس المدراء للمستر ريج أن يتجه فى سفرته الوجهة التى يظنها أكثر موافقة لبلوغ هدفه المنشود، مسترشدا بآراء المستر (و يلكنس) القيمة، و على هذا فقد توجه من (مالطة) إلى (إستانبول) مارّا فى طريقه بجزائر يونانية عديدة.

و حدث أنه بينما كانت السفينة التى استقلها مارّة بالأرخبيل، أن ظهرت ذات يوم سفينة ذات مظهر مريب تتجه نحو السفينة التى كان هو أحد ركابها. فحسبوا أنها كانت سفينة قرصان فاتخذت كافة التدابير الدفاعية ضدها. لكنهم وجدوا عند اقترابها منهم أنها كانت سفينة تجارية تركية فانتقل إليها المستر ريج مع جماعة أخرى. و قبل أن يمر عليه وقت طويل فوق سطح السفينة شاهد تركيا أنيق البزة يتطلع إليه بإمعان، الأمر الذى استرعى انتباهه. و أخيرا تقدم التركى منه و قال له:

– سيدى، إنى أعرفك.

فأجاب المستر ريج: و أنا أيضا قد رأيتك قبل هذا.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۰

أعقب ذلك تفاهم تبين منه أنه هو ذلك الرجل الذى كان قد انبرى المستر ريج إلى نجدته فى (بريستول).

و قد أقام المستر ريج مدة فى إستانبول و منها انتقل إلى إزمير.

و هناك انخرط فى مدرسة مع أترابه من الشبان الأتراك لإتقان خصائص اللّغة التركية و دقائقها قراءة و كتابة، و التعمق فى اكتساب مختلف أنواع العلوم الإسلامية. و قام خلال هذه المدة بسفرات مهمة متعددة فى آسيا الصغرى، ثم عين معاونا للكولونيل (ميسيت) القنصل العام البريطانى بمصر، فسافر إلى الإسكندرية بطريق (قبرص).

و استفاد من إقامته بمصر فى إتقان اللّغة العربية و لهجاتها المختلفة، و فى الوقت نفسه كان يقضى أوقات فراغه بالتمرن على الفروسية و استعمال السيف و الرمح، و هما السلاحان اللذان اشتهر المماليك باستعمالهما. فلا غرابة أن يكتسب شخص مثله جمع إلى صفات الرجولة أخلاقا رقيقة و ذكاء متوقدا مع خفة فى الروح، احترام و اهتمام الكولونيل (ميسيت) أكثر من كل معارفه الآخرين من الإفرنج، و أن يشعر جميعهم بالأسف لفراقه عندما انتهت المهمة التى زار من أجلها مصر، و أزفت ساعة رحيله عنها.

و لقد قرر أن يكون سفره إلى الخليج برّا، فبارح مصر متنكرا بزى مملوك، فتجول فى معظم أنحاء فلسطين و سوريا. و اعتمادا على براعته بلغة الترك و أطوارهم، خاطر بزيارة دمشق عندما كانت معظم قوافل الحجاج محتشدة فيها بطريقها إلى مكة، فدخل المسجد

الكبير و هذا عمل كان يومئذ يكلفه حياته لو انكشف أمره بأنه مسيحى.

و كان مضيفه، و هو تركى مستقيم، قد سحرته شخصيته و بذل قصاراه لإقناعه على البقاء بدمشق عارضا عليه مصالحه و الزواج من ابنته.

و من حلب قصد البصرة عن طريق ماردين و بغداد، و منها أقلع إلى بومباى فبلغها فى أوائل أيلول سنة ۱۸۰۷.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱

و لقد مر بنا أن القس المحترم (روبرت هول) كان قد قدم المستر ريج للسير (ج. جيمس ماكنتوش) بصورة خاصة فى الوقت الذى كان يتوقع أن يسافر معه إلى الهند بنفس الأسطول. فلما تغيرت وجهه المستر ريج، أتيح له قبل إقلاعه فى السفينة (هندستان) بمدة و جيزة أن يزور السير (جيمس) فى مقره يومئذ فى (رايد) انتظارا للإقلاع إلى الهند. و قد نشأت بين الاثنين مناسبات حتى إن المستر ريج أقام عنده عند وصوله إلى (بومباى). أما نتيجة هذه العلاقة فيمكن استخلاصها من عبارات السير (جيمس) نفسه فى رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه:

«لعلك تتذكر ما كنت قد طالعته فى الصحف فى سنة ۱۸۰۳ أن المستر بارى مدير إدارة الشركة الحالى كان قد أسند منصب كاتب تحريرات إلى شاب يدعى ريج لمجرد تقرير قدمه إليه المستر (و يلكنس) عن براعته العجيبة باللغات الشرقية، لا لغرض خاص أو لمجرد معرفة شخصية. و قد سافر هذا الشاب كمعاون للمستر (لوك) الذى كان قد عين قنصلا فى الإسكندرية، و منذ أن توفى هذا، سافر المستر ريج فى معظم أنحاء آسيا التركية باتجاهات عديدة، و هو مجهز بقلمه و بعين فنان و بالشخصية و الشجاعة اللتين يحتاج إليهما المسافر فى بلاد «بربرية».

فلقد اكتسب من البراعة بلغات الشرق و عاداته قدرا، بحيث تنكر بزى تركى من كرجستان و أقام بدمشق عدة أسابيع بين الألوف المؤلفة من الحجاج الذين كانوا بطريقهم إلى مكة، دون أن يرتاب به أشد المتعصبين المسلمين يقظة و شراسة.

و قد قدمه إلى صديقى المستر (هول) و تلقيت رسائل عديدة منه، فدعوته لزيارتى فى بيتى فأقام معنا عند وصوله هذه الجزيرة (بومباى) فى أوائل أيلول سنة ۱۸۰۷.

و لقد وجدنا فيه أكثر مما كنا نتوقع، و شعرنا بأن اطلاعه العجيب على العلوم الشرقية لا يمثل إلا جانبا صغيرا من مؤهلاته. فقد وجدته

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۲

أديبا بارعا فى اللغات الكلاسيكية، يجيد الفرنسية و الإيطالية قراءة و كتابة كأحسن المثقفين من أبناء هاتين اللغتين. و قد جمع إلى شخصيته القوية و مظهره و سلوكه كمالا و ظرفا فى جميع تصرفاته؛ و رجولة مع ذكاء و دعابة و مشاعر. و قد بلغ من سرورى بعلمه و براعته ما جعلنى أعدّه من الفلاسفة، و حسبته جديرا بأن يرشح للانتماء إلى «هيكل الحكمة» من جانب صديقنا (دوغلاس ستيوارت). و عندما سافرت إلى (ملبار) تركته فى بيت صديقى الفيلسوف (ارسكين) المنهمك بوضع كتابه «فلسفة الفكر البشرى». فلما عدت من سفرى وجدت أن هذا الطالب فى الفلسفة يرغب فى أن يكون صهرى. و مع أنه كان غير مثر و حتى بدون وظيفة، فلا أخالك تشك فى أننى وافقت على زواجه من ابنتى الكبرى بكل امتنان. لأنه استطاع هذا أن يكتشف بفطنته و يقدر بصفاته شعور هذه الفتاة الفياض و تواضعها و طهارتها و طبيعتها الرقيقة تلك الصفات التى أؤمل أن تجعل منها مصدر سعادة له مدى الحياة.

و بعد ذلك بقليل دعت المصلحة العامة الملحة تعيين مقيم لنا ببغداد، فأجمعت آراء الكل على أن المستر ريج هو الشخص الوحيد الجدير بهذا المنصب، و قد تم تعيينه فعلا. و بذلك حصل على الترفيع مرتين قبل بلوغه الرابعة و العشرين من عمره لمجرد كفاءته، و لقد تزوج من ابنتى و سافرا معا إلى بغداد».

أما فى رسالة إلى المستر هول فى حوالى ذلك الوقت فقد قال:

«لقد أصبح ريج الذى رشحته لى صهرى، و إنه لصهر لا يتردد أشد الأبوين حبّا لابنتهما عن وضع مقدراتها فى يده».

أما ريـج فبعـد احتفاله بزواجه فى ۲۲ كـانون الثانى ۱۸۰۸ بمـدة و جيزة سـافر إلى مقر مقيميته التى كانت تضم بغـداد و البصـرة، فأقام ببغداد حيث مقر الباشا، و حيث يمكّنه موقعها المتوسط من إدارة شؤونه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۳

السياسيّة مع الباشويـة و الحصول على أنبـاء مـا كـان يـدور فى أوروبا فى تلك الحقبـة المليئـة بالحوادث التى كان ينتظر أن يغزو فيها (نـابوليون) إنكلترا و الهنـد؛ و بفضل روحيته العاليـة و بعـد نظره فى الشؤون السياسـية و وقوفه التام على العادات الأهليـة و وافر كرمه، اكتسب بسرعة فائقة الاحترام العميق من الحكومة المحلية و الأهلين معا.

و جريا على ما كان معتادا فى الحكم التركى نشبت فى عهـد مقيميته ثورات حكوميـة و حصـلت تبـديلات بين الباشوات و قد تمكن المستر ريج بفضل أخلاقه العالية أن يمنح الحماية فى بيته لكثير ممن كانت حياتهم فى خطر من جراء الانقلابات السياسية، فى ظروف غير اعتياديـة أحيانا، و حتى أنه كان من حين إلى آخر يمنـح هـذه الحماية لعائلات الجانب المخذول التى ما كانت لتتخلص لو لا هذا الملجأ الذى لم يكن يجرؤ أحد على خرق حرمته. و كان من دواعى ارتياحه أن يرى حوله مفعول عدالته الرسمية هذه، و حسن نيته؛ و أحيانا لم يكن الناس يقيمون وزنا لوعود باشواتهم و أعيانهم إلا إذا كانت مدعومة بضمانه.

و لقـد قضـى حوالى ست سـنوات ببغـداد و لا رفيق أوروبى له سوى زوجه و المستر (هاين) جراح المقيميـة الذى كان معاونا له أيضا. فكان يقضى أوقات فراغه من أعماله الرسمية فى تتبع دراساته المحببة له.

فجمع المصادر الملازمـة لكتاب فى تاريـخ باشويـة بغـداد و أحوالها الجغرافيـة و الإحصائيـة، و ابتدأ بجمع مجموعته من المخطوطات الشـرقية التى لم يـدّخر من أجـل جمعها مجهودا أو نفقات. و قـد نشـرت فهارس هـذه المجموعـة كما كانت عليها فى حينه فى بضـعة أعداد من مجلة «مناجم الشرق» التى كانت تصدر فى (فينا) و فيها أصدق برهان على مدح النجاح الذى أحرزه فى مباحثه.

و قد نظم كذلك مجموعة غنية بالأنواط و المسكوكات

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۴

و المجوهرات و الأحجار المنقوشة التى عثر عليها فى بابل و نينوى و طيسفون و بغداد. و قام برحلة إلى بابل لدراسة آثار تلك المدينة القديمة، فجمع نتاج ملاحظاته فى كتابه «مذكرات فى خرائب بابل» الذى طبع لأول مرة فى (فينا) فى مجلة «مناجم الشرق» و من ثم تم طبعها فى إنكلترا. و قـد وصـفت مجلـة «ادن يه ره رفيو» هذا الكتاب حق الوصف بقولها: «إنه رواية متواضـعة و صـريحة فى مشاهداته خلال زيارته القصيرة، و يكفيها اعتبارا ما تمتاز به من خلوها من التحقيقات التى لا طائل تحتها أو التخمينات الارتجالية، إذ كانت خير برهان على براعـة المؤلف فى العلوم الشـرقية و الكلاسـيكية، و ابتعاده عن الادّعاء الفارغ و المباهاة الفظـة، و ذلك نتيجـة طبيعية لعلمه المكين».

و بعد سنة ۱۸۱۶ بقليل أصدر الميجر (ره نل) صـحيفته المسـماة «اركيئو لوجيا» فنشـر فيها ملاحظات فى تخطيط بابل القديمة مسـتندة على مشاهـدات و اكتشافات كلوديوس جيمس ريـج، و قـد أظهر الشك فى بعض آرائه. و على هذا قام المستر ريج برحلة أخرى إلى بابل لدرس مواقعها، فنشر فى لندن عام ۱۸۱۸ كتابه «مذكرات ثانية فى بابل» تحتوى على تحقيقات فى المقارنة بين الأوصاف القديمة لبابل و الآثار التى لا تزال تشاهد فى مواقعها مبنية على ملاحظات الميجر ره نل». و قد أيد فى مذكراته الثانية هذه، استنتاجاته الأولى و أضاف فهرسا قيما فى عاديات بابل مزينا بالصور المحفورة، فقوبلت هـذه المـذكرات الثانية باهتمام عظيم فى جميع أنحاء أوروبا لأنها ألقت ضوءا جديدا على هذا الموضوع الذى يهم كل قراء التاريخ المقدس أو القديم.

و فى أواخر عام ۱۸۱۳ اضـطر المستر ريج لأسباب صحية أن يترك مقيمية بغداد فى رعاية معاونه المستر (هاين) و يسافر إلى استانبول برفقة زوجه، فقضـى فيها مدة بضـيافة صديقه المستر و الان (السير روبرت لستن) الذى كان يومئذ سفيرا لبريطانيا لدى الباب العالى. و قد حملته اعتبارات

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵

شتى فى أوائل عام ۱۸۱۴ على إطالة سفرته مارّا ببلغاريا و بلاد الإفلاق و المجر حتى (فينّا)، و من ثم وصل إلى باريس، و كانت جيوش الحلفاء قد احتلتها توّا.

كانت تلك الأيام مليئة بالأحداث المثيرة. و باستثناء سفرة قصيرة قام بها إلى (بازل) حيث التقى مع صديقه و حميه السير (جيمس ماكنتوش) فإنه بقى فى هذه العاصمة (باريس) حيث أتيحت له الفرص لمقابلة الشخصيات المهمة التى كانت محتشدة فيها فى الأيام الخطيرة، إلى أن رجع (بونابارت) ففرق شملهم و جعلهم يعودون كل إلى جيشه أو بلاده.

و بطريق عودته إلى بغداد مر المستر ريج (بسويسرا) و (ميلان) و منها إلى (البندقية) حيث ودع مكرها البلاد الإيطالية الوداع الأخير. فعبر إلى (تريه سته) و منها سافر بطريق (كورفو) و الأرخبيل إلى استانبول، و قد مر بطريقه على عدد من تلك الجزائر فنزل إليها لارتياد موقع (طروادة) القديم و من (استانبول) عاد إلى (بغداد) بطريق آسيا الصغرى، مارّا قدر المستطاع بطريق يختلف عن طريق سفره إلى أوروبا، و موجها اهتمامه بصورة خاصة إلى جغرافية تلك البلاد سيما مواقع سلاسل الجبال. و لما قارب وادى الرافدين زار أديرة السريان و الكلدان و جمع المعلومات عن العنصر الغريب المعروف باليزيدية.

و بعد وصوله مقر مقيميته و اصل تتبعاته القديمة، و تمكّن خلال السنوات الخمس التى قضاها فيها، من إضافة مخطوطات جديدة إلى مجموعته بحيث أصبحت أوسع و أثمن مجموعة يمتلكها أى شخص فى الشرق. و قد ساعدته إقامته ببغداد على هذه المزية الفريدة. و توسعت كذلك مجموعته من المسكوكات اليونانية و البرثية و الساسانية و الإسلامية كما توسعت مجموعته من المجوهرات و الأحجار المحفورة سيما الأسطوانات البابلية. و قد قام خلال هذه المدة برحلته الثانية إلى بابل، و قد مرّ بنا ذكرها. و فى سنة ۱۸۲۰ أصبحت حالته الصحية تفتقر إلى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶

تغيير بيئته (الهواء) فقام برحلة إلى كردستان و هى الرحلة التى تضمنت هذه اليوميات حوادثها.

و خلال عودته قام بزيارات متعددة للكنائس المسيحية فى مواطن الكلدان سيما تلك التى لم تتح له مشاهدتها فى سفراته السابقة فتمكّن من أن يجمع و يضيف إلى مكتبته عددا من النصوص السريانية و الكلدانية القديمة القيّمة للكتاب المقدس عدا مخطوطات نادرة أخرى.

و كان قد وطّد العزم فى هذه الأيام على السفر إلى بومباى حيث عينه حاكمها الكلّى الاحترام (ماونت ستيوه رت الفنستن) فى منصب خطير، لكنه حدث أن هو جمت دار المقيمية هجوما عنيفا لا مبرر له بأمر الباشا أو بتحريضه. و قد نجح المستر ريج فى صد هذا الهجوم بقوة السلاح، و توجه إلى البصرة فبقى فيها حتى دفعت التعويضات المطلوبة.

و فى أثناء انتظاره تعليمات حكومته استغل الوقت فقام بسياحة إلى (شيراز) و منها توجه لزيارة خرائب (برسه بوليس) و ضريح (كورش) و بقايا العاديات الأخرى الموجودة فى تلك الضواحى.

و فى أثناء إقامته فى (شيراز) تفشت فيها الهيضة بشدة نشرت الرعب فى العالم. فخلال بضعة أيام مات ستة آلاف شخص من سكان البلدة البالغ عددهم نحو الأربعين ألفا، و على أثر ذلك هجر البلدة أميرها مع أفراد عائلته و كبار أعيانها و وجهائها و من استطاع ذلك من أبناء الطبقة الفقيرة.

أما المستر ريج فقد أبى أن يبارح المدينة. و إنما بذل كل جهده لتسكين روع الأهلين و إسعاف المرضى و المحتضرين. و كان يقضى أوقاته أياما عديدة فى زيارتهم و إسعافهم بالأدوية الضرورية. و قد أسعدت قلبه مشاعر الاعتراف بالجميل و الشكر التى أظهرها له الناس الذين انبرى لإسعافهم.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۷

لكن هـذه الآفـة كانت قد أنشـبت أظفارها فيه أيضا. و ظهرت عليه أعراض الهيضة عند خروجه من الحمام فى ۴ تشرين الأول، و على الرغم من العنايـة و الإسـعافات التى أجريت له قضـى نحبه فى صبيحـة اليوم التـالى ۵ تشـرين الأـول و دفن فى (جهان نما) فى إحـدى الحدائق الملكية التى كان يقيم بها فى تلك الأيام، و حيث نصب له تمثال تخليدا لذكراه.

هـذه هى خلاصـة نشـاط هـذا الرجـل الفـذ، ناهيـك عن نبوغه و مزايـاه و تحصـيله، ففى العبـارات القصـيرة البليغـة الـتى أجملت فيها شخصـيتان مثل (روبرت هول) و (السير جيمس ماكنتوش) سيرة هذا الرجل ما يغنى عن تكرار سردها بأقلام من هم دونهما مقدرة، إذ قلّما تعرّف إليه أحد إلا و أصبح مأخوذا بأخلاقه مسرورا بمزاياه عدا تقديره لمؤهلاته الواسعة الفريدة. فقد كانت السرعة التى تعلم بها اللغات و الفنون ترجع إلى غريزة كامنـة فيه أكثر من المجهود الذى بذله. ففى الحقبة الأخيرة من حياته باشـر مسح البلاد العربية التابعة للدولة التركية بنفس السهولة التى حصل بها على معلوماته الرياضية العالية التى كانت تفتقر إليها مهمته.

و كان العرب و الأتراك معا يقـدّرون فيه علمه الواسع فى آدابهم. أما بين جماعـة أصـحابه فكان دائما قطب الـدائرة المحبب، إذ كان على اسـتعداد للانـخراط فى كل ملاهيهم بـدون كلفـة، تعجبه الروح المرحـة و الفكاهـة، فكان بمثابـة الروح فى الولائم، و يظهر أكثر الحاضرين سعادة و هو أصغرهم سنّا.

كان ملتهب العاطفة، نشطها. و كان بين الأصحاب الخل الوفى الصميم. كان شديد الحب لزوجته، و كان الشعور الدينى فيه عميقا.

و كانت شخصـيته القوية تمكّنه من قيادة مرؤوسـيه و السيطرة عليهم. و قلّما بلغت الأخلاق البريطانية الشهرة التى بلغتها فى بلاد العرب التركية فى الأيام التى تقلد فيها منصبه ببغداد.

و لقد كانت مذكراته عن بابل الأثر الوحيد الذى نشره فى حياته،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸

عـدا بعض المقالات التى نشـرها فى مجلـة «مناجم الشـرق». و قد خلف مخطوطات عديدة سـيما يومياته المسـهبة عن طريق سـفره من بغداد إلى اسـتانبول، و هى السفرة الوحيدة- على ما يظن- التى رافقته بها السيدة ريج على ظهر جواد، كذلك خلف يومياته عن سفره من اسـتانبول إلى (فينا) و من باريس عائـدا إلى بغـداد، عدا يومياته فى كردسـتان المطبوعة فى هذا الكتاب و أوراق أخرى عديدة فى موضوعات متفرقة.

أمـا مجموعته القيّمـة من المخطوطات الشـرقية و المسـكوكات و العاديات، فقـد اشتراها البرلمان البريطانى لمنفعـة المتحف البريطانى حيث هى الآن.

و لسـنا بحاجـة للتحـدث فى موضوع صـفحات هـذا الكتاب فإنها تتحـدث عن نفسـها. إنها يوميات شـخص فذ عن بلاد جديدة. نقول جديـدة و إن وجـدت أخبار متفرقـة عنها فى يوميات الرحالة الآخرين الذين مرّوا عفوا و سـراعا ببعض أقسامها. أما هذه اليوميات فإنها تلقى ضوءا جديـدا ساطعـا على جغرافيـة كردسـتان و عـادات أهلها. و إن النقاط الجغرافيـة التى تم التحقيق فيها لما تساعـد على تعيين المواقع ليس فى مختلف نواحى كردستان فحسب و إنما هى الأصقاع المجاورة لهذا الجزء من آسيا.

و مما لا شك فيه أن المستر ريج كان يرغب فى نشر مباحثه و ملاحظاته عن سفرته هذه . فقد استعان فيها بكافة وسائل المسح

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹

الفنى، و عين فى يوميـانه بكـل دقـة النقاط التى كانت توجه سيره. و لو كان الأجل يمتـد به لنشـر هـذه الأوراق على الجمهور بنفسه، فلربمـا كـان يضـفى عليهـا الشـىء الكثير من ألوان مخيلته، و يضـيف إليهـا الكثير من المعلومـات التى كانت تزدحم فى دماغه و رهن إشارته، و التى لم يذكرها فى يومياته فى حينها.

و فى الوقت نفسه فإنه بفضل جمعه بين دقة التخطيط و براعة القلم بالإضافة إلى المسح الفنى، فقد أنجز فى بعض أقسام كردستان التى كانت عبارة عن مجموعة مجهولة فى أحسن خرائطنا، المهمة التى لم يتم إنجازها بصورة متقنة فى أى قسم آخر من آسيا. و هذا إبداع

مشرّف له و للبلاد التى ينتسب إليها.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱

بداية الرحلة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۳

الفصل الأول الرحيل من دار الإقامة– كيفية السفر– وصف جماعتنا– الزوابع– كفرى– الخرائب الساسانية– ضيافة رئيس عشيرة البيات– منابع النفط فى (طوز خورماتو)

*** بغداد ۱۶ نيسان ۱۸۲۰: تخلصا من حر صيف من أصياف بغداد الشديد، عزمت هذا العام على زيارة جبال كردستان، إذ قيل لنا بأننا سنلاقى فيها مناخا يختلف اختلافا كليّا عمّا هو فى بغداد ، و لما كانت كردستان بلادا غير معروفة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴

فى أوروبا إلا قليلا، و كان لى هناك الكثيرون من المعارف من مواطنيها الذين وصلتنى منهم الكثير من الدعوات الملحّة لزيارتهم، فقد سرنى أن تتاح لى فرصة أخرى لإرواء غليلى الذى لا تنطفىء ناره، لمشاهدتى بلادا جديدة.

و إننى لأشعر فى هذه المرة، أن من واجبى أن أسوح بصفتى الرسمية. و هذا مما جعل قرينتى السيدة (ريج) تتجشم متاعب السفرة المنهكة فى محمل مستور أو ال «تختروان» ترعاها الخادمات و حاشية الحرم . و لتخفيف المتاعب عنها على قدر المستطاع ارتأيت أن يرسل معها جواد تمتطيه عندما لا تتعرض إلى الأنظار. و اضطررت شخصيّا بحكم واجبى و مركزى إلى استصحاب الكثير من موظفى دار الإقامة و خدمها، و استصحاب من طلب السماح له برفقتنا، كى نؤلف جماعة كثيرة العدد. و تخلصا من النفقات الواجب صرفها على الجنود المحليين الذين يرافقوننا لحمايتنا فى الطريق، استصحبت حرسا مؤلفا من خمسة و عشرين سباهيّا و ضابط صفهم (سوبيدار)، و هم الذين خصصتهم حكومة (بومباى) كحرس خاص لدار الإقامة. و لهؤلاء الحراس حرمتهم، و هم رهط من الرجال البواسل، و كانوا جذلين برحلتهم هذه، على ما لاح لى.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵

و كان الباشا ذا لطف عميم فى بذل كل ما فى وسعه لتسهيل سفرتنا، و تزويدنا بالفرامين و الأوامر و الرسائل إلى ذوى الشأن ضمن منطقته، و بتوصيات حارة إلى باشا كردستان و رؤسائها.

اخترت قرية (الدوخلة) الخربة الواقعة على بعد واحد و عشرين ميلا شمالى بغداد، كمثابة أو محل ملاقاة عام للحرم و الأمتعة و الحرس و غيرهم من الجماعة الذين لم يرافقونى شخصيّا إليها.

رحلت من بغداد فى ساعة متأخرة من اليوم، بالنظر إلى زيارة الكثيرين لى من المودعين راجين لى سفرة ميمونة. و لم يكن لهذا التأخير من أثر يذكر، إذ كانت المرحلة الأولى لا تتجاوز الخمسة أميال فى مداها، و هى بستان صديقى القديم المضياف الحاج عبد اللّه بك، الذى رجانى أن أجعل من داره هذه المراح الأول.

امتطيت صهوة جوادى بعد الخامسة بعد الظهر توّا و وصلت البستان بين السادسة و السابعة، فاستقبلنى البك ببالغ الحفاوة و وجدت أنه قد أعد لى وليمة تركية فخمة جدّا، كما و استقبلت صالحة خاتون السيدة ريج صديقتها استقبالا مضاهيا، و هى إحدى أرامل سليمان باشا الذى حكم بغداد مدة تنوف على العشرين عاما، و توفى فى عام ۱۸۰۴. و مع أن سليمان باشا كان مملوكا كرجيّا لسلفه، فقد كان من ذوى الكفاءات المحمودة، فبقوته و سرعة قراره و حكمته أخضع العشائر العديدة ضمن منطقته، و خشيه الآخرون خارجها، فتحسنت الزراعة و التجارة، و ازدهرت (بغداد) ازدهارا عظيما إبان عهده الأبوى الرشيد. و قد خلف ثلاثة أولاد كانت لهم مكانة ودية

فى قلوب أهل المدينة إكراما لوالدهم، كما كان لهم مكانة عز لدى من خلف والدهم فى الباشوية. و عاش الأخوان الآخران كل مع أمه عيشة مترفة، بقدر ما يسمح رغد العيش

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶

لأمثالهما من ذوى الشأن و هم فى مكان تراقبهم فيه أعين الحساد من الحكومة، سيما حين أصبح الأخ الثالث و هو الأكبر ذا منزلة يخشى منها كثيرا، و قد نجح أخيرا فى الحصول على الباشوية بالغش و الخداع، و نعم بعز مركزه أعواما قليلة إلى أن تغلب عليه قاتله صهره داود، الذى تسلم بعد ذاك فرمانا من الباب العالى يؤيده فى الحكم.

۱۷ نيسان: استأذنت الحاج عبد اللّه بك و رحلت من داره الريفية فى السابعة و الربع صباحا و كان الطريق يمر بأرض لا تروق للمرء مطلقا، فوصلت إلى مخيمنا فى الواحدة إلا ربعا، فوجدته قائما هى (الدوخلة). أما قرينتى فقد وصلت إليه بعد ساعة. و طفت بعد الظهر فى المخيم للتأكد من تجمع الجماعة و راحة أفرادها. إن إسكان هذا العدد من الناس فى القرى الواقعة على الطريق لم يكن أمرا ميسورا، و لهذا اضطررت إلى استصحاب الخيم و إلى استصحاب رهط من العرب لنصبها و تقويضها مساء و صباحا. و كانت الخيم أربع عشرة أو خمس عشرة خيمة و هى أقل ما نكتفى به لإيواء جماعة يتراوح عددها بين الخمسين و الستين . أما

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۷

الضجيج و الارتباك فلم يفارقا المخيم طيلة النهار حتى استقر كل من الجماعة فى مكانه و حتى استقرت الأمور كما يجب. و أمطرت السماء فى الليل مدرارا فتعرض لها البغالون و الخيامون المساكين، و الحيوانات، ذلك إذ لم يفكر أحد قط بحاجة هؤلاء إلى الخيام.

۱۸ نيسان: ركبت و المستر (به لى نو) فى السادسة و الربع و برفقتنا عدد من الخيالة الخفيفة من حاشيتنا، قبل أن يتهيأ الآخرون للرحيل من المخيم.

شعرت بارتياح كلى لتخلصى من الارتباك و من ضوضاء عدة لغات متباينة. فالضوضاء، و صهيل الخيل، و دقات أجراس البغال و نباح الكلاب كلها من متممات المخيمات الشرقية عادة.

و تبعتنا رفيقتى من بعد، بتخترواتها مع حاشيتها النسوية، و هن فى الكجاوات (نوع من المحامل تحمل على جانبى البغل) و مع بعض الخيالة للحراسة.

تقضى علينا العادات، أو المراسيم التركية أن نفترق بجماعتنا تمام الافتراق. تركت الخيار للقوم ليتبعوا عاداتهم، و ينظمونا وفق تقديرهم للمراتب و العادات. فإننى عودت النفس على الدوام على اتباع التقاليد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸

المحلية على قدر ما يرتاح له ضميرى و يقتضيه شرف بلادى. فالأتراك متمسكون بالمراسيم، و هم قوم يحرصون كل الحرص على المظاهر و الأبهة و يؤمنون بضرورتها، و ينظرون إلى كل من يتهاون فى أمرها كما لو كان وضيعا و جاهلا، و غير معتاد على آداب المجتمع الراقى. و فوق كل ذلك فإنهم يستنكرون تعرض النسوة للأنظار، و الأسماع. و إننى لأميل إلى الاعتقاد بأن التركى الذى يتغلب على اشمئزازه من مثل هذه الأمور لا بد و أن يكون ممن أضاع البعض من خصاله الطيبة. و مهما كان الأمر لقد ثبت ذلك لى فيمن تعرفت عليهم. و إنى لمتأكد التأكد كلّه بأننا لم نحظ بالحرمة التى لاقيناها و اللطف الذى شملنا من المسلمين إلا لاحترامنا عاداتهم فى هذه النواحى و عدم مسّنا أحاسيسهم بإنكارنا عليهم معتقدات لا تضر، و لا ينتظر منا أن نقلعهم عنها على كل حال.

أصابنا التعب الشديد فى مسيرة يومنا هذا من جراء الأوحال. و بين الثامنة و التاسعة ترجلنا لتناول كوب من القهوة فى مكان اسمه (محسن باك) و هو ضريح إمام صغير كائن على قناة متشعبة من الخالص و قد وصلنا إلى موقفنا فى الثانية عشرة إلا ربعا، و كان فى قاع قنال مندثر.

۱۹ نيسان: هبت بعد ظهر البارحة العواصف من الشرق و الشمال الشرقى، و فى السابعة و النصف هطلت أمطار شديدة، و أبرقت

السماء و أرعدت.

ثم خفّت العاصفة ليلا، و تبددت الغيوم بعض التبدد، إلا أنها أعادت الكرة علينا بعد منتصف الليل بعاصفة أقوى شدة، و بمطر غزير و برق

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹

و رعد دام حتى الصباح، فثقلت الخيام حتى أمسى من المحال تقريبا تقويضها و لفها و تحميلها، كما غمرت مياه الأمطار وجه الأرض فجعلتنا نقلع عن فكرة استئناف السفر فى هذا اليوم. و كانت الأرض التى ضربنا بها خيمنا فى القنال المندثر ملأى بالعقارب. فإن بيطرنا عندما كان يمهد مكانا منزويا فى ضفة القنال، حسبه ملائما لنومه فيه عثر على أربع عقارب كما عثرت الجماعة على عدد و فير منها حول الخيم. و هذا أمر مألوف فى جميع الطنوف و الأركام فى هذه البلاد، فهناك طنف بالقرب من (شهربان) يعج بالعقارب. و هبت فى الرابعة بعد الظهر ريح غربية تغلبت على الريح الجنوبية الشرقية.

درجة الحرارة: ۶۶ د فى السابعة ق. ظ و ۷۶ د فى الثالثة ب. ظ و ۶۶ د فى العاشرة ب. ظ.

۲۰ نيسان: استمر هطول الأمطار الشديدة طوال الليل مما أدى إلى إزعاج جماعتنا المساكين إزعاجا شديدا، و أمسى الرحيل فى هذا اليوم أيضا من الأمور المتعذرة. و بدأ الرعد و المطر عند الظهر و لكنه لم يدم كثيرا، إلا أن الرعد دام من الاتجاه الشمالى الغربى من الواحدة حتى الثالثة. و هبت أغلب العواصف من شمال مخيمنا. ثم تشتتت الغيوم و انجلت السماء مع هبوب ريح خفيفة من شمال الشمال الشرقى. و إننى لا أتذكر مطلقا موسما عجيبا كهذا، أما تأثيره فينا نحن المسافرين فكان مزعجا. و كانت درجة الحرارة أثناء العاصفة ۶۶ د.

۲۱ نيسان: عمّ البرق الأفق طوال الليل، و الرعد بعيد عنا، الأمر الذى أقلقنا كثيرا و كانت الريح عند الصباح شرقية و جنوبية شرقية.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰

استأنفنا المسير فى السادسة و النصف تحت رذاذ من المطر، أتت به ريح جنوبية شرقية. و رافقتنا غيوم المطر ردحا من الزمن، و لم تبخل علينا بتفريغات بين آونة و أخرى. و كان معنا فى رحلتنا اليوم عشرة أو خمسة عشر قرويّا لترميم الجسور أو تمهيد الطرق الرديئة للتخترون. و كان مسيرنا صعبا، خضنا فيه المياه و الأوحال فى أغلب أقسام الطريق حتى وصلنا إلى (جوبوق) فى العاشرة قبل الظهر، فنزلنا بأرض مضربنا القديم و قد وجدناها جافة. و سبقنا التخترون فى المسير بنصف ساعة، لكنه وصل بعدنا بعشر دقائق. و من محاذير السفر مع جماعة كبيرة هو أن القرويين يخفون كل ذخيرة جيدة نسبة قد تكون فى حوزتهم حذر سلبها منهم، و على الأخص إذا علموا أن بين الجماعة من هم من موظفى الحكومة.

عادت السماء فتلبدت بالغيوم مساء، و بدأ البرق بعد الغروب فى الشمال و الشمال الغربى، و سرعان ما هب نسيم عليل من ذينك الاتجاهين و لكنه ما إن هب إلا و تغلبت عليه ريح قوية من الجنوب الشرقى، ثم غدا الأفق أسود يحاكى جناح الغراب فى لونه و عاد البرق يومض فى جميع الآفاق و ميضا متتابعا لا- أذكر له مثيلا- و لكن الرعد لم يزل بعيدا عنا، أما الأفق فى الغرب فكان حالكا، و انعدام الضوء كان يضاهى ما تخيله اللورد (بايرون) فى حلمه الرهيب عن انطفاء نور الشمس. ما كنا نشعر برهبة ذلك الظلام إلا عند الفترات القصيرة بين و مضات البرق، حيث كان يظهر لنا ساطعا بنوره فى ذياك المكان الحالك، و كنا نرى أسهم النور تصيب الأرض بين آونة و أخرى. و كان وهج البرق كلما أنار الأصقاع، أظهر لنا حارسا هنديّا متكئا على بندقيته، و خيمة احتمت بها جماعة من البغالين، أو رهطا من المسافرين المتعبين

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۱

يشقّون طريقهم عبر الصحراء الموحشة. لقد كان المنظر من المناظر التى يعتز بها الشعراء الاعتزاز كله. إلا أنه جعلنا فى حال مؤلمة من ترقب ما سنلاقيه من العواصف أو السيول التى لن تقو على مقاومتها خيامنا الرقيقة الممزقة بعض التمزيق. و أخيرا لاح أن العاصفة

انطلقت نحو الجنوب الغربى منا بعد أن ناوأتها تيارات معاكسة عليا صفعتها من كل الجهات، و لم يصبنا منها إلا جزء من زخة مطر شديدة استمرت ثلاث ساعات (من التاسعة حتى الثانية عشرة) ثم أعقبتها هبات ريح جنوبية شرقية قوية. أما البراغيث و البعوض، و ذكراى لمتاعبى فى بغداد فقد حرمتنى لذة النوم حتى الصباح تقريبا حيث استسلمت إليه آنذاك.

۲۲ نيسان: عندما نهضت فى الخامسة و النصف من صباح اليوم وجدت السماء قد ارتدت رداء رصاصيّا غامقا، ينذر بيوم ممطر على وجه التأكيد فتخليت عن فكرة استئناف السفر. و قد بدأ المطر يتساقط فى جو بارد منذ السادسة و النصف تقريبا فاستمر طيلة النهار مما خيب آمالنا الخيبة كلها. ثم صحت السماء عند الغروب و هبت ريح جنوبية شرقية.

درجة الحرارة ۶۳ د فى السابعة ق. ظ، و ۶۷ د فى الثالثة ب. ظ، و ۶۲ د فى العاشرة ب. ظ.

۲۳ نيسان: ليلة صافية بديعة، و نسيم عليل من الجنوب الشرقى. هبت عند الصباح ريح شمالية غربية، و لكن ما كادت تهب إلا و تغلبت عليها ريح جنوبية شرقية أقوى.

امتطينا صهوات الجياد فى السادسة و الربع، فشاهدنا تلال خرائب بالقرب من (جوبوق)، إلا أن المجال لم يكن فسيحا لنا للتلبث

و معاينتها. و اضطررنا إلى العدول عن طريقنا و إلى التوجه نحو (ديالى) تجنبا من البرك التى كونتها مياه الأمطار يوم أمس. و كانت سلسلة جبال (زاغروس) الممتدة إلى (طاووق) تؤلف الحدود النهائية لمجال رؤيتنا حالما تركنا قرية (جوبوق) الكائنة فى أرض منخفضة بعض الانخفاض.

وصلنا فى التاسعة إلى (ده لى عباس) فوجدنا أن الخراب قد حل بالمنزل- الخان-(Post -House) تماما فهجر، فنصبنا خيمنا بين المنزل و بين قنال (الخالص) حيث كان يوصل ضفتيه جسر ذو قوسين و قوس إضافى عند كل من رأسيه احتياطا لطوارىء الفيضان، و كان اتجاه مسيرنا العام شمالا. أما التخترون و الأمتعة فقد سارت فى السادسة و النصف فوصلتنا فى العاشرة. لقد أخبرنا القرويون بأن الأمطار هطلت عندهم مدة ثمانية أيام متوالية فغمرت الأرض بتمامها. و فى ليلة الثلاثاء شوهد من هذه القرية سقوط ثلاث صواعق، أو شهب تخر بسرعة متناهية من الغرب نحو تلول حمرين. و فى الحقيقة إن كثرة التفريغات الكهربائية كانت هائلة. و لم يسبق لى أن شاهدت برقا متواصلا، ساطعا طوال الأيام منذ أن ساءت الأحوال الجوية. و ما كدنا نصل مضربنا إلا و هبت الرياح الشديدة من الجنوب ثم تبدلت إلى الغرب الجنوبى عند المغيب. و دام البرق على شدته طوال الليل من الشمال الغربى إلى الجنوب الغربى دون رعد. و كان الليل هادئا، و الغيوم خفيفة.

الحرارة ۶۰ د فى السادسة ق. ظ، و ۷۴ د فى الثالثة ب. ظ و ۶۴ د فى العاشرة ب. ظ.

۲۴ نيسان: لم نتمكّن من طرق الممر المباشر فى تلال حمرين، إذ كانت جميع السبل بين التلول و (ده لى عباس) مغمورة بالمياه فى الغالب، و كان مستنقع (البو فرج) الملىء بالمياه عن يسارنا يمتد حتى (دلتاوه)، فانتهجنا

ممرنا القديم الذى سرنا به فى رحلتنا السابقة. ركبنا فى الخامسة و النصف فخضنا البرك العديدة و الأوحال الكثيرة نحو الممر فوصلناه فى السادسة و النصف، و هذا الخانق (القطع فى الجبل) الذى ذكرناه فيما مضى، فتحه جد فيض اللّه آغا (صديق لى فى بغداد) فى عهد عمر باشا، و اسمه (صاقال طوتان) و معناه القابض على اللحية. و فى السابعة و النصف اجتزنا الطريق إلى (بارادان) و هنا يتفرع إلى اليمين حيث يوصلنا إلى القرية التى نقصدها، إلا أننا علمنا أنه أمسى من الصعب جدّا خوض (نارين) لارتفاع مياهه من جراء الأمطار الهاطلة أخيرا. و فى الثامنة و الربع اجتزنا الجبال فتركناها على يسارنا حتى وصلنا جسر (نارين) فى العاشرة و الثلث. فرأينا أن مياه هذا النهر كانت قد ارتفعت إلى ما يقارب العشرة أقدام، و لكنها انخفضت ثانية انخفاضا كليّا تقريبا. فشربنا القهوة هنا ثم استأنفنا السير فى الحادية عشرة، بمحاذاة النهر لا على الطريق المباشر تجنبا من أوحال عميقة لتربة نطرونية- نايتروس آزوتيه- تركناها

عن يميننا.

و فى الواحدة إلا- ثلثا وصلنا إلى (التلة السوداء) (قه ره ته به). أما التختروان فتحرك فى السادسة و التحق بنا فى الثانية و النصف. و سبب تأخره سيره من (نارين) باتجاه مستقيم موحل عوضا عن استدارته متجنبا الأوحال كما تجنبناها.

ففى الناحية الجنوبية من القرية و على اتصال بها، و بالقرب من مخيمنا، طنف مرتفع تعلوه مقبرة صغيرة، يسميه الأهلون (نماز قيلان ته به) أو تل المصلى، و هو المصلى الذى يؤمّونه للصلاة فى العيدين.

صعدت الطنف لتسجيل بعض الاتجاهات بالقنباص (البوصلة) فلاحظت من فورى بأن الطنف اصطناعى، الأمر الذى جعل (آغا سيد) . ينقب

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۴

فيه، و ما شرع بالتنقيب إلا- و عثر على فخارة رميم و فيها بعض العظام و هى كالفخارات المعثور عليها فى (بابل) و (سلوقية- (Seleucia و على أثر استمرارنا فى التنقيب عثرنا على عدد آخر منها، إلا أنها كانت هشة لا يمكن إخراجها من الأرض إلا مهشمة. و كانت فتات الفخارات متناثرة على وجه الأديم، و سطح الطنف مليئا بها و إنى أعتقد و الحالة هذه بأن هذا الطنف ما كان إلا دخمة(Dakhma) أو مرقدا يلقى الفرس عبدة النار موتاهم عليه، ثم أصبح مدفنا، و مصلى للمسلمين. و أخبرنى الأهلون بأنهم كانوا يعثرون فى هذا الطنف أحيانا على بعض الحلى الفضة الصغيرة و لكن لم يكن لديهم نماذج منها. و يقع هذا الطنف فى أقصى القرية من الجنوب و يتراوح ارتفاع أعلى قمة منه بين ۱۵ و ۲۰ قدما عن سطح الأرض.

درجة الحرارة ۶۰ د فى السادسة ق. ظ، و ۷۴ د فى الثالثة ب. ظ، و ۶۴ د فى العاشرة ب. ظ.

۲۵ نيسان: سرنا فى الخامسة و النصف فوق تلول حصوية، تقع (قه ره ته به) على منحدرها الغربى و كان المنحدر و هو ضلع من التلول ذاتها بسيط الميل جدّا، ينتهى عند واد صغير. و من هذا الضلع يبدأ النزول بمنحدر طويل إلى جسر (جمن) الذى وصلناه فى السابعة و الربع. و بعد اجتيازنا مسيلا عريضا فى التاسعة و الدقيقة العاشرة صباحا ترجلنا لشرب القهوة بعيد ارتقائنا مرتفعا بسيط الميل أيضا. و فى العاشرة و الثلث استأنفنا المسير فوصلنا (كفرى) فى الحادية عشرة.

و فى (كفرى) لم نجد الضابط- رئيس القرية- و قد خرج لاستقبالى مع خمسة عشر خيالا عند المسيل، إلا أننا أضعنا بعضنا البعض فى شعاب منحدرات التلول، أما التختروان فسار فى السادسة، و التحق بنا فى الثانية

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۵

عشرة. و كان عبور (كورده ره) أو واديها صعبا شاقا. و استغربت الاستغراب كله من وجود جالية يهودية صغيرة و كنيس لها فى (كفرى).

و الناس هنا يأكلون بصلات نبات يجمعونها بكثرة من جميع الأنحاء، و حجمها كحجم بصيلات ال(Shallot) تسمى بال (جه زه دوم-(Chezedum و هى تؤكل بعد شيّها قليلا و طعمها طعم الكستناء .

درجة الحرارة ۸۲ د فى الثالثة ب. ظ، و ۶۴ د فى العاشرة ب. ظ.

۲۶ نيسان: خلال مسيرتى مساء البارحة، إلى الجرف الواقع وراء (كفرى)، سمعت صدفة بخرائب تدعى (قه ره أوغلان) فاتجهت إليها من فورى لمشاهدتها. و فى صباح اليوم رجعنا إليها و معنا جماعة من القرويين يحملون المعاول و المجارف فمكثوا عندها مدة أربع ساعات يحفرون و ينقبون حولنا، و فيما يلى وصف مختصر لتلك الخرائب:

على بعد نصف ميل إلى الجنوب الشرقى من (كفرى) و فى قاع المسيل، معالم جدران و اطئة أو أسس جدران كشفت عنها الأمطار التى هطلت أخيرا. وجدت فى أحد الجدران قطعة من الخافقى (معجون المرمر المطلى) المنقوش. و كنت حريصا لأحفر كثيرا فى هذه الخرائب لأقف على حقيقة الأثر و تاريخه. و بنتيجة الحفر كشفنا عن غرفة صغيرة، أو بالأحرى عن بقاياها و هى جدار ارتفاعه أربعة

أقدام تقريبا و مدخل.

فالغرفة صغيرة لا تتجاوز سعتها الاثنى عشر قدما مربعا، و الجدار مبنى من أحجار جبسية غير منحوتة- كأحجار قصر شيرين- مملوطة بالجبس، و قد نقش الملاط بمجاميع. و استخرجنا بعض القطع من الجبس و عليها نقوش ورود أو نقوش عربية الطراز، و كان لون النقوش أحمر براقا أما لون

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶

خطوطها الأساسية فأسود، و لون سطحها لون الجبس نفسه. و كانت هذه الألوان جميعها كأنها حديثة العهد نضرة. و لما كانت الجوانب خالية من أى أثر من النقوش، يخيّل إلىّ بأن تلك القطع إنما هى من شظايا السقف.

و عثرنا على بعض القطع من الفحم النباتى أيضا. و كشفنا عن هذه الغرفة و عن قسم من غرفة أخرى. و يظهر أن هذه تؤلف قسما من سلسلة من حجرات تمتد قليلا إلى غرب الجنوبى الغربى و إلى شرق الشمال الشرقى، و قد ظهر أن هنالك أثرا لخمس أو ست حجر منها و أنها فى صف منفرد، و أن الجانب الشمالى منها قد أسند بدعائم صغيرة مدورة.

و إلى شرقى ذلك، تحت التلول الكائنة على حافة المسيل (و قد تآكل الوجه الغربى منه) رابية مرتفعة وسيعة جدّا، بهيئة مربعة استخرج العمال منها عددا من الفخارات و جاؤوا إلىّ بقطع منها. و كانت من خزف خشن طلى داخلها بطلاء أسود تشبه ما عثر عليه فى (سلوقية) و (بابل) تمام الشبه. ولدىّ سراج خزفى صغير عثر عليه هنالك، و هو يشبه الأسرجة التى يستعملها القرويون فى هذه الأيام.

و كثيرا ما يعثر على المسكوكات الذهب و الفضة هنا، و القرويون يميعونها من فورهم. و إنى لأشعر بأسف شديد لعدم تمكّنى من مشاهدة أية قطعة منها، و لو شاهدت واحدة منها لكونت فكرة أفضل و أعم عن أزمنة تلك الخرائب. هذا و إن الجرار و فخارات الرميم تغرينى على أن أنسبها إلى عهد الساسانيين.

و يوجد على قمة هذه الرابية آثار أبنية، و من قمة الرابية على طوار سفوحها حتى حضيضها و من ثم حتى قبالة (كفرى) توجد آثار أبنية قديمة أيضا، الكثير منها يحتوى على سهاء- طوابق أرضية-(Basement) مربعة- كسهاء خرائب (قصر شيرين) و (حوش كه ره ك)- و إن لم تكن مرتفعة عن سطح الأرض كثيرا. وسعة الخرائب هذه تقارب الميل طولا و ربع الميل عرضا. قمنا بالحفر فى أماكن عديدة من هذا المحل و لم نعثر على شىء.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۷

و هنالك أيضا آثار جدار عند الضفة الغربية من المسيل، و كذلك إذا عبرنا المسيل عبورا مائلا نحو (كفرى) وجدنا أنقاض أبنية صلبة ضخمة قوضتها السيول. و يظن القرويون أنها بقايا سد أنشئ عبر المسيل، إلا أننى أعتقد شخصيّا أنها أنقاض سور المدينة. أما طرازه فيضاهى طراز الأقسام الأخرى من الخرائب شيد من حجر غير منحوت و بنى بناء قويّا بالنورة.

فبقاياه الموجودة فى وسط المسيل تظهر لنا بوضوح أن المسيل ما كان فى مجراه الحالى عندما كانت المدينة قائمة. و يحتمل حقّا أن السيول قد استغلت للزراعة حينذاك.

و ينسب الأهلون تلك الآثار إلى ال (كاوور) أو الكفار. إن اطلاعنا الناقص عن الإمبراطورية الساسانية لا يمكننا فى الحقيقة من أن نقول عن هذا المحل شيئا. و إنى لا أشك فى أن تكون له أية صلة بحروب الرومانيين مع تلك الإمبراطورية، تلك الصلة التى بها وحدها نتمكّن من الوقوف على بعض الأمور المتعلقة بهذا المحل.

و فى شمال الشمال الغربى من أعالى المسيل يوجد بعض آثار تنقيب فى صخرة تسمى (بيوت الكفار). فذهب المستر (به ل لى نو) لرؤية البعض من تلك الآثار فى التلول و هى على بعد ۱۰ دقائق للراكب من أقصى الجنوب من الخرائب، فوجد بعض غرف مدافن كشف عنها و لها أبواب منخفضة جدّا، و فى داخلها ثلاثة أماكن للجثث، ذات سعة صغيرة طولها خمسة أقدام تقريبا. إن أسس هذه

الحفريات تشبه أسس مدافن الأخمنيين(AchAEmenian) فى (نقش رستم)، و لكن لا أثر عليها أو كتابة أو نقش. و توجد إلى مسافة ثلاثة أميال تقريبا من الخرائب و على قمة تل، آثار بناء ينعته الأهلون ب (قيز قلعه سى) أى حصن الفتاة، وجد فيه بعض الفخارات و العظام. و قد شاهد المستر (به ل لى نو) إحدى الفخارات أيضا. و ليس فى هذا المكان عدا ذلك ما يستحق الذكر، و هو يقع تقريبا قبالة (اون ايكى إمام) الأئمة الاثنا عشر.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸

عند رجوعنا إلى مضربنا، وجدنا رسولا من محمود باشا بانتظارنا. و قد جاءنا مساء الأمس مراسل منه يستفسر عن وصولنا، و ليقف على الطريق التى نزمع سلوكها. و قد سافر كلاهما صباح اليوم قاصدين السليمانية، حيث سيرسل منها الباشا رائدا «مهماندار»، يستقبلنا فى (قه ره حسن)، و طريق (قه ره حسن) هو الذى استقر رأينا على سلوكه أخيرا لسهولة سير التختروان عليه.

و فى كفرى بعض النخيل، يقال إن التمر لا ينضج فيها بخلاف (طوز خور ماتو). و خلال مكوثنا فى كفرى أهارت المياه جوانب عظيمة من الجروف.

درجة الحرارة ۸۲ د فى الثالثة ب. ظ، و الريح شمالية غربية.

۲۷ نيسان: ركبنا صباح اليوم لمشاهدة خرائب (اسكى كفرى) الواقعة فى الجنوب الغربى من (كفرى)، و على مسافة ساعتين فى السهل. كنت أظن على الدوام أن خرائب (اسكى كفرى) هى فى الحقيقة المحل الذى كانت مدينة (كفرى) قائمة فيه فيما مضى، و لكننى وجدت الآن أن (كفرى) كانت و لا تزال فى مكانها الراهن، و أن هذه الخرائب إنما هى تراث أزمنة الكاوور. و مررنا و نحن فى طريقنا نحو هذه الخرائب بالكثير من الطواحين و هى كأبراج صغيرة فى وسط جنائن كفرى، تديرها سواق اصطناعية صغيرة.

و تقوم على مقربة من (اسكى كفرى) رابية اصطناعية جسيمة، كرابية (مجيليبه) ، و هى ذات سفوح شاقولية تقريبا إلا حيث التآكلات

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹

العميقة أو الأخاديد التى أحدثتها الأمطار. و اكتشف أخيرا فى أحد هذه الأخاديد قبو صغير مشيد بالطابوق الخشن الشواء فيه فخارات رميم عديدة عثروا فى بعضها على مسكوكات ذهب لم أوفق فى الحصول على واحدة منها. و قد انطمر القبو تقريبا بانهيار الأتربة أو الأركام التى تتألف منها الرابية. و طول هذه الرابية من الشمال إلى الجنوب تسعمائة و ستون قدما، أما عرضها من الشرق إلى الغرب فأقل من ذلك بقليل، و ارتفاعها سبعة و خمسون قدما. و هذه الأبعاد و إن كانت تقريبية، فباستطاعتنا اعتبارها مقاربة للحقيقة، و قد قاسها النجار و ساعده فى ذلك آغا سيد.

و إننى ذهبت فى خلال المسح للاستراحة فى ظل أخدود أحدثته الأمطار، إذ كانت الريح جنوبية شرقية و الجو شديد الحرارة. و قد نلت قسطا من الراحة، فنسيت تعبى و استعدت قواى. و فى الواقع إن هذا الأخدود كان أحسن الأماكن التى يمكن البحث فيها عن الآثار القديمة، كونه ما زال أخدودا حديثا فتحته الأمطار أخيرا. فحفرنا عنده و عثرنا على الكثير من العظام البشرية الصغيرة و على قطع من فخارات الرميم و كلها مطلية من الداخل بطلاء أسود. و لكن الخزف كان يختلف عما سبق لنا وصفه، فالبعض منه خشن لا نقوش عليه، و البعض الآخر من نوع دقيق جميل، و الأجمل من كل هذه أخزاف عليها رسوم غزلان و أبقار فى مجاميع دائرية صغيرة، و حملنا معنا كل ما عثرنا عليه منها. و قد بذلنا ما فى طاقتنا لاستخراج فخارة صحيحة لكننا لم نفلح، و إن كان ذلك ما يعثر عليه فى الأغلب و على الأخص عندما تجرف مياه الأمطار الشديدة التراب عنها.

أمرت الجماعة أن تستمر على الحفر فى جميع الأنحاء و لكنهم لم يعوضوا عن تعبهم إلا بما عثروا عليه من بعض الشظايا المعدنية الصدئة، و بعض قطع نحاس و زجاج و خرزة بلورية صغيرة. هذا و قد اتخذت التدابير للحصول على فخارة رميم سالمة.

و كلما تعمقنا فى حفر هذا الأخدود كشفنا عن تربة سوداء عفنة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰

جدّا، و أنقاض أكواز و شظايا عظام صغيرة. و فى وسط الرابية مقبرة عربية صغيرة. و هكذا نرى الآن أن رميم المسلم يختلط برميم الفارسى عابد النار. هذا و لا أرى إلا أن هذه الرابية كانت رابية ساسانية خصصت لإلقاء جثث الموتى عليها، و لا شك لى فى ذلك من حيث مظهرها و طبيعتها، و شكل الشظايا التى عثرنا عليها فيها.

تمتد إلى الشمال و إلى الغرب من هذه الرابية، أركام خرائب صغيرة، تظهر أن المكان هذا كان واسعا رحبا. و توجد فى الغرب ربوة أكبر من الروابى الأخرى تدعى (آش طوقان). و عند رجوعنا إلى مضربنا، و بعد مسير ربع ساعة للراكب، وصلنا إلى بعض بقايا سور صغير ربما كان سور المدينة نفسها، و إن كان القرويون يعتقدون بأنه بقايا سد أقيم لدرء الفيضان من مسيل (كفرى)، و لم يبق منه إلا قسم لا يتجاوز ارتفاعه بضعة أقدام، و طوله ثلاثمائة يردة، و هو مشيّد من أحجار كروية ذات تجاويف صغيرة فى القسم الخارجى منها. و الأرض من الطرف الداخلى من الجدار باتجاه الخرائب أعلى مما هى عليه فى الشمال أو فى الطرف الخارجى منه و هى تشبه دكة أو مصطبة أدعمت بهذا الحائط. و لا أشك فى أن الحائط ذاته يعود تاريخه إلى عهد آثار (قصر شيرين) و (حوش كه ره ك). و إلى مسافة أبعد نحو الشمال و باتجاه (كفرى) إلى ما وراء الحائط، لا نجد أثرا للخرائب. لقد بارحنا (اسكى كفرى) فى الساعة العاشرة و الربع، و وصلنا (كفرى) قبل الثانية عشرة بعشر دقائق.

كنت قد أوعزت بجلب أية قطعة من المسكوكات أو العاديات الأخرى التى يعثر عليها عند القرويين. و قد جاءنى (روبين) فى هذا اليوم بثلاث قطع من المسكوكات و بقطعة حجر منحوت حصل عليها من أصدقائه اليهود، إلا أنها كانت بعيدة كل البعد عن أن تلقى ضوءا على تاريخ الخرائب المجاورة و كأنها صنعت خصيصا لتحير الإنسان و تزيد غموضه فى الأمر، و كانت إحدى المسكوكات أرساسية(Arsacian)

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱

و الثانية ساسانية و الثالثة كوفية. أما الحجر المنحوت فكان نوطا يمثل ظفرا رومانيّا. و هكذا أتيح لى أخيرا الحصول على عادية ساسانية لطيفة جدّا، عليها بعض الكتابة. و فى مكان اسمه (اون ايكى إمام) الأئمة الإثنا عشر و الذى يبعد عن كفرى أربعة عشر ميلا تقريبا ربوة أخرى من الروابى العديدة فى هذه الربوع، و الظاهر أن عهدها يرجع إلى عهد الخرائب الساسانية، المبعثرة فى تلك الأماكن تبعثرا واسعا. و قبالة أونايكى إمام، فى سلسلة التلول الجبسية، نجد منابع النفط. و قد اكتشف منبع صغير قبل عام فى تلك التلول على مسيرة بضع دقائق غربى (كفرى). أما القروى الذى اكتشفه فقد اعتقلته الحكومة التركية و جلدته جلدا مبرحا لحمله على الاعتراف فيما إذا باع نفطا من المنبع قبل الإعلان عن اكتشافه. و بنتيجة التعذيب الذى لاقاه من جراء اكتشافه المشؤوم هذا اضطر على الهجرة و بيته إلى إيران، حيث استوطن مرتاحا كما يدّعى.

و من الصدف أنه كان فى كفرى و أنا فيها، لقضاء أعمال له و قد قص على القصة بذاته فقال: «إن اللّه لم يهنىء الأتراك بالنفط لظلمهم، إذ إن المنبع الذى كان فياضا جدّا عند اكتشافى له، نشف عندما جلدت، أما الآن فلا تنبع منه إلا بضع قطرات لا شأن لها».

درجة الحرارة ۸۱ د فى الثالثة ب. ظ، و ۶۶ د فى العاشرة ب. ظ رياح خفيفة متقلبة، و مطر قليل من الغرب ليلا، و برق فى الشرق.

۲۸ نيسان: ركبنا جيادنا صباحا فى السادسة إلا ثلث، و قد حضر الضابط معنا و أصرّ على مرافقتى إلى مسافة من الطريق. و طريقنا على سلسلة تلول حصوية تتشعب من تلال (كفرى) و تتصل بالتلال التى اجتزناها قبل بضعة أيام، و لا يقاطع طريقنا إلا مسيل (كفرى) ذلك المسيل الذى شق لنفسه طريقا فى وادى (جمن) الذى مررنا به بطريقنا إلى (اسكى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۲

كفرى) و فى السابعة اجتزنا التلول، فوطئنا سهل البيات و هو سهل ينحدر انحدارا تدريجيّا من تلال (كفرى) إلى (جمن)، و كان سهلا كثير الزرع فى هذه النواحى. و فى السابعة و الربع مررنا بشعب يسيل فيه جدول صغير من مياه الأمطار. و فى الثامنة و الثلث وصلنا إلى (قورو جاى) و هو مسيل واسع لم يبق فيه إلا القليل من مياه الأمطار، و لكنها قد ملأته قبل بضعة أيام حتى إنها طغت على السهل، كما

لاحظنا من الآثار التى تركها الفيضان. و كان هنا مضرب للتركمان البيات، فجاء رئيس العشيرة حسن أو كما ينعت أحيانا ب «قه ره قوش بك»، يدعونى لتناول الطعام معه، و كان رجلا نضر المحيا، و سيم الطلعة ذا لحية لطيفة بيضاء، و ذا ذكاء مفرط، و طلاقة لسان، و سلوك حسن كأنه وليد حياة قضاها كلها فى بلاط شرقى. و قد أخبرنى بأن البيات إنما حازوا على المنطقة عطية من السلطان و لم يدفعوا مالا عنها إلى الحكومة العثمانية، إلا أنهم لقاء ذلك مكلفون بالخدمة العسكرية فى الوقت الحاضر إلى باشا بغداد عندما يقوم بحركات يقودها شخصيّا فى الميدان. و أخبرنى أيضا بأن نادر شاه عندما غزا و احتل المنطقة أرجع البياتيين إلى أحضان عشيرة البيات الكبرى فى (خراسان)، و أن معظم ما تبقى منهم الآن هم من عائلة الرئيس ذاته. غير أنه أضاف قائلا: و بالرغم من ذلك فإذا مست الضرورة فبوسعهم جمع ألف فارس. و يوجد فى حمى البيات البعض من العرب، و العشائر الكسيحة، أما خيولهم فكريمة. و كان رئيس العشيرة على علم تام بوجود عشيرة البيات الكبرى فى خراسان و لكنه لم يتمكن من إعلامى بتاريخ نزوح أفخاذ العشيرة إلى هذه البلاد للمرة الأولى. و فى الحقيقة أن العرب أحسن المؤرخين، و أحسن رواة الأنساب فى الشرق.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۳

استأذنت البك و أنا مسرور جدّا من مقابلته و محادثته، و امتطينا جيادنا ثانية فى التاسعة فمررنا بمزارع كثيرة أغلبها حقول شعير، و قد نضج البعض منه، و الفلاحون منهمكون بحصده. و جاءنى الحصادون ببعض السنابل فألقوها على الطريق أمام جوادى و هم يصرخون «سحقا لأعدائكم هكذا ..» متوقعين بضع دريهمات لقاء ذلك، و فى الشرق ينتهز كل حادث لاستدرار العطايا أو الهدايا.

و فى التاسعة و النصف وصلنا إلى (قيزيل خرابة)- الخرابة الحمراء- و هى على الطريق. و كانت الروابى أو الطنوف ظاهرة، منتشرة انتشارا يمتد باتجاه حمرين و هو عن يسارنا، حيث شاهدنا هناك ربوة كبيرة جدّا كربوة (اسكى كفرى)، و قد قيل لنا إنها من آثار الكاوور، و من المحتمل جدّا إنها ساسانية، إلا أننى لا ألزم نفسى بهذا الادّعاء و أؤكده كما كان الأمر فى اسكى كفرى.

بعد برهة قليلة مررنا بخرابة أخرى، و الظاهر أنها متصلة بالمدينة التى تؤلف (قيزيل خرابة) قسما منها. و فى الحادية عشرة إلا ربعا مررنا بقرية بياتية كبيرة هجرها أهلوها الآن، إذ إنهم يضربون فى هذا الموسم المضارب فى السهل تخلصا من البراغيث، و سهرا على الغلال؛ و قد شاهدنا الكثير من هذه المضارب فى جميع الأنحاء.

و فى الحادية عشرة و الدقيقة العاشرة مررنا بقرية أخرى كبيرة، و قد غابت الآن عن أنظارنا جبال حمرين التى كانت عن يسارنا طيلة مسير النهار لانعطافها نحو الغرب أكثر فأكثر. و بانت لنا (طوز خورماتو) و اتجاهها ۲۰ د إلى الشمال الغربى. و قبل وصولنا إليها بربع ساعة اجتزنا مسيلا عريضا جدّا، و ارتفاع المياه الجارية فيه الآن يصل إلى الركاب و عرضها بضع ياردات فقط، أما فى الخريف فيقل عن ذلك. و قد فاض المسيل من جراء الأمطار الغزيرة و هو يسمى ب (آق صو) و ينحدر من (إبراهيم خانجى).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۴

و رأينا عن يسارنا و على مسافة ساعتين قرية (يه نى جه)، و هى تقع على طريق البريد الحالى من بغداد إلى (طاووق).

و فى الثانية و النصف، بعد أن عبرنا المسيل نصبت شمسيتى لأستظل بها و أرسلت عريفا إلى المدينة ليهيّئ لى (السراى) و ليعلن قدومى. و بعد مدة وجيزة جاءنى الحاكم و وكيل عمر بك و هو المتصرف بالمدينة تصرفا تيماريّا ورثه عن أبيه، فامتطينا جيادنا و مررنا ببساتين النخيل و البرتقال و الليمون و التين و المشمش و الرمان و الزيتون و هى تكتنف المدينة بكاملها، ثم أسكنونا دار عمر بك المريحة، و كانت دارا فخمة بالنسبة إلى مسكن ريفى فى بغداد؛ أما سائر المدينة فكان كلها من الطوف، و سكانها أتراك أغلبهم من الإسماعيلية أو «جراغ سوندیره ن» . أمطرت السماء بردا فى (طوزخور ماتو) ليلة السبت،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۵

فألحقت خسائر فادحة بالبساتين، و قد وصفوا البرد وصفا قالوا فيه إن حجم الواحدة منه كان كبيرا جدّا. و يظهر لى أن ليلة سقوط البرد هى الليلة التى أزعجتنا فى (جوبوق). و تقع (طوز خور ماتو) بالقرب من تلول (كفرى)، و هى إلى غرب الممر الذى يشق تلك

التلول تماما و الذى يسيل منه (آق صو) إلى السهل. ففى هذا الممر يوجد بئر نفط و مملحة، و إلى مسافة أخرى جنوبا فى التلال، يوجد منبع نفط آخر، و لا مملحة.

التحق بنا التختروان بعد نصف ساعة من وصولنا، و كانت ساعة حركته السادسة. و كانت مسيرتنا هذا اليوم أطول مما يجب أن تكون بكثير لو أننا اتبعنا الطريق المستقيم المارّ بمحاذاة التلول، إلا أن ال (اودا باشى)- مدير المخيم- أراد أن ينهى مرحلتنا عند البيات، و أن يجعل من الطريق مرحلتين سهلتين، غير أننى عند وصولى إلى البيات خطر لى أن من الأفضل الإسراع للاستفادة من جودة النهار.

۲۹ نيسان: نهضت صباح اليوم مندفعا لمشاهدة تحف الضواحى، فالحفرة النفطية تقع فى ممر التلال، و هى إلى الجنوب الشرقى من المدينة بمسافة ميل واحد تقريبا، و لوقوعها فى وسط المسيل تطغى مياهه عليها أحيانا فتتعطل زمنا كما حدث فى الصيف الماضى. و عمق الحفرة ۱۵ قدما تقريبا، و فيها عشرة أقدام من الماء يطفو على سطحه مائع النفط الأسود تعلوه فقاقيع صغيرة على الدوام، و الناس يدلون منه المائع من قعره فيقشطون النفط من أعلاه و يسكبون ماءه فى ساقية تصبه فى مجموعة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۶

أحواض صغيرة مستطيلة حفرت بين الحصى، و يتركونه هنالك إلى أن يتبلور إلى ملح جيد ذى حبات ناعمة بيضاء لامعة لا مرارة فيها. و تصدر كميات و فيرة من هذا الملح إلى كردستان، و يقدّر وارده السنوى بعشرين ألف قرش توزع على أفراد عائلة المرحوم الدفتردار . أما النفط فملك القرية، و يصرف قسم منه على المنزل- الخان- أو يباع لإعالة المنزل بوارده و يخصص قسم آخر منه للمعاهد الدينية و غيرها. و مقدار الاستخراج اليومى من النفط من هذه الحفرة جرتان تقريبا سعة كل منها ست حقات أو «بطمان» بغدادى واحد. و أما منبع النفط فهو فى قعر الحفرة أو البئر حيث يشترك القرويون بأجمعهم فى تنظيفه مرة فى السنة، فتوزع الأطعمة على الفقراء و تذبح القرابين، و تدق الطبول و ينفخ فى المزامير، و كل ذلك لضمان طفوح المنبع بوفرة. و من الجائز جدّا أن هذه مراسيم انتقلت إليهم من الأزمنة الغابرة. و منابع النفط الرئيسية هى فى التلال، إلى جنوبى هذه الحفرة بمسافة بعيدة باتّجاه (كفرى)، و يتراوح عددها بين الخمسة أو الستة منابع، و هى أغزر إنتاجا من هذه البئر، و لم يعثر على الملح هناك. و من المحتمل أن يعثر على النفط فى معظم أنحاء هذه السلسلة تقريبا، و يوجد بالقرب من حفرة النفط فى التلال، الشب أو الزاغ و كذلك الطباشير، و كل هذه من الأنواع ذات الذرات البيضاء الدقيقة و المتماسكة؛ إلا أن الأهلين لا يستفيدون من هذه الموارد الطبيعية. و قد عثروا على تربة صاروا يستغلونها لتحميض بعض الصنوف من طعامهم، و لا شك أنها حامضة زاجية. و يوجد الكبريت أيضا، و القرويون يستعملونه لمداواة الجرب أو الحكة التى تصيبهم أو تصيب أنعامهم.

و لأنتقل الآن إلى وصف الممر ذاته. فهو يمتد إلى الشرق و الغرب

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۷

و يشبه ممر (كفرى) فى هيئته و مظهره، و إن كان بمقياس أوسع. و إلى الجانب الغربى من التل الذى يقابل السهل نجد الطبقات الأرضية أفقية متوازية، أما فى الجانب الشمالى من الممر فإنها مائلة نحو الأسفل بزاوية ۴۵ درجة، و هى مقوّسة أو محدبة نوعا ما. و التلال فى الطرف الجنوبى ترابية أكثر، و قد خددتها الأمطار و فتتها تارة فى قسم منها بعض الأعمدة منعزلة. و يمكن لنا القول فى الحقيقة بأن حفرة البئر واقعة فى هذه الردم على حافة قاع المسيل، و الجبس ظاهر فى كل ناحية، و التلال فى الطرف الشمالى متكونة من حجر رملى، و تحت كل هذه الأتربة و الأحجار الرملية- كما شاهدت ذلك فى طاق أو مقلع فى أسفل الجرف- ألواح من الصلصال(Clay Slate) أو صلصال متحجر أزرق. أما المياه فتنصبّ جميعها فى الاتجاه الشمالى من الممر حيث شقت التلول فجعلت منها و هدة أو جرفا. و يوجد على أعلى الجرف أنقاض سور حصن قديم يصعب معرفة تاريخه، و قد يكون ساسانيّا. و فى حضيض الجرف غور صغير فى صخرة يحوى نفطا، و قد عقد على الغور طاق بكتل أحجار جبسية مربعة كبيرة، و الظاهر أن هذا البناء قديم العهد جدّا. وفاتنى أن أذكر وجود جذع خشب فوق سطح الماء فى بئر النفط الكبير، و قد ثبت من طرفيه بجانبى البئر، و يقال إن

هذا الجذع قديم، كقدم عهد الكاوور، و إنما دام بفضل النفط و كرامته. و ينسب الناس أيضا الحصن إلى الكاوور . و فى الأرض فوق حضيض تل الحصن بالقرب من حفرة النفط الصغيرة شاهدت الكثير من البقع الصفراء اللامعة، تنتشر منها رائحة كبريت قوية. و الأهلون يعتقدون بأن الجرف هذا هو حامى مدينة (طوز خور ماتو) العتيد، و هم يدّعون بأنه يدرأ السيول عن المدينة. و على قمة التلال فى الجانب الشمالى من الممر مقام صغير، يطل على السهل،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۸

إشارة إلى قصة خرافية وقعت هناك، و تنسب إلى الإمام علىّ. فإنهم يقولون إن مصباحا يضىء من تلقاء نفسه فى عشية كل جمعة فى ذلك المرقد. و قد تكون هذه مثل ظاهرة (بابا كوركور) الطبيعية. و بعد انتهائنا من مشاهدتنا حفر النفط تجولنا حول المدينة عن طريق الناحية الغربية من المسيل لمشاهدة بعض الخرائب، إلا أننا لم نجد ما يستحق الملاحظة إلا قليلا. و مررنا بلفيف من القرويين المنشغلين فى كرخ القنال، و هم يشتغلون على دق الطبل و أصوات المزمار و النقارة، و الحصادين يحصدون بعض المزارع. و رأينا غربى المدينة بعض روابى الردم التى لا تميزها ميزة عن غيرها و قد تكون قديمة بسبب وجود بعض العاديات فيها على ما يقال، غير أننى لم أتمكن من العثور على أى واحدة منها حتى الآن. و قد رأينا على دكة بناء مربعة صغيرة دعامة من البناء قائمة- مبنية بناء خشنا- و الظاهر أنها لم تكن قديمة جدّا. و إلى الشمال قليلا منها، رأينا ست دعامات أخرى، و كلها تؤلف قسما من بناء مستطيل، و هو باتجاه شرقى غربى. و يظهر أن البناء كان مؤلفا من عمارة و جناحين أو شرفتين. و تقع باب العمارة إلى الغرب، يقابلها فى شرقى العمارة مخرج أو فتحة كلا جانبيها يسند بمسند أو ركيزة نصف دائرية، و كلها معقودة، أما طرز البناء فخشن جدّا. و أظن أن هذه العمارة كانت كنيسة و هى تشبه خرائب الكنائس الكلدانية أو السريانية التى شاهدتها شبها عظيما. و الروابى مبعثرة على الأرض إلى مسافة بعيدة الأمر الذى يدل على أن هذا الموقع كان فى الأزمنة القديمة موقعا له أهميته. و من الرابية الرئيسة كانت جبال حمرين تظهر للعيان فى الأفق الغربى، و يقال

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۹

إن بعدها تسع ساعات تقريبا. و من هنا يمكن لنا أن نرى بوضوح حيدان سلسلة (قه ره ته به)، أو (زه نكث آباد) من جبال حمرين باتجاه شرقى أكثر.

و يقال إن الحصن الخرب أو السور على التل فى المضيق كان يمتد عابرا المضيق نفسه، حيث حصر النهر فى مجرى ملائم شيد فوقه جسر.

و الظاهر أن هذا محتمل، إذ إن كلّا من السور و الجرف ينتهى فجأة فى مكان واحد، كأنهما يمتدان إلى مسافة أبعد إلى جانب المسيل. و يقال إن رجلا مات أخيرا عن عمر ۱۲۰ سنة قال إنه يتذكر بأن الجرف و الجدار كانا يمتدان إلى مسافة أبعد مما هما عليه الآن عبر المسيل، و أن المسيل كان محصورا فى قنال أضيق، و قال إنه سمع هذه الرواية من شيوخ طاعنين فى السن. و من المحتمل أن يكون ذلك حاجزا- دربند- لوقاية البلاد من غارات الكرد الذين لا بد و أنهم كانوا فى جميع العهود جيرانا مقلقين. و هذا هو أحد الممرات التى تؤدى إلى كردستان، و يتفرع منه طريق يصل إلى (إبراهيم خانجى) و هو وعر، إذ يمر طوال الوقت على سلاسل تلال صغيرة. إن المسافة بين (طوز خور ماتو) و (إبراهيم خانجى) تسع ساعات، و من (كفرى) إلى (إبراهيم خانجى) تسع ساعات أيضا، و الطريق مستو و جيد.

و عقب وصولنا بقليل جاءنا محمد آغا، و هو «أيشيق آغاسى» محمود باشا أى رئيس التشريفات و قد عينه لمرافقتنا فى ضيافته رائدا (مهماندار) و كان يحمل إلىّ رسائل ظريفة من محمود باشا تفيض رقة.

و يوجد فى (طوز خور ماتو) منزل- دار استراحة- يحتوى على ثمانين جوادا.

درجة الحرارة ۶۴ د فى السادسة ق. ظ، و ۷۰ د فى الثانية عشرة، و ۶۶ د فى الثالثة ب. ظ.

الريح جنوبية شرقية، و هبوبها شديد، رافقتها الأمطار بعد الظهر.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۵۰

مدينة كفرى المسورة تحت سفوح سلسلة من التلال

۳۰ نيسان: شعرت بتوعك كثير أقعدنى عن التجوال. و لكننى جمعت المعلومات التالية: إن نهر (آق صو) أو (خور ماتو) ينبع فى (على ده للو) فى (قره داغ) من (كردستان)، مارّا ب (إبراهيم خانجى) موافيا (طوز خور ماتو). و لكل من الطواحين فى هذه البلاد برج صغير مشيد من الطوف يؤلف جزءا منها، كى يقيم فيها حارس لمراقبة اللصوص، لأن

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۵۱

كل الأماكن فى الحدود الكردية عرضة لغارات شقاة ذلك القوم. و تقدر نفوس (طوز خور ماتو) بخمسة آلاف تقريبا.

درجة الحرارة ۶۲ د فى السابعة ق. ظ، و ۷۱ د فى الثالثة ب. ظ، و ۶۶ د فى العاشرة ب. ظ. الريح شمالية فى الصباح، و فى الثانية ب. ظ هبت عاصفة خفيفة من الغرب مع مطر قليل. برق ساطع ليلا، بدأ من الغرب و انتقل إلى الجنوب.

لم يمر علينا يوم دون برق منذ أن تركنا بغداد.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۵۳

الفصل الثانى مغادرة طوز خور ماتو

- وادى ليلان- مخيم يوسف آغا- ضيافته- الدخول إلى كردستان- الزرع و مظهر البلاد- هدايا مؤن من باشا السليمانية- الوصول إلى مضربنا قبل السليمانية- زيارة الباشا- أمجاد الكرد

*** ۱ أيار: غادرنا (طوز خور ماتو) فى الخامسة و النصف. و كان اتجاه طريقنا ۷۵ درجة إلى الشمال الغربى. سرنا و التلول الجبسية قريبة من يميننا، و عن يسارنا سهل ينحدر انحدارا تدريجيّا جدّا نحو جبال حمرين التى كانت تبدو لنا بوضوح. و يظهر أنها كانت تنعطف فى هذا المكان، أو أنها تدنو من ناحية الغرب، و كانت أقرب النقاط إلينا منها مسننة كجدار سور ذى أبراج، أما اتجاهها فخمس و ثمانون درجة إلى الشمال الغربى.

و يشق نهر (العظيم) الجبال على بعد نصف ساعة من تحت هذه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۵۴

النقطة، و تحت ذلك نجد (ده ميرقبو) و هو مضيق قد حصن فيما مضى، حيث توجد باب حديدية هناك. و إلى ما وراء تلك النقطة المسننة فى التلال يظهر أن السلسلة تنعطف ثانية نحو الغرب. و فى الساعة السابعة قبل الظهر كان اتجاه طريقنا شماليّا غربيّا ب (۴۵) درجة. و هنا تبدو التلول الجبسية و كأنها قد انتهت، إلا أننى أعتقد أنها فى الحقيقة لم تنته، بل الأحرى أصبحت سلسلة تلال حصوية منخفضة تميل نحو الغرب، تظهر فيها الأحجار الرملية هنا و هناك. و أصبح طريقنا بمحاذاة التلال الحصوية و هى عن يميننا. و فى الثامنة إلا ثلثا لاحت مآذن (طاووق) لأبصارنا.

ذهبت إلى تل صغير- و هو أحد تلال السلسلة الفرعية الحصوية- على يمين الطريق مباشرة و من هنا أتيحت لى فرصة جيدة لرؤية (طاووق) و (طوز خور ماتو) فى آن واحد، فى النهايتين الشمالية و الجنوبية من الأفق. و كانت (طاووق) على ۱۵ درجة شمالية غربية و (طوز خور ماتو) على ۱۵ درجة جنوبية شرقية. و من هنا أيضا ظهر لى أن السلسلة الجبسية تنتهى حالا فى أقصاها الشمالى إذ يتشعب من حافتها الغربية خط التلال الحصوية الذى كنا نسير بمحاذاته ساعة كاملة، و الخط يتجه نحو الشرق. أما الساحة الوسطى فتؤلف حوضا مليئا بالردم، أو التلول الحصوية و قد خددتها أو جزأتها إلى تلال صغيرة، مجارى مياه الأمطار أو سيولها التى تجمعت بدورها فكونت المسيلات. و على بعد بضعة ياردات يوجد كهريز و هو أول ما شاهدناه فى هذا الطريق. و الكهريز قناة تحت الأرض لإسالة

مياه منبع فى التلال إلى المزارع فى السهول، و تمر القناة بآبار أو حفر على مسافات تعين خط القنال. و على مسيرة عشر دقائق أخرى مسيل عريض امتلأ بمياه الأمطار التى هطلت بغتة بغزارة، و هذا المسيل فى منتصف الطريق بين (طاووق) و (طوز خور ماتو). و على مسافة غير بعيدة منه نجد مسيلا آخر أصغر مملوءا بالمياه الصافية. و لقد أصبح طريقنا الآن متموجا تموجا خفيفا. و وصلنا فى العاشرة إلى (طاووق

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۵۵

جاى) العظيم الجريان، الذى ينبع من كردستان، و يستحيل هذا النهر عنه مزوره على يمين طريقنا المقرر مجتازا (قه ره حسن) إلى جداول كثيرة فيروى مزارع قرى عديدة، كلما اقتضت الحاجة. و تستهلك أكثر مياهه فى الصيف للزراعة. و فى الخريف لا يزيد هنا عمق الماء على القدم، أو القدم و نصف القدم. و لا يقتصر ماؤه على إرواء هذه القرية بل يتعداها إلى إرواء الكثير من القرى الواقعة فى غربها و شمالها. و عندما يشتد هطول الأمطار فى موسمى الشتاء و الربيع يصبح جدولا هائلا جدّا، فيمتلئ مجراه الذى يقارب نصف الميل فى عرضه فيسيل سيلا مخيفا مكتسحا الصخور الكبيرة، و حافرا فى قاعه الحفر و الفجوات التى تجعل عبوره أو خوضه محفوفا بالأخطار دوما، أو غير ممكن إطلاقا. و قد ترتفع مياهه ارتفاعا فجائيا. و علمنا بأن مياهه كثيرا ما فاجأت الناس و هم فى وسط مجراه أثناء عبورهم، فغرقوا أو أنهم انتشلوا بصعوبة. و قد ارتفعت مياه (طاووق جاى) فى الأيام الأخيرة ارتفاعا عظيما جدّا، على أثر سقوط مطر شديد، و قد شوهد عدد من الغرقى و أشلاء الحيوانات طافية على سطحه؛ و هذا ما حدث أيضا فى أيام الأمطار الغزيرة الخارقة للعادة، و التى هطلت فى الصيف الماضى. أما الآن فقد وجدناه سهل العبور جدّا. و قد استقبلنا الضابط و بصحبته خمسون رجلا- تقريبا (بطبولهم و مزاميرهم و نقاراتهم)، لمساعدتنا فى عبورنا و عبور أمتعتنا. و عند العبور وجدنا فى وسط المجرى ساقيتين كان عمق الأولى منهما قدمين و نصف القدم و عرضها عشر ياردات أو اثنتا عشرة ياردة، أما الثانية فعمقها ثلاثة أقدام و نصف القدم تقريبا و عرضها يتراوح بين العشرين و الثلاثين ياردة، و كلتاهما سريعة الجريان، أما قاعاهما فكانا مفروشين بالجلاميد الكبيرة.

و لقد كان العبور أكثر صعوبة أمس، إلا- أن المياه انخفضت خلال الليل، و بالرغم من ذلك فقد ألقت الرعب غير القليل فى قلوب البعض من البغداديين من حاشيتى.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۵۶

استغرق عبورنا لمجرى النهر كله عشرين دقيقة، ثم تركنا الضابط و جماعته لإبداء المساعدة إلى التخترون. و بعد أن نعمنا باحتساء القهوة تحت الشمسية (المظلة) امتطينا الجياد نحو القرية و كانت المسافة بيننا و بينها ميلين قطعناهما بنصف ساعة و مررنا بمنارة جميلة قديمة على يسارنا مشيدة بالطابوق، يظن أنها من بقايا عهد الخلفاء، كما مررنا ببعض المزارات أو المقامات التى يحج إليها الأمر الذى يدل على أن المكان كان فيما مضى مكانا واسعا، و لكن القرية الحالية حقيرة جدّا و هى تشمل على منزل فيه ستون جوادا. و قبيل الوصول إلى ال (جاى) أو المسيل رأينا على مسافة ميلين عن يسارنا قرية (على سراى) و عن يميننا و على مسافة ميل واحد و على الضفة اليمنى من المسيل مقام (زين العابدين)، يلجأ إليه كثير ممن يشكون آلام العيون و أوجاعها.

لقد قلقت كثيرا عند التأهب للمرحلة الأخيرة التى ما كنت أتوقع بلوغ منتهاها إلا بمشقة، إذ قيل إنها تستغرق سبع ساعات. و فى الواقع فقد قطعناها بخمس ساعات و نصف الساعة. و عند وصولنا كان فى استقبالنا و فد مؤلف من شيوخ القرية يتقدمهم «الملالى»، و كان من بينهم رجال طوال القامة و سيمو الطلعة.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۵۷

و كان الرائد «مهماندار» محمد آغا يصر على مسك ركابى عندما أمتطى جوادى، بالرغم من رجائى المتكرر له بألا يفعل ذلك. قال لى بأنه يقوم بهذه الخدمة من أجل محمود باشا، و أنه يرغب فى اعتبارى كمحمود باشا. و كان الآغا ممن قاد مفرزة احتلت هذه القرية و نهبتها فى العام الماضى، و ذلك عندما اتفق محمود باشا مع نجل شاه إيران، شهزادة كرمنشاه ضد الأتراك. و يظهر لى أن

القرويين يحرصون على خطب وده، درءا لزيارة أخرى منه فى المستقبل لقريتهم كزيارته الأولى، و قد تقدم الكثيرون و لثموا يده، و لكن ما إن ولاهم ظهره حتى قالوا: «لا أراه اللّه خيرا، إنه هو الذى نهب قريتنا فى العام الماضى».

درجة الحرارة ۶۱ درجة فى الصباح، و ۷۲ درجة فى الثالثة ب. ظ.

و ۶۶ درجة فى العاشرة بعد الظهر. الريح شرقية صباحا، نهار رائق، و فى الثالثة تلبدت السماء بالغيوم، إلا أن الجو بقى هادئا.

(۲ أيار:) على أثر علمنا بوجود خرائب بجوار القرية تستحق المشاهدة، عولنا على زيارتها صباح اليوم و قد ألفيناها تشتمل على المنارة التى رأيناها أمس، و على بقايا جدار من طين، قلعت واجهته المبنية من الطابوق.

و رأينا مدخلا صغيرا، هو أثر معمارى جميل جدّا، على طراز التكية، و المستنصرية، و خير آثار عهد الخلفاء ببغداد . لقد شاهد (أوليفر) هذه الخرائب، و لكنه نقل أخبارها إلينا فنسبها إلى (طوز خور ماتو)، دون أن يكون لذلك أى داع. و هذا ما يدعونا إلى الظن بأن مذكراته، أو أن

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۵۸

القسم المتعلق بهذه الخرائب على الأقل إنما كتب استنادا على الذاكرة.

و هو يعترف فعلا- بأنه لا- يصف بقايا العاديات. غير أنه يجب عليه أن يتذكر أماكنها على الأقل إذا أراد أن ينوه عنها. هذا و إظهارا للحق، علىّ أن أقول بأن هذا خطأ من الأخطاء القليل جدّا التى وقفت عليها حتى الآن فى مذكراته التى يصف بها البلاد وصفا صحيحا يحمد عليه. و عند منتهى القرية، مررنا بطريقنا بإمام أو بمرقد صغير تعلوه قبة مخروطية الشكل، كقبة السيدة زبيدة فى بغداد و لكنها لا تضاهيها فى طرازها و إتقان بنائها بأى حال من الأحوال. و قد أخبرنا القرويون عن وجود أنقاض كنيسة. و هذا يحتمل جدّا إذ إن هذا المكان، كان مقرا لكرسى الأسقفية الكلدانية، و جاء ذكر أساقفته فى الأزمنة الممعنة فى القدم.

و قد شاهدنا الخرابة التى أشار إليها الأهلون بأنها كنيسة، على بعد ميل و نصف الميل أو الميلين عن يمين طريقنا. نظرت إليها بالناظور و لا قتناعى بأنها لم تكن ذات خطورة، لم أضع الوقت فى الذهاب إليها لمشاهدتها.

و سرنا أخيرا، فى السادسة و الربع و كانت الأرض مكسوة كيوم أمس بالشيبة- الأفسنتين- (و يسمى بالتركية: ياوشان) و بالسعتر و بنباتات أخرى كثيرة، إلا أننى لم أتعرفها لجهلى أمرها. و كان الأفسنتين يعبق برائحة منعشة، تشرح الصدر، كما رأينا الكثير من حقول الشعير و هى لا تزال خضراء، و كان القرويون يتهيؤون لحصد بعضها.

كان طريقنا شماليا (تاركا طريق كركوك إلى يسارنا) باتجاه سفوح التلال، و أخذت تترآى لنا جبال حمرين عن يسارنا. و فى السابعة و الثلث بلغنا قرية (جميلة) الصغيرة المشيدة من الطين، و يعنى الاسم بالعربية

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۵۹

(الحسناء الصغيرة) و إن كان الاسم لا- ينطبق على المسمى، إذ إنها ليست سوى بؤرة تعسة. و الآن بدأنا فى صعود سلسلة التلال المتجهة إلى الشمال الغربى من قرية (مطارا)، التى اقتبست تلك التلال اسمها منها و التى تمر ب (تازه خور ماتو)، ثم تتلاشى تدريجا بعد ذلك على ما يقال.

إننى لمسرور جدّا لاختيارى هذا الطريق، و إن كان أطول من طريق (إبراهيم خانجى) بثلاثة أو أربعة أيام، إذ تعلمت كثيرا من الأمور التى جعلتنى فى موقف أحيط به الإحاطة الكاملة بمعالم هذه البلاد الرئيسية.

و قد تملكنى العجب، إذ وجدت «مهمانداری» ذا اطلاع جم بمواضع الأماكن و الاتجاهات، و اتصالات سلاسل التلال بعضها ببعض.

و قد اختبرته فى بعض الأمور التى أعرفها من قبل، فكانت أجوبته مقنعة لى إقناعا استحقت الاعتماد على معلوماته العامة.

أما الشعبة الأخرى، أو بالأحرى الشعبة الشرقية القصوى من تلال كفرى (و هى فى الحقيقة الضلع أو الشريان الأصلى منها) فتمر ب (كركوك) و (التون كوبرى) و من هناك تمر من جنوب (أربيل) حتى دجلة، و تسمى عندئذ ب (قه ره جوق داغ). و هذه الشعبة

الشرقية تحتوى على الجبس و النفط. أما الشعبة الغربية أو تلال (مطارا) فهى من الحجارة الرملية و الحصى، و تشبه سلسلة حمرين الشبه التام من جميع الوجوه، و فيها الكثير مما يستحق الملاحظة. و عند و لوجنا إياها عند مضيق (جميلة) مررنا بسلسلة، أو سلسلتين شاقوليتى الطبقات كأنهما أقسرا على اتخاذ وضعهما الراهن، ثم تليها طبقات أفقية من الحجارة الرملية الصرفة الجرداء، و قد انفصلت عنها كتل ضخمة تدهورت متبعثرة هنا و هناك، و ما تبقى منها كأنه بناية مهدمة. و فى الحقيقة أن السلسلة بكاملها تبدو و كأنها جبل منهار. ثم بلغنا طبقات مائلة، الغريب فى أمرها أن ميلانها كميلان طبقات حمرين. و هذه التلال تنحدر إلى الشرق ب (۶۰) درجة من الخط الشاقولى، أو (۳۰) درجة تحت خط الأفق. و جميع الطبقات فى السلسلة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۶۰

بكاملها متوازية، و لها اتجاه واحد تماما كأنها صفت على خط يتجه شمالا غربيّا ب (۴۵) درجة. أما صعودها فتدريجى جدّا و باتجاه شرقى، إلا أنه يتعرج أو يتلوى داخل شقوق ضيقة كونتها الأمطار فى الحجارة الرملية.

و فى الثامنة إلا ثلثا وصلنا نجدا كئيبا، أو بالأحرى ساحة واسعة تعلوها أكوام من أركام حصوية، و أخاديد موحشة. و كان طريقنا يمر منها باتجاه خمسين درجة إلى الشمال الشرقى. و فى الثامنة وصلنا إلى سلسلة قمم أخرى ذات طبقات مائلة تتصف بنفس الأوصاف التى مرّ ذكرها. إلا أن التربة الحصوية التى تكسوها كانت تزداد كثافة كلما تقدمنا، و شاهدنا هنا و هنالك بعض مزارع الشعير الصغيرة. و صادفنا قافلة كردية صغيرة تحمل ال «مورت» الآس(MyrtIe) بأكياس تنتشر منها راحة ذكية، و المعتقد أنه يستعمل فى المصابغ.

فالتربة و الحصى فى هذه المنطقة ظاهرة كما فى السفوح الشرقية من (حمرين). و فى التاسعة إلا ربعا وصلنا مكانا يشرف على سهل (ليلان)، حيث تنحدر التلال تدريجا انحدارا خفيفا.

دخلنا الآن سهل (ليلان)، و هو مكتظ بمزارع الشعير التى كانت على ما يظهر تبشر بخير عميم، و كان النزر اليسير منها على و شك النضوج. و فى التاسعة و النصف وقفنا لنحتسى القهوة، و لتمكين ضابط الإعاشة ليتخذ ما يجب اتخاذه من الترتيبات.

و فى العاشرة و الربع ركبنا ثانية، فوصلنا (ليلان) فى الحادية عشرة إلا ربعا. و (ليلان) قرية صغيرة تعود الآن إلى عبد اللّه أفندى و هو المتولى السابق للإمام الأعظم و من معارفى القدماء. أغار الإيرانيون و الكرد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۶۱

فى العام الماضى على القرية فسلبوا ما سلبوا و حرقوا ما لم يستطيعوا حمله معهم، و ذلك للكيد بممتارى الجيش التركى- أى لمنعهم من التزود بالعلف للحيوانات. و إننى أعتقد أن القرويين فى جميع أنحاء المملكة التركية يدفنون حبوبهم دائما فى حفر أو آبار قريبة من قراهم، إذا سترت و سويت الأرض من فوقها لا يمكن العثور عليها على الأغلب حتى من قبل الجيوش المحلية، إلا إذا دلّهم عليها أحد.

و من شرفة الدار التى نزلنا بها، أسعفنى الحظ لمشاهدتى (كركوك)، و للتأكد من ذلك و جهت مرارا و باعتناء، مرقب بوصلة المسح نحوها. و النقطة التى اتخذتها لرصدى كانت تل القلعة حيث يظهر قسم من المدينة تحته فى المرقب بوضوح. و كان اتجاه قلعة (كركوك) ۲۴ درجة إلى الشمال الغربى. كنت أحرص على التأكد من المسافة على قدر ما يمكننى استنباطه مما يعلمنى به الأهلون المحليون. أما تخمينى لها بالرؤية المجردة فكان اثنى عشر ميلا بخط مستقيم، و أما عبد اللّه أفندى الذى ذهب مرارا إلى (كركوك) من (ليلان) مراقبا الوقت بساعته فيقول إن المسافة لقافلة بغال ثلاث ساعات و نصف الساعة، و للخيال الاعتيادى ثلاث ساعات، و لجواد فى سير مكد ساعتان و نصف الساعة. و عليه يجب أن تكون المسافة عشرة أميال جغرافية. و بنتيجة الرصد الجيد ليلا، تأكدت من موقع (كركوك) الصحيح. فمن تقاريرى السابقة و من تقارير السير (آر كير بورته ر R .Ker Porter) اقتنعت بأن موقع كركوك قد رسم فى خرائطنا نحو الغرب أبعد مما هو عليه فى الواقع. و قد وجدت نفسى على صواب فى الاتجاه الذى عينته لها.

و الأرض بين (ليلان) و (كركوك)، سهلة تماما، و قد تبعثرت عليها بعض الطنوف الاصطناعية. و يرى المرء فى بعض القرى قليلا من النخيل، و لكنه لا يرى إلا القليل من البساتين. و تحد السهل من الغرب تلال (مطارا) و من الشرق السلسلة التى سنعبرها غدا.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۶۲

و (تازة خور ماتو) على بعد ثلاث ساعات.

إن ضمان قرية (ليلان) يساوى خمسة و عشرين ألف قرش سنويّا، بالعملة البغدادية. و هى ككل القرى الواقعة على الحدود الكردية قلقة، لا راحة لها، إذ أصبحت هدفا للغارات و التخريب التام بنتيجة الغزوات الكردية عليها. و رجانى (الكهيا) رئيس القرية أن أتوسط لدى محمود باشا، لإرجاع ثلاثمائة رأس من الأغنام سلبها منه الكرد، و التى علم بأنها لا- تزال غير موزعة. و القرويون بأجمعهم يتضرعون لأن تكون زيارتى لكردستان سببا للحيلولة دون شن الغارات الكردية، إلى أن يتم الحصاد و جمع الغلة على الأقل. و ساكنو هذه القرية، و القرى المجاورة كلهم أتراك، و هم من طائفة (جراغ سوندیره ن) ، أو على اللّهية.

درجة الحرارة ۶۸ د فى السادسة ق. ظ. و ۸۱ د فى الثالثة ب. ظ.

و ۶۷ د فى العاشرة ب. ظ. و الريح جنوبية شرقية.

۳ أيار: تركنا (ليلان) فى الخامسة و النصف، و سرنا باتجاه شمالى شرقى بمحاذاة جدول (ليلان) و هو عن يسارنا. و تعين مجراه من التلال سلسلة طواحين قائمة على ضفتيه، يتصل بكل منها برج حجرى مدور صغير.

و كان أحد الطحانين فى إحداها يصرخ قائلا «و ير، اللّه» أى أعطنى، يا اللّه. و علمت أن ذلك ما ينادى به الطحانون باستمرار، عندما تتوقف الطواحين عن العمل، فيهبّ من لديه حب و يتقدم به للطحن.

و بعد نصف ساعة وصلنا التلال، حيث ترتفع هنا فجأة من السهل، فتكون نجدا يمتد من تلال (كفرى)، و يحاذى الشعبة الشرقية منها.

و تشقق النجد مجارى و جداول عديدة كونتها مياه الأمطار فجعلت منها

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۶۳

و ديانا ضيقة و روابى صغيرة، و أهم هذه الجداول، جدول أو نهر (ليلان) الذى يبرز لنا بسرعة جريانه درجة انحدار الأرض التى يسيل فيها. و منبع هذا الجدول فى التلال المار ذكرها أعلاه، و تصبّ فيه روافد صغيرة عديدة على امتداد مجراه.

و تشمل جميع هذه الوديان، و على الأخص وادى (ليلان) على عدة قرى صغيرة، تحيط بها بساتين الفواكه و الأزهار. و هى فى الواقع إبان هذا الموسم تحيلها إلى جنات صغيرة بكل ما فى الكلمة من معنى.

و تتكون قاعدة التلال أو النجد من الأحجار الرملية الماثلة للعيان هنا و هنالك بطبقات مائلة بنفس الاتجاه و الدرجة اللذين عليهما طبقات شعبة تلال (مطارا)، و يعلو هذه طبقة جلاميد متكتلة اندثرت فكونت تربة حصوية.

تسمى هذه البقعة بلواء أو منطقة (قه ره حسن) و هى مرتبطة مباشرة بباشا بغداد، و لا سلطة لحاكم (كركوك) عليها مطلقا، و يساوى ضمانها سنويّا قرابة (۸۵) ألف قرش، و هى تمتد طولا إلى مسافة ست ساعات.

إن الحرب الماضية، و غارات الكرد المستمرة قد أخفضتا كثيرا من نفوس المنطقة و حطمتا قابليتها للزراعة. و رأينا بعض مزارع الشعير و لكن أكثر الأرض التى مررنا بها كانت معشوشبة و يختلط بالعشب الكثير من القطانى البرى (جاودار) و الشوفان و أوراد برية لا يحصى عددها و نوعها، هذا عدا السعتر و النعناع و البطنج. و أعالى التلال و قممها صالحة كل الصلاح كمراعى الأغنام، أما الوديان فمراع غنية للقطعان و الأسراب.

و عند صعودنا النجد الذى لم يكن ارتفاعه عن سطح السهل كثيرا- و قد لا يتجاوز الثلاثمائة قدم- جوبهنا فورا بفارق بيّن فى مظاهر البلاد، و فى مشاعرنا أيضا. و يمكننا القول بأننا الآن نجونا من منطقة (كه رمه سير)

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۶۴

الموحشهٔ. و قد شعرت بانبعاث حیویهٔ جدیدهٔ فی کیانی، و زال عنی قلقی الممض، و قنوطی الممل رویدا رویدا، کما تزول غیوم اللیلهٔ العاصفهٔ فانتعشت فی آمال عذاب، و تجدد فی النشاط، و لم أکن الوحید الذی انبعث فیه کل هذا الإحساس بل إن قرینتی التی کانت قد انحرفت صحتها کثیرا، دب فیها النشاط و استعادت قوتها أیضا عندما انتهت من سفرتها هذا الیوم، و صار الکثیرون من الناقهین من حاشیتی یشعرون بزوال أعراض المرض عنهم بعد مسیرهم ساعهٔ أو ساعتین بین التلال. و فی السابعهٔ و النصف انحدرنا إلی واد یسیل فیه جدول صغیر متدفقا بین الروابی لیصب بمیاه (لیلان)، و عندها طالعنا منظر هتف القوم له سرورا و اغتباطا. و کان ثمهٔ ساقیهٔ تدیر طاحونهٔ صغیرهٔ، یقوم علی مقربهٔ منها عدد من الأکواخ تحتضنها جمیعا غابهٔ من أشجار الحور و الصفصاف و التین و الإجاص و علیقات الورد، و أغصانها مثقلهٔ به. و کانت الغابهٔ تعج بالبلابل و هی تمزج أصواتها بخریر میاه الساقیهٔ؛ و علی کلّ لیس فی الکون أحد مهما کان قلیل الإحساس أو عدیمه، إلا و یتأثر بمحاسن الطبیعهٔ. و أری أن السبب الأساسی فی تخلی الکرد عن رؤسائهم و هم فی شقوتهم هو خوفهم، و نفورهم الشدیدین من الهجرهٔ من بلادهم إلی بادیهٔ بغداد الفظیعهٔ. أما الأتراک الذین کانوا بمعیتی، فقد کرهوا أن یغادروا الوادی دون أن ینعشوا الأنفس بکأس من القهوهٔ یتناولونه فی هذه البقعهٔ الجمیلهٔ، فلم أر ما یمنعنی من النزول عند رغبتهم. و هکذا قضینا نصف ساعهٔ ممتعهٔ فی هذا المکان المسمی ب (حسین إسلام)، ثم اتجهنا نحو مضرب یوسف آغا و هو علی مسافهٔ نصف ساعهٔ أخری فی وادی (لیلان) فوصلناه فی الثامنهٔ و النصف. لقد قطعنا مرحلتنا الیوم بساعتین و نصف ساعهٔ، عدا نصف الساعهٔ التی اختلسناها للراحهٔ. و یوسف آغا الحاکم الحالی لمنطقهٔ (قه ره حسن)، کرجی من أصدقائی القدماء و هو الشخص ذاته الذی کان یجیئنی إلی مضربی بفرامین و رسائل داود باشا أثناء الثورهٔ

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۶۵

التی انتهت بقتل سعید باشا و نصب صهره داود باشا خلفا له. إنه قام باستعدادات ممتازهٔ لاستقبالی و ضیافتی فی مضربه الصغیر فاستضافنا ضیافهٔ کریمهٔ. نصبنا خیامنا فوق مرتفع مشرف علی وادی نهر (لیلان) و قد زین ضفتاه حرش، أو جنینهٔ صغیرهٔ کما هو الحال فی (حسین إسلام). و کان المکان لطیفا حقّا، و قد عثرنا فی الوادی علی ورود سیاجیهٔ کالتی نراها فی إنکلترا؛ و قد فاق شذی هذه الورود البریهٔ فی بعث السرور إلی نفوسنا و إنعاشها عطور الشرق کلها.

و بعد وصولی بمدهٔ و جیزهٔ، أعلمونی بمجیء عریف رسولا من موسی آغا حاکم (کرکوک) التی کانت تبعد عنا مسافهٔ أربع ساعات أو ما یعادل اثنی عشر میلا، و کان یحمل کتاب دعوهٔ رقیق من سیده یسألنی فیه أن أنزل ضیفا علیه لبضعهٔ أیام. و علمت أنه قد تهیأ لاستقبالی تهیؤا عظیما، و لکننی مضطر إلی عدم إجابهٔ دعوته. و علی کل فمحتمل جدّا أن نرجع بطریق (کرکوک).

۴ أیار: نهضت صباح الیوم فی الرابعهٔ و النصف و أنا أشعر بصداع شدید فی الصدغین کالذی یطرأ علی الإنسان عندما یجرع فجأهٔ جرعهٔ مثلجهٔ من عصیر اللیمون، و کلما زاد دفء النهار کلما أخذ الصداع یزول عنی.

امتطینا الخیل فی الخامسهٔ و النصف صباحا و کان طریقنا شمالیا طوار وادی نهر (لیلان) و قد اضطررنا إلی الترجل فیه بین آونهٔ و أخری لعبور هذا الجدول الصغیر. و کان الوادی ضیقا متمعجا و کان یزداد جمالا علی جمال کلما توغلنا فیه. و کثیرا ما اجتزنا الأدغال المعرشهٔ و الممرات المکتظهٔ بأشجار التوت و الرمان و غیرها من أشجار الفواکه و قد تخللتها علیقات الورود. و إننا إذا رغبنا فی الحکم استنادا علی عرض مجری نهر (لیلان) الحصوی، الذی یشغل الوادی برمته تقریبا نری أن النهر الذی لم

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۶۶

یکن فی هذا الوقت إلا ساقیهٔ صغیرهٔ لا بد و أن یصبح مسیلا عظیما عندما یمتلیء بمیاه الأمطار. و کلما تقدمنا کلما شادنا انصباب سواق فرعیهٔ عدیدهٔ فیه. و کانت مغارس الأشجار تمتد علی ضفتیه إلی مسافهٔ ثلاثهٔ أمیال، و شاهدنا بعض الکروم علی جوانب التلال. أما الأرض فکانت مکسوهٔ بالسعتر و الآس و القصعین المورد، و غیر ذلک من أنواع النباتات الأخری بین الأعشاب. و قد أخذ مستوی الأرض یرتفع ارتفاعا محسوسا کلما سرنا صعدا.

و قبل الثامنة قبل الظهر كان اتجاهنا شماليا شرقيا ب ۷۵ درجة. لقد ابتعدنا الآن من (ليلان) بالقرب من منبعه، و اجتزنا سلسلة التلال باتجاه شمالى غربى، و من قمم هذه التلال تنحدر الجداول إلى كردستان، و هنا تنتهى سلطة، (قه ره حسن)، و تبدأ سلطة (السليمانية) فيها و فى التاسعة تقريبا بدأنا ننحدر بطريق مستقيم جدّا، غير صعب، و فى مدة عشرين دقيقة وصلنا إلى المحط الأول إذا أجاز لى أن أعبر عنه بهذا التعبير.

و كانت ثمة على مرتفع عن يميننا بناية صغيرة، و هى مزار يدعى (مقام خضر إلياس) له مكانة مبجلة بين الكرد، و هم يعتقدون أن من الإلحاد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۶۷

الاصطياد بجواره. و من هنا أيضا انحدرنا بمنحدر خفيف جدّا باتجاه شمالى شرقى نحو (جمجمال). و (جمجمال) طنف اصطناعى مرتفع،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۶۸

و هو إما أنه أخذ اسمه من المنطقة التى تحيط به، أو أنها أخذته منه.

و مررنا بسيرنا نحو هذا الطنف بحقول شعير واسعة تبدو بحالة جيدة و لكنها لم تكن ناضجة لتحصدها المناجل. و مررنا أيضا بمزارع عدس واسعة، و مراع مترامية الأطراف.

و صلنا مضربنا فى العاشرة قبل الظهر، و قد نصبت الخيام على طنف (جمجمال) المدور تقريبا، و كان المجال فيه يتسع لمضرب أوسع بكثير من مضربنا. و لما كان السهل ذا انحدار مستمر نحو الشرق بدا الطنف أكثر ارتفاعا فى الجانب الشرقى منه فى جوانبه الأخرى، و هو يرتفع ارتفاعا شاقوليّا تقريبا إلى أكثر من مائة قدم. و إننا لا نستطيع أن

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۶۹

نقدّر له عمرا أو نرجعه إلى عهد. لقد التقطنا بعض شظايا أكواز جيدة النوع، ذات لون أحمر غامق، و حجرا ضخما أيضا. و لم نعثر على ما يميز لنا الطنف. و هو لا بد أن يكون ساسانيّا على الأقل، و ربما كان أقدم عهدا من الساسانيين. فمن أعلى قمته حيث أكتب هذه الكلمات، نشرف على منظر حسن لجبال كردستان، من (كوى سنجاق) فى الشمال إلى (سه كرمه) فى الجنوب الشرقى.

و يستمر السهل فى انحداره إلى مسافة قليلة من حضيض الطنف، حيث يجرى (جاى) أو جدول (جمجمال)، و من بعده يرتفع ثانية تدريجيّا ثم يتموج السهل فى وديان و تلال حتى سلسلة (بازيان) حيث نجد فيها مضيفى (سه كرمه) و (ده ربه ند). و المضيق الأخير قبالتنا تماما، و يرتفع من ورائه جبل (بير عمر غودرون) الذى يؤلف قسما من سلسلة أعلى، و هى صخرية جرداء على ما يلوح. و (غودرون) هو أعلى جبل فى هذه الأصقاع، و يقال إن فيه (ثلاجة) تمون كردستان بكاملها بالجليد، أو بالأحرى بالثلج، و مخزن هذا الثلج لا ينضب و لا يذوب. و قد شاهدنا الثلوج بين بعض شعابه.

و لأحاول الآن إعطاء فكرة عامة عن هذا القسم من سلاسل جبال كردستان كما تتراءى لى من طنف (جمجمال). فالخط الذى نراه مباشرة أمامنا، و الممتد من الشمال إلى الجنوب الشرقى هو سلسلة ضيقة جرداء شديدة الانحدار اسمها جبال (بازيان). و إلى شمال مضيق (ده ربه ندى بازيان) الذى سبق لى أن قلت إنه ماثل أمامنا، تنعطف الجبال فجأة إلى الغرب فتؤلف جبال (خال خالان) التى تتاخم باشوية كوى سنجاق من الجنوب. و إلى جنوب مضيق (ده ربه ندى بازيان) تمتد الجبال امتدادا مستقيما إلى الجنوب و إلى الشرق قليلا، و فى هذا القسم من الجبال مضيق آخر اسمه (ده ربه ندى باسه ره)، تستمر الجبال من بعده فى الاتجاه ذاته و تأخذ اسم (قه ره داغ)، و تصبح جبالا مكتظة بالأشجار.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۰

و هذا هو الطريق الثالث الذى يتجه إلى كردستان من سهول (آثوريا) و يسمى بطريق (سه كيرمه) أو المدرج؛ و لمروره مباشرة بقمة

الجبل يعتبر من الطرق الصعبة إن لم نقل المستحيلة العبور على الجيوش.

كان قد حصن عبد الرحمن باشا حاكم السليمانية السابق جميع هذه المضايق، عندما كان يسعى للظفر باستقلال كردستان، و لكن على أثر تغلب سليمان الصغير باشا بغداد عليه هدمت استحكاماته. و يحد جبل (قه ره داغ) (ديالى)، و إلى جنوب مضيق (باسه ره) مباشرة تتشعب جبال (زه ن كه نه) من (قه ره داغ) إلى الغرب بارتفاع قليل نسبة فى بادىء الأمر، إلا أنها عند انعطافها إلى الجنوب كأنها تحاول أن تكون سلسلة متوازية مع جبل (قه ره داغ)، ترتفع فتصبح فى مستوى يكاد يتساوى معه. و إلى ما وراء هذا القسم مباشرة أى إلى شرقه، تبدو لنا قمة أعلى لا أعلم إلى أية سلسلة تعود، و هى قسم من منطقة (ده لو). و قبل القسم الأعلى مباشرة أو غربه الذى يظهر أنه يؤلف منتهى سلسلة (زه ن كه نه) ترى بعض التلال الصغيرة التى لا تكاد تظهر للعيان، حيث (إبراهيم خانجى) و (كيللى) على الحدود التركية. و إلى مسافة أبعد نحو الغرب نرى خط تلال (كفرى) و (طوز خور ماتو) و كأنها تتقدم لتتصل بتلال (قه ره حسن) إلى الوراء منها بقليل، تلك التلال التى غادرناها قبل برهة و التى تمتد قليلا إلى الشمال ثم تختفى عن الأنظار لانعطافها نحو الغرب، تاركة وراءها أفقا خاليا حتى تلال (خال خالان).

و لم تبد لنا أى قرية من طنف (جمجمال)، إذ إنها تقع فى أغوار و على جوانب الجداول الصغيرة. و قد هجر القرويون الآن قراهم إلى مضارب

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۱

صغيرة من خيم الشعر الأسود و ذلك لرعى قطعانهم و رعاية غلالهم. و جميع المزارع فى كردستان تروى بمياه الأمطار فقط ، إذ لا ريّ اصطناعى فيها.

درجة الحرارة ۴۰ د فى الخامسة ق. ظ، و ۷۹ د فى الثانية ب. ظ.

و ۵۹ د فى العاشرة. الريح نهارا خفيفة شمالية غربية. ليلة هادئة. كان البرد شديدا فى ليلة البارحة بدرجة أنه أثّر فى رجالنا الذين أرختهم الراحة تأثيرا بليغا. هذا و إن كانت درجة الحرارة ۷۹ د فى الثانية ب. ظ، إلا أنها لم تستمر إلا لمدة نصف ساعة فى درجتها هذه.

۵ أيار: كان ثمة طل كثير فى هذا الصباح، لم أر مثله منذ سنوات عديدة، و بعد بزوغ الشمس بقليل ظهرت ظاهرة القوس قزح الغريبة و قد ارتسمت بانعكاسات أشعة الشمس على ضباب الصباح. و عند الفجر ظهرت لنا سلسلة (قنديل داغ) باتجاه عشر درجات شمالية شرقية، تلك السلسلة التى تؤلف جبال (ره و اندز) و (آكو) و (سكنه) و (صاووق بولاق)، و ما هى فى الحقيقة إلا امتداد لجبال (زوغروس) التى تؤلف الحدود الكبرى بين إيران و تركية؛ و قد غطتها الثلوج حتى حضيضها المرئى لنا، أما قممها فكانت متعرجة و ناتئة.

سرنا فى الخامسة و النصف كالمعتاد، و اتجهنا باتجاه شمالى شرقى للوقوع على طريق كركوك. هنالك طريق أكثر استقامة بين (جمجمال) و (ده ربه ند)، و مسيرته ثلاث ساعات، إلا أننا فضلنا طريق كركوك لأنه الأسهل. و قد أصبحت الأرض ذات أخاديد و شقوق تزداد كلما تقدمنا عليها، و التربة حمراء قاتمة تقترب من اللون القرمزى إذا ما نظر المرء

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۲

إليها من بعد. أما الوهاد، فكانت عميقة جدّا كونتها سواق صغيرة عديدة تسيل من كل حدب و صوب. و وجه الأرض تكسوه الحشائش تخالطها الأعشاب المتعارفة، و لم نر إلا القليل من الشعير.

و فى التاسعة قبل الظهر وصلنا مضيق (ده ربه ند)، و كان طريق الاقتراب إليه كالمستنقع، و لا بد أن يكون مزعجا فى موسم الشتاء.

و يوجد إلى الجانب الأيمن من المضيق خان صغير، و عند مدخله مباشرة خربة مربعة صغيرة أو دكة لا تزال فيها أنقاض أقبية صغيرة معقودة، و بعض آبار مياه. و هذه تشابه دكتى (قصر شيرين) و (حوش كه ره ك) و هى و لا ريب ساسانية مثلهما. و من باب الفضول

إننى سألت حارس ال (ده ربه ند) مستفسرا عمن بنى هذه فأجاب دون تردد قائلا «خسرو».

و مضيق (ده ربه ند) يتكون من جرف فقط، أو حاجز يضيق ليسد الوادى، و هو ينحدر انحدارا تدريجيّا جدّا تاركا فجوة صغيرة للمرور و حسب، و هو حاجز كامل يجابه جانبى الفجوة التى يمر منها الطريق المؤدى إلى كردستان. و هذا الحاجز يتألف من طبقات رقيقة مائلة إلى الخارج أو إلى الغرب بانحراف قليل عن الوضع الشاقولى. و المضيق كما ذكرت آنفا، كان قد حصّنه عبد الرحمن باشا، و شيد فيه سورا و بابا، و وضع ثلاثة أو أربعة مدافع فيه، عبأ اثنين منها فى المرتفعات لرمى معسكر الأتراك فى المنخفض. و لو أراد سليمان باشا الهجوم عليه لذهب مسعاه سدى، لو لا أحد رؤساء الكرد المسمى محمود بك نجل خالد باشا الذى اتفق مع الأتراك فقاد فرقة من القطعات التركية و بعض الكرد غير النظاميين إلى الجبال من مضيق لم يكن معروفا إلا لنفر قليل من الكرد. و قد أهمل عبد الرحمن باشا أمر الدفاع عنه اعتقادا بعدم صلاحه لمثل تلك

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۳

الحركات، و هكذا وجد أن موضعه قد أخذ من الخلف و أن مدافعه المعبأة فى المرتفعات قد صوبت عليه فاضطر عندئذ على التراجع؛ و قد قوض باشا بغداد السور و تقدم بعد ذلك إلى السليمانية.

و بعد أن استمتعنا بالقهوة فى مضيق (ده ربه ند) استأنفنا السير فى التاسعة و النصف و قد بدأ الوادى بالاتساع و التمعج، مارّا من بين تلال (بازيان). و طبقات الجبال هنا كلها متجهة نحو الغرب، و أعتقد أن التلال كانت كلسية(Calcareous) ، و على مسافة إلى اليسار فى التلال توجد خرابة اسمها (شيطان بازار) و هى تتألف من سلسلة أقبية صغيرة، فهذه الخرابة و الأخرى المسماة ب (كه وره قه لا– القلعة الكبيرة) الواقعة على يسار الوادى أيضا و بين التلال، هما ساسانيتان و لا شك، استدلالا بأوصافهما. و كان جبل (غودرون) أمامنا و إلى اليسار منا قليلا– و فى العاشرة قبل الظهر انعطفنا نحو شعبة أخرى من الوادى، حيث يتسع هنا اتساعا كثيرا و يقترب من قرية (ده ر كه زين) التى وصلناها بعد ربع ساعة تقريبا. و كنا نشاهد من باب خيمتنا بالاتجاه الشمالى الشرقى و على مسافة ثلاثة أرباع الميل طنفا اصطناعيّا آخر، يشابه طنف جمجمال كل الشبه، و اسمه كوبارا .

إن سلطة منطقة (بازيان) تمتد حتى قمم التلال الواقعة إلى الشمال الشرقى منا تحت (غودرون) و هنالك تحادّ سلطة منطقة (سور داش).

و يوجد فى هذه الجبال الكثير من الوعول و الماعز الجبلى و الدببة و الفهود أو النمور. و المزارع حول (ده ركه زين) تشتمل بالأخص على

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۴

الرز و القطن و السمسم و التبغ، و هنالك عدة سواق صغيرة تنحدر من التلال على مقربة من القرية لتروى الوادى، كما توجد بعض الكروم فى التلال.

درجة الحرارة ۵۶ د فى الخامسة ق. ظ، و ۷۸ د فى الثانية ب. ظ، و ۵۴ د فى العاشرة ب. ظ ريح شرقية هادئة أو خفيفة.

۶ أيار: سرنا فى الخامسة و النصف و كان صباحا هادئا غائما. و لما كان الطريق ملتويا كثيرا من جراء الأوحال لم أثبت اتجاه المسير حتى وصولنا الطريق المباشر المتجه إلى السليمانية، حيث كنت أعلم أن القرية التى تركناها ستتراءى لنا من محل وصولنا إلى هذا الطريق . سرنا بقطع الوادى من الجهة الغربية حيث تقع (ده ركه زين) إلى التلال الشرقية التى مضينا فى مسيرنا بالقرب من سفوحها. كنا نسير ببطء محسوس بسبب الأوحال و المستنقعات التى كونتها السواقى الكثيرة الجارية من جميع الأنحاء. و بعد تركنا (ده ركه زين) بقليل، عبرنا جدولا لطيفا جدّا كان ينساب من غور فى الصخور فينحدر بضع أقدام و يكون شلالا صغيرا، و يسمى هذا بوادى الشيطان. و فى السادسة و النصف مررنا بقرية (لازيان) أو (لاجان) و هى عن يميننا، و بعد قليل وصلنا إلى طريق السليمانية المباشر. و قرية (لازيان)، و إن كانت تعتبر مركز المنطقة، إلا أنها مكان حقير مبنى من الطين كغيرها من القرى الكردية التى شاهدتها حتى الآن

و هى تقع إلى الشمال الغربى منا فى سفوح التلال و إلى مسافة ساعتين و نصف الساعة. و كان اتجاه مسيرنا جنوبيّا شرقيّا بثلاثين درجة. و فى هذا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۵

الوادى الذى يقارب عرضه الثلاثة أميال يتيسر الكثير من المراعى الجيدة، و لكنك لا ترى فيه المزارع، أو لا ترى إلا القليل منها. و كان العشب بارضا طريّا، و منذ دخولنا كردستان لم نر حقول حبوب نضجت و حان للمنجل أن يقصمها.

سرنا مع التلال التى كانت تحد الوادى من الشرق و هى على مقربة من يسارنا، و كان قصدنا الذهاب إلى قرية (تاى نال) الواقعة على الجانب الغربى من الوادى على بعد ثلاث ساعات و نصف الساعة من (ده ركه زين)، إلا أننا عند وصولنا قبالتها إلى محل كان يجب أن نقطع الوادى منه إليها ارتأى الرائد استنادا على بعض المعلومات التى وقف عليها لساعته أنه من الأنسب أن نقصد (طاسلوجة) فى وهد السليمانية، و لذلك انعطفنا فى التاسعة نحو الشمال الشرقى و ارتقينا فورا التل الذى حاذيناه عن يسارنا طيلة سيرنا هذا الصباح، و كان المرتقى و المنحدر صخريين هدودين. و فى التاسعة و النصف دخلنا وهد السليمانية و هو سهل معشوشب لطيف، عرضه ثمانية أميال تقريبا، لا يفتقر إلا إلى الأشجار ليصبح جميلا حقّا. و كانت مدينة السليمانية تبين لنا تحت التلال التى تحد الوادى من الشرق، و جبل (غودرون) إحدى سلاسلها.

كان تقدمنا اليوم بطيئا شاقا إذ كانت الأرض موحلة و صخرية، و كانت الساعة العاشرة ق. ظ. عندما وصلنا إلى مضربنا بجوار طنف اسمه (قه ره سبى ته به) و معنى ذلك الطنف الأسود و هو كطنفى (جمجمال) و (ده ركه زين). و من المحتمل أن تكون هذه الطنوف منازل ملكية، تشير إلى مراحل سير جيش، و قد يكون جيش (أردشير) أو (دارا كشتاسب) .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۶

فمن تجولاتى أمس، و من سفرتى اليوم بدأت بإدراك الخطوط الأساسية لهذه البلاد بعض الإدراك، هذه البلاد التى كانت ميدانا حافلا شهد الكثير من الوقائع التاريخية الممتعة و المجهولة لدينا فى يومنا؛ و من أجل هذا أرى من الصواب أن أدون نتائج ملحوظاتى و مشاهداتى.

إن قسم كردستان الواقع بين تلال (بازيان) و سلسلة (قه ره داغ) فى الغرب و بين سلسلة (غودرون) فى الشرق، ينقسم إلى وديان تتجه تقريبا إلى الجنوب الشرقى و الشمال الغربى فتنتهى جميعها عند مضيق (ده ربه ند) حيث تكون لها مخرجا واحدا. و هذه الوديان تتكون من سلاسل تلال صغيرة ثانوية تستند إلى اتجاهات السلاسل الكبيرة المار ذكرها، و إن لم تمتد بامتدادها. فأول الوديان هو وادى (ده ركه زين) الذى يترك سلسلة (بازيان) فى الغرب ثم يأتى وادى السليمانية الذى ينفصل عن الآخر بخط تلال لم تكن فى مثل ارتفاع تلال (بازيان).

و وادى (ده ركه زين) ينقسم بسلاسل تلال أوطأ لا تمتد كثيرا إلى الجنوب. و عند السليمانية يتشعب خط تلال آخر تاركا واديا بينها و بين سلسلة (غودرون). و تزداد جبال (بازيان) ارتفاعا كلما مضت نحو الجنوب، و مع هذا تظهر جبال (قه ره داغ) أكثر ارتفاعا منها، و يحد (قه ره داغ) نهر (ديالى) حيث تبدأ منطقة باشا (زهاو). و سهل السليمانية يظهر مكشوفا إلى الجنوب حيث يتصل هناك بجبال (آورمان) التى تكسوها الثلوج، و هى جزء من جبال (طوروس) و (زاغروس).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۷

و يسمى ذلك القسم من جبل (غودرون) الذى يعلو السليمانية مباشرة بجبل (أزمر)، و تقع على شرقه (قه لا جوالان) مركز المنطقة القديم فى إيالة (شهرزور). و إلى شرق (غودرون) تقع قرية (ميركه بان) و هى قرية فى التلال تسر الناظرين، تبعد مسافة ست ساعات عن السليمانية، و قد أشير علينا أن نتخذها مصيفا لنا. و (غودرون) يبدو داكنا فى لونه، صخريّا هدودا و فى قمته غور أو حوض تتراكم فيه الثلوج و تتجمد .

إن هذه الخطوط الأساسية إن لم تكن صحيحة فى جميع تفاصيلها، فإنها تزودنا على الأقل بفكرة عامة عن البلاد، و تكون أساسا يستند عليه البحث فى المستقبل.

درجة الحرارة ۵۵ د فى الخامسة ق. ظ، و ۶۶ د فى الثانية ب. ظ، و ۶۰ د فى العاشرة ب. ظ. يوم هادىء غائم. مطر شديد بعد الظهر، و رذاذ إلى ما بعد منتصف الليل.

۷ أيار: ركبنا فى الخامسة و الدقيقة الخمسين متجهين نحو سلسلة (غودرون) اتجاها مائلا تجنبا من الأوحال التى قيل عنها إنها عميقة فى الأقسام الأكثر انخفاضا من السهل. كان الصباح و ضاحا، تهب نسماته شمالية عليلة. و بعد الرحيل من مضربنا بقليل قابلنا عبد الرحمن آغا أحد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۸

رجال محمود باشا البارزين، و قد أرسله سيده ليخلف «مهماندارنا» و يوصلنا إلى السليمانية. و كان بمعيته عشرة أو اثنا عشر خادما، فسرنا سوية بعد تبادل التحيات المعتادة.

كان الطريق يمر بتلال متشعبة من جبال (غودرون) تتخللها و ديان كثيرة المياه تنصب فيها مجارى عديدة صغيرة، و قد أنشئت السدود فى البعض منها لرفع مستوى مياهها و تسليطها على مشاتل الشلب؛ و رأينا الكثير من مزارع الشعير، و هو ما زال قصيلا. و فى الثامنة عبرنا سيلا عريضا ضحضاحا ينحدر من (غودرون) و هو يجف فى الخريف اسمه (جاق جاق). و قد أخبرنى دليلنا أن السيل إنما سمى بهذا الاسم لأن الحصى الموجودة فيه تقدح نارا .

و فى الثامنة و الدقيقة الخامسة، وصلنا إلى (سه رجنار) و هو منبع بالقرب من الطريق يتدفق من أكثر من خمسين عين ماء صغيرة، تؤلف مباشرة جدولا كبيرا و كان لخرير مياهها من فوق الحصى وقعه الحسن فى أذنى. و يسيل هذا الجدول فى منطقة (جه مى تانجه رو) حيث المرزات الكثيرة، ثم يصب فى ديالى، و يمكن القول عنه فى الواقع إنه أحد الجداول التى تؤلف ذلك النهر. و فى مجراه فى وهد السليمانية يصبح ملك رجل واحد و هو يونس بك، و قد منحه إياه الباشا الحالى.

و تقدّر غلة الأراضى التى يرويها بأكثر من (۵۰) ألف قرش سنويّا، و أن مياهه تروى الكثير من مشاتل الشلب و مزارع القطن و السمسم و التبغ.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۷۹

اللوح الرقم (۱)

أحد كبار موظفى باشا السليمانية

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۸۰

و يعلو منابع السيل تلّ عليه شجرتان يقال إنهما تدلان على موقع معركة دارت هناك فى غابر الأزمان. و يقول الكرد إن الإمام على غرز رمحه فى هذا المكان بعد اشتباكه بالكفار، إلا أن عبد الرحمن آغا يقر بأن هذه الرواية إنما هى أسطورة (عنعنة) كردية ليس إلا، و هو و إن كان لا يشك فى وقوع معركة فى هذه البقعة إلا أنه يدّعى عدم معرفته بالفريقين اللذين اختصما عندها.

و نزولا عند رغبة الباشا، ضربنا مخيمنا على الضفة اليسرى من (سه رجنار) حتى يتم له التهيؤ لدخولنا إلى عاصمته، و قد عين صباح الغد موعدا لذلك. و فى هذا المكان استأذن مهماندارنا السابق محمود آغا لينصرف، و كان قد حبب نفسه لنا بتصرفاته الكريمة التى تنم عن خلق حميد طيلة مدة قيامه بواجبه.

و بعد إقامة مخيمنا بقليل، وردت المؤن الكثيرة العديدة الأنواع لنا و لحاشيتنا من الباشا. و عند الظهر جاءنا عمر آغا و هو ضابط كردى آخر، و كان واجب هذا السيد ملازمتنا طيلة مدة مكوثنا فى كردستان و بعد مقابلتى و البحث فيما نحتاجه فى سكنانا خلال إقامتنا فى السليمانية رجع إلى المدينة للقيام بما يجب لاستقبالنا. و الآن بعد أن قابلت من قابلت من السادة الكرد سواء فى بغداد أو منذ دخولنا

بلادهم، أجدنى ميالا لأن أحسن الظن بسلوكهم و أدبهم، و كرم ضيافتهم إلى حد بعيد.

و بعد الظهر تمشيت لأقف على ما حولى قليلا. فعند رأس (سه رجنار) تتدفق المياه من كل ناحية من الأرض، فأينما أزحت التراب من الأديم انفجر الماء ، و كان قاع الجدول مكتظا برشاد الماء.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۸۱

و الجدول ذاته يحتوى على الكثير من الأسماك و من بينها سمك النقط(Trout) ، أقول ذلك استنادا على ما وصفه لنا من اصطاد السمك بالشص منا و الذين شاهدوا الكثير منه و قد و جدوه يحجم عن التقرب إلى شصوصهم.

و لا- يفصل بين (سه رجنار) و بين (جاق جاق) سوى مرتفع صغير عليه مقبرة مهجورة منذ زمن طويل على ما يظهر. و قد تذكرت الوصف البديع للمقبرة القديمة التى جاء ذكرها فى مستهل قصيدة «الفناء القديم» و أنا هائم بين أحجار هذه المقبرة الربداء الغليظة، و كانت الأرض التى تتخللها مكسوة بالأوراد البرية. و هنالك ثلاث أو أربع شجرات تزين هذا المرتفع، إذ كان فرحى عظيما عندما علمت أنها شجرات بلوط، و لم تكن فى الواقع من نوع أشجار البلوط الشهيرة فى إنكلترا، و لكنها شجرات لطيفة تكفى الكفاية كلها لإيحاء ذكريات طيبات عديدات، فأوراقها أقل تسننا و أكثر نعومة و أعمق خضرة من أوراق البلوط التى اعتدت مشاهدتها فى إنكلترا، و هى لم تكن من أشجار البلوط القصيرة. و قد قيل لنا إن أنحاء (سه رجنار) كان فيها الكثير من هذه الأشجار، و لكنها قطعت لبناء السليمانية.

درجة الحرارة فى الخامسة ق. ظ، و ۵۳ د فى الثالثة ب. ظ، و ۷۶ د و فى العاشرة، ۶۴ د. نسيم شمالى عليل، و جو رائق.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۸۲

۸ أيار: سرنا فى الخامسة و الدقيقة الأربعين بطريقنا متئدين، طوار سفوح التلال نهبط تارة و نصعد أخرى، فوصلنا إلى مضربنا بالقرب من السليمانية فى السادسة و الدقيقة الأربعين حيث استقبلنى الكثير من السادة الكرد رجال محمود باشا. و بعد أن رحبوا بنا انصرفوا فورا، إلا- اثنان منهم استبقيا لملازمتنا للقيام على خدمتنا. و كنا نتوقع مكابدة بعض المتاعب من المتجمهرين، و ذلك لأن الكرد مشهورون بدقة الملاحظة و حب الاستطلاع، و لأننا كنا أول جماعة أوروبية لم ير أكثرهم مثيلا لها من قبل، غير أنه لم يقترب منا أحد إلا من كان واجبه يقضى عليه بذلك.

و قد علمت أن ذلك كان نتيجة لأوامر محمود باشا التى نهت الكرد بشدة عن إزعاجنا. لم أهنأ بالراحة فى هذا اليوم إلا قليلا، و قد كانت نفسى ترزح تحت أعباء يصعب عليها تحملها. و ما إن دخلت خيمتى و جلست فيها حتى وصل «تاتار» سريع (ساع) من استانبول و كان بودى لو جاء فى غير هذا الوقت، و لأنه كان ينعى الملك أصبح لزاما علينا أن نبعث بالرسائل على الفور . و لم أكد أستعيد هدوء بالى بعد مجيء التاتار حتى جاءنى صديقى القديم كبير رجال عبد اللّه باشا، و أعقبه محمود مصرف، رئيس وزراء باشا السليمانية و هو شخصية معروفة فى كردستان غالبا ما سمعت عنها فى بغداد. و قد جاءنى ليخبرنى بأن سيده قادم عصرا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۸۳

ليزورنى الزيارة الأولى مرحبا بنفسه بقدومى إلى بلاده. و كان هذا تكريما غير متوقع، و برهانا عظيما على نزعته الودية الكريمة، و فى الواقع إننى ما كنت أتأمل منه أن يرد على زيارتى، و من أجل هذا كان سبقه فى المجيء من الأمور المفاجئة.

و على ذلك قمت بخير الاستعدادات التى استطعت القيام بها فى موقفى هذا لاستقبال محمود باشا، و بعد العصر بقليل أعلن عن قدومه، و كان منظر موكبه بدائيًا مفرحا، لقد كان وحده ممتطيا جوادا، و لما كان رجلا صغير الجسم جدّا فقد كاد يخفى عن الأنظار بجمهور من الكرد الطويلى القامة و قد ارتدوا ملابس ألوانها ألوان قوس القزح كلها، وردى و أصفر و قرمزى، و كانت هذه الألوان هى الغالبة فى أهداب (شراشيب) أغطية رؤوسهم؛ و كان الموكب صامتا، و وقع أقدامهم يسمع من بعيد.

و عندما أدى حرسى التحية ردها الباشا بوضع يده فوق صدره بوقار عظيم.

و قد أرسلت عرفائی للقياه، و خرجت شخصيّا بعيدا عن باب الخيمة لاستقباله، و ما إن رآنی حتی ترجّل بين هتاف عرفائه فصافحنی بكلتا يديه و دخلنا الخيمة و جلسنا سوية علی بساط أحضرته خصيصا لهذه المناسبة.

و قد تمكنت بصعوبة من إقناعه علی أن يتخذ جلسة مريحة، و يقعد القرفصاء، إذ كان مصرا علی أن يتجشم صعوبة الجلوس ليظهر الاحترام الزائد، بالركوع مستندا علی كعبی قدميه. و قد رحب بی و بزيارتی لكردستان مرة بعد أخری مؤكدا لی بأن بلاده بلادی، و مكررا كلمات غيرها من كلمات المجاملات الشرقية. و قد تبادلنا طبعا، الكثير من العبارات الرقيقة، منها اعتذاره عن حالة بلاده، و امتداحی لها. و علی كل فقد كنت أعبر عن شعوری مخلصا، إذ إننی فی الحقيقة كنت مفتونا بالتلال الخضراء و مبتهجا لابتعادی عن بغداد. و بعد ذلك سلمته رسالة باشا بغداد، و لما كانت رسالة رقيقة جدّا فقد عنيت العناية كلها بتسليمها علی مشهد من حاشيته أو ملازميه، و قد ظهر لی أنه أدرك اهتمامی. و قد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نوری، ص: ۸۴

تكلم عن حالة البلاد، مبديا لی الصعوبات التی يكابدها بسبب وضعه علی حدود سلطتين متنافستين لا تنفك الأولی عن اضطهاده فی طلب الجزيات و الضرائب، و الثانية و هی السلطة المنقاد إليها حكما، أی سلطة الأتراك الذين كانوا يلحفون عليه أن لا يخدم الإيرانيين، و لا يؤدی لهم المال، و مع هذا فلم يتمكّن الأتراك من الدفاع، و لم يرغبوا فيه عندما نفذ ما أراده شهزادة كرمنشاه بالقوة. و قد أشار إلی النتائج الوخيمة التی تورثها هذه الإدارة المزدوجة فی خيرات البلاد و ازدهارها، مشيرا إلی كل ذلك بتواضع و دراية، كما بين رغبته فی الانقياد إلی أغراض باشا بغداد مخلصا. و فی الواقع إننی أعتقد بأنه يميل كل الميل إلی الأتراك بدوافع دينية، و لكن من السهل أن نری أن أغراضهم لم تكن مقبولة كل القبول و أن الأكثرية الساحقة فی هذه البلاد لا تكنّ الاحترام للعثمانيين أو الثقة بهم، و هم لا يستحقونهما. إن إدارتهم السياسية إدارة عمياء، متعجرفة، خداعة، فبفطنة قليلة و باسترضاء يسير و باحترام كاف للشعور بالسنية بين الكرد المتعصبين الذين يمقتون طائفة الإيرانيين، كان باستطاعة العثمانيين توثيق أواصر الولاء بينهم و بين شعب جسور كثير العدد- يقطن فی أهم مناطق حدودهم- و يعطی الرجحان للكفة التی يختارها حين يحين الآوان.

فهنالك الآن لعبة تلعب، يصعب استكناه الغامض من حيلها. و لكن من الواضح أنها قضية «مقابلة الخدعة بالخدعة». و ذلك أن باشا بغداد يسعی إلی خدع كل من باشا كردستان و شهزادة كرمنشاه فی الوقت الذی يخدع فيه شهزادة كرمنشاه كلّا من باشا بغداد، و باشا كردستان. و هم بمجموعهم و علی انفراد يسعون بدورهم إلی غش الباب العالی، الذی سيخرج و لا ريب متضررا من القضية أكثر من غيره، و الذی يسعی فی كل الأمور ليجعل من نفسه العدو المشترك؛ هذا و لا دخل لی بكل هذه الأمور. و إن الموقف الذی أنا فيه اضطرنی أن أكون إلی جانب تركية، و لو بصورة سلبية علی الأقل، و قد سعيت أن أبين ذلك بجوابی. و بعد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نوری، ص: ۸۵

فترة سكوت و جيزة اعتقدت خلالها بأن الباشا قد تأثر بما أبنت تأثرا حقيقيّا قال «إن والدی رحمه اللّه كان يودك كثيرا». و لو أنه شهد هذا اليوم الذی طالما توقعه لفرح كل الفرح. و إننی كنت أفضل أن يستقبلك هو، عوضا عنی. «فأجبته» إن عبد الرحمن باشا كان صديقا أكن له بالغ التبجيل، و إنی أحترم ذكراه الاحترام كله، إلا أنه ترك خير خلف له».

و بعد أن دخنت الغلايين و أديرت كؤوس الشراب و أحرق البخور، ورش ماء الورد، رجع الباشا محفوفا بأتباعه كما أتی. و قبل أن يترك الخيمة أخبرنی بأنه يرغب فيما إذا راق لی ذلك، أن أدخل السليمانية بعد غد فی التاسعة صباحا، فأدركت حالا بأنه يجب أن يكون السبب فی ذلك خرافة تنجيمية، و من الطبيعی أننی سايرته فی الأمر.

و لم يكن فی محمود باشا ما يميزه فی شخصيته و حديثه، ذلك أنه رجل بسيط رشيد، و هو فی الوقت ذاته رقيق الحاشية دمث الطبع، و يقال إن أخلاقه الفردية كاملة لا شائبة فيها، و ذلك أمر لم يكن من الأمور الاعتيادية بين الكرد.

و كان اليوم كله يوم امتحان كبير لأعصابی الخائرة و لكنه ما كان يوما مزعجا لو لا قدوم التاتار. كان المنظر طريفا لا عهد لی به و

كان الكرد أبعد من أن يكونوا مثار قلق و إزعاج، و قد التقطت بعض المعلومات من الكثير منهم. لقد أردف الباشا زيارته بهدية كبيرة من الأغنام و من المؤن الأخرى لجميع حاشيتي، و قرر أن لا يدعني أشترى أية حاجة ما دمت في منطقته، إلا أنني معتزم أن أضع حدّا لذلك، حالما ينتهي استقبالي الرسمي.

۹ أيار: قضيت صباح اليوم بكتابة رسائل رسمية و شخصية، و بإيفاد التاتار.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نوري، ص: ۸۶

و جاء بعد الظهر صديقي القديم عبد اللّه باشا لمواجهتي، و كان قد تمرّض مرضا موجعا طال أمده حتى كدت أن لا أعرفه من شدة تأثيره فيه، لقد عانقني بسرعة و بلهفة، و قد عجز من فرط تأثره عن التكلم لبضع ثوان. و هالني ما تركه المرض فيه من ضعف و نحول، و هكذا كان تلاقينا كئيبا في بادىء الأمر، و إن انبعث فينا الانتعاش عندما أخذنا نذكر الأيام الماضية. و كان من السهل الإدراك أن أعضاء حكومة بغداد، و لا سيما داود باشا لم يكونوا عند حسن ظنه، و لا أستغرب ذلك إذ إن الأتراك عاملوه معاملة قاسية، و مما لا شك فيه أنه سينتهز بدوره الفرص ليكيل لهم صاعا بصاع بل أكثر من ذلك. لقد تكلم عن ابن أخيه باشا السليمانية الحالي بتعظيم و لطف، و أحسب أنني استطعت أن ألحظ بعض التحرّج عنده. لقد قضى أكثر من ساعة معي و صافحني عند الوداع مصافحة حميمة.

درجة الحرارة في الخامسة ق. ظ، ۵۶ د و في الثانية و النصف ب. ظ. ۷۸ د و في العاشرة ب. ظ. ۶۱ د. الريح شرقية و لكنها معتدلة.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نوري، ص: ۸۷

الفصل الثالث عثمان بک- الدخول إلى السليمانية- زيارة الباشا- وصف دارنا- تعلق الكرد برؤسائهم- قصص- عراک الحجل- أفغانيون في شهرزور- زه نيفون و العشرة آلاف

*** ۱۰ أيار: كان هذا الصباح هو الذي أقر المنجمون- على ما يظهر- ملاءمته لدخولي عاصمة الباشا و استقباله لي استقبالا رسميّا، فقبل الوقت المعين بنصف ساعة تقريبا جاءني عثمان بک الشهير الذي سمعت عنه الكثير و هو أصغر إخوان الباشا و أجرؤهم ليأخذني إلى المدينة، و كان برفقته جميع أعضاء المجلس و هم على ظهور جيادهم، و جماعة كبيرة من المشاة الكرد. و كان البک ممتطيا جوادا عربيّا كريما من جياد عرب عنزة و يقال إنه كلّفه ۱۳ ألف قرش .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نوري، ص: ۸۸

كانت ملابس القوم كلهم زاهية بهيجة، و قد أثّر في منظر البک كثيرا، فلم يكن ضخم الجثة بل مربوعا قوي البنية، و كانت تقاطيع وجهه متناسقة غاية التناسق، و لحيته سوداء مجعدة و عيناه زرقاوين غامقتين، و حاجباه سوداوين و أهدابه سوداء، و سحنته سحنة رجل خفيفة السمرة و ردية جميلة نقية. لقد كان بوجه عام شابا و سيما جدّا، و يقال عنه إنه لا يضاهيه من أبناء قومه أحد في الفروسية و في التمارين العسكرية المفضلة لديهم و هو مشهور أيضا بشجاعته و كرمه، و من الناحية الأخرى يقال عنه أيضا إنه فاسق في أخلاقه مستبد في ميوله إلى حد ما.

لقد بادرني بحديث رقيق غير متكلف ينم عن بعض الإخلاص دون أن يكون أي أثر للخشونة و الفظاظة فيه و قد ألفته مهذبا في سلوكه، كما شعرت أنه كان مدرک لميزاته الشخصية. و كان يرتدي أفخر الملابس التي تتفق و الذوق الكردي، فرداؤه من القماش الهندي الفاخر المزوق بالأوراد الذهبية، و غطاء رأسه من الشال الكشميري المزين بالأهداب الذهبية أيضا و قد وضعه وضعا مرتخيا غريبا، أما رداؤه الخارجي فكان معطفا أو جبة من القماش القرمزي الفينيسي (البندقي) ذا أزرار ذهب، و كان عمر عثمان بک اثنتين و ثلاثين سنة، أما عمر أخيه الباشا فخمس و ثلاثون سنة.

و أمهما أخت خالد باشا و هي كذلک من سلالة عائلة ال (به به) الرئيسة .

و كان عثمان بك يميل إلى التكلم عن شؤون البلاد الكردية بحرية جاوزت الحد الذى أردت تشجيعه عليه، و كان من السهل الإدراك أنه لم يكن من الميالين إلى الأتراك. و كان ينظر مرارا عديدة إلى ساعته خلال

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۸۹

الحديث و الظاهر أنه كان حريصا على عدم فوات الوقت المضروب لركوب الخيل، و عندما أخبروه أخيرا بحلول الوقت نهضنا سوية و تقدمنا حسب الترتيب التالى:

دليل، فبوقى، فحامل الراية ثم ثلاثة خيول مسحوبة يعقبها رئيس سواسى ثم عرفائى أو المشاة العداة و هم مدججون بالسلاح و من ورائهم جنودى و معهم طبولهم و مزاميرهم، و أنا من وراء هؤلاء راكب «فينفار» و على كل من جانبى الجواد ماسك ركاب مسلح بالطبر و الدرع، ثم يأتى المستر (به ل لى نو) و الدكتور (موران دو) فعثمان بك على جواده العربى الجميل يعقبه نسق مؤلف من زهاء ثلاثمائة من المشاة الكرد، و يعقب البك و جماعته أعضاء مجلس الباشا و مأمور خزينتى ثم التوابع الراكبون حيث ينتهى الموكب. تقدمنا بنظام حسن جدّا نحو المدينة إذا جاز لنا تسميتها كذلك، و هى ما كانت تبعد أكثر من ربع ميل، و كان الجمهور المتجمع لمشاهدة الموكب غفيرا، و ما كنت أظن أن المدينة تضم ذلك العدد الكبير من الناس، و بالرغم من ذلك ساد النظام التام، و كان ضباط شرطة (داروغا) ينزلون، دون أن أرى لذلك سببا، الضربات المتوالية على من حولهم بهراواتهم الثقيلة التى يبدو أن الضربة الواحدة منها تكفى لطرح ثور، و مع هذا بدا لى أننى كنت الوحيد المنزعج من هذا الأسلوب فى فسح الطريق، أما الكرد الذين كانت تنزل بهم الضربات المتلاحقة فكانوا يتلقونها على رؤوسهم و مناكبهم بأقل اكتراث كأنها نازلة على سندان. و هكذا وصلنا القصر و كان مدخله واطئا حقيرا ضيقا و سخا إلى درجة أظن أنها لا تليق بمسكن حاكم بل بمسكن

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۰

رجل من عامة الناس، و لكننى علمت أن لهذه الحالة منافعها فى مثل هذه الديار إذ إنها تجعل الدفاع عن كرسى الحكومة فى الطوارىء ممكنا.

و المدخل لا ينتهى إلى واجهة القصر بل ينعطف إلى جانبه و هنا اضطررت إلى الترجل إذ استحال علىّ التقدم بعد ذلك راكبا. ثم ارتقينا درجات سلم جميل يؤدى إلى بهو الاستقبال الذى لو عمر لكان غرفة فاخرة حقّا و كانت واجهة البهو مكشوفة تستند على أعمدة .

استقبلنى الباشا عند الباب و أخذنى إلى كرسى فى صدر الغرفة و قعد كل من المستر (به ل لى نو) و الدكتور على كرسيين أيضا دون الصدر بقليل، و جلس أعضاء المجلس يرأسهم عثمان بك على (نيم مد) عريض أو سجادة شعر ثخينة فى الجانب المقابل، و اختلط أفراد حاشيتى برجال الباشا الذين جلسوا فى صفين على محاذاة جدران الغرفة و قد وقف فى وسطها ال (أيشيق باشى) رئيس التشريفات و بيده عصا منصبه، و ملأ الممرات و ردهة الدار تحت الغرفة جمع من الكرد مرتدين خير الثياب. و بعد تبادل الكلمات الترحيبية لاحظ الباشا أننى أعجبت بالغرفة فقال: «إن والده المرحوم هو الذى بناها و إنها تحتاج إلى الترميم» ثم أردف قائلا: «و من الذى يرمم شيئا و هو غير متأكد من استمتاعه به؟

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۱

و قد يقوضه الأتراك أو الإيرانيون بعد أيام معدودات» و أخبرنى بأن الفضل فى علو موقع القصر يعود إلى تشييده فوق رابية اصطناعية من الآثار القديمة جدّا و كانت المناظر التى يشرف عليها القصر بهيجة تشرح الصدر. لقد حاولت تجنب الكلام فى السياسة و حمل الباشا على البحث فى اقتصاديات بلاده و عادياتها، فأصبت الهدف بادىء الأمر إصابة موفقة. و قلت له بأننى سمعت أن والى (سنه) من عائلة كورانية (۸) و أن الكورانيين لم يكونوا موضع احترام كأفراد قبائل، فسرت بين الحاضرين فورا دمدمة استحسان عمت الغرفة. و هنا تبين لى أننى نلت تقدير الكرد العشائريين، فهب الباشا بحيوية أوفر من المعتاد و طفق يذكر تاريخ عائلته فقال فى بادىء الأمر

إن عائلة و الى (سنه) عائلة عريقة جدّا و لكن الكورانيين ليسوا من العشائر، ثم أخذ يمتدح نفسه ذاكرا أنه سليل عائلة عريقة و عشيرة كريمة، و أردف قائلا إن اسم عشيرته فى الأصل هو (كرمانج) أما كلمة (به به) فهى لقب عائلته التى يؤلف أعضاؤها رؤساء العشيرة الذين يتولون الرئاسة بالوراثة، و لذلك تسمى الآن جميع المنطقة التى يقطنونها و سكانها معا بحكومة البه به أو بالحكومة البابانية. و قد تكونت العشيرة فى الأصل فى (بيشدر) فى الجبال الشمالية بالقرب من (سى كه نه) على الحدود الإيرانية. و قال أيضا إن أحد أجداده قام بخدمة جليلة لأحد السلاطين العثمانيين فى حربه مع الإيرانيين فجوزى على ذلك بتوليته على كل منطقة يتمكن من إخضاعها، و هكذا استحوذ مع الزمن هو و بعض من خلفه من الرؤساء على المناطق التى يشغلونها الآن و غيرها من المناطق التى استرجعت من الإيرانيين منذ ذلك الحين. و انضوت كل هذه المناطق تحت لواء البابان أو البه به و عهد أمرها إلى باشوية (شهرزور) التى كانت كركوك عاصمتها. و لم يتمكن الباشا من ذكر أى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۲

من التواريخ لى، و كان كل ما يعرفه هو أن أجداده كانوا أرباب اللواء لزمن طويل ثم خصصت إليهم باشوية منطقتين قبل مدة ثقل عن القرن.

و قد أخبرنى أنه من السهل تمييز الكورانيين من سيمائهم و من لهجتهم الكردية. لقد تحدثنا كثيرا فى مثل هذه المواضيع و تفارقنا و نحن صديقان حميمان، و بدا لى أن أبناء عم الباشا كلهم، أى أبناء عشيرته صاروا ينظرون إلى بعين الرضا.

و عند مغادرتى القصر وجدت جوادا جميلا عليه عدة مزركشة جيدة مهيّئا كهدية لى لم أستطع إلا قبولها، فقيد أمامى. و الآن ذهبنا لمعاينة الدار التى هيّئت لسكناى و هى قريبة من القصر و قد وجدناها دارا تكتئب لها النفس، و هى و إن كانت فسيحة إلا أنها خربة قذرة. و كانت على حالها تلك مسكن أحد رجال أو ضباط الباشا، و قد أخرج منها لنقطنها، و كان نفورى منها و عزوفى عن السكنى فيها ظاهرين على كما أعتقد. و بعد أن دار بعض الهمس بين الكرد و بين حاشيتى أوفد الباشا رئيس وزرائه راجيا أن أسمح لمأمور خزينتى بالذهاب مع أحد رجاله لاختيار أية دار فى المدينة ليفرغها لى صاحبها فورا فأشغلها بيد أننى لم أستسغ هذه الفكرة علاوة على عدم رغبتى فى إزعاج الغير إزعاجا آخر. هذا و من رأيى أن الفرق بين المساكن فى المدينة لا بد أن يكون ضئيلا على كل حال، و لا بد من أن الباشا قد بذل كل ما فى وسعه فى بادىء الأمر لتأمين راحتنا قدر المستطاع فقررت الانصياع إلى الواقع و إشغال الدار المخصصة لنا، و شعرت فورا بأن قرارى هذا قوبل بارتياح عام. و على ذلك أرسلت ميناس ليستصحب زوجتى إلى المدينة إذ إن الكرد لا يستحسنون مطلقا رجوعى إلى مضربى اليوم، و كان من السهل إدراك رأيهم الخرافى فى النحس الذى قد يصيب أمورهم فيما إذا تركت المدينة، و لذلك و حتى قدوم قرينتى قضيت من الوقت مدة ساعتين أو ثلاث ساعات فى التمشى مكتئبا متكاسلا الأمر الذى زاد فى الصداع العصبى الذى شعرت بنذيره منذ الصباح.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۳

و أرى أن وصف هذه الدار مما يساعد على معرفة غيرها من الدور الجيدة فى السليمانية، فهى بناء مربع ذو طابق واحد مبنى على دكة مشيدة من اللبن- الطابوق المجفف بحرارة الشمس- ارتفاعها ثلاثة أقدام تقريبا مملوطة جدرانها بالطين الممزوج بالتبن. و قد طليت جدران غرفة واحدة أو غرفتين منها بالنورة فوق طبقة الطين، و سقفها مسطح مؤلف من جسور و عوارض تعلوها طبقة من التراب. و البناء كله قائم فى وسط حريم واسع أو كما يعبّر عنه فى الهند فى وسط محيط، و ينقسم هذا الحريم إلى فناءين بجدار يتصل بجانبى البناء بالقرب من منتصفه جاعلا القسم الأمامى منه حريما و القسم الخلفى منه حريما آخر و هكذا يتفرع إلى فرعى الحرم و الديوان (ديوانخانة) ، و ليس ثمة باب يصل بين الفناءين من داخل بناية الدار ذاتها كما هى الحالة فى جميع البيوت التركية، بل يجب أن ندخل من باب فى الجدار الذى يقسم الحريم إلى فناءين، و ذلك مما لا يرتاح له المرء فى الحالات الجوية الرديئة بوجه خاص. كانت ساحة كل من الفناءين معشوشبة و قد غرزت فيهما أشجار الصفصاف و الحور و التوت و أنجم الأزهار فى أخاديد و لوحات

صغيرة.

و يجرى فى أفنية بيوت السليمانية جدول ماء صغير يسيل من الجبال فى الكهاريز. و الظاهر أن تقسيم الغرف لا يستند على تصميم، و على كل حال لم أتمكن شخصيّا من الوقوف على أى نظام أو طراز فى بناء الدور ما عدا وجود طرار فى فرعى الحرم و الديوان. و الطرارات غرف مكشوفة أمامية مخصصة لاستقبال الزائرين و للنوم فى الصيف فيها بوجه عام، و لا ينام أحد فوق السطوح إلا الفقراء الذين لا طرارات فى بيوتهم. هذا و فى أيام الحر الشديد التى لا تستمر إلا مدة شهر واحد، يستعمل البعض دكات أو مصطبات واطئة لذلك الغرض، و فى الصيف يشيد الكثيرون

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۴

سرادق من القش- جارداق- أو من الأغصان فوق حوض صغير فى ساحة الدار، أو ينصبون خيمة تخلصا من البراغيث و هى من المزعجات الفظيعة فى جميع أنحاء الشرق، و يقال إنها لا تطاق فى هذه الربوع خاصة.

و هناك فى الديوان ردهة أو بهو واسع خال يستند على أعمدة يكاد أن يكون مظلما، و يقال عنه إنّه ملجأ بارد فى الصيف، لكنه لا بد أن يكون بؤرة تعج بالبراغيث. و هنالك بلية أعظم هى بلية العقارب التى يقال إنها كثيرة و كبيرة و سامة، و توجد هنا أيضا أمهات الأربع و الأربعين، إلا أننى أعتقد أنها لا تثير الكثير من الرعب فى القلوب، و كذلك الأفاعى و هى كبيرة و عديدة و يقال عنها إنها سامة أيضا.

أما غرف الدار الشتوية فيدخل إليها من مجازات طويلة معتمة و منظرها مما لا يثير الرغبة فى مشاهدتها من قريب. و فى الحقيقة إننى كنت أتجنب البقاء فى داخل الدار و أفضل أن أكون خارجها على قدر المستطاع.

أما البيوت الاعتيادية الأخرى فهى زرائب من الطين، و يظهر أن المكان بكامله يحاكى قرية عربية كبيرة، و هى مكشوفة تماما، و يلوح أن الناس لا- يهتمون لذلك إذ وجدنا النساء يخرجن مع الرجال سوية لإنجاز واجباتهن البيتية دون أن يتحجبن. و مع ذلك تحتوى هذه المدينة الحقيرة المظهر على خمسة خانات و جامعين معمورين و حمام واحد جد أنيق.

و قد قدر خير المقدرين من الكرد نفوس السليمانية بعشرة آلاف نسمة بما فيهم موظفو الحكومة و توابع الأمراء، أما المواطنون الاعتياديون فهم من القرويين المزارعين.

و حالما وصلت الأمتعة نصبت خيمة بعمودين فجعلتها ديوانا أو غرفة استقبال، و بعد أن زوقتها بأسلحتى و فرشتها بسجادة جميلة و مدات تلطف الباشا فأرسلها إلى، أصبحت غرفة استقبال غربية لا يزدرى بمظهرها، و مما لا شك فيه أنها أصبحت أبهج و أحسن من أى غرفة فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۵

المدينة. و نصب السباهيون- الجنود الهنود- خيامهم فى ساحة الدار كذلك و حذا حذوهم البعض من جماعتى من الذين لم ترق لهم حالة ملاجئهم.

و لم تصب استعداداتنا فى الحرم فى الليلة الأولى النجاح المطلوب، و قد جربنا أحسن الغرف تهوية و لكن مما يؤسف له أن الحر و الروائح الخانقة و أسراب البرغش أبانت سخف مساعينا فسحبنا سررنا إلى «الطرار» و خبنا هنا أيضا فبقينا مسهدين حتى الفجر من جراء هذه المزعجات الكردية. و لو تمكنت من الرقاد بضع ساعات لكان ذلك من النعم الكبرى على، و أنا على ما عليه من الإرهاق العصبى.

درجة الحرارة فى الخامسة قبل الظهر ۶۲ د، و فى الثالثة و النصف بعد الظهر ۷۵ د، و فى العاشرة بعد الظهر ۶۸ د، هبات ريح جنوبية، يوم مزعج و مطر قليل.

۱۱ أيار: زارنى الكثير من السادة الكرد، و اقتطفت منهم شتى المعلومات عن بلادهم. لقد طلب أمان اللّه خان والى (سنه) ذات مرة من

عبد الرحمن، باشا السليمانية أن يخبره عن الدواعى التى تمنع خدمه من مرافقته إلى منفاه بالرغم من معاملته إياهم معاملة حسنة، و عدم إظهارهم تعلقهم به فى أوقات المحن و الحرمان كما أظهر ذلك الكرد البابانيون حيال أمرائهم على الدوام. و كان جواب عبد الرحمن باشا الكبير على ذلك جوابا فذّا فى بابه إذ قال «إنك لست رئيس عشيرة و ليس رجالك رجال عشيرتك، و قد تلبسهم و تطعمهم و تغنيهم إلا أنهم ليسوا أبناء عمومتك، بل هم خدم ليس إلا».

و فى الواقع إن تعلق الكرد برؤسائهم شديد جدّا، فهم يعيشون فى بغداد مع أسيادهم فى حالة نفى منكرة يكافحون فيها شظف العيش و كل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۶

أنواع المحن و العوز دون أن ينبسوا ببنت شفة، و قد ترى فى بغداد سادة فى أسمال بالية يملك كل منهم فى بلاده جوادا مرختا و خادما و لكن المعروف عنهم أنهم غالبا ما يتكسبون المال من الحمالة و السقاية ليقدموه إلى أسيادهم ليعينوهم على العيش. فعند موت شقيق عبد الرحمن باشا فى بغداد كان أحد الكرد من أتباعه واقفا فى شرفة الدار أو على سطحه، و فى الدقيقة التى أسلم فيها سيده النفس الأخير صاح قائلا «ماذا؟ أمات البك؟ إذن يجب أن لا أعيش لحظة واحدة من بعده» ثم قذف بنفسه من أعلى الدار و مات مهشّما. و كثيرا ما رويت لى هذه القصة فى بغداد، و مع هذا فالنفى فى بغداد أمر يخشاه الكرد كل الخشية، إلى درجة أن تعلقهم الشديد برؤسائهم ذاته لا يدرء عنهم أهوال ذلك النفى دوما؛ فإنهم يتحملون الفقر و العوز دون تأفف إلا أن قفار البلاد العربية المحرقة فظيعة حقّا لا يطيقون العيش فيها على ما يدعون. و عندما بلغ بسليمان باشا الكردى الغباء حد السماح لنفسه أن تجذبه بغداد إليها مرة أخرى بعد أن جرب مرارا غش باشا بغداد و خيانته له تقدم إليه أحد البكزادات أو أحد السادة البارزين المتقدمين فخاطبه قائلا: إنهم على أهبة الاستعداد للقيام بأى أمر من أجله إلّا تحمل أهوال النفى فى بغداد مدة طويلة، و إنهم يرغبون فى أن يسمح لهم بالنزوح مع أمراء العائلة الآخرين سعيا وراء نصيبهم من الرزق فى كردستان. و عندما يتولى الرؤساء الحكم يشرعون بتوزيع أخصب الأراضى على أولئك الأتباع المخلصين، علاوة على إهدائهم لهم الخيل و السلاح باستمرار. لقد أخبرنى خالد باشا بأنه عندما أقصى من حكم كوى سنجاق جاءه رجاله بمعدات خيلهم و سروجها و شفوفها الفضية فألقوها بين يديه قائلين له: إنّه سينزح إلى بغداد منفيّا، و إنهم سيلتحقون به هناك حيث لا حاجة بهم إلى مثل تلك الكماليات، و استعطفوه ليجعل من الفضة مالا يستعين به.

لقد تأكد لى من خير المصادر الموثوق بها ما كنت أتوقعه منذ زمن

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۷

بعيد من أن القرويين فى كردستان يؤلفون جماعة تختلف الاختلاف الكلى عن رجال العشائر، و هم نادرا ما يفلحون الأرض أو أنهم لا يفلحونها البتة، و من الجهة الأخرى فإنهم لم يكونوا جنودا، و يسمى الكرد العشائريون أنفسهم بال (سباه) أو الكرد المحاربين تمييزا لأنفسهم من الكرد القرويين. أما القرويون فلا اسم مميز آخر لهم فى هذه الأصقاع من كردستان غير (رعية) أو (كويلى). و لقد اعترف لى أحد أبناء العشائر ذات مرة قائلا: إن العشائر ينظرون إلى القرويين على أنهم خلقوا لخدمتهم. و إن حالة هؤلاء الفلاحين الكرد تعسة حقّا تشابه حالة الرقيق الأسود فى الهند الغربية إلى حد كبير، و الأنكى من ذلك أننى لم أجد فى الإمكان حمل هؤلاء الأسياد الكرد على الخجل من قسوتهم على أتباعهم المساكين و الكل يتفق على أن الفلاح يتميز بسهولة من ابن العشيرة القح فى الملامح و الكلام؛ و ليس له أن يظهر نفسه كالنبلاء من أبناء وطنه.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۸

قال لى محمود آغا «إن الأتراك يسموننا كلنا كردا، و هم لا يدركون الفروق بيننا، فإننا أناس نختلف الاختلاف الكلى عن القرويين، و عند هؤلاء البلادة التى يسر الأتراك أن يلصقوها بنا» . و المقصود من المعاملة التى يعامل بها القروى هو تبليده، و لكن الاستبداد مما يحط من منزلة السيد و العبد و يبلدهما على حد سواء؛ و على هذا الأساس ما كان يستغرب أن يغدو كل من الكردى العشائرى و

الكردى القروى بليدا لا إحساس له.

و فى خلال محادثة تتعلق بالعوائل الكردية البارزة قال أحد الحاضرين «أليس من العار أن يرضى أمراؤنا بالذهاب إلى بغداد حيث يكرهون على الإذعان إلى تركى ابتيع قبل مدة كما تباع الأنعام ببضع مئات من القروش، و هو أن انفعل خاطب أيامنا بقوله- «أيها الكردى الحمار» ثم انبرى آخر من الحضور قائلا- «إن فى تحاسد أمرائنا دمارهم، فليس للأتراك و لا للإيرانيين حول فى إيذائنا إلا باستغلالهم انشقاقنا و المنافسة العائلية القائمة بين رؤسائنا. إننا نعلم هذا، و بالرغم من ذلك ينجح الأتراك على الدوام بطريقة أو بأخرى فى التغلب علينا، و لا ريب فى أننا كرد ذوو عقول متبلدة». و عند ذكر الحالة القذرة للدار المتهدمة التى أسكنها قال الرجل ذاته «هذا هو الحق، و لكن لم نشيد البيوت العامرة أو نرممها و نديمها و نحن غير موقنين من أننا سننعم بها فى أيام حياتنا بله أبناؤنا؛ يذهب باشا و يخلفه آخر من العائلة ذاتها فيأتى بأصدقائه و المقربين إليه فيطردوننا من بيوتنا و مقاطعاتنا. إن سر خراب هذه البلاد هو انعدام ما تتطلبه من استقرار و من دوام حكامها؛ فمهما كانت ميول الأمير فمن الخير أن يتمسك بها طيلة الحياة».

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۹۹

و بعد الظهر جاءنى محمود مصرف ليسلينى بمشاهدة عراك الحجل، و هذه مسلاة مفضلة لدى الكرد. و عندما علم مصرف و هو رياضى مشهور بأننى لم أشاهد قبلا معركة حجل سر كثيرا للفرصة التى أتيحت له ليرينى مجموعة حجل العراك التى يقتنيها، و هى مجموعة فاخرة جدّا. جاء مصرف يتقدم القوم و معه أربعة من أولاده و كلهم فتيان رشيقون طويلو القامة، و كان لمنظر صاحبنا هيبة بين أولاده. و لقد انشرح صدره كثيرا عندما أبديت له رأيى هذا فى أولاده فقال: «أجل لدى يا سيدى ثلاثة أو أربعة أبناء آخرين فى الدار و سيكون لهم شرف لثم يدك فى يوم من الأيام» و قد أخذنى العجب عند ملاحظتى حرية هؤلاء الشبان غير الشرقية فى حضرة والدهم، فلم يكن ثمة تكلف فى تصرفهم، و أخذ كل منهم يدخن غليونه. إن ما خبرته إلى الآن من عادات الأتراك و العرب ما كان ليجعلنى أتوقع منهم حتى الجلوس فى حضور أبيهم. و بعد أن أديرت كؤوس القهوة، و دخنت الغلايين أعلن تقدم «الجيش»- كما اصطلح صاحبنا على تسميته- بكتكتة الحجل التى كانت تسمع من مسافة بعيدة، و تقدمت بعد برهة جماعة من الكرد الأقوياء تحمل على أكتافها اثنين و ثلاثين قفصا فى كل قفص حجل فحل، و قد أثارت كتكتة هذه الطيور الإجماعية المتواصلة ضجة غريبة أشبه بأصوات دقات ألف ساعة جسيمة، و لم يخلدوا إلى الصمت لحظة إلا عند العراك، و أعقب الأقفاص جماعة من المتهوسين و كلهم شوق لمشاهدة المنظر. و لو لم أوعز بغلق الأبواب لأوفر الأذى على من لا يقف عند حده إلا بضربه بالهراوات و العصى، و لا ندفع إلى داخل الدار كثير غيرهم، ثم صفت الأقفاص على شكل دائرة، و وقف المشاهدون من ورائها و أنا و مصرف و أولاده نتمم المحيط عند الخيمة. و كان المنظر جديرا بالرسم إلا أن ذلك كان مستحيلا على، إن لم أره عدة مرات لتتكون عندى فكرة لوضع خطوط الرسم الأساسية.

فتح أحد المعاونين باب أحد الأقفاص و أطلق أحد الطيور فانتفض

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۰۰

هذا فى الهواء كالمتحدى، ثم شرع يتبختر فى انتظار غريمه. و بعد أن أفرج عن الطير الثانى بدأ العراك، و كان المنظر مؤنسا، لم يكن فيه أى قسوة مطلقا. و كان من المبهج جدّا رؤية هذه الطيور الصغيرة تتبختر على رؤوس أصابعها متحدية، تقفز و تنقر بعضها البعض، و تتحايل لتنال ممسكا ملائما، و تتحاذر الوقوع بما لا تريد. و قد لاحظت أن البراعة كلها كانت فى نوال الغريم من قفا رقبته، فإذا ما نال الطير غريمه على ذلك النحو تمسك به كالكلب الأفطس «بوول دوك»، و قد يدور به أحيانا مرتين أو ثلاث مرات حول الدائرة، و قد يرتاع أحد الغريمين أحيانا فيهرب خارج ساحة العراك، و عندئذ ترجح الكفة و ينتهى النضال بينهما حقّا، أما الطير المغلوب فلا يعود ميالا إلى عراك آخر قبل مضى شهرين أو ثلاثة أشهر. و لكل طير من الطيور اسمه، أما أجنحتها فلا تقص. و هذه الطيور مروضة إلى حد لا- تمانع فى مسكها، و إذا ما انتهى العراك تراها ترجع إلى أقفاصها من تلقاء نفسها، و هى لا تتناقر مطلقا و لا تهجم إلا

للسعی وراء مسک الغریم. و کان الکرد یشاهدن العراک بشوق عظیم.

و بعد أن انتهت هذه البدعهٔ بدا لی أنها لم تکن إلا مسلاهٔ أو ملهاهٔ صبیانیهٔ. إن الکرد قوم ریاضیون متحمسون لسباق الخیل، و عراک الحجل و الکباش و الکلاب. و قد سمح (محمد) کعربی صمیم بالمراهنهٔ علی سباق الخیل، و لکن الکرد استغلوا هذا السماح استغلالا بعیدا عن حدوده فأجازوا الرهان فی عراک حجلهم و کلابهم.

و بعد انتهاء العرض، جاءنی ضابطان أخبرانی بأن داروغا أمرهما أن یترأسا دوریهٔ من خمسهٔ عشر جندیّا لتدور خارج نطاق الدار طیلهٔ اللّیل.

و لتمکین الدوریهٔ من اجتیاز جماعات حرسی تعلم أفرادها عبارتی «من المتقدم؟» «و صدیق» الإنکلیزیتین، إنه لأمر غریب أن نسمع الکرد فی السلیمانیهٔ یحاولون تلفظ تلک الکلمات باللّغهٔ الإنکلیزیهٔ، و قد تعلموها من الجنود الهنود المسلمین و من رعایا بریطانیا العظمی الذین أخبرونی

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۰۱

بأن هؤلاء قد تعلموا الغرض من «سر اللّیل» أیضا بعد أن عرفوا معناه فی إیران.

أسست الدوریهٔ موضعها، دون مراسم فوق إحدی الدور المجاورهٔ، و أخذ أفرادها یسیرون علی سطوح البیوت و یتجولون بین العوائل القاطنهٔ فیها کلّما حلاـ لهم ذلک. و لقد کان الاعتراض علی مثل هذا الظلم الشنیع مما لا یجدی نفعا، کما لا یدرک الظالم و لا المظلوم بواعث ذلک الاعتداء. تری ألهذا الدرک المنحط یذل الإنسان بتمادی تعرضه إلی الظلم الجائر؟. لقد حدث أن سأل آغا میناس أحد ضباط الشرطهٔ الخفر فی إمکان الحصول علی سریر ما، فکان الجواب إیجابیّا، و بکل بساطهٔ ذهب الضابط إلی أول خان قریب منه و استحوذ علی ثلاثهٔ أسرّهٔ تعود إلی بعض التجار البغدادیین من نزلاء ذلک الخان، و أتی بها إلی الدار منتصرا، و لا حاجهٔ بنا أن نقول: إن الأسرهٔ أرجعت إلی أصحابها حالا.

درجهٔ الحرارهٔ فی الخامسهٔ ق. ظ. ۶۶ د، و فی الثانیهٔ و النصف ب. ظ. (۷۰) د، و فی العاشرهٔ ب. ظ. ۶۸ د، الریح جنوبیهٔ شرقیهٔ، بعض زخات من المطر مع قلیل من البرق و الرعد.

۱۲ أیار: ذهبت صباح الیوم إلی الحمام فألفیته جمیلا جدّا. و کانت إضاءته جیدهٔ، و الخدمهٔ فیه حسنهٔ أیضا، کما وجدته أرقی من أی حمام آخر شاهدته حتی الآن فی أی قسم من أنحاء المملکهٔ الترکیهٔ عدا حمامات الشام و استانبول و القاهرهٔ، بل و یمتاز علیها فی بعض النواحی. و قد ملطت جدرانه بملاط خافقی و صبغ علی الطراز العربی، و زوق بالأحواض ذات النافورات. و شیده الباشا الحالی علی نفقته، مستخدما معمارین إیرانیین جلبهم خصّیصا لذلک، و یقال إنه قلد فی تشییده حمام

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۰۲

(کرمنشاه) الحدیث، کما بنی حماما آخر علی النمط ذاته فی حرمه.

و المسلم ینفق المال بسخاء علی الحمام، إذ یعد ذلک نوعا من التقوی، حتی أن الجیوش المتخاصمهٔ لا تفکر مطلقا فی إیقاع الضرر به، هذا و یمکن حمایهٔ ذلک الملک بوقفه .

لقد وجدنا درجهٔ الحرارهٔ فی السلیمانیهٔ ملائمهٔ، فقد کانت فی السادسهٔ ق. ظ. ۶۶ د، و فی الثانیهٔ و النصف ب. ظ. ۷۸ د، و فی العاشرهٔ ب. ظ. ۶۹ د، هبات ریح من الغرب، رعد و زخات مطر، ثم مطر شدید و برق ساطع فی اللّیل.

۱۳ أیار: ذهبت لزیارهٔ صدیقی القدیم عبد اللّه باشا، و خلت أنه قد استعاد صحته قلیلا، و لکنه لا یزال واهنا غایهٔ الوهن. و قد تکلم عن ذکریات بغداد دون شعور بالسرور. و علی أثر ذکر اسم قریبه خالد باشا قال: «إنه قضی الزمن الطویل و هو لا یزال فی بغداد فأضاع کل خصاله العشائریهٔ، و لقد أصبح کالتاجر لا أقل و لا أکثر». لم یکن عبد اللّه باشا ممن یمتاز بالحرص علی تقصی الأخبار، و لکنه وجه إلی هذا الیوم و للمرهٔ الأولی الأسئلهٔ العدیدهٔ مبتدئا بال «جین ماجین» علی حد تعبیر المسلمین عن الصین، و استمر إلی أن

أتى على ذكر موقف الدول الأوروبية و قوة كل منها. و كان من الواضح أنه لا بد و إن جرت بعض المداولات فى تلك المواضيع بين أفراد العائلة البابانية، و أن صديقى أراد أن يهيّئ نفسه للمناقشة الثانية.

و بعد رجوعى إلى الدار و قبل دخولى الحرم، استقبلت بعض

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۰۳

الأصدقاء الكرد. قال محمد آغا: «إن افتقارنا للأمن فى ممتلكاتنا هو أصل دمار المملكة، و نحن أبناء العشائر إذا لم نتأكد من تملكنا مقاطعاتنا، لا نكرس أنفسنا مطلقا إلى الزراعة، و لا يكون للمملكة نصيب من الازدهار. و مثال ذلك لم أبذر طغارا من البذور و أنا غير متأكد من أن رئيسى سيبقى فى سدّة الحكم، و أنى مالك مقاطعتى حتى موسم الحصاد على الأقل؟ فبدلا من أن أفعل ذلك أسمح للقرويين أن يفلحوا مقاطعتى كما يروق لهم فاستوفى منهم حصتى و هى «الزكاة»، أو العشر علاوة على ما أتمكن من الحصول عليه منهم بأى وسيلة و أى حجة كانت ...».

كان عبد الرحمن باشا يصبو فى وقت ما إلى أن يجعل جراية بلاده إلى الباب العالى، على أن يكون مستقلا عن أى باشا مجاور، و كان راغبا فى أن يدفع إلى العاصمة نقدا و بصورة منتظمة أى جراية سنوية قد يطلبها الباب العالى، على أن يتبع أوامر السلطان دون غيره، و أن لا يكون عرضة للعزل أو الإقصاء أو التدخل بالشؤون الداخلية لمنطقته إلا فى حالة العصيان؛ و لكن هذه أمور لم يتمكن الباشا من القيام بها قط. فعند عصيان سليمان الصغير، باشا بغداد، على الباب العالى عرض رئيس أفندى المرسل من استانبول لإقصائه، على عبد الرحمن باشا حكم بغداد و لكن الرجل رفض شرف توليه المنصب بإباء رفض الرشيد الحكيم قائلا: «حقّا إننى بذلك، سأصبح وزيرا من الدرجة الأولى، غير أن جرعة واحدة من ماء ثلوج جبال بلادى تساوى فى قيمتها عندى رتب الإمبراطورية بكاملها. هذا و بانتقالى إلى بغداد سيزداد نصيبى من نعم الحياة، و لكنها ستؤدى أخيرا إلى دمار العائلة البابانية».

و ذهبت بعد الظهر لزيارة عثمان بك، و كانت هيئة خدمه ممتازة حقّا. و كانت داره كدارنا إلا أنها أفضل ترتيبا و مشيدة فوق سهوة أعلى نسبيّا. و ما كان عثمان بك ليقل منزلة بتوالى المقابلات، و قد وجدته رجلا طيب المعشر إلى حد بعيد. لقد سألنى أسئلة معقولة، كما أجاب

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۰۴

على أسئلتى أجوبة تنم عن ذكاء جم، و قد اعتذر عن رغبته فى الاستطلاع بقوله: «و قد أكون فظّا، و لكن تذكر ما يشعر به الكردى من غرابة فى التحدث مع أحد الانكليز، و من رغبة لا بد أن تجيش فى صدره لاستغلال ذلك الحديث و معرفة الأمور التى لا يمكن له الوقوف عليها بطريقة أخرى تلك الأمور التى لا بد أن تعود عليه بالنفع». و كنت أود أن يستمر فى السؤال، و أكدت له بأننى سأكون مثله فى حرية الإجابة. لقد كان كثير السؤال عن إنكلترا و فرنسا و روسيا و عن حكومتنا و مراسيم بلاطنا، و عن تشكيلات و أسس جيشنا الذى وجه الأسئلة الفضولية العديدة عنه، الأمر الذى يدل على اهتمامه فى الموضوع و إدراكه له. و كان على نقيض الأتراك لا يعلق أهمية بالغة على شؤون السلطان و استانبول و الأتراك.

و قد سألنى عن تفاصيل معركة (واترلو) التى يحتمل أنه سمع عنها من الإيرانيين دون أن يتذكر اسمها. و قد سمع عن (بونابارت) أو «الإمبراطور» كما نعته، ثم أتى على ذكر الصين و وجه تقريبا ذات الأسئلة التى وجهها عبد اللّه باشا إلى صباح اليوم، الأمر الذى أكد ظنى بأن الموضوع لا بد و أن جرى بحثه بينهم. و سألنى خصيصا عما إذا يسمح للأجانب بزيارة حاضرة الصين، و قد بدا أدنى إلى الاستغراب عندما أخبرته بأن سفيرا من بلاطنا كان فى الصين أخيرا. و بناء على اقتراح أبداه له أحد الحاضرين انتقل فى بحثه بحذر ظاهر إلى الهند البريطانية مبتدئا بملحوظة مفادها أن من الطبيعى أن يكون الملك الذى له جيش قوى كجيشنا الرغبة فى استخدامه، و أنه لم يستغرب كوننا ننشد على الدوام فرص الفتوحات. لقد أدركت ما كان يود التوصل إليه فقلت له: «إن جيشنا العظيم لم يؤلف برغبة من الملك، و هو لم يكن إلا على قوة كافية للدفاع عنا، و من الضرورى أن ننشئ جيشا كبيرا إذا أنشأت الدول الأخرى جيوشا

كبيرة، و إننا لا نرغب فى التدخل بشؤون الغير كما أننا لا نسمح لأحد أن يتدخل بشؤوننا، و إن لنا فى الوقت الحاضر ممتلكات

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۰۵

تزيد فعلا عن مقتضيات رفاهيتنا، و إننا نحتفظ ببعضها لأننا لا نستطيع التخلى عنها دون وقوعها تحت سيطرة الآخرين فيستغلونها لما فيه ضررنا». و على ذلك قال لى: «إذا كان الأمر على ما تقول، فكيف إذن تتوسعون فى فتوحاتكم سنة بعد أخرى فى هندوستان؟» ثم أردف قائلا:

«و أرجو أن لا تأخذ سؤالى هذا مأخذ سوء». فأجبته: «إن فتوحاتنا فى الهند إنما ترجع إلى ذات المبدأ الذى ذكرته الآن، و إننا لم نكن أول الأوروبيين الذين فتحوا بعض أصقاع الهند، فبعض هذه الأصقاع التى نحتلها الآن انتزعناها من هؤلاء الأوروبيين نتيجة لتغلبنا عليهم فى حروبنا معهم فى أوروبا، و البعض الآخر سلم إلينا من قبلهم، كما اشترينا بعض الأقسام، و ظفرنا بأقسام أخرى بمعاهدات عقدناها مع أهل البلاد لقاء خدماتنا لهم أو لمنافع و فوائد أخرى. و هكذا تكونت إمبراطورية عظمى من نواة صغيرة، إمبراطورية تتاخم أقاليم الكثير من الأمراء الأقوياء، و لقد استفاد البعض من هؤلاء منا و كانوا أصدقاء لنا، أما البعض الآخر فيغار من قوتنا و يحسدنا على نعمنا و هم لم يكونوا على ثقافة تؤهلهم على نوالها. و إذا تجاور الناس لا بد من تصادم المنافع بينهم فى الغالب، و لا بد من تعرضهم إلى أسباب النزاع، و مع أن الإنكليز مسالمون بالطبع حيال من هم على غرارهم فإنهم ليسوا شعبا يخنع لإرادة الغير. إن ضرورة الدفاع عن حقوقنا، و صيانة شرفنا كثيرا ما أدت بنا إلى الحروب، و كان اللّه، و له الحمد، فى عوننا فى الغالب، و لم نكن فى أى من هذه الفتوحات البادين فى العدوان البتة».

لقد بان لى بأنه قد تأثر تأثرا عميقا بوجهة النظر هذه، و اعترف لى بأنه كان يظن فيما مضى بأن الإنكليز كانوا قد أرسلوا على غرة جيشا كبيرا لفتح الهند، و قاموا بفتوحاتهم كلما تولدت الرغبة فى نفوسهم دون سبب أو حجة. ثم استفسر عن المناطيد قائلا: إن قد نمى إليه أنها وسائل فى وسعها نقل مفارز الجنود إلى أى محل مقصود. ثم انتقلنا بالحديث

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۰۶

إلى إنكلترا ثانية. و ما سره شىء مثل علمه بأن لدينا بعض العشائر، و كان دقيقا جدّا فى أسئلته عن أطوار عشائرنا و لغتهم و أخلاقهم و رجانى أن أذكر له بعض أسماء تلك لعشائر، و قد فتنته فكرة الكتائب العشائرية بأزيائها الخاصة و ضباطها، إلا أنه استغرب من أن تكون الطبقة الحاكمة من الإنكليز أبناء المدن، غير العشائريين؛ و كان استغرابه أشد عند علمه بأن أبناء المدن جنود بواسل هم الآخرون. و قد أثار سؤاله عن الأماكن التى نستورد منها الرز ذكر العالم الجديد، فسألنى من فوره عن كيفية اكتشاف تلك القارة فأجبته أن قد أثبت علما الفلك و الهندسة بأن الأرض كروية كالبرتقالة. و قد مثلت هذا الشطر من تفسيرى برفع قبضة يدى قائلا «هنا فرنكستان، و هنا الهند، و هو ذا الطريق المؤدى إلى الهند من فرنكستان، إلا أن بعض الناس صاروا يتساءلون لم لا نستطيع طرق الاتجاه الآخر المفضى إلى الهند؛ فرأى البعض ذلك و أنكره البعض الآخر. و قال شخص أجرأ من الآخرين أنه سيحاول ذلك، و وجد أميرا زوده بالسفن و بالوسائل التى تمكنه من القيام بمحاولته فاكتشف القارة الجديدة بسلوكه ذلك الطريق غير المطروق إلى الهند». ففهم هذا الأمر كل الفهم. و عند إيضاحى له نوع الجمهورية الأمريكية قال: «إن شأنها شأن عشائر ال (خوش ناو) حيث يترأس كل قرية رئيس، و هم يجتمعون سوية للتشاور فى صالح العشيرة بكاملها».

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۰۷

و عندما أخبرته بأن لا يجرؤ أحد منا على الجلوس فى حضرة ملكنا، قال: «ماذا؟ حتى و لا أرباب الدين منكم؟» فأجبته بالنفى فقال بلهجة الرضى مديرا وجهه إلى البعض من الحاضرين من قومه: «أرأيتم ذلك، ليس للملالى من سطوة فى بلاده». و قد تكلم كثيرا عن الحالة فى كردستان قائلا: «إن بلادى فى حالة تعسة، فإذا خدمت الأتراك حقروك و خلعوك متى شاؤوا، و إذا خدمت الإيرانيين أضجروك على الدوام بطلب المال ...» إنه كردى حق، و لكنه يفضل الإيرانيين على ما يظهر من تينك القوتين المتنافستين. و قد

وجدته عنه مغادرتی له ودودا إذ قال لی: إنّه یعتبرنی من عشیرته، و إنه یرجو دوام الصداقة الحمیمة بینی و بینه.

و عند رجوعی حضرت مشهد عراک الکلاب الطریف ، و کان من المبهج مشاهدة فرح الکرد الشدید و هم یشجعون و یصرخون و یتراوحون بأرجلهم، و قد ملؤوا المکان بالضجیج أکثر من الکلاب أنفسهم. کان أحد الکلاب یعود إلی صدیقی الریاضی محمود مصرف، الذی ما إن علم بوجود کلب شهیر فی (جوی سنجاق) حتی أرسل أحد الرجال خصیصا إلی هناک فی طلبه کی ینازله مع أحد الکلاب هنا، و هو یکاد أن یکون أقوی من جمیع کلاب المنطقة فی الوقت الحاضر.

کان الکثیر من السادة الکرد یشاهدون العراک، و قد خاطبنی أحدهم بقوله: «إنک أول إنکلیزی رأیناه هنا، و إنک ستکون مدار حدیث أحفادنا، و إننا لمغتبطون بوجودک بیننا». و قد رددت الجماعة بکاملها، هذا الإحساس.

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۰۸

درجة الحرارة فی الخامسة ق. ظ. ۶۲ د، و فی الثانیة و النصف ب. ظ ۷۶ د. نسیم غربی علیل، و نهار جمیل.

۱۴ أیار: زارنی الباشا صباح الیوم و جلس معی مدة ساعة تقریبا، فوجدته رجلا یعلو قدرا کلما ازددت التعرّف به، و فی أطواره ما ینم عن الجد و اللین و الوداعة، و کل ذلک مما ینشرح له الصدر، و قد سألنی کثیرا عن الدول الأوروبیة مثلما سألنی عنها أخوه یوم أمس، و قد بدأ حدیثه بالسؤال عن الصین إذ کان قد دار بینهم بحث عنها أثار اهتمامهم البالغ علی ما یظهر. لقد تکلم بتواضع و لباقة فی جمیع الأبحاث التی تطرق إلیها، ثم وجهت البحث إلی التلقیح ضد الجدری الذی أودّ کثیرا إدخاله إلی کردستان التی یفتک بها هذا المرض فتکا ذریعا، و قد أبدی رغبة شدیدة بتعمیمه بین أبناء جلدته فوعدته بالکتابة فورا إلی بغداد للحصول علی بعض اللقاح.

جاءنی صدیقی الریاضی مصرف علی عادته عصرا، فبدأ بحدیث المساء بالسؤال عن الصین أیضا.

و الکرد هم الشرقیون الوحیدون الذین أعرف أنهم یسهرون إلی ساعة متأخرة من اللّیل، و ینهضون فی ساعة متأخرة صباحا، و قلیل من سادة السلیمانیة من یأوی إلی فراشه قبل الثانیة أو الثالثة بعد منتصف اللّیل و من یخرج من داره قبل التاسعة أو العاشرة صباحا، و تکون زیاراتهم عادة فی اللیل فإذا خیم الظلام بدأوا یتزاورون فی دور بعضهم البعض حیث یستأنسون بالسمر و التدخین و الموسیقی، و قد یقومون بزیارتین أو ثلاث زیارات من هذا النوع فی اللیلة الواحدة. و قبل الغروب بساعة واحدة ینعقد مجلس علی غرار النوادی أمام دار مصرف فی محل رحب من المدینة یعرف بالمیدان، حیث یجتمع الأصدقاء فیبحثون فی

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۰۹

مواضیع شتی أو تقام معارض الخیل أو السلاح. و قد تجری هناک أحیانا مباریات المصارعة أو عراک الحجل أو الکلاب. و یظهر لی أن الکرد أناس فرحون اجتماعیون إلی حد بعید، لا یتنافسون و لا یتحاسدون، و لم أسمعهم یتشاتمون أو یتقاذفون بالکلام البذیء مهما اختلفت نزعاتهم و تضاربت منافعهم.

و عند ما کانت الباشا فی زیارتی الیوم، انتهزت الفرصة لإنهاء شأن من الشؤون أوصانی به صدیق یستحیل علی رفض طلبه. فقد استولی الکرد فی الأیام الأخیرة علی کمیة کبیرة من خشب یعود إلی مضارب بغدادی اعتاد قصه من الجبال الکردیة، و بناء علی رجائی أمر الباشا بإعادة الخشب إلی صاحبه، و إن لم یعثر علیه فیجب قطع نفس الکمیة و تسلیمها إلی المضارب. و بنتیجة هذا الحادث وقفت علی تجارة قطع الخشب التی من خصائصها ما هو خلیق بالاطلاع علیه علی ما أری.

تقطع أفلاق الخشب من شجر الدلب أو الصنار (جنار) الشرقی- نبت شجرة جمیلة ذکیة الرائحة- فی منطقة الجبال التی تفصل (سنه) من کردستان الترکیة، و خاصة فی منطقتی (جوان رو) و (دولی هاوار)، و هی فی واد فی جبال (حلبجة). و الغابات فی الشرق ملک الشعب، إلا أن الرؤساء المجاورین یتحایلون عادة لجر بعض المغانم من المضاربین باسم الهدایا و ذلک بتعریضهم إلی شتی الأخطار و العراقیل. یقطع الخشب و یقشر و یترک لیجف و بعد عام أو عامین، ینقل عند فیضان المیاه، إلی أقرب موقع یمکن تطویفه منه حتی نهر (دیالی) تحت رقابة أناس علی الساحلین یلاحظون طوافه بالاتجاه المقصود، و عندما یصل (دیالی) یترک و شأنه حیث ینحدر

عائما على وجه الماء حتى الجسر بين بغداد و طاق كسرى فيلتقطه من الماء أناس ينتظرون وصوله. و لا شك أن مقدارا كبيرا منه يضيع بطريقة النقل هذه. هذا و إن الخشب فى بغداد غالى الثمن غلاء لا بد و أن يدر ربحا طيبا. و تقطع أشجار التوت و الجوز أيضا فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱۰

كردستان، إلا أن هذه تشترى من البساتين، أما شجر الحور- قاواق أو ال (سبندار) فيجلب من الجزيرة و العمادية، و أما الصفصاف أو ال (سكوود) فمن الفرات من أعالى (عنه).

لقد أخذ الخشب الآن يندر يوما بعد يوم فى جبال (سنه) من جراء قطعه من قبل الناس جزافا، و قال لى مخبرى بأن الأماكن التى اعتيد أن يقطع منها الخشب قد خلت الآن حتى من الأعواد الصغيرة، و قد ساهم أخيرا رجل من (كرمنشاه)، يتعاطى الصب و السبك و سك النقود، فى تدمير غابات الدلب أو الصنار، متصورا أن لا شىء يطمنه سوى الفحم المصنوع من الصنار، و هذا أضر بالغابات من قطع الجذوع منها.

إن عمال أو وكلاء قطع الخشب لا يجرؤون قط على حمل الدراهم معهم عند توغلهم فى الأحراش، أما الأجور فتدفع للعمال فى (حلبجة) و هى أقرب مدينة من المنطقة، و يقال إن أهالى هذه الجبال،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱۱

و على الأخص أهالى (جوان رو)، فى أشد حالات (البربرية) البداوة، و هم تابعون اسميّا إلى والى (سنه) إلا أنهم فى الحقيقة مستقلون الاستقلال كله عن غيرهم: يعيشون فى الغابات و فى معاقلهم و ليس لديهم ما يجذب الزوار إليهم، و هم لا يزاولون الزراعة، و يقال إنهم يعيشون على ثمر البلوط و الأثمار البرية و حسب. و قد يكون الأمر الفذ بين هذه العشيرة الوحشية هو السيطرة العظمى التى تنعم بها نساؤهم، و كثيرا ما تقمع المرأة منهم الخصومات المستفحلة بين الرجال، و لولاها لما انتهت إلا بسفك الدماء، إذ إن أفراد هذه العشيرة كغيرهم من الوحوش نزقون حقودون، و ليس لحياة المرء عندهم أى قيمة. و يعيش الرجال و النساء منهم سوية دون أقل تصنع فى التحجب، و كثيرا ما تثير ثائرة تاجر الخشب البغدادى الأسئلة التى يوجهونها إليه على الدوام نحو: «ما هو اسم زوجتك؟ و كيف تلبس؟» و غير ذلك.

لقد أيد لى رواية هذا المخبر، الكثيرون من الكرد الذين زاروا تلك المنطقة البدائية .. و عجبت لسماعى أن فى منطقة (شهرزور) بعض القرى التى يسكنها أفغانيون أقحاح، و قد نزح هؤلاء إلى هذه الناحية من البلاد على أثر مقتل (آزاد خان). و يقال إنهم لا يزالون يتخاطبون بينهم بلغتهم، و هم فى حالة فقر مدقع، و يعدون من صنف الفلاحين. و توجد فى كردستان بعض الوسائل الإفشارية أيضا، و قد قابلت أحد «آغوات» أو سادة هذه العشيرة و اسمه عيسى آغا، و كان رجلا مسنّا جميل الصورة جمالا غير اعتيادى، ذا طول فارع و وجه جليل. و قد قيل لى إنه و إن كان قد نشأ فى كردستان، فمن الممكن التعرف فورا من لهجته بأنه ليس كرديّا. و ليس هناك أحد يحسن التكلم بالكردية تكلما صحيحا إلا الكردى المولود فى كردستان، و هذا أمر ينطبق على اللّغة الإنكليزية على قدر ما

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱۲

يتعلق بالموضوع؛ و تنحصر الصعوبة فى الأمر فى دقائق التلفظ و فى إدماج مقاطع الكلمات بعضها ببعض.

۱۵ أيار: وصل ساع ليلة البارحة إلى الباشا من بغداد- قاطعا المسافة- فى ثلاثة أيام، و قد جاء ليخبره بأن باشا بغداد استقبل والدة محمود باشا استقبالا رائعا، و أنه من المحتمل أن تقبل مقترحاته هو، و أنه قد منح فى الوهلة الأولى مقاطعة (قه ره حسن) مع تسليم حسن بك و الوعد بتوليته على (أربيل) و (آلتون كوبرى)، على أن يطلق سراح باقر خان الذى يلازم السليمانية منذ مدة كرسول من شهزادة (كرمنشاه) جاء يطلب ثلاثين ألف تومان.

و قد قص لى محمد آغا بعض القصص الغريبة، خاصة ما يتعلق بهروب حسن بك فى العام الماضى، و كلها مما تلقى الضوء على

خيانة الحكومة التركية و سوء سياستها إلقاء جليّا.

لقد زارنى باقر خان بعد ظهر اليوم، و هو رجل بسيط أحمق له لحية غريبة لا يتصورها العقل، و هو من أصل كردى من عشيرة (مافى)، و يفوق تكلمه الكردية تكلمه أى لغة أخرى. و قد سألته عن خرائب (هه رسين) فأكد لى أنه لم يكن هنالك إلا خزان ماء منحوت فى صخرة، و لم تكن هناك أية رسوم أو كتابة.

لقد أظهر حفل عصر اليوم أزياء السليمانية كلها، و قد ارتداها خمسة و عشرون أو ثلاثون رجلا من أعيانها. و من باب التسلية أقاموا مباراة عراك حجل أيضا نزلت ميدانها أعداد أكبر من الطيور و غمرها

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱۳

حماس عراك أشد من حماس الحفلة السابقة، فأجود المعاركين من الحجل يجب أن يصطاد من العش و يدرب، هذا و يقتضى تجويع الحجل يوم العراك، أما فى الصيف فيلزم أخذها إلى الجبال و إلا أضاعت مزاياها.

۱۶ أيار: زرت الباشا صباح اليوم، و أشعر بأنى أزداد نحوه ودّا فى كل مرة أقابله بها، لقد وعدنى أن يبذل كل ما فى وسعه ليجد لى نسخة من تاريخ كردستان الشهير المسمى بتاريخ الكرد. و قد رويت له قصة «زه نيفون و العشرة آلاف» ذاكرا له مجد قومه التليد، و لقد وجدته و كرده كلهم آذانا صاغية لحديثى، كما وجدت علائم الاهتمام البلغ ظاهرة عليهم عند استماعهم إلى القصة. و كان المنظر بديعا جدّا يؤلف مادة ممتازة للرسم، و قد صرح الباشا ببساطة تنم عن حسن طوية قائلا: «ليت شعرى هل كان لعائلتى خطورتها فى ذلك الدور؟ ..» و كان من بين الحاضرين كيخسرو بك رئيس عشيرة الجاف، و هى عشيرة قوية محاربة، و كان البك رجلا جميل الطلعة. و من المؤكد أننى كنت أول أوروبى شاهده حتى الآن، و الظاهر أنه دهش لرؤياى، و لكنه لم يحملق فىّ بفظاظة أو غباء.

۱۷ أيار: أعدت اليوم زيارة باقر خان الذى يسكن فى بيت ال «داروغا»، و هى دار كئيبة كالدار التى نسكنها. أخبرنى باقر خان بأن عشيرته و هى عشيرة (مافى) الكردية مستوطنة فى (خراسان) إلا أن بعض العوائل منها تقطن فى (كرمنشاه). و لغته تختلف فى اللهجة عن لغة السليمانية، إلا أنها لغة مفهومة تماما. و باقر خان ملم الإلمام كله بخراسان و أفغانستان، و ببعض

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱۴

أقسام تركستان، و قد زودنى ببعض الأخبار الغريبة عنها، و أنبأنى كذلك بمناجم حجارة الشذر- فيروزه- فى (نيشابور)، و الشذر يتكون عروقا صغيرة بين صفحتين من الصخر، كما أخبرنى بأن محمود رحيم خان، رئيس خوارزم الحالى هو سليل عبد الغازى خان بهادر المؤرخ التاتارى الشهير، و أن العنوان الصحيح لسلطان (بخارى) لم يكن سلطانا بل (تورا).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱۵

اللوح الرقم (۲) رجل من عشيرة الجاف

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱۷

الفصل الرابع حديث مع الباشا- كيخسرو بك- عشيرة الجاف الكردية- مناخ السليمانية- فطور مع الباشا- نفوس السليمانية- الرماية- تخت سليمان- حفريات أثرية- حفل موسيقى- الزور خانة أو الملعب- عشاء فى بيت عثمان بك- الصلاة الشرقية- سليمان بك- المهارة فى استعمال السيوف- الزراعة- شهر رمضان

*** ۱۸ أيار: قضيت ساعة و نصف ساعة مع الباشا، كانت عندى من أطيب الأوقات. إنه يتميز بخلق متين، متواضع، غير متكلف إلى حد يجعل الحديث معه مؤنسا ممتعا، خاصة بعد أن يعتاد المرء على ما فى سلوك أغلب شخصيات الشرق البارزة من تصنع و كذب و ادّعاء. لقد سألته «لم لا يلبس الدرع، و هو اللباس الحربى المفضل لدى الكرد؟» فأجابنى قائلا: «لأننى لست ذا قوة كافية لحمله». و لو

سألت أكثر الشرقيين هذا السؤال لأجابوك بأنهم لا يحبون ذلك، أو أنهم يأنفون من وقاية أنفسهم فى المعارك. فلو أراد المرء معرفة السر فى عجبى لتلك الميزة فى الباشا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱۸

لكان عليه أولا أن يعيش طويلا بين الأتراك، و يلم الإلمام التام بعاداتهم فى التفكير و الكلام. و ليس لدى ما أدونه عن حديثنا اليوم، إذ كان معظمه يدور حولى. أما الباشا فكان يسأل الأسئلة الكثيرة عن الجيوش الأوروبية، مبديا ملحوظات تنم عن حكمة و دراية.

و كان فى ضيافتى مساء اليوم كيخسرو بك، بالإضافة إلى الجماعة المعتادة. إن عشائر الجاف التى يرأسها كيخسرو بك تسكن أعالى الجبال فى حدود منطقة والى (سنه) و رجال هذه العشيرة رجال و سيمو الطلعة شجعان، بيد أنهم يعتبرون حتى فى نظر الكرد أنفسهم من أشد العشائر بداوة و توحشا. و تختلف لهجتهم الكردية اختلافا عظيما عن لهجة الكرد البابانيين، و إن مظهرهم بارز فى بابه لدرجة يمكن تمييزهم به بسهولة. و هم يؤلفون جماعة خيالة متطوعة قوامها ألفا فارس تقريبا يتبعون البك عندما يدعوه زعيمه الإقطاعى باشا السليمانية إلى ميدان القتال. و تتمكن العشيرة من تجنيد أربعة آلاف من حملة البندقيات- المشاة- بسهولة و هم يعدون من خيرة المحاربين فى الجيش الكردى، و نظرا لقوة العشيرة و شدة بأسها نجد بينها من احتمى بها من شتى العشائر و فلول العشائر الكسيحة كال (فه يلى) يين و ال (كه ل هور) يين، الذين غالبا ما يسيئون إلى اسم الجاف. و إذا مات الرئيس و كان ابنه صغيرا فلا يخلفه فى الرئاسة، إذ لا يحكم العشيرة الغلمان قط و فى هذه الحالة يشغل منصب الرئاسة أخو البك المتوفى أو عمه أو خاله.

تعيش عشائر الجاف كلهم فى الخيام و هم يخيمون فى الصيف فى جبال حاجى أحمد الشاهقة فى حدود (سنه)، و فى الخريف ينتشرون

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۱۹

فى منطقة (شهرزور)، أما فى الشتاء فيقطنون (شروانه) على ضفاف نهر (ديالى).

۱۹ أيار: لم يحدث ما يستحق الذكر صباح اليوم و قد زارنى بعد الظهر عبد اللّه باشا، و بما أنه لا يتميز بوفرة الاطلاع فى أحوال بلاده، فلم أظفر بالكثير من المعلومات المجدية من محادثته. فقد تكلم عن مناخ السليمانية و عن البرد الذى يشتد شتاء و على الأخص عندما تهب الرياح الشرقية الشديدة. و قد تكسو الثلوج الأرض أحيانا مدة تتراوح بين الستة أسابيع و الشهرين، و ذلك لتوالى سقوطها مرة إثر أخرى مما يحول دون ذوبان ما سقط منها سابقا. و قد تساقطت ثلاثا و عشرين مرة قبل عامين.

أما المناخ فى الصيف فلطيف، إلا إذا هبت الرياح الشرقية و هى تهب بشدة هائلة لمدة ثمانية أو عشرة أيام متوالية فى بعض الأحيان، و مثل حر هذه الرياح المنهكة للقوى فى الصيف مثل بردها القارص فى الشتاء.

و الغريب فى أمر هذه الرياح إننا لا نجدها فى أى اتجاه كان على بعد ساعتين أو ثلاث ساعات من السليمانية. و يقال إن منطقة شهرزور حيث

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۲۰

يزرع الرز بكثرة، شديدة الحرارة غير صحية، تزخر بأسراب الذباب و البعوض، و توجد فيها الأفاعى بكثرة بدرجة أنها غالبا ما ترى زاحفة جيئة و ذهابا على طوار الطرق حتى فى وضح النهار.

۲۰ أيار: زارنى اليوم من بين من زارنى من أصدقائى المعتادين رجل كرجى اسمه تمير آغا (تيمور آغا) و هو مملوك (أحمد كهيا) الذى فر من بغداد إثر وفاة على باشا، و كان بقاؤه فى السليمانية منذ ذلك الحين فطنة منه، و هو يعد الآن أحد آغوات الكرد أو سادتهم، و يملك عدة قرى غنية أهداها له باشا السليمانية السابق و الحالى، و هو لا يرغب فى الرجوع إلى بغداد و لو أسندت إليه أعلى المناصب الحكومية فيها، و يظهر أنه قانع بما هو عليه الآن من حال كل القناعة.

و قد زارنى أيضا كردى كهل و قور، رجع من مكة أخيرا. و كل الكرد الحجاج يلبسون العمائم البيض بعد رجوعهم من الحج. و قد

ذهب خلال السنوات الثلاث الأخيرة للحج من منطقة السليمانية ما يقارب الألفى كردى.

و زارنى بعد ذلك عثمان بك، و جلس معى حتى الظهر يستمع بشوق زائد إلى قصص أرويها له عن جيوش أوروبا و معاركها. إن أكثر مناصب المقربين إلى الباشا تنتقل إليهم بالإرث و ذلك خلال حكم الباشا الواحد على الأقل. لقد تسلم المصرف الحالى منصب رئاسة الوزراء بالتوالى فى رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى ؛ ص ۱۲۰

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۲۱

حكومات الباشوات عثمان و عبد الرحمن و محمود، و قد أخبرنى بأنه يتوقع أن يخلفه ولده فى منصبه، و «السلاحدار» أو (حامل السيف) الحالى صبى، ينوب عنه فى أداء واجبه أحد الرجال حتى يبلغ أشده، و هذا الوصى يزاول عنه قوانين- سلطة- ذلك المنصب الذى ورثه الصبى من والده. و لو عم السلام هذه البلاد، و أخذت فيها الوراثة مجراها الطبيعى، لازدهرت ازدهارا سريعا.

و بعد الظهر التحقت بجماعة مصرف فى خيمة منصوبة فى فسحة أمام داره. و كان أكثر و جهاء السليمانية حاضرين هناك. و بعد برهة انضم إلينا كيخسرو بك و قد دخل الخيمة متثاقلا فى مشيته، أو بالأحرى جاءنا متباطئا شارد النظرات و كان كلامه متقطعا بلغة لم يسعنى فهمها و إن أصبحت الآن أفهم اللهجة السليمانية فهما لا بأس به. و كان لدى كيخسرو بك دورق بارود إنكليزى صغير لم يستطع فهم آليته، فطلب منى أن أوضح له طريقة استعماله. و قد لاحظت أن الكرد يطلقون كلمة (ده رمان) الدواء على البارود، و هذا تعبير فى محله. و شاهدنا بعدئذ كالمعتاد عراك الحجل، و لا شك أن كفاية هذه الطيور الصغيرة و جرأتها و ذكاءها من الأمور التى تدعو إلى العجب. و كما ذكرت سابقا إن ما تنشده هذه الطيور فى العراك هو مسك غرمائها من رقابها، مسكة قوية كمسكة الكلب الأفطس (بوول دوك) ثم الطيران بها و بطحها على الأرض، و تؤلف هذه المداورة- المناورة- متعة العراك. لقد خاب أحد الطيور مرارا عديدة فى هجماته، و بحملة غاضبة نقر جناحه مخطئا فأمسك به مسكة قوية صعب معها حمله على التخلى عنها؛ و هكذا علم أنه أخطأ الهدف.

و عند رجوعى إلى الدار أرسل إلى مصرف جوادا هدية منه. و قد أمر الكردى الذى أتانى به أن لا- يقبل منى أى عطية، و لكننا أمسكناه بقوة و إلحاح فخلعت عليه، و من المضحك رؤية وحشى أشعث ذى قامة طولها ستة أقدام، يرفض باكيا قبول هدية تعطى إليه على الرغم من إرادته، و قد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۲۲

أرسلت بعض رجالى معه لتهدئة روع مصرف، رجاء أن يسمح لخادمه بقبول الهدية.

۲۱ أيار: تناولت الفطور مع الباشا فى الساعة العاشرة من صباح اليوم بدعوة منه، و كان أدنى إلى طعام عشاء منه إلى طعام فطور إذ اشتمل على شتى أنواع اللحوم الناشفة و غير الناشفة، و من ضمن الأنواع الأخرى الصحن الشرقى اللذيذ المعتاد و أعنى به الفرهود- قوزى- المحشى المشوى. و قد هيئت صحون الطعام و قدمت على الطريقة الفارسية التى أضافت مفخرة إلى المهارة الكردية إذ كانت أقل دسامة و أطيب مذاقا من جميع أصناف الأكل التى تناولتها فى بغداد فى أى وقت كان. جلست مع الباشا فى صدر البهو، و قد وضع أمامنا خوان مستطيل من الخشب المصبوغ ذو قوائم ترفعه عن الأرض بضع عقد، فصفت عليه صحون الطعام المتنوع، كما وضعت الصحون التى لم يستوعبها الخوان على الأرض بالقرب منا.

و وزعت بين الصحون عدة كاسات مملوءة بأنواع المرطبات- الشرابت- و كلها مبردة بالثلج و كان بعضها لذيذا للغاية. و قد جثا إلى جانب الباشا على ركبة واحدة كردى بدين كالح الوجه، و انهمك بسكب مزيج أبيض فى كأس كبيرة وضع فيها الكثير من الثلج. و كان الباشا يدير وجهه إليه بين آونة و أخرى و يتناول منه ملعقة كبيرة من ذلك المزيج. و كانت نظرة هذا الرجل اليقظة و هو يفرغ ما تحتويه تلك الملعقة الكبيرة فى فم سيده، مضحكة بحيث لم أجرؤ على النظر إليه ثانية. و كان إلى جانبى همجى آخر فى خدمتى، و لما أدرت وجهى إليه تقليدا للباشا ناولنى ملعقة مملوءة من ذلك السائل، فإذا به الشنين مبردا بالثلج، ممزوجا بالإجاص الفج المفروم ،

و قد كان حامضا بدرجة تسيل الدموع من عين شاربه،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۲۳

فلم أكرر طلبه من صاحبى ال (كردوكى). أما رجال الدولة الذين وقف الكثير من الخدم فى خدمتهم فقد كانوا حول موائد مستطيلة فى الجانب الثانى من البهو، و قد أقبلوا على الأكل بنشاط جم، و كانت اللحى تهتز كأنها تساوق وقع لحن بهيج:

ها قد بدا فرح فى القوم، مذ أخذت‌لحاهم رقصة من شدة الطرب

حضرنى هذا البيت من الشعر و أنا أرمقهم يمينا و يسارا، و كاد أن ينال من وقارى و اتزانى. لقد لاحظت أن الكرد لا يزدردون الطعام ازدرادا كالأتراك، بل يتناولونه على مهل و يتسامرون عند الأكل و أن الطعام يوضع أمامهم كله مرة واحدة. و قبل البدء بتناول الفطور قال الباشا قولا أبهج صدر ولد بك أحد رؤساء الجاف فنهض ولد بك الذى كان يتكلم حينذاك و سار متثاقلا راكضا لضخامته بالرغم من جمال مظهره، سار من محله حتى صدر البهو ماضيا فى كلامه طوال الوقت و عند وصوله إلى الباشا بسط الأخير راحة يده فلثمها ثم رجع إلى محله كما نهض منه متثاقلا- متباطئا، أما أعضاء المجلس فكانوا يدخنون و هم على أتم حريتهم على ما يظهر، و يتكلمون كلّما شاؤوا .. أما فى بغداد فلا يجرؤ المصاحبون- مصاحبجى- المستشارون قط على النظر يمينا أو يسارا فى حضرة الباشا، بل يتذللون و ينحنون إثر كل كلمة تصدر من سيدهم، كما أنهم لا يتكلمون إلا إذا سمح لهم بالكلام.

و فى المساء تكلمت مع محمود مصرف فى مختلف أنسال الخيل.

إن الخيول العربية لا تتناسل كما يجب فى كردستان و إن كان الأبوان نجديين أصيلين فأمهارهما لن تصبح سوى خيول اعتيادية. و لعشيرة الجاف نسل من الخيول الصغيرة القوية، اشتهرت كثيرا بقوتها و نشاطها.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۲۴

۲۲ أيار: ذهبت اليوم أيضا إلى النادى فى الميدان، فوجدت الجماعة المعتادة.

إن محمود مصرف يتذكر جيدا كيف أنشئت مدينة السليمانية قبل اثنتين و ثلاثين سنة. فقد صح عزم حاكم كردستان الجنوبية حينذاك إبراهيم باشا والد سليمان باشا الكردى، و أحد أقارب حاكم السليمانية الحالى على نقل عاصمة حكمه من (قه ره جولان)- قه لا جوالان- الواقعة فى الجانب الثانى- الشرقى- من تلال (أزمر) إلى موقع المدينة الحالى، و ذلك أولا رغبة منه فى الشهرة و ثانيا لتسهيل شؤون الصيد عليه إذ كان مولعا به ولعا شديدا، و كان موقع (قه لا جوالان) لا يلائم هذا الضرب من ضروب التسلية إذ إنّه فى واد صخرى ضيق جدّا. و قد سمى مدينته الجديدة بالسليمانية إشادة بذكر سليمان باشا حاكم بغداد آنذاك، و هو والد المرحوم سعيد باشا المنكود الحظ. و كان هنا تل قديم سويت تربته لوضع أسس القصر الذى شيد فى عهد عبد الرحمن باشا و قد عثروا على بعض المسكوكات هناك.

و السليمانية تقع فى منطقة (سه رجنار)، و تحتوى المدينة الآن استنادا على أصح المعلومات التى استقيتها على (۲۰۰۰) دار للإسلام و (۱۳۰) دارا لليهود و (۹) دور للمسيحيين الكلدانيين الذين لهم كنيسة صغيرة كئيبة، و على خمسة دور للأرمن و هؤلاء لا قسيس و لا كنيسة لهم، و خمسة خانات (كروان سراى) و خمسة حمامات منها واحد فقط جيد، و خمسة جوامع منها واحد جيد أيضا.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۲۵

۲۳ أيار: أقام الباشا عصر اليوم حفلة سباق رماية، و نظرا لهبوب ريح شديدة اضطررنا إلى التخلى عنها، فذهبت لأقضى فترة العصر مع عبد اللّه باشا، و حيث يجتمع أعضاء النادى للقائى. و قد جاء كيخسرو بك الذى يظهر بأنه قد كلف بى و إن كان كل منا لا يفهم كلمة واحدة من كلام صاحبه، جاء يجر أذياله كالمعتاد و بعد برهة من الصمت العميق غمغم ببعض كلمات لم أدرك أنها كانت موجهة إلىّ، و لكن عندما كرر الغمغمة أدرت رأسى نحوه فوجدته محملقا فىّ، و عندئذ خاطبنى مصرف باللّغة التركية دون أن يستطيع إخفاء ابتسامة ظهرت على محياه، قائلا: «يريد البك أن يقول إنه يرغب من الصميم أن يراك بين عشيرته (على مسافة ستة أيام

فی أعالی جبال الحدود) و إنه سیستقبلک خیر استقبال». و إننی أعتقد فی الواقع بأنه سیفعل ذلک دون ریب، و أرانی میالا بعض المیل لقبول دعوته.

۲۴ أیار: ذهبت فی الثالثة بعد الظهر مع الباشا لسباق الرمایة، و کان میدان الرمی یبعد عن البلدة مسافة میل و نصف المیل، علی طریق أزمر عند حضیض التلال، و قد جلست و الباشا و عبد اللّه باشا تحت شمسیة و صرنا نشاهد الرمی، و کان أحسن الهدافین عثمان بک. لقد کان حقّا من أحسن الرماة بالبندقیات الثقیلة، و قد رمی کذلک کثیرون غیره رمیا صائبا.

۲۵ أیار: زارنی الباشا صباح الیوم و جلس معی مدة تزید علی الساعة، و لکننی کنت منحرف الصحة لم أستطع الانتباه کثیرا إلی الحدیث الذی

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۲۶

لم یکن فی الواقع ممتعا. و بعد الظهر ذهبت للقاء عثمان بک الذی سرّه أن أشید بمهارته فی الرمی یوم أمس. و کان یرغب کل الرغبة فی أن أعلّمه المبارزة بالسیف، و رمی الهدف بالمسدس، و هذا ما یجهله الشرقیون.

۲۶ أیار: إننی متوعک الصحة الیوم کثیرا، و لم أقابل أحدا.

۲۷ أیار: ذهبت لمقابلة (عمر خزنه دار) و هو سید أنیس لطیف الطبع یسکن بالقرب منا. و عند الکلام عن غرائب کردستان، ذکر لی تخت سلیمان و هو نجد یقال عنه إنه أعلی قسم من جبال (سنه)، و وصف لی بعض الحفریات الفذة أو ما یسمونه بمدینة تحت الأرض فی هذا الجبل، بید أن عددا کبیرا من الحاضرین ذکروا وجود حفریات أخری أوسع من الأولی فی محل اسمه (ده لو) یقع فی تل بین (قه ره داغ) و إبراهیم خانجی و یقال إن مدخل هذه الحفریات ضیق، و لکن ممراتها واسعة جدّا، تتشعب فی اتجاهات عدیدة، مما یجعل و لوجها دون اتخاذ الاحتیاطات المقتضیة أمرا فی غایة الخطورة، فقد ضاع الکثیر من الناس فی مجاهلها، و قد قیل إن هذه الممرات أو البعض منها علی الأقل تمر فی کهوف أو حجر یسمونها حوانیت و بیوتا. و قد ولج هذه الأماکن فی الآونة الأخیرة خمسون شخصا تقریبا و جالوا فیها عدة ساعات و أشعلوا جرة من النفط لإضاءة الطرق أمامهم إلا أنهم لم یصلوا فی طوافهم هذا إلی منتهی تلک الحفریات، و یقول الکرد إن هذه کانت مدینة «جان بن جان» أو أمیر الجن .

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۲۷

و قد أعددت و عمر آغا منهجا للذهاب إلی ذلک المحل و استکشافه علی أن نستصحب معنا ما نحتاج إلیه لاستمرارنا فی العمل مدة أربعة أو خمسة أیام إذا اقتضی الأمر و جبل ده لو هذا یحتوی علی الکبریت و النفط و الشب و الملح و علی عین ماء حامض أصفر اللون.

قضیت المساء مع عثمان بک، و قد هیأ جوقة موسیقیة لتسلیتی، أما أفراد هذه الجوقة فقد کانوا فنانین لا «بخل و لا بخمر»- کما یقول المثل- و هم مغنون بغدادیون من الطبقة الثانیة، إلا أننی تحدثت مع عثمان بک حدیثا طلیا.

و کان أحد رؤساء عشائر الجاف حاضرا فأتیحت لی فرصة لأوجه إلیه أسئلة تتعلق بالحکم بین العشائر و بتنظیماتها، فقیل لی إن لکیخسرو بک، و هو رئیس الجاف بکاملهم، أن یقتل أو یعاقب وفق رغبته، و لیس لدیه مجلس استشاری کما أنه لیس من الضروری له أن یستشیر أی فرد من شیوخ العشیرة و إذا طلب منه الباشا مقدارا من المال أو جماعة من المحاربین استدعی رؤساء ال (تیره) أو الأفخاذ و قسم الطلب علیهم بالتساوی فیسیر هؤلاء علی الطریقة نفسها مع الرجال المقدمین من أفخاذهم. و قیل لی أیضا إن عشیرة الجاف ما کانت تأخذ بنصیبها من إدارة شؤون کردستان إلی أن حل عهد عبد الرحمن باشا.

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۲۸

۲۸ أیار: فی ساعة مبکرة من صباح الیوم ذهبت إلی ملعب (زورخانة) عثمان بک. و لیس لدی ما أضیفه علی وصف (نیبور Niebuhr) لزورخانة (شیراز) المتمیزة بالتمارین المختلفة التی یقوم بها اللاعبون فیما یتعلق فی هذا الملعب و قد زارنی بعد

الظهر كل من عثمان بك و كيخسرو بك و مصرف، و قد قص لى الأخير قصة سيره سيرا إجباريّا مع مفرزة من بغداد إلى السليمانية مدة نهارين و ليلتين و وصوله إليها فى اليوم الثالث، و ذلك فى موسم رياح السموم و كانت المفرزة مؤلفة من ۱۳۰۰ خيال مات منهم زهاء (۲۰۰) رجل و جواد. و قد حدث ذلك بعد وقعة الشيخ تويني من عرب المنتفك، إذ عزل سليمان باشا حاكم بغداد عثمان باشا السليمانية، و نصّب إبراهيم باشا بدلا منه، فرفض جيض عثمان باشا خدمة إبراهيم باشا فقام بذلك المسير الإجبارى فارّا إلى كردستان حيث كان عبد الرحمن باشا، و لا شك أن ذلك كان جهدا عظيما.

۲۹ أيار: قابلت أصدقائى فى الميدان كالمعتاد. و كانت الليلة مزعجة حقّا إذ تغيرت الريح التى كانت جنوبية طيلة النهار إلى ريح شمالية شرقية فجأة عند الغروب، و سرعان ما أخذت تهب هبوبا عنيفا جارفة أمامها سحبا من الغبار و عددا هائلا من البعوض لم أكن أتوقع وجوده فى هذا المكان، و هكذا غدا النوم أمرا مستحيلا طيلة الليل و كانت الريح حارة جدّا تورث الكسل و الخمول. و هذه الريح هى الريح الشرقية المخيفة التى يظهر أنها تهب من أى اتجاه كان بين الشرق و الشمال الشرقى. و هى تحاكى ريح (سيروككو)

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۲۹

التى تهب فى إيطاليا و هى تثير الهلع فى نفوس السليمانيين لشدتها، و تأثيرها السيئ فى الراحة و النشاط. و الأمر العجيب غاية العجب فى هذه الريح، الذى لم أستطع حتى الآن رده إلى أى سبب كان و إن أكده لى جميع أهل هذه البلاد، هو انعدام أثرها بعد ساعتين فى أى اتجاه كان من السليمانية.

۳۰ أيار: جلست ساعة مع الباشا صباح اليوم، و قد ألح للظفر بوعد منى بزيارة السليمانية كل عام، قائلا: إنه سيشيد لى دارا مريحة إن فعلت ذلك. و كان من المتوقع أن يصل السليمانية بعد الغد أخوه الجبان حسن بك و معه دفتردار بغداد السابق رستم أفندى حاملا خلعة لمحمود باشا. و قد اتخذت التدابير لاستقبال الخلعة.

و فى المساء تناولت العشاء مع عثمان بك، و قد دعا جميع وجوه المدينة البالغ عددهم أربعة عشر شخصا لمقابلتى، و كان العشاء عشاء فاخرا حقّا و قد قدم على الطريقة الإيرانية كما كان الأمر فى عشاء الباشا، على موائد مستطيلة يسمون الواحدة منها (خوان جه Khuwan -che) حيث صفت الصحون. و قد تناولنا عشاءنا خارجا على أرض معشوشبة أمام الدار. و قد جلست و البك إلى مائدة فى صدر المكان، و جلس الآخرون وراء موائد وضعت على الجانبين. و جاء كيخسرو بك متمهلا بعد أن بدأنا بالأكل و اعتذر متمتما ببعض الكلمات غير المفهومة، ثم جلس فورا فى صدر إحدى الموائد الجانبية و راح يأكل اللحوم بشهية ظاهرة. و الكرد، كالإيرانيين، يأكلون بتؤدة و يتحدثون خلال الأكل، و يطول وقت الطعام عندهم كما يطول عندنا. و هم ينفرون من طريقة الأتراك فى التهام

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۳۰

الطعام. و يضع الأتراك على المائدة صحن الطعام الواحد و بعد أن يتناول الضيف بضع لقم منه يرفع و يؤتى بصحن آخر. و يلوح أن هذه هى الطريقة التاتارية القديمة، أما الإيرانيون فمتأنون و متريثون فى أكلهم على ما يظهر.

و بعد الطعام ذهب الكثير من الضيوف إلى ديوان الباشا، و مكث البعض لمشاهدة حفلة موسيقية إجابة لدعوة البك. و كان العازفون عازفى الحفلة الماضية، و هم من ضعاف الموسيقيين. لقد دار بينى و بين البك حديث طريف عن حالة بلاده السياسية. و لم يخف عنى شعوره بمقته للأتراك، إذ قال لى: «إنهم مجبولون على الخداع و الغطرسة، و لا يحسن أحد معاملة الأتراك كما أحسن ذلك. فمن خطتى تحقيرهم، و عدم الثقة بهم قط، فالتركى لا يتصرف تصرفا محمودا إلا إذا حملته على خشيتك و عاملته معاملة فظة». و مع أننى لا أرى رأيه برمته فإننى أشعر بأن بعض ما يقوله حق. لقد أعد البك العدة للقيام بمباراة صراع بعد ظهر الغد، و رغب فى أن تقام بدارى، إذ كان يرى فى مجيئى إلى داره مرتين بعض التكلف، بيد أنه لم يكن فى دارى فسحة لإقامة مثل تلك الحفلات فيها.

و قد رجوته أن يتخلى عن المراسيم و التكلف فى مقابلاتنا و صلاتنا فى المستقبل.

و لقد أتيحت لى الفرصة اليوم لأن ألاحظ أمرا كثيرا ما استرعى انتباهى ألا و هو أن الصلاة الشرقية ليست إلا أمرا نمطيّا رتيبا (روتينيّا)، فعندما قامت الجماعة مساء اليوم للصلاة عند آذان المغرب تمتم البك ببعض الأدعية الدينية مدة بضع دقائق قبل أن يشرع أو يبدأ بالصلاة بخشوع عظيم، و لكنه فى فترات الركع، على إثر سماعه ملحوظة تافهة أبديتها لرجل كلمنى (فى فترات الصلاة كذلك)، أدار وجهه ليجيبنى، و وجّه الأوامر إلى خدمه الذين كانوا على و شك تهيئة العشاء منشغلين فى نقل الأطعمة، ثم استأنف الصلاة بركعة أخرى. و كثيرا ما لاحظت عدم

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۳۱

المبالاة و الاكتراث من لدن المسلمين إذ يتكلمون أو يتعاتبون أو ينظرون إلى ما حولهم و هم ركع و لا يزالون يتعبدون. و الواقع أن هذه الصلاة صلاة أسلوبية لا تتغير، بل تتردد و تتكرر بين الناس بدرجة أنها أصبحت تحاكى التمثيل الصامت المضحك. و عندما عاد البك فجلس على الأريكة (الصفة) و الخدم منهمكون يصفّون الصحون، صار يسبّح باسم اللّه و ينقطع عن التسبيح فى فترات ليبدى بعض الملحوظات التافهة.

۳۱ أيار: قضيت صباح اليوم مع عبد اللّه باشا، و ذهبت بعد الظهر لمشاهدة المصارعة و كانت الساحة مكتظة بالجمهور و اعتلى بعض المشاهدين الجدران حيث سمح للجميع بشهود المباراة. و قد تصارع بعض المتبارين على الطريقة القروية دون إلمام كبير بأصول المصارعة، إلاـ أن الكرد سرّوا لما شاهدوا و كان عثمان بك أكثرهم سرورا. و كان اثنان من المصارعين من رجال عزيز آغا ابن مصرف الأـكبر، و هو شاب لطيف أعجب بى الإعجاب كله. و قد ناصرت رجاله ضد رجال البك، و لكن الحظ لم يسعفنى فى مناصرتى لهما إذ طرح الاثنان أرضا. هذا و إن الكرد أشد الرياضيين الذين أعرفهم عزماء سواء أكانوا صغارا أم كبارا، شبابا أم شيوخا؛ و الرياضة هواية الشعب المستحبة لديهم. و قد جمع البك جماعة ليجيئوا دارى بغية إظهار حذقهم فى لعبة السيف.

و عند رجوعى إلى الدار، أرسلت له هدية من أجود مسدساتى و قد سرّ لذلك كثيرا غير أننى علمت أنه لا يحتفظ بما يهدى إليه أكثر من شهر واحد، و أن من يطلب منه حاجة يملكها، إنما يطلبها و هو متأكد من نواله إياها. غير أنى جعلته يعدنى بأن يحتفظ بهديتى تلك للذكرى.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۳۲

۱ حزيران: دخل رستم أفندى المدينة صباح اليوم، دخولا رسميّا قادما من بغداد و بصحبته حسن بك، و قد خرج الباشا من المدينة مسافة ميل واحد لاستقباله، إذ كان الأفندى يحمل الخلعة إليه من باشا بغداد. و يظهر أن باشا بغداد الذى أغوى حسن بك فى ولائه و إخلاصه قد بخس حقه و باعه ثانية و سلمه إلى أخيه المستاء بدون قيد أو شرط. و من حسن حظ حسن بك أن أخاه لم يكن تركيّا أو إيرانيّا. فقد جىء بحسن بك إلى السليمانية سجينا بحراسة مائة كرجى لازموه ليلا و نهارا حتى وصوله المدينة، و كان الانكسار ظاهرا على وجه صاحبنا الشاب، و فى الواقع إن محياه لا ينم إلا عن الحمق، و على كل فإن الطريقة النكراء التى اتبعها الأتراك فى إطلاق سراحه كانت فى صالحه إلى حد ما. و قد عبر السليمانيون عن بكرة أبيهم عن ازدرائهم لباشا بغداد لتسليمه.

لقد قابلت اليوم بعد الظهر فى الميدان سليمان بك أصغر إخوان الباشا، فهو و عثمان بك و الباشا من أم واحدة من العائلة البابانية و هى شقيقة خالد باشا، أما حسن بك فمن شقيقة كيخسرو بك من عشيرة الجاف، و سليمان بك فى الثلاثين من عمره، إلا أنه يظهر أكبر سنّا مما هو فى الواقع، و هو أطول إخوانه الآخرين، و قور، ذو طلعة وديعة و سيمة و ذو طباع رقيقة لا تصنّع فيها.

و كان باقر خان من بين الحاضرين أيضا إلى الميدان، و كان النشاط و المرح باديين عليه على الرغم من حوادث اليوم و من الانقلاب الكلى الذى وقع فى صالح الأتراك. هذا و لا يزال بعض الغموض يحيط ببقائه فى السليمانية حتى الآن، الأمر الذى لم أستطع أن أسبر غوره. و قد تكلمنا عن البختياريين الذين لا شك فى أنهم كرد كما كنت أحسب ذلك من قبل، و لقد سبق للكثير من الحاضرين التحدث إليهم. و لقد عاش باقر

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۳۳

خان و هو كردى كذلك بين البختياريين كثيرا، و يقول إن لغتهم لهجة كردية لورية، و إنه يستطيع فهمها عند تكلمهم بها. و هذا يتفق مع كل ما كنت أحسبه.

۲ حزيران: لقد بدأت غلة الشعير تتوارد إلى المدينة. و قد تأخر الحصاد قليلا من جراء تأخر سقوط الأمطار. و ظهرت بواكير الخيار فى الأسواق الآن و لكنها لا تزال نادرة غالية الثمن، كما نضج بعض التوت، أما الحنطة فلم تنضج بعد و ستحصد فى أواسط حزيران أو أواخره.

و عند ذهابى اليوم لتهنئة الباشا على نواله الخلعة وجدته جالسا فى ساحة معشوشبة فى جانب من القصر و هو مبتهج جدّا. و أخبرنى بأنه قد أمر بإقامة بعض مبارات المصارعة لإيناسى أما هو فلا يستذوق مثل هذه الأمور البتة.

و كان حسن بك الأخ الهارب فى حضرته. إن إعجابى بمظهره أقل من إعجابى بمظهر إخوانه. لقد كان يتمتم بالأدعية طوال الوقت و يبدو أنه قد استعاد حالته الطبيعية تماما بعد المأزق الذى كان فيه، أما قصته الأخيرة فهى: إنه كان الأخ المقرّب لمحمود باشا إلا أن داود باشا بغداد بدأ فى العام الأخير بمراسلته سرّا ساعيا وراء إغوائه على عدم موالاة أخيه و شق عصا الطاعة عليه، و قد نجح الباشا فى ذلك آخر الأمر، فهرب حسن بك إلى بغداد حيث استقبل فيها استقبالا فريدا فى بابه، و بعد مدة و جيزة أسندت إليه باشوية (كوى سنجاق) إلا أنه استدعى من منصبه ذاك بعد بضعة أسابيع إذ وجد باشا بغداد أنه من المستحيل عليه أن يتحدى محمود باشا و الإيرانيون يشدون أزره. و أخيرا عندما علم أنه لا خير يرجى من حسن بك قبل أول عرض موات عرضه عليه محمود باشا و سلم حسن بك إلى أخيه المغتاظ عن حق دون الاكتراث بمصير حسن بك. و إيضاحا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۳۴

لهذه الصفقة أضيف إلى ما جاء فى أعلاه أن أحد ضباط محمود باشا كان قبل اثنى عشر شهرا تقريبا يفاوض داود باشا فى بعض الشؤون، و بعد أن أظهر داود باشا بعض التعنت نزل فى الظاهر عند رغبة الرئيس الكردى و قال لرسوله: «أقسم باللّه و برأس ولدى يوسف، أننى أعتبر محمود باشا كولدى يوسف، و أننى أحبه محبة الوالد لابنه، و أن مصالحه أدنى ما تكون إلى قلبى»، و لكنه كان قد صح منه العزم على مناوأة محمود باشا و كان فى الوقت ذاته منهمكا فى مراسلاته السرية مع حسن بك التى كان يستهدف بها خيانة الرجل «الذى يعتبره كولده يوسف» و القضاء عليه. إن هذه قصة لا شك فيها، و هى إحدى القصص العديدة المتشابهة التى يمكننى روايتها عن داود باشا و التى تكاد تنطبق على جميع الرؤساء الأتراك الذين عرفتهم.

لقد بدأ عثمان بك و كثير من شبان الكرد الجريئين يتمرنون منذ يومين على تمارين السيف، لعرضها علىّ غدا. لقد كان موعد إقامة الحفلة مساء اليوم، و لكنها أجلت من جراء زيارتى الباشا.

۳ حزيران: ذهبت صباح اليوم للترحيب بمقدم رستم أفندى إلى السليمانية، و فى العصر اجتمعت زمرة السيافة فى دارى. لقد علقوا بحبل رزمة من اللبد ذات أربعين طية بعد نقعها بالماء وصال عثمان بك الصولة الأولى و بضربة سهلة شطر الرزمة شطرين فأعقبه حسن بك و هو شاب أنيس فقصم الرزمة أيضا، ثم جاء عزيز آغا فنجح كقرينه. ثم علقوا رزمة أخرى ففشل عثمان بك فى ضربته و إن لم يبق من طيات اللباد إلا على اثنين أو ثلاث، و فشل أيضا كل من عزيز آغا و سليمان بك. ثم صال عثمان بك صولة أخرى إلا أنه كان فى هذه المرة مهتاجا و إذا بنتيجة صولته الثالثة أسوأ من نتيجة الثانية. ثم تقدم عزيز آغا بلفة مقطوعة من اللبد فبسطها

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۳۵

و وضعها على الأرض و قطعها بضربة واحدة و قلده أخوه عبد الرحمن فيما فعل. و أرى فى هذه الطريقة الأخيرة عملا أبهر من بتر اللباد المعلق. لقد سألنى البكّ عما إذا لم تكن هذه أفضل من الطريقة التى نتبعها، فأجبته أنها طريقة لا بأس بها لو استكان غريمك لتقطع أوصاله، كما تستكن رزمة اللبد، و أريته كيف أنه إذا أخطأ الضربة يمسى تحت رحمة خصمه الذى يعرف كيف يستعمل

سلاحه، كما هو المتبع فى أسلوبنا، فظهر أنه اقتنع أخيرا بأن ما قلته هو الحقيقة، إلا أن عزيز آغا لم يقتنع بذلك.

۸ حزيران: وصل فى اليوم الرابع من الشهر المستر (به ل) و منذ ذلك اليوم و أنا أزور أصدقائى الكرد و استأنس معهم، و لم أجد ما يجدر ذكره، و قد جعلنى تأثير الرياح الشمالية الشرقية المتعبة أعزف عن الكتابة. و لقد تحدثت بعد ظهر اليوم مع عمر آغا و محمود آغا بعض الوقت فى زراعة كردستان. يتراوح إنتاج الحنطة الاعتيادى للحبة الواحدة بين الخمس و العشر، و قد يكون خمس عشرة إلا أن ذلك يعد غلة غير اعتيادية.

و كانت غلة العام الماضى شحيحة لم تنتج إلا اثنتين للحبة الواحدة، و الحنطة و الشعير يزرعان بالتناوب فى الأرض الواحدة، و الكرد يزرعون معتمدين على المطر، و يسمى هذا النوع من الزرع بالديم و هنالك نوع

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۳۶

من الحنطة تسمى (بهاره) يبذر فى الربيع و يحتاج إلى الرى الاصطناعى، و لا تترك الأرض فى السهول بوارا، بل تزرع حنطة أو شعيرا بالتناوب، أما فى الأراضى التلية فيجب مراوحة التربة بين سنة و أخرى، أما القطن فيجب أن لا يزرع قط مرتين متواليتين فى الأرض الواحدة و يغلب زرعه مع التبغ مناوبة.

و القطن كله من النوع السنوى (بكسر السين) و هو يحتاج عادة إلى الإرواء على أن قسما منه يزرع فى التلال ديما. و يستعمل السماد فى تسميد الكروم و التبغ فقط. أما الشلب فلا يشتل سنين متعاقبة فى الأرض الواحدة، التى يمكن الانتفاع بها فى زرعها بحبوب أخرى و أكثر ما يزرع فى منطقة شهرزور، و لا يزرع القنب أو الكتان فى كردستان. و لقد أخبرنى عمر آغا بأنه بذر فى هذه السنة قليلا من بذر الكتان حصل عليه من حاج جاء به من مصر. و تزرع أيضا فى كردستان الذرة الهندية و الذرة البيضاء كما يزرع العدس و الحمص و الدخن و نوع أو نوعان من الماش.

أما أفدنتهم فيجر الواحد منها ثوران.

و لا تنمو أشجار البرتقال أو الليمون فى كردستان، و ذلك لأن حرارة الصيف تتجاوز حد الاعتدال حقّا، أما برودة الشتاء فقارصة بالنسبة لهذه الأنواع من الأشجار. لقد جلب الباشا أخيرا بعض أشجار البرتقال الإشبيلى و الليمون الحلو من بغداد لجنينته الجديدة و لكن الشتاء الأول أماتها كلها، و يزرع شجر الخروع فى جميع أنحاء كردستان، و قد يزرع أحيانا فى مزارع منفردة و أحيانا مع القطن سوية.

۱۰ حزيران: لقد انحرفت صحتى كثيرا فى اليومين الأخيرين و أعتقد أن السبب الرئيسى لذلك هو الحر إذ إننا عائشون الآن فى خيمة حتى يتم إنشاء مسكن صيفى كردى لنا،- جارداغ- و حرارة الشمس تنفذ قوية إلى داخل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۳۷

الخيمة من جنفاصها حيث ترتفع إلى ۱۰۳ أو ۱۰۴ درجة، و لا ترتفع فى السيباط إلى أكثر من ۹۲ درجة.

اقترح الباشا اليوم إقامة حفلة استعراض خيل على إثر رجوع أكثرها من المراعى، فاعتذرت عن الحضور لأن النية كانت منصرفة لإقامة الاستعراض فى أشد ساعات النهار حرارة، فأرجىء الاستعراض. و ما كنت أتصور أن الغرض من كل ذلك هو تسليتى و لو علمت ذلك لحاولت حضور الحفلة، و حالما علم الباشا بانحراف صحتى زارنى فورا دون أن يخبرنى، و بسرعة لم تفسح لى مجالا لإخراج الحرس إلى باب الدار قبل وصوله إليها، فجلس معى مدة ساعة و نصف ساعة و أخبرنى بأن باشا بغداد طلب منه أن يبنى حصنا و اعدا بتجهيزه بالمدافع و المهمات. و لذلك رجانى أن أركب جوادى لأبحث عن مكان قريب ملائم لإقامة الحصن، كما طلب منى أن أعاونهم فى تخطيطه فوعدته بذلك حين استعيد صحتى.

ثم انتقل الباشا إلى بحث علم الفلك عند الأوروبيين، و هو موضوع تطرق إليه من قبل مرارا عديدة. و قد استفسر بوجه خاص عن جبال القمر و قال بأنه تعلم من دينه بأن القمر قطعة من الحديد جلاها القادر الأعظم لتعكس أشعة الشمس على الأرض. و قد أمر

(المنجم باشی) أو رئیس الفلکیین أو المنجمین أن یعد لی خریطهٔ العالم علی الطریقهٔ الشرقیهٔ ففعل و أعطانیها، و کانت فی الحقیقهٔ مرسومهٔ رسما جیدا.

و دعانی الباشا إلی الذهاب إلی القصر غدا لأحضر حفلهٔ القطع بالسیوف إذ إن عثمان بک ما زال منذ الحفلهٔ الأخیرهٔ یعد نفسه لذلک و قد رجانی أیضا أن أریه تمارین السباهیین- الجنود الهنود.

۱۱ حزیران: دشنا الیوم سیباطنا- جارداغ- و کان طوله ثلاثین قدما و عرضه ۱۵ قدما تقریبا، و هو یکاد أن یکون بدائیًا فی هندسته إذ غرزت فی الأرض

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۳۸

ثلاثهٔ صفوف من الأعمدهٔ، کل صف من أربعهٔ أعمدهٔ ذات رؤوس متفرعهٔ إلی فرعین، و ارتفاعها سبع أقدام تقریبا، و وصلت هذه الرؤوس بجسور و وضعت علیها العوارض و کومت أغصان السندیان و أفنانه علی تلک العوارض بارتفاع قدمین أو ثلاث أقدام، یعلوها بعض الآجر لتثبیتها فی محلها. و بعد أن تم إنشاء السیباط فرشوا الأرض، و عملیهٔ الفرش هذه بدأت أولا بطبقهٔ من الطین الاعتیادی ملط بعد جفافه بطبقهٔ من الطین الأحمر الممزوج بالتبن، و أحیطت الأرض بکاملها بدکهٔ بارتفاع ست عقد. فهذا المسکن و غیره من أحجام مختلفهٔ هو النوع الاعتیادی من المساکن التی یقطنها الکرد خلال أشهر الحر. و هم یمدون فرشهم علی السطوح لیلا و یتقون أنظار الغیر بسیاج من القصب اسمه (جیغ) ینفذ الهواء من خلاله. و یکون عادهٔ فی وسط أکبر السرادق و أنظمها حوض، تتوسطه أحیانا نافورهٔ ماء تلطف الهواء کثیرا.

أقیمت حفلهٔ لعبهٔ السیوف فی هذا المساء فی قصر الباشا، و لکنها لم تنل النجاح المنشود. و قد دار حدیث آخر بینی و بین الباشا فی الفلک.

و لقد أشاع منجمه عنی بأننی لست دون مه سکه لاین(Maskelyne) أو هه رشه ل(Herschel) فی براعتهما. و کان المفروض أن یبدأ صیام رمضان فی الیوم الثالث عشر، إلا أننی أکدت للباشا بأن الهلال قد هلّ، و قد أنبأته عن الساعهٔ و الدقیقهٔ التی هلّ فیها فأمر بعد أن فارقته ببدء الصیام اعتبارا من الغد.

۱۵ حزیران: نظرا لحلول شهر رمضان، جلست فی الدار من التاسعهٔ بعد الغروب حتی منتصف اللیل مستقبلا الزائرین، إذ إن المسلمین یجعلون لیلهم نهارا خلال شهر الصیام فینامون فی النهار و یقضون ساعات الصیام بالاعتکاف و تلاوهٔ القرآن و یکرّسون اللیل للأکل و استقبال الزوار.

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۳۹

کانت تسلیتنا لیلهٔ أمس الاستماع إلی عزف من کردیین فلاحین علی ال (بلویر) أو مزمار الکرد المصنوع من القصب، و قد عزفا سویهٔ و کانت الأنغام خافتهٔ شجیهٔ، إلا أن الألحان کانت حزینهٔ و رتیبهٔ مملهٔ إلی حد ما، و کانت أحسن الألحان أغنیهٔ اسمها (لیلی جان) و أخری تبتدئ بکلمات (ئه زده نالم) .

و قد أراد أحد خدم مهمانداری أن یغنی، فبدأ بأنشودهٔ کئیبهٔ مؤلفهٔ من أبیات شعریهٔ عدیدهٔ، و کان یصل بین شطری البیت الواحد بنحبهٔ و ینهیه بشهقهٔ، أما الأغنیهٔ ذاتها فکانت تمثل العویل.

و یسمی مزمار الراعی الکردی بالشمشال و هو مصنوع من الخشب المخروط و صوته عال، إلا أنه غیر مستنکر، و لا سیما عندما تردد الجبال صداه، و للرعاهٔ نداءات خاصهٔ لجمیع أغنامهم، و یقال إن هذه الأغنام تدرک معنی تلک النداءات الإدراک کله. و هذا المزمار یحتاج إلی نفس عمیق یخرج العازف عند العزف علیه صوتا أشبه بالهمهمهٔ و ذلک بشدهٔ التضییق علی نفسه. و قد غنی لنا کورانی من (سنه) أغنیهٔ سنویهٔ کانت أشبه بصرخهٔ حزینهٔ، و قد أبان السلیمانیون الحاضرون أنهم لم یفهموها إلا قلیلا.

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۴۱

الفصل الخامس الجندى الروسى الباسل- قسوة أمير كرمنشاه

- التقى المسلم العظيم- منتجات كردستان الطبيعية- تقوى محمود باشا- قصة- توقيف عبد اللّه باشا- العيد- العشائر الكردية- قصة- عشائر بلباس- العوائل الحاكمة فى كردستان

*** ۲۴ حزيران: تزاورت و الباشا و عثمان بك و صحبى الآخرون (و كانت كلها ليلية) فى الفترة منذ أن دونت يومياتى الأخيرة، إذ كنت منحرف الصحة فتجنبت الكتابة، و إننى لا أذكر الكثير مما يستحق التدوين. لقد كانت أغلب أحاديث الباشا، منذ حلول شهر رمضان تصطبغ بصبغة دينية، و هو يظهر تمسكا بتقواه و بإيمانه تمسكا يفوق المعتاد، دون أى تعصب أو كبرياء مما يظهرهما أى تركى أقل تعبدا منه.

قال لى الباشا: «إن أشجع رجل عرفته فى حياتى كان جنديّا روسيّا مسكينا، رأيته عندما رافقت الأمير محمد على ميرزا فى غزوه بلاد الكرج، و كان هذا الرجل حامل رسائل، أسره الإيرانيون و اقتادوه إلى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۴۲

الأمير الذى استجوبه عن واجبه، فأجابه الجندى: إن واجبى تتضمنه الرسائل التى أحملها و هى باللّغة الروسية، فاقرأها إذا تمكنت. و لما رأى الأمير عدم إمكان الحصول على أية معلومات منه كلفه أن يعتنق الإسلام فرفض الجندى التكليف فهدده الأمير بأقسى أنواع التعذيب، إلا أن عزم الرجل لم يهن مطلقا، فأمر الأمير عندئذ بحفر قبر، و فى مدة الحفر كان الجندى يضحك و يتكلم مع من كان حوله دون أى اكتراث. و بعد أن أعد القبر عاد الأمير فسأله عن رغبته فى الإسلام، و على إثر رفضه ذلك أمر الأمير أن يقبر حيّا فقبر على الرغم من مسعاى للحيلولة دون القيام بذلك العمل الوحشى. إنه من المؤسف مشاهدة امرئ طيب، شجاع، يضحى من أجل دينه. ترى ما دخل الأمير بمعتقد ذلك الرجل؟ ...».

و على أثر سماعى هذه القصة الفظيعة، لم يسعنى إلا أن أفكر بأننى لو كنت قائد جيش روسى و أتيح لى أسر الأمير لما ترددت لحظة فى شنق سموّه على أول شجرة نمرّ بها.

قضيت مساء أمس أيضا مع الباشا، نتحدث فى مواضيع شتى. و قد أخبرنى بأن الأهلين فى كردستان معرضون إلى حمّى يسمونها (كه رانى تى(Gheraniti و معناها التوعك، و هى تستمر ثلاثة أو أربعة أيام و تنتهى بعرق غزير تاركة المريض بعد ذلك فى حالة هزال شديد. و تظهر هذه الحمى فى الربيع عادة، و يندر أن تقضى على من يصاب بها.

و يقطن السليمانية مسلم زاهد كبير، اسمه الشيخ خالد، إلا أن الكرد يعتقدون أن من الامتهان أن ينعت بغير (حضرة مولانا) و أنهم يعترون أقواله اعتبارهم «الأحاديث». و هو من عشيرة الجاف، نقشبندى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۴۳

الطريقة، انتسب إليها فى (دلهى) بإرشاد الصوفى الشهير سلطان عبد اللّه، و له من المريدين (۱۲۰۰۰) مريد فى مختلف أنحاء تركيا و البلاد العربية.

و الكرد جميعهم يعتبرونه وليّا، و الكثير منهم يضعونه فى صف نبيهم. و قد قال لى عثمان بك، إنه هو و الباشا و جميع زعماء الكرد تقريبا كلهم من مريديه، فهو على الأقل فى منزلة واحدة مع الولى المسلم الشيخ عبد القادر الشهير.

۲۵ حزيران: جرى حديث طويل بينى و بين عمر آغا فى الليلة الماضية عن منتجات كردستان الطبيعية. إن مدينة كركوك هى السوق التى ترسل إليها جميع منتجات هذا القسم من كردستان، لا من قبل الكرد أنفسهم بل من قبل الكركوكيين الذين يأتون السليمانية لهذا الغرض، و يسلّفون المزارعين المال لقاء شلبهم و عسلهم و غيرهما. و كردستان تنتج مقدارا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۴۴

کبیرا من أجود أنواع العسل، و یحفظ النحل فی خلایا من الطین. و تنتج کردستان الکثیر من العفص لا سیما من غابات البلوط فی (قه ره داغ)، و یصدّر العفص إلی کرکوک و منها إلی الموصل. و الأشجار التی یسیل منها الصمغ العربی، تنبت بریهٔ فی الجبال، و أزهارها عنابیهٔ اللون تسمی (که و ه ن-Ghewun).

و یتکون المن علی أشجار البلوط، و یقال إن أشجارا عدیدهٔ أخری تنتجه أیضا، و لکن بمقدار غیر و فیر و من نوع غیر جید، و یجنی المن بجمع أوراق الشجر و تجفیفها و نفضها نفضا رفیقا لیتساقط منها علی مفرش من القماش، و هکذا یصدّر إلی الأسواق بکتل ممزوجهٔ بالکثیر من سقط الأوراق الذی ینقی منه بعد غلیه. و یوجد نوع آخر من المن یعثر علیه فوق الصخور، و هو نقی أبیض مرغوب أکثر من المن المتساقط علی الشجر. و یبدأ موسم المن فی أواخر حزیران، و یقول الکرد إنه إذا بردت اللیالی فی موسمه أکثر من المعتاد نزل المن من السماء، و هم یزعمون العثور عادهٔ علی أکبر مقدار منه فی صباح کل لیلهٔ من تلک اللیالی. و قد ذکر لی عمر آغا أیضا أسماء عدهٔ أشجار و حیوانات بالکردیهٔ و ها إننی أدونها مع غیرها من الکلمات التی تعلمت معانیها، و یظهر لی أن الکثیر منها فارسی:

(الزعرور، أو زعرور الأودیهٔ: کویز Goizh) و (اللوبانهٔ المغربیهٔ، أو القتاد: خوزیلک Khuzhilk) و (النسرین أو الجلنسرین: شیلان-Shilan) و (البرسیم أو الجت: سی به ر ه Seipara -) و (الخطمی: هیرو-Heiro) و (عباد الشمس: کول روزیان بره ست-Gul Rozhian Parast - و الصحیح کوله به روزه: Gula Ba Rozha :

المترجم) و (الشقائق: دیزیلک DizilK -) و (الحسک أو الفرقد :

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۴۵

که و ه ر Kiwar - و الصحیح کنکه ر، و الکه و ه ر هو الکراث؛- المترجم) و (اللفلاف: لولان-Lulan - و الصحیح: لاولاو- المترجم).

و (الحور أو الدلب: سبیدار-Spidar) و (الصفصاف المستحی: شوره بی-Shorabi) و (شجرهٔ التربنتینا: داری به ن Dariben)- و قد تلتبس بشجرهٔ البطم إلا أن البطم هو فی الکردیهٔ «قه زوان»، و شجرهٔ التربنتینا أکث و لا تثمر- المترجم).

و تنمو أشجار التربنتینا فی الجبال، أما التربنتین فیجمع منها بجرح الشجرهٔ فی الربیع، و وضع أکواز تحت شقوق الجروح لینسکب فیه سائله، و هو من النوع الجید جدّا. و یسمی عندهم أبو الحناء (عصفور أحمر الصدر) ب (فه نده کوله-Fandagula)، و الصحیح (فیرنه کوله- المترجم)، و السلحفاهٔ ب (کی سه ل) و سمک اللوت أو النقط ب (کاشی نه).

و یوجد هذا الأخیر بکثرهٔ فی أغلب الجداول الجبلیهٔ. و یسمی السمانی، أو السلوی ب (قاراواره-Karawara)، و هنالک نوع من الحجل أصغر من الحجل ذی الأرجل الحمراء، و هو ذو لون مائل إلی الزرقهٔ، أو أنه ذو لون أربد اسمه (So ?iske سوس که- الأبلق)، و یسمون العنب ب (تری)، و الوادی ب (دول) و السید ب (یایه)، أما سیدات العوائل الحاکمهٔ فیطلقن علی أنفسهن لقب (خانم) و أما لقب السیدات الکردیات الأخریات فهو ال (یایه)، و الظاهر أن هذا هو التعبیر الکردی الأصلی للسیدهٔ، و لیس للرجال من نعوت فی الأصل فکلهم بکوات أو خانات أو آغوات.

۱ تموز: زارنی الباشا مساء هذا الیوم. و هو و لا شک، و بدون استثناء، أبعد المسلمین الذین عرفتهم عن التصنع، و أتقاهم فعلا. و قد قص علیّ هذه

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۴۶

اللیلهٔ قصهٔ، لا تبجحا منه، بل ذاکرا واقعهٔ حدثت له تبین فوائد الإیمان باللّه و تمثله أصدق تمثیل. و إنی سأسعی لروایهٔ القصهٔ کما رواها لی قدر المستطاع؛ و لو ذکرتها بغیر تعابیره البسیطهٔ الدینیهٔ لفقدت الکثیر من قیمتها. قال لی: «حین کنت رهینهٔ فی کرمنشاه عن ولاء والدی المرحوم، اضطر والدی إلی تأیید المصالح الترکیهٔ بحکم الظروف، و هکذا أصبحت حیاتی مهددهٔ، فأرسل الشهزادهٔ

بطلبى ليقتلنى و كان الوقت ليلا، فاقتدت إليه مكتوفا، و كان الأمير جالسا فى بهوه الذى تضيئه شموع وضعت فى وسطه و كان الجلاد واقفا متأهبا لإنجاز واجبه.

و أقول فى هذا الصدد إن الكثير من الرجال الذين يجابهون الموت فى ساحة الشرف، قد يتملكهم الهلع إذا ما أخذوا إلى الجلاد مكتفين. لقد كان مشهدا مرعبا: «لا أراكه اللّه» و إننى أعترف بأن قواى قد خارت و خاننى جلدى حينذاك. و لكننى و أنا فى كربتى تلك حثّنى وعى للاستنجاد باسم المولى جل شأنه، فشعرت من فورى بالطمأنينة تغمر نفسى و كأن الكلمات التالية قد رن صداها فى خلدى: «ألم أكن أنا الذى أخرجتك من بطن أمك، و وقيتك من الأخطار حتى الساعة؟ ألست بالقادر على القضاء عليك فى أية لحظة أشاء؟ إذن لم هذا الخوف؟ أيسع الرجل أن يسىء إليك إلا بإرادتى؟» و فى تلك اللحظة شعرت بالراحة، و طرح الفؤاد عنه الوجل فوقفت أمام الأمير دون خوف أو هلع. و إنى لأبتهل إلى اللّه الذى جعل الأمير المصر على قتلى عندما طلبنى يعدل عن رأيه و يأمر بإرجاعى إلى السجن دون أن أصاب بسوء ...».

و بينما كنت جالسا فى الليلة الماضية بين جماعة كبيرة فى دار عمر الخازندار، و قد مر المساء بهدوء و دفء، و انهمك الجمع كله فى الحديث، هبت فى اللحظة التى طلع فيها القمر فى حوالى الساعة العاشرة ريح شديدة الحرارة من الشمال الشرقى، فوجمت الجماعة من فورها كأنها شعرت بهزة أرضية على حين غرة ثم قال الكل بنبرة كئيبة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۴۷

«لقد هب الشرقى ..» . حقّا لقد كانت تلك الريح، هى الريح الشرقية المرعبة، و لقد استمر هبوبها منذ تلك اللحظة بسرعة شديدة من الشرق و الشمال الشرقى، و كانت حارة حرارة سموم بغداد. إلا أننى أعتقد أنها أخف و طأة، و أبعث إلى الكسل. و هذه الريح بلية هذه البقاع، و لولاها لكان مناخ السليمانية مناخا لطيفا جدّا.

تقع مدينة السليمانية فى منخفض يبعد مسافة ميلين تقريبا عن حضيض سلسلة التلال الشرقية التى تنحدر سفوحها الركمة نحو المدينة التى شيدت فى سفح منها يكاد أن يكون و هدا. أما التلال المجاورة فجرداء شديدة الميل قد يبلغ ارتفاعها الثلاثمائة ياردة تقريبا، و هى بمثابة مرايا عاكسة لأشعة الشمس التى تسطو عليها طيلة أيام الصيف من السابعة صباحا حتى الغروب، و تنقل الريح التى تهب على سفوح تلك التلال حرارة تلك السفوح معها إلى المدينة عند هبوبها من الشرق و الشمال الشرقى.

و عند شرق المدينة تنعطف هذه التلال قليلا إلى الوراء فلا تجعل الريح الجنوبية الشرقية رديئة كالريح الشمالية الشرقية، و هى شر البلايا. و تتميز الريح الشرقية هذه بكونها ساخنة تبعث الفتور على حد سواء فى البقعة طوار خط التلال هذا. و لكن تأثيرها لا يصل غربا إلى أبعد من نهر (تانجرو). و إذا ما عبرت مرتفعات التلال انقطع عنك تأثيرها كليّا. و تسود هذه الظاهرة الطبيعية (كوى سنجاق) أيضا التى تقع فى واد ضيق يضاهى وهد السليمانية مظهرا، إلا أن التلال فيها أكثر ارتفاعا، و ريحها الشرقية أقوى و أكثر حرارة، و يندر أن تهب هنا هبوبا شماليّا. أما الجهات الغربية فمناخها كلها ملائم. و يجب علىّ الآن أن أذكر حقيقة غريبة فى بابها لم يهدأ لى بال حتى تأكدى منها باستقصاء طال أمده: يسود الهدوء الجو

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۴۸

عند الفجر عادة، و بارتفاع الشمس فوق التلال تهب من الشرق ريح خفيفة يستمر هبوبها حتى الزوال. و عند الظهر يهب عادة من الجنوب نسيم أو قل هبّة ريح قوية أو هبتان قويتان. و إذا ما مالت الشمس إلى الزوال انتقل الهبوب إلى الغرب. و قد وجدت الإصباح مما لا يرتاح إليها المرء، أما الأعصر فبهيجة جدّا، يهب عندها نسيم عليل من الغرب. و إننى لاحظت هذه الظاهرة الجوية فى جميع الأيام التى لا تهب فيها الرياح الشرقية، أما أشد ساعات النهار حرارة فتبدأ مع الظهر و تنتهى فى الثالثة بعده.

۶ تموز: كنت فى ليلة أمس مع عثمان بك و قد وجدته شارد البال، منقبض النفس كثيرا بالرغم مما بذل من جهد كبير لمكالمتى و إيناسى. و قد لاحظت الحالة ذاتها عند الباشا الذى قضيت مساء اليوم السابق معه.

و بعد أن غادرت مجلس عثمان بک بقليل و كانت الساعة حوالى الحادية عشرة قبل منتصف الليل، أوقف عبد اللّه باشا، و حجز فى غرفة منعزلة عن حرم القصر، و قد سارت فى الوقت ذاته مفرزة بقيادة سليمان بک للقبض على إخوان عبد اللّه باشا الذين يقطنون فى مقاطعتهم فى منطقة غرب السليمانية. و الدافع لهذا العمل كما علمت هو:

عندما قرر محمود باشا فى نهاية الأمر، و قبل زمن قصير، الاستسلام للأتراک، ذهب بصحبة عمه عبد اللّه باشا و أخويه عثمان و سليمان إلى الشيخ خالد رجل السليمانية التقى الكبير آنذاک. و أقسم هؤلاء الثلاثة يمين الولاء لمحمود باشا. و نظرا لتوقعهم محاولة أمير كرمنشاه استمالة أحدهم إلى جانبه و تحريضه على الباشا و مناوأة الأتراک، أقسموا على السيف و القرآن و بالطلاق بأنه إذا تلقى أى منهم كتابا من

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۴۹

ترکيا أو إيران فإنه يفتحه فى دار الشيخ خالد و بحضور من اتفق على ذلک كلهم. و كان عثمان بک أول من اختبر فى الأمر، إذ تلقى بعد مدة قليلة كتابا من الشهزادة يدعوه به إلى كرمنشاه و يعده بتقليده منصب باشوية السليمانية. و قد أبلغ عثمان بک أخويه بهذا الكتاب من فوره و تسلم عبد اللّه باشا كتابا آخر بذات المعنى، و لكنه أخفاه عن الآخرين خلافا للاتفاق الذى تم بينهم. و لم يعلم محمود باشا بحقيقة هذا الكتاب إلا بعد أن أنبأه به ساع سريع أرسله باشا بغداد الذى عرف بأمر الكتاب بطريقة ما، و الذى أوصى محمود باشا بإلقاء القبض على عمه. ما كان محمود باشا ليصدق الخبر فى بادىء الأمر، و قد رفض رفضا باتّا اتخاذ أية إجراءات إزاء عبد اللّه باشا و لكنه فى الوقت ذاته قرر مراقبة حركاته عن كثب، و أخيرا تأكد من «خزنة دار» عبد اللّه باشا بأن عمه كان يعد العدة للفرار إلى كرمنشاه، فكانت نتيجة ذلک توقيفه.

و فى العام الماضى سلم باشا بغداد عبد اللّه باشا أو بالأحرى غدر به غدرا شنيعا بتسليمه إلى محمود باشا، فأمسى عبد اللّه باشا تحت رحمة ابن أخيه الذى لو كان فى موقف المنتقم منه لخف فى القضاء عليه سرا أو علانية دون إبطاء و دون خشية حساب، و لكن لم يخطر على بال محمود باشا شىء من هذا القبيل، بل عامله بالحسنى، و منحه منطقة من أحسن مناطق كردستان ليستعين بمواردها على عيشه، علاوة على تسويته جميع الديون التى أثقلت كاهله خلال مكوثه فى بغداد؛ و فى الحقيقة أنه منحه أكثر مما يستحق، هذا إذا اعتبرنا احتياجات عبد اللّه باشا ذاته و مطالب أعضاء عائلته الآخرين. و على ذلک فإن مقابلة هذا المعروف، تلک المقابلة المشينة، لم تكن منبعثة إلا عن حالة سوداوية.

۱۰ تموز: مكث الباشا معى بعض الوقت هذه الليلة، و كان منقبض النفس

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵۰

كثيرا. و قد تكلم عن أعمال عمه بتأثر عميق، و عن شعوره عند اكتشاف خيانته. و قد دلت المشاعر التى أفصح عنها (و كانت و لا ريب مشاعر صميمية) على درجة من الإحساس و الإخلاص و حسن السريرة، لا أتذكر أننى لمست مثيلتها فى الشرق مطلقا، كما أننى أخشى أن لا أجدها فى البلاد الراقية كثيرا. و تكلم الباشا عن شؤونه الخاصة و استشارنى فى الكثير منها.

أشعل علم من النار على التلال المقابلة إعلانا برؤية الهلال فى تلک الناحية، إذن فيوم الغد هو يوم العيد.

۱۱ تموز: تحادثت طويلا مع صديقى الفطن عمر آغا، فى أمور عديدة تتعلق بالكرد و بلادهم، و ها أنا أدونها كيفما اتفق.

إن الخوشناويين و الراوندوزيين متوحشون أغبياء غاية التوحش و الغباء، و لا يردهم عن قتل الإنسان و ازع، و لكن الصلاة لا تفوتهم مهما كلفهم الأمر و إن كان المعلوم عنهم أنهم يتقاتلون فى الجوامع. حدث نزاع على كلب قبل عدة سنين بين رجال منطقتين أسفر عن قتل سبعين شخصا، قتل منهم ثلاثون فى الجامع بعد أن اشترک الفريقان فى الصلاة سوية، و هم لا يزالون يتناحرون بين وقت و آخر لأسباب تافهة مثل هذه.

و لا ينتهى العراک بينهم إلا بعد أن يقتل بعضهم. هنالک رئيس خوشناوى غاب عنى اسمه لا يزال حيّا يرزق، حطت فى يوم من الأيام

ذبابة على عينه فأضجرته، فأبعدها فعادت ثانية و ثالثة حتى غضب فاستل خنجره و طعن به عينه فأعماها و كاد أن يموت.

و لكل رجل من عشيرة (بلباس) مهما كانت منزلته الحق فى إبداء

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵۱

الرأى فى الشؤون العامة. فقد تتفق مع الرؤساء البلباسيين على صفقة تجارية، فينهض فجأة أحد أفراد العشيرة و يقول: «لا أوافق على ذلك» و هذا القول وحده يكفى للقضاء حالا على الاتفاق بكامله. و من ذلك أن عبد الرحمن باشا بعد أن انتهى من حرب اشتبك فيها مع البلباسيين عقد معاهدة تنص على زيارة كاكا حسن أو الأخ حسن رئيس البلباس السليمانية على أن يبقى سليم بك شقيق الباشا رهينة عند البلباسيين.

و عندما شرع كاكا حسن بالرحيل وضع أحد أفراد العشيرة يده على قبضة خنجره و قال بكل هدوء «إذا قبض البابانيون على كاكا حسن فهم قاتلوه لا محالة، و سيفخرون بعد ذلك بإراقة دم رئيس بلباسى، و على هذا فمن الأفضل لى أن أقتله بنفسى هنا». و ضاعت كل محاولة لرد ذلك الرجل عن غيه سدى، و على ذلك امتطى سليم بك جواده و قرر الرجوع إلى منطقته، دون أن يرى باعثا للتكلم مع كاكا حسن. و بعد أن ابتعد قليلا، غيّر الوحش رأيه فى الأمر فصار يصرخ من ورائه و يدعوه إلى العودة قائلا: «خذ كاكا حسن و اذهب معه سوية، فإننا لا نريد رهينة، و إن كنتم رجالا فستعاملونه بالحسنى ..» فاستحسن البلباسيون جميعهم هذا الرأى و سار البك و كاكا حسن إلى السليمانية سوية .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵۲

و بين البلباسيين فئة من القرويين أو التوابع ليس لها الحق فى إبداء رأيها فى شؤون العشيرة، و العشيرة تعدها فئة وضيعة جدّا. و إنك لتجد هؤلاء الناس فى جميع أنحاء كردستان و هم ليسوا بعشائريين أو قبليين.

و رجال العشائر ينعتونهم ب «كه له و سبى»(Kalawspi) أى ذوى القبعات البيضاء و كذلك ب (كوران). و الاسم الأخير هو اللقب الصحيح لأهالى سنه، و رجال القبائل يصطلحونه للإهانة خاصة عند الإشارة إلى الجبناء.

ألم يكونوا هؤلاء سكان البلاد الأصليين الّذين تغلبت عليهم العشائر الجبلية الشديدة البأس؟ و هنالك بعض العشائر المتشردة تابعة إلى حكومة (سنه)، أما الأهلون المستوطنون فهم كورانيون بكاملهم .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵۳

و من بين العوائل الحاكمة فى كردستان عائلة (بهدينان) و عاصمتهم العمادية و هى من أشرف العوائل، بل و ينظر إليها نظرة تقديس لانتساب أفرادها إلى الخلفاء، و لكن نظرا إلى قدم اسم العائلة فقد تكون أقدم من الخلفاء عهدا و لا يجرأ أحد على استعمال أى آنية أو غليون يشبه ما يستعمله أمير تلك العائلة، حتى و لا- حامل غليونه حين يطلب إليه أن يولعه أو يختبره قبل تقديمه إلى سيده. و لشخص الأمير من القدسية ما يحمل العشائر فى أشد المعارك أن يسقطوا السلاح من أيديهم إذا ما اقترب منهم، و مع ذلك فإن سلطته معدومة، أو قليلة جدّا على القبائل المحاربة الشديدة المراس التى تتألف منها رعيته. و هو لا- يجبى أى مورد من موارد مقاطعاته، و لكنه إذا أراد مبلغا من المال لأى غرض طارىء امتطى بغله و طاف على رؤساء القبائل و نزل عند كل منهم ليلة، و عند ذلك لا يسعهم استجابة لحقوق الضيافة أن يرفضوا له طلبا، و فى الصباح عندما يغادر مضيفه يتقدم رئيس القبيلة التى قضى عنده الأمير ليلته بمبلغ من المال كهدية له.

و هو يتمثل بأطوار الخلفاء العباسيين المتأخرين، إذ يقضى يومه فى عزلة، فيقدم له خادم طعامه و يتركه حتى ينتهى منه. و بعد أن يتناول كفايته من الطعام يسوى ما تبقى فى الماعون منه كى لا يلحظ أحد من أى جانب تناول طعامه، ثم يدعو أحد الخدم ليرفع المائدة و ليأتى له بالإبريق و الطشت ليغسل يديه، ثم يجيئه بغليون و ينصرف عنه. و الباشا أنيق فى ملبسه، و هو على الطراز الموصلى تقريبا. و يضع على رأسه شالا كشميريّا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵۴

يلفه حول طاقية حمراء منكسة إلى الوراء، و تسمى هذه بالفيس (الطربوش). و إذا أراد أن ينعقد ديوانه دخل عليه الكهيا أو رئيس الوزراء فيحييه بإحناءة على الطريقة الإيرانية و يتخذ مجلسه على مسافة احتراما له، و يليه فى الدخول عليه رئيس عشيرة (مه رورى)- كذا- فيجلس إلى جانب الكهيا ثم يدخل رؤساء القبائل الآخرون المقيمون فى حاضرة سلطانه وفق مكانة قبائلهم، و يأمر الباشا عند ذاك بإحضار الغلايين، و لا يدخل الديوان إلا خادم واحد ليوزعها. و إذا أراد الباشا انفضاض الديوان أمر بالقهوة. أما القهواتى فيسترق النظر من خلال النافذة ليقف على عدد الحاضرين كى يصب القهوة فى فناجين وفق عددهم و يضعها فى صينية ثم يدخل الديوان و يوزعها بالتتابع، فينفضّ الجمع إلا إذا أراد الباشا أن يبقى من يريد فى حضرته للبحث معه فى بعض الأمور. و يظهر أن من مظاهر العظمة عند الأمراء البهدانيين الانزواء و الاختفاء قدر المستطاع، أما الرئيس البابانى فعلى عكس ذلك، إذ إن من المفروض فيه أن يظهر أمام الملأ ما وجد إلى ذلك سبيلا، و أظن أنه نادرا ما يتسنى له ساعة يختلسها ليتمتع بها.

و البعض من الأمراء البهدنانيين و منهم والد الأمير الحالى مثلا قد غالوا فى التخفى حتى أنهم حجبوا وجوههم أيضا بنقاب كلما خرجوا فى سفر، كى لا تقع النظرات الخبيثة على محياهم و تلك عادة جرى عليها

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵۵

المتأخرون من الخلفاء العباسيين كما روى (بنيامين التطيلى). و تتألف بزة ضباط الباشا و خدمه من دراعة سوداء من قماش العباء المصنوع فى الموصل، مزينة بعرى ذهبية و من سراويل مخططة بخطوط عديدة الألوان و هذا هو الزى الشائع فى (العمادية) و (جو له مه ركى). و عندما يخرج الباشا إلى الصيد يغير ملابسه فى منطقة الصيد قرب العمادية بملابس الجبليين من العوام، يتسلق بها المرتفعات و ينبطح أرضا فى انتظار ظهور الماعز الجبلى مانعا نفسه عن رمى ما قل عمره عن أربع سنوات. و يسهل على أعين الخبراء معرفة أعمار هذا الماعز من بعد من قرونها. و هذا النوع من الصيد، و الصيد بالإشراك، و الفخاخ، و بالرمى، و صيد الحجل بالباز، هى الرياضة الوحيدة فى منطقة العمادية لكونها جبلية لا يمكن مزاولة القنص فيها على ظهور الجياد.

إن هواء العمادية فى الصيف حار لا يلائم الصحة و لذلك ينزح السكان منها إلى مصايفهم على بعد ساعتين و نصف ساعة من المدينة، فى مرتفع تكسوه الثلوج طيلة الصيف. و للباشا فى هذا الموقع دار صيفية، أما الأهلون فيشيدون السياطات فيه. و يخصص خلال الاصطياف حرس قوى لصد عدوان التياريين، و هم عشيرة مسيحية مستقلة من الكلدانيين يخشاهم المسلمون جميعا . و هناك عدا البهدنانيين عوائل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵۶

قديمة أخرى كانت لها القوة و النفوذ فيما مضى، و قد حكمت أقساما مختلفة من كردستان. و عائلة (بوتان) التى تسيطر على منطقة تسمى بالاسم نفسه، عائلة محترمة الجانب، تضاءل نفوذها و شهرتها كثيرا.

و الجزيرة عاصمة هذه العائلة و يقال إنها خربة الآن. و تقع منطقة (طور) بين (الجزيرة) و (ماردين) و هى منفصلة أو مستقلة عنهما. و عائلة (سوران) من العوائل العريقة فى القدم أيضا كانت فى يوم من الأيام أقوى عوائل كردستان، بل كانت تسيطر على جميع منطقة (سوران). و كانت عاصمتها (حرير) التى يمكن مشاهدة الكثير من آثار تلك العائلة فيها قائمة على طراز معمارى يفوق كل طراز آخر فى كردستان فى أى عهد من العهود. لقد انقرضت هذه العائلة و قامت على أنقاضها العائلة البابانية و غيرها من العوائل العديدة الأخرى التى كان رؤسائها جميعا من الإقطاعيين الذين يأتمرون بإمرة السورانيين. و من تلك العوائل عائلة كوى سنجاق، التى كانت لواء (سنجاقا) سورانيا، و قد أخرجت تلك العائلة منذ ذلك الحين من (كوى سنجاق) فدخلت و لا تزال تحت الحكم البابانى.

و كان البابانيون رؤساء بيشدر الإقطاعيين يأتمرون بأمرة السورانيين، و كانت عاصمتهم فى ذلك الحين (داره شمانه)؛ و هى الآن قرية حقيرة لا تتجاوز بيوتها الثمانية عشر بيتا. لقد كانت العائلة البابانية عظيمة الشأن فيما مضى أكثر مما هى عليه الآن، و على الأخص قبل

تولى سليمان باشا حكومة بغداد حين كانت أكثر بقاع البلاد حتى (زه ن كه باد) و (منـدلى) و (بدران حصان) تابعة إلى كبير البابانيين، كما كانت (آلتون كوبرى) و (أربيل) تحت سيطرته، بل و (سنه) أيضا، و هى إيالة كردية تكون تحت نفوذ الإيرانيين فى الغالب.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵۷

أما عائلة (زهاو) فما كانت موضع احترام جم، و لم يكن لها شأن عظيم فى منطقتها ذاتها.

۱۶ تموز: بعد استشارات عديدة اخترنا أخيرا منطقة (قزلجه) على اعتبار أنها خير مكان لسكنانا خلال أيام الحر الشديد الذى بدأنا فعلا نشعر باشتداد و طأته فى السليمانية، فقررنا الرحيل إليها غدا. قضينا اليوم بالتهيؤ للسفر و بتوديع الباشا و عثمان بك و سليم بك و غيرهم من الأصدقاء. و لقد تبادلت و الباشا حديثا شيقا استمر مدة تزيد على الساعتين و كان جلّه حول شؤونه الخاصة. و إنى لأرجو من الصميم أن يزول الكرب عنه و أن يتمتع بهناء و سرور، لكونه رجلا محبوبا كل الحب. لقد شق على أصدقائنا السليمانيين فراقنا عنهم هذه المدة القصيرة. و قد بذلوا كل ما فى وسعهم لإقناعنا على البقاء فى السليمانية. حقّا لم أعهد من قبل طيلة حياتى مثل حسن ضيافتهم و كرمهم.

عاد ده للى (سمعان) مساء اليوم من الموصل و معه بعض العاديات .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۵۹

الفصل السادس الرحيل من السليمانية إلى الجبال

- مضيق كويزه- الخيام تنصب فى كه ره دى- لطافة الموقع- الجلبة و الضوضاء عند التحميل- جبال شامخة- الكروم- الحبوب- بلاد جميلة- ضابط كبير منطقة قزلجة- مغالطات مضحكة- صعود شاق- أولاد خالد بك- معسكر فى أحمد كلوان- الحاصدون يتغنون بفرهاد و شيرين- الجراد- درجة حرارة الينابيع- الضفادع الخضر- لعبة غريبة- الرحيل من أحمد كلوان- السفر إلى بيستان- الطنوف الاصطناعية- بيستان غير صحية- مرض جماعتى كلهم- الرحيل من بيستان- بنجوين- مضارب الجاف- الجماعات الرحالة- سيدة و خدمها- اليهود*** ۱۷ تموز: غادرنا السليمانية صباحا فى الرابعة إلا ثلثا و سرنا على طريق (كويزه)، لأنه أسهلها لاجتياز السلسلة، أو بالأحرى لعبور التلال الجرداء التى تحد السليمانية من الشرق. و (كويزه) هو المضيق الجنوبى الأقصى الذى يفضى مباشرة إلى أعلى التلال، و يليه فى الشمال طريق (أزمر)

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۰

الذى يتجه نحو المدينة، أو بالأحرى إلى موقع مدينة (قه لا جوالان) القديمة، و يليه شمالا طريق آخر يسمى طريق (قه يوان).

وصلنا إلى حضيض التلال بعد الرابعة بقليل و نحن نصعد صعودا هنا طيلة الطريق منذ رحيلنا من السليمانية، ثم بدأ الارتقاء فورا فى قاع مسيل جاف فى بادىء الأمر، و من ثم على سفوح التل الشديدة الانحدار بنيسم سحيق جد ضيق. و فى الخامسة تقريبا بلغنا القمة و هى فى ذلك المكان عبارة عن ضفة من الحجر الرملى تتصل بكتفين أخريين مرتفعتين من التل هما أكثر تكتلا، و لم يزد ارتفاع القمة عنهما إلا بضع أقدام.

و المنظر هنا منظر جميل، فأمامنا سهل (سروجك) و (شاربازير)- أقول سهل لتمييزه عن التلال إذ فى الحقيقة ليس فى هذا السهل أى بقعة منبسطة- و ينتهى السهل فى اليمين أو فى الجنوب بمضيق تحده من الشرق جبال عالية، كانت الشمس تبزغ حينذاك من ورائها. و يلوح أن السهل كان يضيق فى القسم الشمالى منه أو من ناحية (شاربازير)، و المنطقة بكاملها محددة و مقسمة إلى طنوف و وديان و مضايق لا تعد، كونتها سلسلة التلال المحيطة بها، و كان بعضها كبيرا جدّا. و كانت السلسلة التى نسير عليها مكونة من الحجر الرملى تنحدر طبقاتها نحو الشرق و على سفوحها الشرقية الكثير من عليقات البلوط، أما الأراضى التى كنا نشرف عليها فكانت على ما بدا لنا

بقاعا من الأحراش و المزارع انتشرت على نحو جميل ترتاح النفس إليه. ثم أخذنا فى الانحدار شمالا على سفوح الجبل الشرقية، و لم يكن الطريق فى انحدارنا سحيقا كما كان فى الصعود. وصلنا فى السادسة إلى أسفل الجبل و بذلك استغرق الصعود خمسا و ثلاثين دقيقة، و الانحدار ساعة و عشر دقائق. و كان اتجاه مسيرنا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۱

فى هذا اليوم شماليّا شرقيّا بخمسين درجة. و بعد أن ولجنا خانقا ضيقا مررنا بقرية صغيرة لم اسأل عن اسمها، ثم بلغنا قرية (بناويله) و هى على جانب عين ماء بديعة، شاهدنا فيها عددا كبيرا من سمك الشبوط(Carp) و كان السمك أليفا، إذ لا يزعجه القرويون، و قد ألقينا ببعض فتات الخبز إليه فاختطفها. و عند البركة الصغيرة التى تكونها العين قامت شجرة شنار جميلة و بعض أشجار الحور و الصفصاف منتشرة هنا و هناك، و قد ذكرنى المكان هذا ب (قه ره حسن)؛ و الكرد على صواب فى قولهم بأن مدينة السليمانية مشيدة فى أسوأ بقعة من بقاع كردستان. و تعود هذه القرية إلى منطقة (سروجك) كما تعود إليها كل الأراضى الواقعة إلى الجنوب منها، أما ما كان منها إلى الشمال الغربى فيعود إلى منطقة (قه لا جوالان).

و بعد أن تناولنا كأسا من القهوة تحت ظلال شجرة الشنار الجميلة عدنا فامتطينا جيادنا فى السابعة إلا ربعا، و سرنا سيرا حثيثا فوق أرض متموجة ثم انحدرنا من تل ناهد، و فى السابعة و النصف وصلنا منزلنا فى قرية (كه ره دى) فوجدنا خيامنا منصوبة، إذ قد احتطت للأمر فأرسلتها مع الأمتعة الثقيلة ليلة أمس، و كان اجتيازها جبل (كويزه) شاقّا، تدحرج أثناءه بغلان أو ثلاثة من بغال الأمتعة، و لحسن الحظ لم يحدث ما يعتبر ذا أهمية.

و تقع قرية (كه ره دى) فى واد، تكتنفها غابة من أشجار الجوز و الصفصاف و الحور، و ينحدر الكثير من السواقى فى وهدها. و الحق يقال إن هذه البلاد لا تعوزها الينابيع البديعة، و قد مررنا بالكثير منها فى طريقنا اليوم بعد انحدارنا من (كويزه). و تعود (كه ره دى) إلى منطقة (شاربازير). و لقد انشرح صدرى بمنظرها، فأفياء الأشجار الظليلة و خرير مياه السواقى الصغيرة و تغريد الدج و الشحارير كلها عوامل أضفت على القرية جمالا ورواء.

لقد كان الجو عند رحيلنا من السليمانية فى الرابعة من صباح اليوم

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۲

دافئا، و كانت الريح شرقية، و عندما اقتربنا من سلسلة التلال لفحتنا منها موجة من الحرارة كأنها منعكسة من أتون، و لكننا فى اللحظة التى وصلنا فيها القمة وجدنا أنفسنا فى جو يختلف تمام الاختلاف عما كان من قبل، و كان فى مستطاعنا أن نطيل السفر ساعة أو ساعتين أخريين دون أدنى مضايقة من الحر.

درجة الحرارة فى الثانية و النصف ب. ظ. ۹۹ د، و فى العاشرة ب. ظ. ۷۵ د.

و فى خلال رحلتنا شاهدنا الكثير من الكروم و مزارع التبغ، و تتزود السليمانية بجميع فواكهها من هذه الأنحاء.

لقد قيل لنا إن الطرق التى علينا سلوكها سحيقة، و وعرة، و شديدة الانحدار، و إنها تبلغ من الضيق فى بعض مواقع الجبال مبلغا لا يمكن معه مرور جوادين فى صف واحد عليها، الأمر الذى اضطرنا إلى التخلى عن التخترون و المحفات فى مسيرتنا هذه، فتركناها وراءنا فى السليمانية. أما الخادمات فأرسلناهن على ظهور الخيل ليلة أمس مع الخيم و الأمتعة، و اصطحبتنا قرينتى على جوادها الصغير المهدى من عثمان بك، و كان حمله لها فوق الجبال مثار إعجابنا.

لقد نادى اليوم عمر آغا مهماندارنا أحد رجاله المدعو (برويز) و قال لى إن هذا الاسم و أسماء قديمة أخرى لا تزال شائعة بين العشائر، و منها (خسرو) و (كوباد) و (بهرام) و (برويز) و (بريزاد). و سمعنا تغريد القمرى للمرة الأولى فى كردستان و فى هذه القرية، و بعد الظهر خرجنا فى نزهة بهيجة على طوار سفح الوهدة مارّين بين صفوف أشجار الحور و العناب و الفاغيا (الحناء) و الزعرور و الصفصاف، و بين الكروم و حدائق الإجاص و الخوخ و التوت و التين و شاهدنا شجرة زيتون نضرة زاهية و عيونا صغيرة تتدفق مياهها

من منحدر الوهدة السحيق.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۳

۱۸ تموز: كانت ليلتنا باردة منعشة، و لكننا لم ننعم بها إلا قليلا. فما إن انتصف الليل حتى ارتفعت أصوات مزعجة شتى من جماعتنا الذين بدأوا بالتحميل، أصوات فاق هرجها و مرجها اضطراب بابل، و جعلت الإخلاد إلى الراحة ثانية مستحيلا. لا يمكن فى هذه البلاد إنجاز عمل ما دون ضوضاء و صراخ لا يتناسبان مطلقا مع العمل المراد إنجازه. و يظهر أنه حتى الحيوانات نفسها تتهيج فتساهم فى الضوضاء بنهيقها و زعيقها و شخيرها و ترافسها فى الوقت الذى يتشاتم فيه أصحابها و يتنادون و يتصارخون إلى أن تتم عملية التحميل و تأخذ القافلة مجراها.

رجع عمر آغا إلى السليمانية البارحة لقضاء بعض أشغاله الخاصة و سوف لا يلتحق بنا حتى وصولنا الليلة منزلنا.

شرعنا بالمسير فى الرابعة فعادونا صعود المنحدر الذى انحدرنا منه إلى الوهدة، ثم عرجنا شرقا نحو التلال، أو بالأحرى نحو الجبال، إذ بدا أنها الآن تستحق هذه التسمية حقّا، و تمتد هذه الجبال من (كويزه) أو سلسلة (أزمر) على قوس مارة من أمامنا متقطعة بعض التقطع لتعود فتكون السلسلة ذاتها عن يسارنا، و يظهر أنها فى اتجاهها الجديد هذا تتضاءل جرما. و عن يسارنا مباشرة، و على مسافة ثلاثة أو أربعة أميال، يقوم جبل (سه رسير) و هو جزء منفصل من التلال التى أتينا على ذكرها، و كان

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۴

عبد الرحمن باشا تواقا إلى نقل عاصمته إلى هذا الجبل لانعزاله، و لسهولة الدفاع عنه، و لأن الوصول إلى قمته لا يتيسر إلا بطريق واحد؛ على أن شحة المياه فى الجبل كانت العائق فى تنفيذ رغبته.

و فى الرابعة و النصف مررنا بهضبة تقع عن يسارها وهدة صغيرة، و أخرى عن اليمين واسعة عميقة تضم عدة قرى و هى تكاد تمتد إلى الشرق و الغرب، أما منتهاها الشرقى فتسده رقبة، تفصل بينها و بين وهدة أخرى مماثلة لها، و أما الجانبان الجنوبيان من هاتين الوهدتين فيرتفعان فورا و يكوّنان جبلا شاهقا. و كان طريقنا يتصاعد تصاعدا تدريجيّا، و الأرض مكسوة كلها بعليقات البلوط. و فى الخامسة بلغنا تلالا فى فجوة تماثل تلك الرقبة أو الطرف الشرقى من الوهدة الواقعة عن يميننا، و من هنا يقع (غودرون) باتجاه ۶۰ درجة شمالية غربية. و من هذا المكان يمكن لى أن أكون فكرة لا بأس بها عن الخطوط الأساسية لهذه المنطقة.

ينتهى كل من (كويزه) أو (أزمر) فى الشمال، و يبدأ (غودرون) قبل نهاية (أزمر) أو إلى الجنوب منه، و يقع وادى (ميركه بان) أو وهدته بين هذين الجبلين، ثم يؤلف (غودرون) سلسلة أعظم من سلسلة (أزمر) و أكثر منها صخرية، تتجه باتجاه شمالى شرقى. و الآن بدأنا نهبط بطريق منحدر جدّا و أخذنا نسير فى التواءات عديدة فى مضيق فى الجبال، و هى هدودة الانحدار من الجانبين، إلا أن الجانب الأيمن منها كان أكثر نهودا فى انحداره، و كان الطريق يصعد و يهبط باستمرار تتقاطعه الوديان فى بعض الأماكن. أما سفوح التلال فكانت مكسوة بالكروم، بعضها فى أماكن عالية جدّا تكاد تظهر شاقولية، و لا ريب أن زرعها لا يتيسر إلا لأناس يتعلقون بحبال كجامعى الشمر- الأعشاب البحرية.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۵

و تنحصر الزراعة فى هذه الأماكن بالكروم و التبغ. و قد مررنا ببعض حقول الحبوب التى لم تحصد بعد. أما أشجار البلوط أو السنديان فوفيرة فى كل مكان و على ضفاف الجداول الصغيرة فى الوديان، و كثيرا ما يتخلل الصفصاف الكروم البرية. و أما الأعناب فلم تنضج حتى الآن.

و فى السادسة و الثلث ترجّلنا عند مقبرة، مستظلين ببعض أشجار السنديان للاستراحة قليلا، إذ لم أكن متمتعا بكامل صحتى. و المكان الذى ترجّلنا عنده واد تسيل فيه عدة سواق تكوّن جداول تصب فى نهر (تان كووزى) الذى تجرى مياهه بشدة، و تدير أحد هذه الجداول طاحونة، و هو يكوّن شلالا بديعا.

و شاهدنا على التلال الكثير من الطباشير فى شتى أدوار تكوّنه، و الكثير من الصوان. أما طبقات التلال فيبدو أنها لا تزال مائلة نحو الشرق بوجه عام، و السفوح الغربية من التلال سحيقة الانحدار جدّا.

و بعد أن أخذنا قسطنا من الراحة استأنفنا السير فى السابعة، و ما بقى من طريقنا ذا اتجاه شمالى شرقى. و فى السابعة و الثلث عبرنا نهر (تان كووزى) و كان عرضه آنئذ ثلاث أو أربع ياردات و عمقه قدما و نصف القدم، و يبدو لنا من مجراه أنه لا بد من أن يفيض فى بعض الأحيان فيكون سيلا متدفقا، و هو يجرى شمالا، و لا شك أنه يسيل نحو كوبرى أو نهر آلتون و هذا النهر أكبر الأنهر التى تصب فيها جميع مياه هذا القسم من كردستان . و من ضفاف نهر (تان كووزى) ارتقينا مباشرة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۶

مرتفعا شديد الميل استغرق ارتقاؤنا عليه مدة ثلاثين دقيقة و نحن جادين فى السير، و كان عن يميننا نهر (تان كووزى) و قد شق له ممرّا بين الجبال. أما الهبوط الذى بدأنا به توّا- بعد أن اجتزنا هضبة- فاستغرق نصب ساعة، و لكنه كان أكثر انحدارا و تدرجا من الصعود. و بنتيجة ذلك يكون ارتفاعنا الآن بمستوى أعلى بكثير. و هنا أخذنا ندور بين التلال المكتظة بأشجار البلوط، تارة نهبط و تارة نعلو. و بعد أن انحرفنا عن طريقنا المباشر فى العاشرة إلا ثلثا و انعطفنا إلى الجنوب و واصلنا سيرنا بضع دقائق، فوصلنا قرية (دوله دريز) التى تعنى الوادى الطويل.

لم تضايقنى الشمس اليوم بالرغم من توعك صحتى الشديد، و فى الثانية بعد الظهر، و هى أحر ساعات النهار، كانت درجة الحرارة ۹۸ د، و فى العاشرة ليلا كانت ۷۴ درجة.

و يوجد بالقرب من هذه القرية- و هى منزلنا لهذه الليلة الكثير من أشجار الصفصاف، و الإجاص، و التين، و كذلك الكروم. و لم تنضج الحبوب فى التلال بعد.

و تقع عن يميننا و على موازاة طريقنا جبال (كازاو) أو (كوورره كازاو) الشاهقة التى لم تكن على مسافة بعيدة منا، و قد بانت الأرض اليوم لنا أرضا جبلية جميلة، و كنا نرى هنا و هناك سفوح الجبال الصخرية، و لم يكن منظر الأرض صخريّا بوجه عام أو و عرا، بل متموجا.

لقد وجدنا الطريق اليوم جيد جدّا، و كان أحسن بكثير من الطرق التى شاهدتها فى أى بقعة من بقاع آسيا الصغرى، و قد ذكرتنى بعض المناظر فى الوديان بجبال (جورا).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۷

۱۹ تموز: كان الليل قارص البرد، و فى الرابعة إلا ربعا سرنا ممتطين الجياد، و بعد بضع دقائق اجتزنا الوادى الصغير الذى يضم قرية (دوله دريز) و كان الاتجاه العام لمسيرنا شرقيّا ينحرف إلى الجنوب قليلا، إلا أننا التففنا كثيرا حول جوانب التلال و نحن فى صعود، و كان الطريق جميلا حقّا تتخلله أشجار البلوط و هى فى هذا المكان كبيرة جدّا، و متداخلة مع أشجار السماق و الصفصاف و الكروم البرية و الجميز و لم نكن قد ابتعدنا كثيرا حتى مررنا بفتح اللّه آغا (ايشيق آغاسى) أو رئيس تشريفات محمود باشا فى عودته من (سنه). و كان طريقنا الذى نسير عليه هو الطريق الرئيسى المؤدى إليها، ثم بعد مسيرة قصيرة التقينا بضابط من ضباط خالد بك هو كبير المنطقة التى نقصدها و كان على رأس جماعة من حاملى البندقيات، جاء لاستقبالنا. و كان من الجلى أن هذا الضابط الذى لا يتكلم التركية، قد تهيأ ليجيب بها على أسئلة حسب أننى سأوجهها إليه، و لكننى لسوء حظه لم أوجهها بالترتيب الذى كان يتوقعه، مما أدى ذلك إلى سوء فهم مضحك جدّا. و كان سؤالى الأول له هو «كم بقى لنا من الطريق؟» فأجابنى «ذهب قبل الأمس إلى السليمانية» ظانّا أننى سألته عن سيده.

و بعد قليل شرعنا فى صعود ناهد جدّا، أعتقد أنه كان أعلى و أوعر الانحدارات التى شاهدتها حتى الآن، و لكن الطريق كان جيدا الجودة كلها. و قد وصلنا القمة فى السادسة بعد أن استغرق الصعود أربعين دقيقة تقريبا منها ثلاثون دقيقة قضيناها فى تسلق متعب

يكاد أن يكون عموديّا.

و هنا بان لنا (كازاو) فى اتجاه الغرب و قد شمخ (غودرون) برأسه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۸

الصخرى الأجرد على جميع الجبال الأخرى باتجاه ۶۵ درجة شمالية غربية. ثم بدأنا فورا فى الهبوط بطريق من أحسن الطرق و أجملها، يخترق غابة كثيفة من أشجار البلوط اختراقا متمعجا، و لم يكن ناهدا، كما هو فى الصعود. و كان منظر السهل من الأعلى بديعا، إذ يلتوى بين تلال جميلة الشكل تكسوها أشجار البلوط القصيرة، و إلى الوراء منه تقع جبال إيران المرتفعة، و كان لهذه الجبال أيضا منظرها البهيج البهى.

و كان نهر (قزلجة) يتعرج فى السهل ثم يسيل فى واد عن يسارنا يتجه اتجاها شماليّا فيمر فى منطقة (سى و ه يل) ليصب فى (كوبرى صو)، أما منبعه ففى سفوح الجبال الإيرانية و فى نحو أربعين دقيقة بلغنا أسفل الجبل الذى يتجه شمالا و جنوبا تقريبا. و الطريق عند هذا المكان ينشطر إلى شطرين يتجه الأيسر منهما اتجاها شماليّا شرقيّا إلى (بيستان) حاضرة منطقة (قزلجة) التى تبعد عنا حوالى مسافة ساعتين، أما الأيمن فيتجه جنوبا إلى (أحمد كلوان) و هو المكان المقترح لإقامتنا.

و عند قاعدة الجبل التقينا بولدى خالد بك و هما على رأس حرسه، و عددهم مائتا فارس بكامل سلاحهم، و يتقدمهم بعض العرفاء بعصيهم المفضضة و طبولهم الصغيرة التى تدل على رتبة الرئيس- و (قزلجة) «سنجاق» أو لواء من ألوية الإمبراطورية العثمانية. و عند التقاء هذه الكتيبة مع جماعتنا قامت جلبة و ضوضاء و أصوات لا يدرك مغزاها إلا من نال شرف الاستقبال. أما الخيل فحيوانات لا تعرف للاستقبال معنى، إذ استاءت جيادنا من تلك الخيول الغريبة التى اختلطت بها، و اغتاظت هذه بدورها. و الخيول الكردية كلها شرسة، سريعة الاهتياج، و ذلك مما جعل المشهد كله مشهد شهيق و صهيل و صراخ و خبط و ترافس و عراك. و قد حاول البك الشاب التفوه بكلمات الترحيب بى بالفارسية، غير أنى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۶۹

لاحظت أن جياد جماعته كانت أفضل و أحسن أداء منه، و لو فشلت الخيول فى إنجاز هذا الواجب لكان الأجدر أن يقوم مقامها بعض رجاله النافخين بالمزمار و الضاربين على الطبول و راكبى البراذين الحقيرة، و هم يؤلفون جوق الكتيبة الموسيقى أو «المهتر خانة». و عندما تراجعت هذه الخيول إلى الوراء و ساد السكون، بدأ أحد الإيرانيين من ذوى الصوت الجهورى بترديد أغنية عن المصارعين، و هو يضرب على «الدنبك» ضربا مزعجا، و لقد حاول البك الكلام و كان كلامه مما يرى و لا يسمع، فأجبته بمثل كلامه. سرنا جنوبا بموازاة حضيض التلال التى كانت تتقعر فتكون أشبه بشىء بالمسارح المدرجة. و عندما وصلنا أرضا منبسطة بدأت مباراة الجريد، و المراشقة بالرماح، و الكرد جميعا فرسان جريئون، و إن لم يكونوا فرسانا أصوليين. و كان ينفخ فى المزامير و تضرب الطبول أثناء المراشقة، مما جعل المشهد جميلا مبهجا، و قد هرب جواد أحد الكرد بصاحبه و سقط آخر مع حصانه بسرعة متناهية فأصابه أذى كبير، و إن لم يكن بالغا.

و فى السابعة و النصف بلغنا مضربنا عند التلال و على مسافة ميل واحد فى الشمال الشرقى من أحمد كلوان، و كانت مساكننا التى تفضل فشيدها لنا خالد بك واقعة عند منبع جميل، و هى تتألف من عدة سياطات تمر باثنين منها ساقية صغيرة، و قد كوّن منها حوض، و سيجت السياطات بكاملها بسياج من الأغصان محاك حياكة دقيقة، و شطر محيط السياج بسياج آخر قسم الساحة إلى حرم و ديوان، و كان إلى جانب كل من الحرم و الديوان حقول حبوب لم يزل الحاصدون يحصدونها و هم يتغنون بقصة «فرهاد و شيرين» بالشعر الكردى.

استأذن ثانى أبناء البك للعودة إلى بيستان، و كان معه خمسة أو ستة رجال، أما الولد الأكبر و هو محمود بك فقد بقى معنا للقيام بما يتطلبه واجبه فى مضربنا. و فى الليل شاهدته و هو يقوم بالدورية بذاته حول

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۷۰

المضرب. و هذا المكان معرّض كثيرا لغارات قطّاع الطرق من عشائر الحدود.

لقد تضرر القطن كثيرا فى هذا المكان من جراء الجراد الذى لا تزال الكثير من أسرابه تزحف على الأرض- و الجراد لا يأكل إلا ما كان أخضر.

و قد أزعجتنا بعد الغروب بقليل أسراب كثيرة من بعوض ضخم و سام جدّا. و كانت الليلة باردة أما الصباح فقد كان أبرد منها. و قد ابتلت الأرض بالطل، فى حين إنك لا تجده فى سهل السليمانية فى مثل هذا الموسم.

۲۴ تموز: كانت درجة حرارة أحد ينابيع مضربنا (۵۷)، و قد قستها فى فترات عديدة طيلة النهار فلم تتغير أبدا. و كانت درجة حرارة منبع فى التلال فوق أحمد كلوان (۵۲)، أما درجة ينبوع فى واد قريب منا و على مستوى واحد تقريبا من مضربنا فكانت (۶۳) درجة.

و على تل يقع إلى الشرق منا و على الضفة الأخرى من نهر (قزلجة) توجد بقايا قلعة اسمها «قز قلعه سى» أو حصن الفتاة، و هى ساسانية على الأكثر. و هناك بالقرب من مضربنا عدة أشجار من الحور و هى أضخم ما شاهدت فى حياتى، و كان محيط جذع إحداها ستة عشر قدما و هى فى الحقيقة شجرة عظيمة جدّا، و كانت اثنتين أو ثلاثة من هذه الأشجار مطروحة أرضا بضخامتها و قد علمت أنها تكسرت قبل عامين من جراء الثلوج، و لم تتحمل ثقل ما تساقط عليها.

لقد باغت ذات مرة اثنا عشر بابانيّا معسكرا للإيرانيين فى شرقى أحمد كلوان بميل واحد، و هزموا عدة آلاف منهم، فى عهد سلطان (شاه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۷۱

حسين)، و كان (سليمان به به) آنذاك زعيم كردستان و قد أحرز انتصارا فى نفس اليوم على الجيش التركى.

و يوجد فى كردستان نوع من الضفادع الخضراء تتسلق الأشجار، و تتصيد الذباب و الجراد بضربها بمخالبها الأمامية كما تفعل القطط. و قد شاهدتها تفعل ذلك عدة مرات، و هى تشبه الضفادع الاعتيادية من كل الوجوه، إلا فى لونها الأخضر التفاحى، و يجلدها الناعم الأملس. و قد رأيتها قابعة ليلا فى الأدغال.

حضرت فى أحمد كلوان لعبة قد تخلع أطراف أى رجل إلا إذا كان كرديّا قويّا، و وصفها أن يجلس أحد الرجال على الأرض بعد أن يربط بإحدى ساقيه حبل يمسك بطرفه السائب رهط من اللاعبين، فيجرون به الرجل و يسحبونه على الأرض الحجرية الوعرة و يدورون به كما يدور نوتية الباخرة ببكرة المرساة. و يربط بأحد أطرافه الأخرى حبل يمسكه من نهايته السائبة أيضا رجل آخر بمنزلة الحامى له، يمنع الرهط من سحبه و جره بالسعى للقبض على واحد من المهاجمين دون أن يسيب الحبل من يده، و متى ما قبض على أحدهم وجب على هذا أن يأخذ دوره فى القعود ليهاجم. و كان يصحب هذه الحركة صراخ و صياح و قفز، أما الممثل أو اللاعب الأول فى هذا المشهد فكان همجيّا مرحا اسمه «قادرى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۷۲

كه وره» أو قادر الضخم الذى كان فى خدمتنا على الدوام، و هو رجل طيب جدّا تعلق بنا تعلقا قويّا بمرور الأيام. و مما يلفت الأنظار إليه أنه كان يسير على الدوام و بيده هراوة، و يرتدى فروة ماعز رثة فوق ملابسه، و إن كان الجو و خما حارّا.

۱ آب: لم أدون يومياتى خلال مكوثى فى (أحمد كلوان)، لانحراف صحتى من جهة و لانشغالى و تقاعسى من جهة أخرى، و لا يزال لدى الكثير مما يجب أن أكتبه عن حالتى المعنوية الراهنة.

بعد أن أمضيت بضعة أيام فى أحمد كلوان قررت الرحيل عنها، و فى قرارى هذا كنت متأثرا على الأكثر بإصرار نجل البك على ملازمته لنا طيلة مكوثنا فيها، فرأيت من الصواب الذهاب إلى بيستان أو «بيدستان» بالفارسية «أى مغرز الصفصاف» عاصمة المنطقة التى نحن فيها، و فى بيستان دار نجل البك، و بهذا سنخفف عنه الأتعاب التى يتجسمها من أجلنا. و لما كنا على أهبة السفر سرنا فى

الخامسة و الربع من صباح اليوم، و التلال عن يسارنا فوصلنا فى السادسة نهر (قزلجة) الذى يشق مجراه بين الجبال. و هذا المحل يقع إلى شمال أحمد كلوان و إلى الجانب الجنوبى من المضيق، أو فى الضفة اليسرى من النهر.

و على صخرة مرتفعة منعزلة نجد بقايا قلعة اسمها «قلعة قزلجة» و يقال إنها قديمة جدّا. و تقع قرية (قزلجة) عاصمة المنطقة سابقا بالقرب من

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۷۳

القلعة، و قد هجرت و اتخذت (بيستان) حاضرة بدلا عنها. أرى أن معظم القرى فى كردستان تقع فى مخابىء مستورة، و فى وديان بعيدة عن النظر، و قد يكون ذلك تخلصا من زيارات قطعات الجيش التى تمر بجوارها . و كثيرا ما يكون هذا التدبير غير نافع و على الأخص فى منطقة (قزلجة) إذ إنها منطقة حدود معرّضة بوجه خاص لمثل هذه النكبات الاعتيادية فى حروب الشرقيين. ففى السنين العشرين الأخيرة خرب الإيرانيون و أمان اللّه خان (قزلجة) مرات عدة خرابا جعل عاليها سافلها. كما و أن الكرد المناوئين و إن كانوا من قوم واحد فهم ليسوا أكثر رحمة نحو قرى غرمائهم. أما منطقة (سى وه يل) فهادئة جدّا لوقوعها فى الداخل، خارج خطوط الحركات العسكرية.

و الآن و قد تركنا الجبال و اندفعنا فى السهل، فقد واجهنا خط هضاب متشعبة من الجبال إلى الشرق، تكسوها أشجار البلوط. و بعد اجتيازنا هذه الهضاب جئنا واديا يمر فيه نهر تحتضنه أشجار الصفصاف فى كلتا ضفتيه. و يحد هذا الوادى من الجانب الآخر خط هضاب مماثل.

و يسمى نهر (بيستان) أحيانا بنهر (تاتان) و هذا الاسم مشتق من اسم قرية تقوم على ضفتيه. و ينساب هذا النهر بين الجبال و يتصل بنهرى (قه لا جولان) و (قزلجة) تحت (قه لا جولان)، و تصب هذه الجداول جميعها فى (كوبرى صو).

سرنا و الجبال التى اجتزناها الآن عن يميننا فوصلنا (بيستان) فى السابعة و النصف، و هى قرية فيها أربعون بيتا أنشئت فى أسفل هذه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۷۴

التلال و فى مكان غائر عجيب، و لم تكن فى موضع له محاسنه إذ إنها تحت صخرة كبيرة منعزلة يبلغ ارتفاعها مائتى قدم، تعزلها عن الوادى الذى يسيل فيه النهر و تجعل مكانها مستترا دافئا. و ترتفع التلال فى الجنوب أو تلك التى عن يميننا ارتفاعا عاليا و هى فى الظاهر مكوّنة كغيرها من جبال هذه المنطقة، من الجبس المختلط بالحديد و من بعض صفائح النورة، و تكسوها أشجار البلوط. و تقع إلى يسار الصخرة العالية الجرداء و تحتها القرية، و على قمتها آثار بناء. و لا تتجاوز المسافة بين التلال و بين الصخرة أكثر من ربع الميل، أما فى الشرق فالمسافة أوسع، و المنظر فى ذلك الاتجاه تحده الجبال البعيدة، التى تكون سفوحها القريبة منها منطقة (ته ره ته وه ن) فى كردستان، أما السفوح البعيدة عنا فهى منطقة (ساقز) من (سنه) و هى إيرانية.

و تقع (بيستان) من أحمد كلوان باتجاه البوصلة، بعشر درجات شمالية شرقية. أما (بانه) فموقعها من (بيستان) عشر درجات شمالية شرقية و على مسافة خمس ساعات. لقد وجدنا السياطات مشيدة لنا فى أعلى مكان من القرية، قبالة دار البك، و السكنى خارج القرية أفضل و أليق، و لكن السياطات كانت معدة، و إنى لا أود إتعاب الغير من أجلنا أكثر من هذا. و الواقع أن السياطات شيدت لسكنى البك فى الصيف و قد تخلى عنها لنا.

و فى المساء دار بينى و بين البك حديث عن كردستان، قال لى إن النسبة متباينة فى العدد بين الكرد العشائريين و القرويين. و نسبة الأخيرين بنسبة الربع بل الخمس. و هو يقدر العشائر الرحل بعشرة آلاف عائلة يبلغ معدل الواحدة منها سبعة أفراد للخيمة الواحدة و هو يعتقد أن هذا تقدير صحيح نسبيّا، و لا يعتقد تجاوز نفوس العشائر المستوطنة كال (كرمانج) و (نور الدين) و (شينكى) ثلث ذلك العدد، أى ما يقارب الثلاثة آلاف عائلة .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۷۵

۲ آب: تسلقنا الصخرة فی ساعة مبکرة من صباح هذا الیوم لرؤیة الخرائب التی أعلمونا بوجودها فی قمتها. و قد وجدنا بعض بقایا سور یحیط بها، و عثرنا علی بعض الطابوق و هو ساسانی علی ما یظهر. و رأینا فی ذروة القمة- و هی لا تبعد کثیرا إلا بضع یاردات- حوضا منقورا فی الطبقات الجبسیة من الصخرة، و شجرة حسک Thorn -Tree قدیمة ما زالت مزدهرة. و من یدری، إنها لربما شهدت القلعة فی أیام عزها! و کان منظر وادی (تاتان) بدیعا و النهر ینساب بین تعاریجه و منعطفاته، و قد شاهدنا عدة قری فی التلال المقابلة لنا بالاتجاه الشمالی الشرقی الشمالی منا.

و یوجد علی بعد قلیل من سفح الصخرة طنف اصطناعی مدور ذو قمة مسطحة کطنوف (جم جمال) و (ده رکه زین) و غیرهما، و اسمه طنف رستم، و هناک طنف آخر إلی شماله، و له الأوصاف ذاتها اسمه طنف الشاه. و قد عثر فیما مضی فی بعض التلال المجاورة علی أکواز رمیم ذات حجم غیر اعتیادی.

۸ آب: أصبنا جمیعنا بالحمی الصفراء، و یبدو أن القریة موبوءة بها و أننی عانیت الکثیر منها و قد أصیب بها ستة و عشرون شخصا من جماعتنا فی وقت واحد. و فی لیلة أمس بینما کان جعفر علی المنکود الحظ (خادم هندی من لو کناو) یقاسی آلام الحمی أفزعه بعض الکرد بإدخال جثة شخص متوفی إلی الغرفة التی کان ینام فیها، و قد قاسی ما قاسی من المتاعب حتی أقنعهم بإخراجها من عنده.

و فی أمسیة من الأمسیات الماضیات عندما کنت أتمتع بصحة أوفر، ذهبنا نتمشی ترویحا للنفس فی وهدة صغیرة بهیجة تمتد بین التلال،

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۷۶

جنوب (بیستان) تماما و تصب فیها عدة عیون ماء و تغطی جانبیها أشجار التین البریة و السفرجل و الکمثری، کما تزین هذه الوهدة أشجار جوز قدیمة فخمة. و لدی غطس المحرار فی منبع إحدی العیون سجل لنا درجة (۶۰). و هنالک منبع آخر قبالة القریة علی سفح التل کانت حرارته (۵۷) درجة. و تتکون التلال جوار هذا الموقع من الإردواز تتخلله عروق من الجبس Gypsum .

إن تل (آرد بابا) المستدق الذروة یقع توّا إلی الجانب القریب منا من (بانه) باتجاه (۱۰) درجات شمالیة شرقیة. و نری إلی یمینه بقلیل قسما من السلسلة نفسها مؤلف من ثلاث قمم غریبة الشکل منظمة إلی بعضها، تدعی (سوره نا) .

۱۱ آب: لقد أخذت الحمی الآن تتناوبنی تناوبا ثلاثیا شدیدا. و قد تمرض کل أفراد حاشیتی، أما عقیلتی فقد نجت من المرض و الحمد للّه، و کذلک المستر (به ل)، و هما یعاودانی بین الفینة و الأخری لیخبرانی بمرض أحد أفراد الجماعة. و هذا أمر محزن یدعو إلی القنوط. و کانت و طأة الحمی علیّ أشد منها علی الآخرین، و ذلک نظرا لمرضی السابق. و لقد بلغ هجوم الدم علی رأسی فی اللیلة السابقة من الشدة مما اضطر المستر (به ل) علی أن یستنزف ما یقرب من الرطل من دمی، الأمر الذی أراحنی کثیرا.

لقد صح عزمی الآن علی مغادرة المحل بأسرع ما یستطاع، فاتخذت التدابیر لإرجاع الجنود و المرضی مع الأمتعة الزائدة إلی السلیمانیة، و من ثم الرحیل بأخف حمل ممکن إلی قریة مجاورة أجود

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۱۷۷

مناخا، حیث نتمکن من الإقامة فیها بضعة أیام لنسترجع قوانا لاستئناف رحلتنا فی بقاع کردستان التی قد تبلغ (سنه). و علاوة علی ما أنا مصاب به من حمی، فقد التهبت عینی الیمنی و أخذت تؤلمنی کثیرا مما جعلت الکتابة علیّ أمرا موجعا، بل و منعتنی منعا باتّا من مواصلة مشاهداتی.

و من حسن الحظ أن التهاب عینی اعترانی بعد کسوف تابع المشتری الأول، إذ تمکنت من تصحیح خط طول (بیستان).

۱۳ آب: غادرنا (بیستان) فی الخامسة من صباح الیوم، و بعد أن قطعنا، و نحن علی ظهور الجیاد، سهل (تاتان) أو (بیستان) اجتزنا التلال التی تحیط به و هبطنا السهل الذی یتقدم أحمد کلوان أو سهل نهر قزلجة و بعد اجتیازه وصلنا قریة (بنجوین) الجمیلة فی

التاسعة، بعد تأخر ربع ساعة فى الطريق. و كان سيرنا سيرا بطيئا. لقد بلغت شدة مرضى، و التهاب عينى درجة لم تمنعنى عن مشاهدة الشيء الكثير فحسب بل تعذّر علىّ بها تدوين مذكراتى حتى لو قدر لى أن أشاهد شيئا.

قضينا اليوم و نحن نمر بين قوافل العشائر الرحالة، أو بين المضارب الصغيرة لعشائر الجاف الكردية، الذين حطوا فى هذه البقاع الآن قبل رحيلهم إلى شهرزور. و لقد أسفت غاية الأسف لحرمانى من التمتع بمنظرهم، الذى كان فى الحقيقة مؤنسا بهيجا. كانت خيامهم و أمتعتهم مرزومة رزما منتظما، و محملة تحميلا مرتبا فوق الثيران و الأبقار. و يبدو أن استخدام هذه الحيوانات فى الحمل من الأمور الخاصة بالقوم الكردى. و إننى أتذكر أيضا مشاهدتى لمثل هذه العادة بين كرد (رشوان) فى آسيا الصغرى،- و أعاد الجاف إلىّ ذكرى هؤلاء. و يسير

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۷۸

الرجال و النساء على الأقدام، و يا لهم من قوم ذو بنية قوية لها محاسنها و جمالها. و النساء يرتدين القمصان و السراويل الزرق و على رؤوسهن قبعات صغيرة و شعورهن مجعدة مدلاة حول وجوههن، و يضعن على أكتافهن (الجاروكة) و هى كالعباءة من نسيج محقق باللونين الأزرق و الأبيض، و هى فى شكلها تشبه مشالح الجبليين فى إسكوتلندة.

و (الجاروكة) جزء من اللباس لا غنى لكل امرأة كردية عنه، أما نسوة الطبقة الغنية منهم فيلبسنها محاكة من الحرير الأصفر و الأحمر.

و الرجال من الجاف يلبسون رداء يتمنطقون عليه من الوسط، و سراويل خفيفة، و أحذية محاكة من الصوف و هى من الأحذية المريحة جدّا للأقدام، و يضعون فوق رؤوسهم قبعات مخروطية من اللّباد، و كلهم مسلحون بالسيوف و التروس الخفيفة، و يحمل البعض منهم المسدسات، أما الفرسان منهم فيحملون الرماح على الدوام. و قد شاهدنا سيدة يظهر أنها ذات منزلة رفيعة بينهم تمتطى فرسا زوقت رأسها و الصروع تزويقا غريبا بالأصواف و الخرز، و قد غطى السرج بسجادة تزين حافاتها الأهداب، و من ورائها حيوانان يحملان أمتعتها ركب فوق أحدهما خادم، و كان إلى جانبها و فى خدمتها خيال مدجج بالسلاح. و لم نشاهد أى وسيلة للتحجب لدى أية امرأة منهن، كلا و لا الفوطة التى تتلفع بها النساء العربيات.

و (بنجوين) التى جعلناها محطنا لبضعة أيام، قرية كبيرة ذات موقع جميل فى وهد بين التلال فى الجانب الجنوبى من سهل نهر (قزلجة).

و يقع منزلنا فى أحمد كلوان من هذا المكان باتجاه (۵۵) درجة شمالية غربية، و على مسافة ساعة واحدة للخيال الجاد فى مسيره. أما اتجاه القلعة القديمة فى (قزلجة) فشمالى شرقى على (۴۵) درجة.

كنا نجلس نهارا فى جنينة، تحت ظلال شجرة جوز بديعة تتدلى أغصانها على عين ماء حرارتها (۵۶) درجة.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۷۹

و القرية و إن كانت فى منطقة (قزلجة) فهى تعود و أخت لها بجوارها إلى فتح اللّه آغا الذى سكنا داره فى السليمانية. و قد تساوى (۱۵) ألف قرش سنويّا، إذ إن ما يعود لها من المزارع قليل جدّا. و قد رأينا بعض الدخن النابت لا يزال أخضر يانعا. و يتكون وهد (بنجوين) كله من حدائق و بساتين و كروم، و لم ينضج من الفواكه الآن إلا القليل النادر.

و أغلب الأهلين مكاريون يصلون ببغالهم حتى (سنه) و (همدان).

۱۸ آب: لقد تأخرنا تأخرا غير متوقع فى إحضار البغال للجنود، و عسانى نجحت فى إنجاز ما يجب علىّ فى هذا الشأن و أحضرت كل ما يقتضى لشروعهم بالسفر إلى السليمانية غدا، و فى تلك الحالة يحتمل أن نبدأ برحلتنا بعد الغد. هذا و يسرنى أن أقول بأن صحة أكثر أفراد جماعتى قد تحسنت عن ذى قبل، و أرجو أن أكون قد تخلصت من الحمى إذ لم تعاودنى يوم أمس و هو ميعادها، و قد نجت قرينتى و للّه الحمد من الإصابة بها، و مع أنها فى الواقع كانت مريضة فى أحمد كلوان غير أن أعراض هذه الحمى- و هى التناوب السريع و التأثير المباشر فى الرأس إذا ما اشتدت و طأتها- لم تظهر عليها. و يقول عمر آغا إن هذه الحمى تعم كردستان

بكاملها فى هذا الموسم، و هو يعزوها إلى تبدل حالة الجو، إذ يصبح قارص البرد ليلا و شديد الحرارة نهارا. هذا و قد يكون لها بعض الأسباب المحلية إذ إن و طأتها تتفاوت فى الشدة فى مختلف الأماكن، حيث تكون فى الوديان الضيقة و الأماكن المنخفضة على أشدها .

إن مطلع الشعرى اليمانية و فى الكردية (كه لاويز)- و للكثير من

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸۰

النجوم أسماء بالكردية فى الأصل- يكون حوالى اليوم العاشر من شهر آب، و يشير فى كردستان إلى ابتداء انكسار شدة الحرارة، فتطيب الليالى عند ذاك، و تبقى الحرارة على شدتها فى النهار.

۱۹ آب: تسلط ليلة أمس لصان على معسكرنا و نجحا فى سرقة زوجين من الأحذية من بعض ناصبى الخيام. و من الغريب أننا لم نكن عرضة إلى إزعاج هؤلاء لنا أكثر من ذلك، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار قربنا من مخيم العشائر الرحالة. و بهذه المناسبة أخبرنى عمر آغا بأن الخيام التى نشاهدها فى السهل المجاور، تعود إلى عشيرتى (كه لالى) و (كه ل هور) و بعض أفخاذ العشائر الأخرى الذين ينحدرون الآن من الجبال، و هم ليسوا من الجاف فى الأصل. و كل هذه العشائر تؤدى الجزية إلى و الى (سنه) لقاء السماح لها لرعى حيواناتها فى منطقته فى الصيف. و يدفع الجاف سنويّا أربعمائة تومان جزية علاوة على هدية من الخيل و الغنم.

و أظن قد فاتنى أن أذكر بأننا كلما جئنا قرية خرجت جماعة من القرويين لحراسة مضربنا ليلا، و يسمى هذا الحرس (قيشاقجى)، و يظهر لى أن الكلمة تركية، و إن لم تستعمل إلا فى إيران و كردستان . و يبدو لى أن قروى (بنجوين) على أتم الصحة و الراحة، و هذا من الأمور النادرة فى هذه الأماكن، فبيوتهم منعزلة عن بعضها، و محاطة بالأسيجة. و يلوح لى أنها أدق ترتيبا من غيرها من البيوت التى شاهدتها فى أقسام كردستان الأخرى.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸۱

و يوجد فى (بنجوين) بعض العوائل اليهودية تتاجر مع (سنه) و (همدان) بالعفص و الجلود و غيرهما. و يصدّر الكثير من الجلود إلى (همدان). هذا و إن اليهود القرويين فى كردستان يزاولون مهنة الصباغة.

و تعد (بنجوين) ميناء أو سوق العشائر الرحالة، تصل منها القوافل إلى (همدان) فى ثمانية أيام و إلى (سنه) فى أربعة أيام.

إننى أندب حظى لجهلى التاريخ الطبيعى، و ذلك لأن مجال العمل للاستفادة منه فى كردستان واسع جدّا، فها أنا أميز من حولى حشيشة القراص و عنب الثعلب و الخبيز و هى لا تزال مزدهرة بالأوراق و كذلك السماق.

و من الطيور علاوة على (أبى الحناء) الذى ذكرته سابقا، هنالك نوع جميل من نقار الخشب ذى اللونين الأحمر و الأربد، و القمرى و منه نوع لم أره من قبل و هو منقّط تنقيطا جميلا، و عدد كثير من السمّن، و عدد وافر من الحجل الأحمر القوائم.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸۳

الفصل السابع الدخول إلى إيران

- بحيرة (زه رى بار)- كيخسرو بك- مضارب الجاف- مباراة الجريد- عبور جبل (زغروس)- قرويو (كه رران)- شتاء قارص- نزاع بين الجاف- سنه- فطور فخم- القصر- استبداد والى سنه- الحداد العام- الثورة- وفاة ابن الوالى- قنوط الوالى و قسوته- خوف رعيته- تغيير فى خطتنا- فزع وزراء الوالى- استعطاف المجلس- نجاح المجلس- فرحهم و امتنانهم- الرحيل من سنه إلى مضرب الوالى

*** ۲۰ آب: إثر وصول الحيوانات لنقل الجنود و المرضى و الأمتعة قررت مواصلة الرحلة إلى (سنه)، و غرضى من ذلك استعادة صحتى، و مشاهدة سلسلة (زغروس) بما فيها مضيق (كه رران) غير المعروف حتى الآن، و تثبيت موقع عاصمة كردستان الإيرانية.

سرنا فى الخامسة قبل الظهر، و لما كنت راغبا فى التأكد من طبيعة السهل الممتد حتى سفوح (زغروس) و اتجاه التلال الثانوية سلكنا طريق

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸۴

السهل و إن كان هنالك طريق مباشر من (بنجوين) عبر التلال، يقصّر المسافة ساعة واحدة تقريبا، و يمتد طريق السهل بمحاذاة حضيض التلال التى تحد سهل نهر (قزلجة) من الجنوب، و ينعطف مع انعطافها من الشرق إلى الجنوب. و تغطى الأشجار التلال من قممها حتى أسفلها. و إن سفوح هذه التلال ترتد أحيانا ارتدادا لطيفا على شكل أنصاف دوائر.

و كان يشغل القسم الأعظم من الساحات المتكونة من هذه الارتدادات مضارب عشائرية صغيرة مرتبة، لأولئك الذين كنا التقينا بجماعات كثيرة منهم أثناء مسيرهم. سرنا باتجاه الشمس تقريبا، و هذا مما جعل الالتهاب فى عينى شديد الألم، و سلبنى لذة التمتع بالسفرة، و لو لا ذلك لكانت بهيجة جدّا.

دخلنا إيران فى السادسة قبل الظهر، و كانت حدودها تبدأ بجسر خشبى صغير فوق نهر يصب فى (قزلجة)؛ و كثيرا ما تنضب مياه هذا النهر. و ما عتم أن اختفى نهر (قزلجة) نحو اليمين وراء التلال التى أخذت الآن تشطر السهل، و قد أخذ يزداد انعطافا نحو الجنوب. التقينا برجل مسن محمول على ما يشبه النعش و رأسه إلى الأمام، و كأنهم كانوا يسيرون به إلى القبر، و هو منتصب فى تلك المحفة ينظر إلى ما حوله.

و قد حقق عمر آغا فى أمره فعلم أن صخرة كسرت ساقه فى محاولته سرقة قرية فى ليلة سابقة.

و فى السابعة و النصف و نحن ننحدر من مرتفع صغير، شاهدنا بحيرة (زه رى بار) الصغيرة الصافية الزرقة، و من ورائها إلى الجنوب جبال (آورامان) الصخرية الجرداء التى لا تخترقها إلا النياسم وحدها.

لقد كان الجانب الأيسر من البحيرة جبليّا مشجرا، أما جانبها الأيمن فسهل يبدو أنه كان جزءا من البحيرة ذاتها قبل زمن غير بعيد، و قد انحسرت الآن إلى ما يقرب من ثلاثة أميال طولا و ميلين عرضا تقريبا.

و يحيط بالبحيرة- إلا جانبها الجبلى حيث لا يزال فى حوضه الأصلى-

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸۵

مستنقع مكتظ بالقصب عرضه ميل واحد تقريبا، مزدحم بالطيور البرية، و القنادس أيضا. و يقال إن أعمق محل فى البحيرة هو قرب وسطها، و هى تجمد فى الشتاء. و قد قال لى عمر آغا إنه كثيرا ما اصطاد فوقها و هى جامدة . و يعتقد الأهلون أجمعهم أن هذه البحيرة كانت مدينة فيما مضى، و قد أراد اللّه أن تغور الأرض بها بهزة أرضية لشرور حكامها و آثامهم. و يقول عمر آغا، على ما يتذكر، إن البحيرة قد تقلصت عن ذى قبل تقلصا محسوسا.

لقد كان اتجاهنا حتى الآن جنوبيّا شرقيّا ب (۷۰) د، و لكننا عند مضارب رئيس الجاف كيخسرو بك اتجهنا نحو الجنوب، و إن مضينا فى سيرنا نحاذى حضيض التلال و البحيرة على نحو ميلين عن يسارنا و قد استدار طريقنا نصف دائرة.

و لم نلبث أن التقينا بأربعة من عرفاء البك؛ كانوا و سيمى الطلعة، و فرسانا ماهرين، و قد وضعوا فى عمائمهم ريش البلشون (المالك الحزين)، و علقوا تحت بطون خيلهم سجاجيد تدلى منها الكثير من أشلة الصوف الصفراء.

و فى التاسعة و النصف وصلنا مضرب كيخسرو بك إلى جنوب البحيرة بميلين تقريبا. و قبيل وصولنا إليه استقبلنا البك بنفسه ممتطيا جواده الجميل، لقد كان أجمل الخيل التى رأيتها منذ عدة سنوات مضت. و كان برفقته أولاده الثلاثة، و محمد بك و هو نجل أخيه قادر بك رئيس الجاف السابق. و كان كيخسرو بك فى حالة نفسية مرحة أحسن من تلك التى سبق أن شاهدته فيها فى السليمانية. و كان أنيق الملبس يرتدى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸۶

معطفا إستانبوليّا فاخرا بأزرار ذهبية، أسبغ جمالا على مظهره. و كان ابنه الأكبر و هو شاب و سيم جدّا يرتدى لباسا مماثلا للباس أبيه فوق رداء فاخر من حرير أوروبى مشجر، أما ابنه الأصغر و هو فتى أبيض الشعر فكان يرتدى القطيفة السوداء المطرزة بالفضة. و كانت بصحبة البك ثلة كبيرة من فرسان الجاف بمظهرهم الجميل. فبدؤوا بمباراة جريد استمرت طيلة الطريق حتى المضرب، أظهر الشبان فيها مهارتهم. و كانت خيام البك من النسيج الأسود المعتاد و هى واسعة عالية تحيط بها السياجات أو الحصران. و قد أعدوا لى خيمة ديوان من الجنفاص لأستقبل فيها زوارى، و سياط مريح يعود إلى حرم البك، تخلّوا عنه لسكناى و سكنى قرينتى التى كن نسوة البك ينتظرنها فى السياط لاستقبالها. و كان الاستقبال فى غاية اللطف و حسن الضيافة.

و علىّ الآن أن أنهى مذكرات يومى هذا طاويا الكثير منها فى الذاكرة؛ فبعينى الملتهبتين و صدغى النابضين بالألم أصبحت غير قادر على الكتابة.

تقع على تل فى جنوبنا قلعة (مه ريوان) و هى خربة الآن و إننى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸۷

أعتقدها ساسانية. و على ذروة قمة تل آخر يؤلف الجانب الجنوبى لواد عرضه نحو ثلاثة أميال يمتد شرقا نحو سفح (زغروس) توجد خرائب قلعتين ساسانيتين باتجاه جنوبى شرقى ب (۵۵) د، و جنوبى شرقى ب (۶۰) د بالتوالى على قرابة ميلين أو ثلاثة أميال من مضربنا.

و تقع سفوح جبال (آورامان) السحيقة الجرداء على تمام الجنوب منا، و هى تمتد غربا مطلة على (شهرزور) التى تنفصل سهولها عنا بالتلال التى تنحدر من (أحمد كلوان) إلى (بنجوين) فالبحيرة. و يمر من بين جبال (آورامان) و (زغروس) واد ضيق يمر فيه طريق مباشر إلى (كرمنشاه) من السليمانية، يسمى بطريق (شاميان). و يسيل فى هذا الوادى نهر ينحدر من (كه ران) و يصبّ فى (ديالى). إن سلسلة (زغروس) جرداء عالية و هى ترى فى فترات من (سورانه) و (آردبابا) و قد تأكدت الآن بأنهما من (زغروس) ذاته، أما جبل (حاجى أحمد) ذلك القسم من (زغروس) الذى تصطاف فيه عشائر الجاف فيقع باتجاه شمالى شرقى ب (۶۰) د من مكانى، و يظهر أن (زغروس) ينعطف شرقا من (آردبابا) فى منطقة (بانه) إلى (كه ران) و من ثم يبرز بانعطاف شديد غربا باتجاه الطريق الذى سنسلكه غدا. و يقع مضيق (كه ران) فى اتجاه شمالى شرقى ب (۸۵) د.

أقام البكوات الشبان بعد ظهر اليوم مباراة جريد فى حضور قرينتى إظهارا لمهارتهم، و قضيت فترة من الليل مع كيخسرو بك فسمعنا بعض الأغانى الفارسية غناها لنا منلايان. و كان هناك بعض فقراء الهنود، و امرأة عجوز عارية تماما لكنها هادئة مؤدبة، و كان منظرها مأفونا، فهى مبتلاة بالصرع، و قد مستها الجنة فيما مضى فخلعت عنها لباسها و هامت على وجهها فى الجبال حيث عاشت عدة سنوات فى وحشة كاملة، و أخيرا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸۸

أعيدت من الجبال و رجع إليها الهدوء غير أنه لم يستطع أحد إقناعها على ارتداء الثياب، و قد تذهب أحيانا إلى السليمانية فتسير فى أزقتها عارية كما ولدت.

و فى هذا الكفاية مما أدونه عن رحلتى فى مضارب الجاف، هذا و قد كنت مضطرا، للعناية بصحتى و راحتى، على إيجاز مذكراتى قدر المستطاع و الاقتصار على بيان الحوادث الرئيسية منها، إذ بالإضافة إلى الالتهاب الذى أصاب عينى كنت أتألم ألما شديدا من الأوجاع التى أشعر بها فى قفا رأسى منذ أن أصبت بالحمى، و كثرة الكتابة تزيد فى اضطرابى و أوجاعى على الدوام.

۲۱ آب: ودعت مضيفنا الكريم- الذى لا أنسى كرمه البرىء مطلقا- فى الخامسة و النصف، و سرنا فى الوادى المتكوّن من امتداد تل (مه ريوان) فى الجنوب، و تلال (زه رى بار) فى الشمال باتجاه عام جاء ذكره فى مذكرات أمس، و هو شمالى شرقى ب (۸۵) درجة. و ما كان طريقنا مستقيما بل استدار قليلا، و عند نهايته اجتزنا سلسلة تلال صغيرة و وصلنا فى السابعة و النصف إلى (كووزه خوره) «و

معنى ذلك شجرة الجوز المعطوبة» و هى قرية صغيرة فى وهد ضيق. و فى الوادى الذى مررنا به وقعت المعركة- إذا صح التعبير عنها بذلك، إذ استغرقت عشر دقائق- التى أسر فيها عبد الرحمن باشا الزعيم الكردى، سليمان باشا كهية بغداد حينذاك مع القسم الأعظم من جيشه فى الحملة الهوجاء التى شنّها، باشا بغداد على الإيرانيين. لقد كانت سفرتى اليوم شاقة جدّا لاضطراب عينى، إذ كان مسيرنا باتجاه الشمس تماما. إن البيوت أو بالأحرى الأكواخ فى (كووزه خوره) مسقفة تسقيفا غير منسق بقصب طويل يستند على جسر محدب و يتدلى على الجانبين من البيت، و السقف بكامله

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۸۹

مرتفع ضيق. لقد سكنا كوخا من أحسن الأكواخ التى وصفناها و أظنه كان مسجد القرية. و البيوت كلها مفصولة عن بعضها بسياجات من الأغصان المشبكة؛ و إنها لقرية تعسة و إن سكنها الشيخ كريم أحد نائبى المنطقة الاثنين، و هو رجل مؤدب يرتدى كسوة على الطراز البابانى، لا الإيرانى. و قد أودعت رجلين من رجالى تحت رعايته لعجزهما عن مواصلة السفر لشدة مرضهما،- و قد مات أحدهما بعد ذلك بقليل و التحق بى الآخر فى (بانه).

۲۲ آب: تحركنا فى الخامسة و سرنا فى أرض تلية مكشوفة حتى السادسة، فوصلنا مدخل واد ضيق بين جرفين هدودين جدّا و قد شمخا برأسيهما الأجردين من فوق أشجار البلوط النابتة على حدودهما. و يسيل نهر عصر آباد أو (كه رران) فى المضيق، يمتد فوقه جسر منتظم على ثلاث قناطر، شيده أمان اللّه خان والى (سنه) الحالى. و كنا فى طريقنا منذ مغادرتنا القرية فى صعود هين فبدأنا الآن نرتقى ارتقاء محسوسا، و نهر (عصر آباد) عن يسارنا على مسافة نحو ميل، و يصب هذا فى (ديالى). و كان اتجاهنا إلى الجسر شماليّا غربيّا بسبعين درجة، و منه جنوبيّا شرقيّا بسبعين درجة.

و كان الطريق على غاية من الجمال يمر بين غابات السنديان و الدردار و الكمثرى البرية و الكروم و الصنار، و كانت تكسو التلال حتى قممها، و قد شاهدنا من بينها أشجار الزعرور و الأزهار البرية البالغة، و مما زاد فى روعة المنظر حيوية سير جماعة كبيرة من عشيرة الجاف نحو سهول (زه رى بار) بعوائلها و أغنامها و قد حملوا أمتعتهم على ظهور الثيران، و كان الأطفال فى مهود على ظهور النساء، أما الصبيان فقد أركب كل اثنين أو ثلاثة منهم سويّا على ظهر فرس أو ثور. و كان هناك الكثير من النسوة المسترجلات- و هنّ فى فرح و نشوة- يسرن سوية بين النساء

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۰

الأخريات، و يستبان أن لهن سلطة عظيمة فى إدارة الجماعات. أما الرجال فكانوا متئدين فى سيرهم و قد وضعوا (المقمعات) الدبابيس الكبيرة فى أحزمتهم، و السيوف على جوانبهم و التروس فوق مناكبهم، و بعضهم يسوق قطعان الغنم و الماعز و الخيل؛ و طبقة الوجوه منهم يمتطون الجياد. و كان أمر الاعتناء بالأولاد و الأثقال منوطا بالنساء.

و الجاف أناس ذوو ملامح شديدة، صعبوا المراس.

لقد كان الطريق جيدا جدّا، و الخانق الذى نرتقيه ضيقا بالغ الضيق.

و فى الثامنة إلا عشر دقائق وجدنا أنفسنا أمام مرتقى هدود فى اتجاهنا ذاته، و لم يكن المسلك كثير المنعطفات. لقد استغرق صعودنا و نحن نسير سيرا بطيئا مدة خمس و أربعين دقيقة، أما الجبال فكانت من الجبس و الأردواز، و فى الثامنة و النصف وصلنا أعلى الرقبة من الخانق فشاهدنا على الجانبين قمما جرداء أعلى، ثم بدأنا بالنزول توّا على نيسم شديد الانحدار، و قد قلّت الأشجار، و صرنا لا نرى منها إلا أشجار البلوط القزمة. و كانت الجبال فى كل الجهات، على مدى البصر عارية جرداء، و كأن الإنسان فى وسطها وسط بحر من التلال الربداء؛ لقد أصبح المنظر حزينا كئيبا، بعد ما كان بهيجا مفرحا. و فى التاسعة و خمس دقائق أدركنا أسفل المضيق، فجلسنا للفطور، الذى وجدناه معدا لنا تحت بضع أشجار من الصفصاف عند ساقية صغيرة.

يطلق على هذا المضيق فى (زغروس) اسم (كه رران)، و هو اسم أحد الشيوخ أو الأولياء كما قيل لى، و من المؤكد أن هذا الاسم لم

يكن من الأسماء الإسلامية. و يعتبر مضيق (آردبابا) المؤدى إلى (بانه) أسهل ممرّا، و لم يكن هذا المدخل إلى إيران مدخلا مبهجا قط، إذ كانت تبدو لنا الأشياء و كأنها عارية لفحتها النار. و يقال إنه لا توجد أشجار شرقا، حتى حدود الهند.

و فى الثانية و النصف استأنفنا مسيرنا من هنا و كان طريقنا يتعرج

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۱

خلال تلال عالية جرداء نابية المنظر متكوّنة من صفائح أحجار متكسرة، تغطيها تربة تضرب إلى الحمرة قليلا، و لم نر فيها أثرا للضرع و الزرع؛ أما اتجاهنا فكان جنوبيّا شرقيّا بسبعين درجة. و فى الثانية عشرة إلا ربعا وصلنا إلى نهر (و الظاهر أنه يصبح أحيانا سيلا جارفا) اسمه (كاكور زكريا) فعبرناه مرتين قبل أن نبتعد عنه، و هو عن يسارنا. و فى الواحدة إلا خمس دقائق حدنا عن الطريق العام إلى واد ضيق جدّا، و فى الواحدة و خمس دقائق وصلنا قرية (جه ناويره) الحقيرة، و نحن لا نزال فى منطقة (مه ريوان) أكبر ملحقات (سنه)؛ و ما كانت وجوه القرويين الكورانيين وسيمة كوجوه من كان منهم فى كردستان التركية.

۲۳ آب: سرنا فى الخامسة و الربع من صباح اليوم. و كان اتجاهنا جنوبيّا شرقيّا بخمسين درجة لمدة مسير نصف ساعة حتى بلغنا الطريق العام، ثم أصبح طيلة اليوم جنوبيّا شرقيّا بثمانين درجة، و كان الطريق يتلوى بين منعطفات الوديان الضيقة و يمر أحيانا من فوق التلال التى تفصلها عن بعضها و كان الارتقاء بوجه عام أكثر من الهبوط و الأرض بمناظرها قفراء كئيبة كيوم أمس. و لاحظنا أن المياه فى بعض الأماكن تجرى فى مجار ترابية اصطناعية لإرواء الزرع، و قد أخبرنى عمر آغا بأن التربة هنا أضعف من أن يستفاد منها فى الإنتاج الزراعى ما لم ترو إرواء اصطناعيّا؛ فالشتاء قارص جدّا و الثلوج الكثيفة تتراكم عليها زمنا طويلا. و فى السابعة إلا عشر دقائق مررنا بطنف اصطناعى ذى قمة مستوية، كطنف (جه م جه مال)، عن يسارنا فى واد ضيق بالقرب من حضيض تل من

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۲

التلال، و يسميه الأهلون (قالا) أى القلعة، و إن كان لا يجوز مطلقا أن تكون القلعة فى موقع يمكن فيه مهاجمتها حتى بالأحجار من التلال المجاورة.

و بعد أن مضينا فى الصعود طيلة طريقنا تقريبا منذ أن غادرنا (جه ناويره) هبطنا قرابة ربع ساعة، فوصلنا آخر منحدر فى الساعة الثامنة، على أننا أخذنا توّا بالصعود على مرتفع هدود و انتهينا إلى قمته فى الثامنة و النصف، حيث بدا لنا منظر جبل (زغروس) البديع؛ و ما كان الهبوط بشىء يذكر.

و فى التاسعة و عشر دقائق وصلنا خيام قرويى (به رروده) فى واد ضيق، و القرية فوق التلال عن يسارنا على بعد نحو ميل واحد. و يقيم قرويو (به رروده) مضاربهم فى الصيف فى هذا المكان على الدوام؛ إنهم فرغوا من حصاد زرعهم و هم الآن يدرسونه ببغالهم و ثيرانهم .

و وصلنى هنا رسول من السليمانية، و مع أنه جاءنى راجلا فإنه لم يمر على مغادرته لها إلا ثلاثة أيام.

غطّست المحرار فى منبع عذب بالقرب من الخيام فعجبت لدرجته إذ كانت ۶۱ د.

و وجدت بين التبن حشرة كبيرة تشبه الجراد، طولها نحو أربع عقد و كانت غير مجنحة و يبرز من ذيلها شىء يشبه السيف. و هى تعض عضّا مؤلما، و لا تؤذى الزرع، و يسميها الكرد (شيره كولله- أو الجراد الأسد) و وجدنا أيضا خلدا يسميه الكرد (موشه كوره) أو الفأر الأعمى.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۳

۲۴ آب: تنازع قبل خمسة عشر يوما تقريبا بعض رجال الجاف مع البعض من مجاوريهم فجرحوا أحدهم بالسيف جرحا بليغا. و فى الليلة الماضية بينما كان ثلاثة من الجاف يمرون بقطعانهم، تجمهر عليهم ستة أو سبعة فرسان من الأهلين المجاورين فطردوهم و سلبوهم قطعانهم. و لما بلغ الخبر أسماع عمر آغا أرسل من فوره أربعة من فرسانه فرجعوا بعد نصف ساعة إلى المضرب و معهم

الأغنام و أسيرين، و فى الليل جاء رفقاء الأسيرين و حسموا قضيتهم، فأطلق سراحهما و أرجعت الأغنام إلى أصحابها.

سرنا فى الخامسة و النصف و كان الصبح قارصا، و بعد أن تركنا القرية بقليل اجتزنا تلّا عاليا ناهدا و استمر طريقنا ملتويا طيلة مسيرتنا اليوم بين تلال الأردواز فى الوديان التى يسيل فيها شرقا جدول صغير يتجه نحو (كافرو) و يصب فى (ديالى)، و هو يمر فى قاع مكتظة بالقصب و الصفصاف و خضرتهما المبهجة تناقض مظهر تلال الأردواز الداكن.

و قد شاهدنا الكثير من عليقات الزهور البرية و شجرة اسمها بالفارسية (سنجد) و بالكردية (سه ن جوف) و بالتركية (ايده) و هى تحمل ثمرا صغيرا يشبه العناب .

و فى الثامنة ترجلنا عند ضفاف النهر للاستجمام، و بعد وقفة قصيرة، استأنفنا السير فى التاسعة إلا ثلثا، و فى التاسعة و النصف وصلنا إلى (دووى سه) و هى قرية كبيرة قذرة، تتألف من أكواخ حقيرة ذات

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۴

سقوف مسطحة مبنية على جانب من تل أردوازى أجرد، غير أننا شاهدنا الكثير من البساتين و الكروم فى الوادى و على جوانب بعض التلال المجاورة، و ذلك مما أسبغ على المكان منظرا أجمل من أى منظر آخر رأيناه منذ اجتيازنا (كه روان).

و يرتدى وجوه هذه القرية اللباس الإيرانى، و يقلدهم فى ذلك النساء. لقد استغرقت سفرتنا اليوم ثلاث ساعات و ثلث الساعة، و كان اتجاهنا شماليّا شرقيّا. و لم أكن منتعشا اليوم، لملاحظة الاتجاهات بالبوصلة باستمرار.

و تقع (دووى سه) التى نزلناها اليوم فى منطقة (حسن آباد)، و كذلك مدينة (سنه) عاصمة الإيالة و هى على بعد ثلاثة فراسخ إلى الشرق الجنوبى من هذه القرية .

۲۵ آب: وصل القرية ليلة أمس ميرزا فيض اللّه أحد كاتمى سر و الى (سنه) و يظهر أن الوالى و هو الآن فى سياحة فى مقاطعاته الشمالية، قد علم بوصولنا منطقته فأرسل الأوامر إلى (سنه) لإنزالنا فى قصره، و استقبالنا بنفس الاحترام الذى يقابل به هو، و على هذا أخذ ابنه الثانى و هو الآن حاكم المدينة الفخرى يستعد لاستقبالى و معه كل القطعات العسكرية الأمر الذى أرغب فى تجنبه، و لذا فإنى رفضت أن تقام هذه المراسيم رفضا باتا. و لكن أوامر الخان كانت حاسمة، و هو لم يكن من الرجال

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۵

الذين يخالف لهم أمرا مهمّا كان طفيفا، فجابهت الصعاب فى التملص من هذا الاحتفال، و لم أفلح فى طلبى إلا بعد أن بينت لهم جازما بأننى سأرجع من حيث أتيت إذا ما أصروا على رغبتهم، كما وعدت ببيان الأسباب للخان، و أخيرا انتهينا إلى حل وسط و هو أن يستقبلنى اثنان أو ثلاثة من الأعيان فى حديقة الوالى، حيث كنت أنوى الإقامة فى الوقت الحاضر.

و جاءنى الميرزا برسالة من محمد خان الأمير الصغير، و هدية من الفواكه محملة على ستة بغال و حمل بغل واحد من الثلج.

أعاقتنى المفاوضة عن الحركة حتى السادسة و النصف. و كان وجه الأرض على ما هو، لم يتغير سوى أنه كان أكثر انكشافا. و شاهدنا فى بعض الوديان البساتين و الكروم و القرى الصغيرة. و مستوى الأرض يأخذ بالانخفاض كلما اقتربنا من المدينة ثم يرتفع ثانية من ورائها، و من بعد عدة منخفضات و تلال ينتهى بسلسلة تلال (بازرخانى) العالية الممتدة شمالا و جنوبا. و تمتد فوق هذه السلسلة القصيرة الطرق إلى (همدان) و (طهران) .

سرنا ببطء و على الأخص فى القسم الأخير من الطريق، إذ شعرت بتوعك شديد، و أخذ يضايقنى الدوار الذى اعترانى من قبل.

و لمدينة (سنه) منظر خلاب أكثر جمالا- مما كنت أتوقعه، بقصرها المحاط بالأبراج و المشيد على مرتفع. و ببعض الأبنية الجميلة القائمة حول سفوحه. و باقترابنا من المدينة انعطفنا إلى اليمين إلى بستان (خسرو آباد) و هى على بعد يقل عن ربع الميل من الجنوب الغربى منها، و على منحدر يبدأ من قاعدة تل مرتفع جميل ينتهى عندها. و البستان يبدو

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۶

عن بعد و كأنه مشتل أشجار من الحور، إذ لا يحيط به جدار أو سياج سوى تلك الأشجار المتراصفة. و قبل العاشرة بعشر دقائق وصلنا المدخل ففاجأتنا المناظر الجميلة مفاجأة سارة، و ولجنا ممرات تكتنفها أشجار الحور الباسقة الجميلة من الجانبين إلى قصر فخم، سامق تحيط به الحدائق، و أحواض مربعة جميلة تعلوها النافورات و هى أمام القصر و خلفه، و كانت النافورات دافقة، و قد وضعت سلال الفواكه الزاهية من حول الأحواض. و كان الصيوان أى القصر شامخا و قد زين بالنقوش المذهبة على الطراز الإيرانى. و فى الحديقة مجموعات نفيسة من أشجار الفواكه صفت بذوق لطيف و كنا نطل من الصيوان على طريق الحديقة الرئيسى المعرش بالأشجار- المخرفة - و قد كان منظرا خلابا حقّا.

نظم هذه الجنينة أمان اللّه خان الوالى الحالى قبل أربعة عشر عاما و سماها ب (خسرو آباد) تخليدا لذكرى والده، خسرو خان الوالى السابق. و هى على رقعة أرض مساحتها ستمائة (كز) شاهى مربع مقسمة إلى مربعات

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۷

تتخللها ممرات من أشجار الحور يتوسطها ممر رئيسى. و قد غرست المربعات بأشجار الفواكه النضرة على اختلاف الأجناس التى تنمو فى هذا الإقليم، و زرعت بالقرب من الصيوان و الممر الرئيسى عليقات الورد و أنجمه.

و استقبلنى عند مدخل الجنينة ميرزا فرج اللّه عم الأمير الصغير الذى اتفق أن كان فى (سنه) و عناية اللّه بك أحد رجال المدينة البارزين و سادة آخرون لا تحضرنى أسماؤهم.

و وصلنى بعد الظهر ساع سريع من الوالى ذاته، يلتمسنى بعد بقائى و استجمامى فى (سنه) أن أعود إلى السليمانية بالطريق الذى هو عليه الآن. و لما كان هذا الطريق لا يعيقنى كثيرا فضلا عن كونه يتيح لى فرصة رؤية بعض الأماكن الجديدة المهمة، و طدت العزم على إجابة طلبه و لقد أعجبت الإعجاب كله بالحديقة و الصيوان اللذين لم أشاهد حتى الآن مثيلا لهما فى الشرق. و الصيوان كغيره من الأبنية المشيدة على طرازه تقليدا لنمط جوسق (جارباغ) فى أصفهان، و غيره من الأماكن المماثلة له التى ترجع إلى عهد الدولة الصفوية.

و بعد انتظار طويل خارت بعده قوانا من الجوع، دعينا إلى فطور فخم، أو بالأحرى إلى طعام عشاء غنى، خصصت فيه لكل منا صينية واحدة؛ و دعينا ثانية فى العاشرة مساء إلى طعام مثله.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۸

و الرجال الذين قابلتهم هنا- و كلهم كورانيون- يتخاطبون بالكردية الكورانية، و لكنهم كانوا يكلمونى بالفارسية، و كانوا جميعهم يرتدون اللباس الإيرانى الأمر الذى لا ينشرح له الصدر؛ و هم لم يتصفوا بأى حال من الأحوال بالصراحة و الرجولة اللتين يتحلى بهما أصدقائى البابانيون. و لا شك فى أن اللباس الإيرانى، و العادات الإيرانية كانت نابية عنهم، هذا و إننى أعتقد بأنهم يعتبرون فى هذا الباب أحط منزلة من الكرد، فهم فى مظاهر تبدو عليها الذلة. و قد قال عمر آغا فيهم «إنهم ليسوا من القبليين» و لا بد لى أن أعترف بأن عمر آغا كان فى مظهره على النقيض منهم تماما، فهو بمظهره العسكرى البين و بلباسه الفضفاض و عمامته المرقطة المنحسرة إلى الوراء و التى تكشف عن ناصية جميلة تنم عن كل معانى الرجولة، كان كالأمير بينهم؛ و قد وجدته واسع الشهرة عظيم الاحترام فى هذه الأوساط.

۲۶ آب: يختلف الإيرانيون عن الأتراك فى ناحية واحدة و ذلك فى أنهم لا يتركونك و شأنك، فقد ينزلك الرئيس التركى فى داره مرحبا بك ثم ينصرف عنك، إلا إذا رغبت فيه، و على الأخص إذا كنت مصحوبا بسيدة، أما الإيرانيون فيتجمهرون حولك ليلا و نهارا، و لا سبيل للتخلص منهم، و إن كنت خارج المدينة. لم تستطع قرينتى أن تغادر غرفتها لنزهة فى الجنينة، و علمت أننا نتمكن من فضهم من حولنا إذا سكنا المدينة.

و لما كان المضيفون يرغبون فى سكنانا فى الجناح المعد لنا فى القصر و كنت أيضا من الراغبين فى مشاهدة شىء من المدينة، وافقت

على الاقتراح و غادرت الحديقة صباح اليوم. و بعد أن هبطنا راكبين المنحدر الذى شيدت عليه الجنينة إلى وهد قذر، وصلنا بعد بضع دقائق إلى سور المدينة الخارجى و هو من «الطوف» و من هنا ارتقينا شارعا و عرا رديئا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۱۹۹

حتى مدخل القلعة أو القصر، فوجدنا الحرس فى انتظارنا لتحيينا.

و يتألف هذا الحرس من قرابة مائة آورامى مسلح بالبندقيات، أنيط بهم شرف حراسة القصر، و كانوا رجالا غريبى المظهر- لا تبدو عليهم السحنة القبلية- يرتدون ملابس صوفية خشنة بيضاء على طراز يشبه الطراز الإيرانى بعض الشبه و على رؤوسهم قبعات غريبة الشكل من اللبد الأسود مدببة القمة، تنتهى عند الأسفل بذوائب طويلة دقيقة أشبه شىء بالعناكب ، و كانوا متكئين على بندقياتهم الطويلة و هم يتفرسون فينا و نحن نمر بهم.

أدخلنا من فناء إلى غرفة واسعة على شرفة تطل على المدينة، و بعد مرور بضع دقائق جاء الخان الصغير و هو طفل جميل فى التاسعة أو العاشرة من عمره، إلا أن رزانته و وقار مظهره كانا أكثر مما يتحلى به طفل فى سنه؛ و يبدو أنه قد تظاهر بذلك بهذه المناسبة. و قام عناية اللّه بك، الذى لف شالا حول قبعته على الطريقة المتبعة فى القصر بدور رئيس التشريفات و الناطق بلسان الخان، أما ميرزا فرج اللّه فقد وقف إلى جانب ابن أخته و كان كل من يدخل الغرفة من الخدم أو غيرهم يحيّى الأمير الصغير بانحناءة لا رشاقة فيها، و لكنه لم يهتم بأى منهم.

هيئت القهوة و الشرابات و أطباق الحلوى، و قدم لى الخان الصغير بيده القهوة و الشرابات. و قد لاحظت أن الإيرانيين كافة يأكلون الحلوى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۰۰

أكلا- لا- اعتدال فيه. و لم نتبادل أى حديث ذى بال، سوى الإطناب بعبارات الترحيب و المجاملة. و بعد أن اعتذر الخان الصغير و تركنا، تجولنا فى أنحاء القصر.

هناك صيوان(Pavilion) جديد مشيّد فى مؤخرة الشرفة عند المدخل سمىّ بالخسروية على اسم أكبر أولاد الخان من الأحياء، و اسمه خسرو خان لكن اسمه أبدل مؤخرا ب (محمد على) تيمنا. و كان بالقرب من الغرفة المعدة لى بهو الاستقبال القديم الذى شيده خسرو خان والد أمان اللّه خان بعد ولادة ابنه الوالى الحالى و ذلك قبل سبعة و أربعين عاما، فالنقوش و الزخارف المذهبة التى كانت يوما ما جميلة، أصبحت لا يمكن ترميمها الآن. لقد أكسيت جدران البهو بالخشب على ارتفاع أربعة أقدام تقريبا، و رسمت عليه الأزهار. و رسمت على الأقسام العليا من الجدران رسوم مختلفة تمثل معركة (جالديران)، و المعركة التى دارت بين (تيمورلنك) و (بايزيد)، و رسوم بعض ملوك إيران الصفويين و رسم الشاه الحالى بلحيته الخارقة ، و رسم إسكندر الكبير، و إلى جانبه ساعة و هو

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۰۱

اللوح الرقم (۳) جنديان كرديان من (آورومان- هەورامان)

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۰۲

يرتدى البزة الإيرانية، و بوجه امرأة خليعة، هذا و من الغريب جدّا أن نرى الإيرانيين يؤثرون عن الإسكندر كونه شابّا، أمرد و سيم الطلعة.

و كانت واجهة البهو مكشوفة، تدعمها الأعمدة و فى منتهاه مقصورة يطلق الإيرانيون عليها اسم (شاه نشين)، و هى على جانب عظيم من الزخرف و فى وسطها حوض ماء صغير و تفصلها عن البهو نوافذ زجاجية تسدل عند الاقتضاء. و يسمى هذا النوع من البهو بالتالار «الطرار»- إيوان، و هذه كلها تقليدا لأبنية الصفويين فى (أصفهان). إن سعة هذا الإيوان عدا المقصورة خمسون قدما طولا و خمسة و عشرون قدما عرضا.

و إذا ما انعطفنا نحو زاویـة ذلک الإیوان المزدان بالأنجم و الأوراد نجـد بهو الاسـتقبال الجدیـد الذی بناه أمان اللّه خان قبل نحو أربع سنوات.

و هـذه الغرفـة أکبر من الإیوان، تسد و اجهتها نوافذ ذات رسوم بدیعة. و هی غرفة فخمة جدّا، و الإزارة منها من المرمر الشـفاف قلیلا، أو من الرخام المعرق و قد لونت الإزارة تلوینا جمیلا و موهت بالذهب بذوق سلیم و ألوان متناسقة. و کانت درجات السلم من الرخام المعرق ذاته، و قـد جیء به من تـل علی طریق همـدان، و قـد اسـتخرج من الأرض بعناء شدیـد. و لکن مما ألحق الضـرر البالغ بجمال الردهـة ما رسم علی الأقسام العلیا من جدارها من الرسوم البخسة و هی أشـبه ما تکون برسوم اللافتات؛ و هی تمثل الملک سـلیمان، و ملکـة سـبأ، و معرکة دلهی و نادر شاه یعید التاج إلی المغول و رسوم أخری تمثل حوادث مماثلة. و الأنکی من کل ذلک وجود صور منتصـبة زعموا أنها تمثل إمبراطور روسی، و أمیر الغال، و حاکم الهند العام و ملک الأسبان و إمبراطور ألمانیا، و بونابرت و هو یحمل بیده بندقیة و حربة. لقد کانت کلها رسوم سـمجة لا تمت إلا هؤلاء بشـبه لا فی السیماء و لا فی القیافة، إلا رسم إمبراطور روسیا الذی إذا نظرت إلیه عرفته لأول و هلـة. و قـد رسـموا أیضا جلالـة الشاه الإیرانی بلحیته المرعبـة و هو مثقل بالمجوهرات. و علی جانبی البهو شرفتان

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۲۰۳

صغیرتان مرتفعتان زینتا تزیینا بـدیعا تعرف عنـدهم ب (بالإخانة) و أری أن کلمة (بالقون) الإنکلیزیة محرفة عنها، و کلها مجموعة من ماء الألوان الزاهیـة المذهبـة و فی الواقع کانت الإزارة برخامها المعرق فخمة و جمیلة معا. هذا و لو اسـتعیض عن هذه الرسوم السـمجة المرسومـة علی الجـدران برسوم من ریشـة (روبین) بألوانها الفنیة التی تتلائم مع باقی أقسام القاعة، أو إذا تعذر ذلک- و هو الواقع- و استعیض عنها بقطع من سجاد (غوبلین) لأصبحت غرفة تستحق عناء السفر لمشاهدتها فی أی ناحیة من أوروبا.

و هنالک علی بعـد قلیل من هـذه القاعـدة توجـد غرفـة صـغیرة مکسوة جـدرانها بالمرایا، و مزوقـة تزویقا غریبا بالأباریق و الأکواب و القنانی و کؤوس الزجاج و غیر ذلک.

یجـد الإـیرانیون لـذتهم الکبری فی ذلـک، و أنهم کانوا یکشـرون عن أسـنانهم و یحـدقون بوجهی لاستشـفاف أمارات العجب و هم یطوفون بی فی غرفـة التحف هـذه. و یوجـد علی بعـد قلیل فی فناء آخر أیضا محراب صـغیر جمیل، و أبنیـة عدیدة لم یتم بناؤها بعد، کان فی إحداها نافذة إنکلیزیة بارزة علی الإیوان و الدکة. و سیکون القصر بعد إکماله قصرا بدیعا جدّا، و لکن ستظهر علیه الکثیر من المتناقضات الشرقیة کالممرات الضیقة المظلمة القذرة و السلالم الخطرة و غیر ذلک.

و قـد فـاتنی أن أشـیر إلی رسم فی البهو الجدیـد یمثل معرکـة (مه ریوان) یظهر فیه رسم أمان اللّه خان و أتباعه الکورانیین بارزا و قد اقتید (سـلیمان کهیا) أسیرا إلیه، و قد مر بنا أن هذه المعرکة قد انتهت خلال عشر دقائق و سلم الکهیا نفسه إلی عبد الرحمن باشا دون أن یخوض الإیرانیون أو الکورانیون القتال .

و لأمان اللّه خان کما لغیره من الإیرانیین هوایة ملحة فی البناء و هی

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۲۰۴

هوایة یمکنه أن ینغمس فیها بسهولة لتمکنه من تسخیر العمال و أرباب الحرف علی الاشتغال له مجانا لقاء بعض الامتیازات کتخویلهم تسـخیر مواشـی القرویین فی حمل الأثقال عند الحاجة، أو إعفائهم من قبول ضـیوف الحکومة أو موظفیها، أو حمایتهم من الدائنین أو التساهل معهم فی أمور أخری شبیهة بها فی تطمین هواياتهم.

فجـامع لطیف، و تحسـینات فی القصـر، و بعض الحمامـات و الخانـات و سوق کبیر حول المیـدان و إن لم تـدخر فیه الأـموال الادخار الکـافی و أبنیـة أخری کان ذلک مما یتلائم و ذوق أمان اللّه خان و طغیانه. إن السائـح لیعجب بعظمته، و لکن المواطنین المساکین و القرویین یئنون عند ذکر منشآته.

لقد شيّد القصر فوق مرتفع عال، يشرف على المدينة كلها و هو محاط بسور من «الطوف» كان فى حالة رديئة جدّا. و يقع عند أسفل التل قسم من المدينة، فسور آخر ذو أبراج و من ورائه قسم آخر من المدينة و هو محاط أيضا بسور آخر. لقد وسّع أمان اللّه خان المدينة كثيرا خلال الأعوام القليلة الماضية، و تشاهد و أنت فى شرفة القصر بعض البيوت الأنيقة المشيدة بالطابوق، أما المساكن الاعتيادية فمن الطين المجفف كبيوت السليمانية. و تحيط بالمدينة من الجهات كلها أرض ترتفع عن مستواها، و هى على منحدر يوصل إلى واد مكتظ بالحدائق و الكروم، و هذا مما جعل أزقة المدينة متموجة صعودا و انخفاضا، و ترتفع الأرض بعد الوادى ثانية إلى تلال متكسرة تنتهى فى سلسلة (بازرخانى) التى مرّ ذكرها.

و لم تكن الحمى الراجعة مجهولة هنا خلال موسمى الربيع و الخريف. و قد عمت وطأتها هذه السنة كل الأماكن، كما شحت المياه شحّا محسوسا فى كل أنحاء إيران و كردستان التركية. و يعتبر موقع القلعة و الأراضى المرتفعة حول (سنه) من المواقع الصحية.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۰۵

رجعت إلى غرفتى متعبا من استعراضى للقصر- و إننى لا أحب التجوال لمشاهدة البيوت- و لم آسف لرؤيتى فطورا فخما، أو بالأحرى عشاء مهيّئا، و بعد تناوله اضطجعت للراحة فى الإيوان، و عندما نهضت زارنى بعض أعيان المدينة و رجعت عند غسق الليل قرينتى من الجنينة.

أما طعام العشاء فلم يؤت به كما هو المعتاد قبل العاشرة، و علمت أن الإيرانيين يتناولون عشاءهم عادة بعد هذه الساعة.

۲۷ آب: علمت من ميرزا فيض اللّه بأن الكرد يطلقون علما عاما على (زغروس) هو (شاهو) و هذا الاسم هو الشائع عن جبل (جوان روو)، و لكن المفهوم لدى الكرد العارفين فى هذه البقاع بأن هذه التسمية العامة تنطبق على الجبال المنحدرة بين (شيراز) و (بوشهر) و منها إلى (بندرعباس).

و (سنه) التى كانت سابقا على طنف مستو إلى جنوب المدينة الحالية، قد بناها قبل مائة و خمسة و سبعين عاما أحد أجداد أمان اللّه خان، و هى الآن تضم أربعة أو خمسة آلاف عائلة، منها مائتا عائلة يهودية و خمسون بيتا من الكلدانيين الكاثوليك التابعين إلى بطريركية ديار بكر فى أبريشية الموصل، و لهم كنيسة و قسيس، و كلهم أرباب حرف أو تجارة بنطاق ضيق و سكان المدينة المسلمون كلهم سنيون شافعيون، أما الوالى و عائلته فقد تظاهروا بالتشيع إرضاء لشاه إيران.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۰۶

وصلنا (سنه) و هى فى كرب شديد، إذ كانت المدينة فى حزن عام بسبب الحادث التالى: «ذلك أن محمد حسين خان أكبر أنجال الوالى، و هو من أم من عامة الناس و ابنة صراف فى المدينة، كان قد حرم من ولاية العهد و جعلت لأخيه الثانى محمد على أو خسرو خان، و أم هذا من أعرق بيوتات (سنه) بعد بيت الوالى نفسه. فضلا عن كونه أحب أنجاله إليه. و قد نشب نزاع بين الأخوين، أظهر فيه الأب تحيزا بينا بجانب نجله الأصغر، فاشمأز محمد حسين خان من ذلك، كما استغل بعض الانتهازيين هذه الفرصة لتوسيع شقة الخلاف فوعدوه بالتأييد و من ثم أغروه على الهروب من (سنه) ففر منها قبل بضعة أشهر على رأس عدد كبير من الأتباع، و كان محبوبا منهم. و قد سار على الطريق المار بين منطقتى بغداد و (كرمنشاه) و غزا فى طريقه بعض العشائر التابعة لحكومة والده، كانت ترعى مواشيها فى سهول بغداد و خانقين. أما الوالى فبعد أن حصل على موافقة شاه إيران طارد نجله على رأس جيش- كنت قد وصلت فى شهر آذار الماضى إلى (خانقين) و (قصر شيرين) بعد مغادرة الوالى لهما بيومين - و أخيرا التقى الوالد بولده فى منطقة كرمنشاه، فدارت بينهما معركة قاتل فيها الفريقان قتالا عنيفا. و قد وجه الوالى أوامره المشددة بأن لا يقتل أحد ابنه أو يجرحه، و لكن الولد جرح فى المعمعة فنقل إلى (سنه) بعد المعركة حيث توفى متأثرا من جرحه، فطاش عقل الوالى و قطع رؤوس عدد كبير من أتباع ولده فى موقع المعركة، كما أعدم أكثر من مائة شخص من أعيان (سنه) بعد عودته إليها، و فر منه ما يقارب أربعمائة شخص آخر إلى (كرمنشاه) فدمر بيوتهم و صادر ممتلكاتهم، فاضطر نساءهم و عوائلهم إلى الاستجداء.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۰۷

أما نجله الثانى محمد على أو خسرو خان ولى عهده فى الحكم فيافع يبلغ نحو الخامسة عشرة من عمره و قد سبق له أن تلقى إرادة الشاه فى استخلاف والده، كما تمت خطوبته لإحدى بنات الشاه، و سيتم قرانه فى النوروز المقبل، و يحتفل بزواجه احتفالا عظيما فى طهران. أما الآن فإن الوالى يتجول فى الأنحاء مشددا على رعيته لجمع المال اللازم لهذا الزواج الذى إذا ما أضيفت إليه أثمان الهدايا الواجب تقديمها إلى الشاه فستصبح تكاليفه باهظة جدّا. أما صغيره الذى تركه فى (سنه) فيدعى محمد خان و هو يبلغ نحو العاشرة من عمره. و للوالى من الأولاد ثمانية.

و يبلغ أمان اللّه خان و الى سنه السابعة و الأربعين من العمر، و يقال فيه إنه سيد الكياسة الإيرانية و ظرفها و سياستها. و يعترف الإيرانيون أنفسهم بأنه يفوق أى واحد منهم فى دهائه، و هم مجمعون على أن جميع وسائل التوقى من الوقوع فى حبائل مكره و ريائه عديمة الجدوى. و يقال فيه أيضا إنه ماهر كل المهارة فى تسخير من يشاء و استمالته إليه بأطواره المغرية و بسلوكه المحبب، و لكنه يستهدف دوما الأغراض الشخصية فى كل ما يفعله و يصنعه، و لا يمكن الركون إليه، و لقد بلغ به الولع بحشد المال و القسوة درجة جاوز فيها معظم الحكام الإيرانيين، و إذا ما ذكر اسمه ارتجفت إيالته خوفا و ذعرا. و هو دقيق التنظيم مجيد له، و يقال إنه يملك ثروة عظيمة جمع أكثرها من الاتجار و إن له رؤوس أموال كثيرة لدى عدد من التجار يستغلونها لحسابه، و يملك ما ينوف على الخمسين ألف رأس من الأغنام موزعة على أناس عديدين ليعتنوا بها له على أن

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۰۸

تحضر له فورا عند طلبها مهما مر عليها من الزمن، و هذا يعنى أن أغنامه يجب أن لا تعمر، و أن لا تمرض، و أن لا تموت، و أن لا تفترسها الذئاب، فإنه شريك كل تاجر أو كاسب فى إيالته، و بالأحرى أنه هو المحتكر الأول فيها. احتجت إلى علبة جديدة لمزولتى، و لما كان الخشب كله بل النجارون كافة ملكا للوالى فقد اضطررت إلى استصدار الأمر من ميرزا فرج اللّه لصنعها. و قد تكرر الحادث نفسه عندما طلبت قيطانا من الحرير الأخضر لمسدسى، و طلبت مرة من أوفانس أن يحاول الحصول على بعض النبيذ، فراجع أحد المسيحيين، فأجابه: إنه لا يجرؤ أن يعطيه ما يطلبه دون صدور الأمر إليه إذ إن للوالى العلم بكل ما فى داره من قنانى الخمر و على شركاء الوالى جميعا أن يعتنوا العناية الكلية فى جعل دخله دخلا منتظما، مهما كان نصيبهم من الكسب. إن (الكوركجى باشى) أو فراء الوالى رجل مسيحى، كان قد أعطاه الوالى مائة تومان ليتاجر بها لحسابه على أن يدفع له بانتظام عشرين تومانا سنويّا، و قد وجد الرجل المغلوب على أمره فى هذه صفقة خاسرة و هو يرغب من الصميم أن يعيد الدراهم له، و لكنه لا يجرؤ حتى على ذكر ما يدور بخلده. و الوالى الآن يقوم بجولة فى أنحاء إيالته، و قد أرسل أهالى (ساقز) يعرضون عليه ستمائة تومان على أن لا يزور مدينتهم فأجابهم بأنه سيزور مدينتهم و سيستلم منهم ألف تومان. لقد سمعت النوادر العديدة من هذا القبيل؛ فقبل مدة من الزمن ذهب أربعة من أعيان (سنه) ليقبّلوا أقدام الشاه شاكين له ظلم الوالى متوسلين بجلالته أن يحميهم منه فأحالهم الشاه إلى ابنه محمد على ميرزا و طلب الوالى شراءهم منه و بدأت المساومة ثم تمت الصفقة. و بعد ذلك عرض الوالى على الأمير

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۰۹

مبلغ ألفى تومان علاوة على الثمن المتفق عليه إن هو أرسلهم إليه بعد فقء أعينهم فى (كرمنشاه)، فوافق الأمير وفقئت أعين هؤلاء البؤساء و أرسلوا مكبلين إلى (سنه).

ذهبت صباح اليوم لزيارة الخان الصغير، و كان جالسا فى ال (شاه نشين) شرفة الإيوان و معه عناية اللّه بك، و نبيل آخر من المدينة و كلاهما فى اللباس الرسمى. قدمت المرطبات كالمعتاد و لم يدر بيننا من الحديث الممتع إلا قليلا. و قد وجهت إلينا الأسئلة الكثيرة عن فرنكستان، فكفانى عمر آغا عناء الإجابة على معظمها إذ أصبح الآن ملما بهذه المواضيع.

و كان الكل يتساءل باهتمام عن (مالكولم) .

و جاء لزيارتى بعد ظهر اليوم بعض أفراد عائلة الخان فاستقبلتهم فى «الطرار» الإيوان الذى يقيم فيه الخان الصغير ديوانه صباحا، و أقيمه أنا عصرا.

و كان (الخانات) الذين جاؤوا لزيارتى كل من شير محمد خان أحد إخوان الوالى و سبحان و يردى خان أحد عمومته و أحمد خان ابن عمه، و كلهم بلباسهم الرسمى، أسياد أماجد متقدمين فى العمر؛ لقد تكلموا عن تاريخ عائلتهم العريق فقالوا إنهم أمراء (سنه) منذ سبعمائة عام، و إن اسم عائلتهم (مامولى)، و هى فى الحقيقة قديمة جدّا غير أن كونها (كورانية) أو من طبقة الفلاحين، ليست محترمة لدى القبليين. و أخبرنى أيضا بأن اسم (آردلان) كان يطلق فى الأصل على شخصية شهيرة من

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۰

العائلة و منذ عهده صار يطلق على حكام هذه المناطق اسم ولاة (سنه يى أردلان) كما يطلق على حكام السليمانية اسم (مير ميران بابان). و قد ظن البعض من قبل بأن (أردلان) كانت تطلق على المقاطعة فقط، لكنهم أكدوا لى خطأ هذا الظن. و عند ما امتدحت بعض الأبنية، أفاد أحد الخانات قائلا إنهم أنفقوا جميع أموالهم على بيوتهم على خلاف البابانيين الذين حصروا استثمار ثروتهم فى اكتناز المال و اقتناء الأموال المنقولة ليكونوا على أهبة الرحيل فى أى لحظة، عند حدوث اضطراب، أو عزل رئيسهم. و علق عمر آغا على هذا الرأى فورا بقوله (أجل، إنكم تنفقون المال على البيوت، إذ إنكم لا تبالون بمن يرأسكم فأنتم راضون بما أنتم عليه. أما نحن فمستعدون للحاق برئيسنا حيثما حل، فنشاركه الملمات و المصاعب و الأخطار، و إننا نحتفظ بأموالنا له ليستعين بها على العيش فى الأوقات العسيرة. و ما كان هذا القول مجرد ادعاء أو تفاخر بل كان الحقيقة بعينها. و إننى أستطيع أن أبرهن ذلك بالكثير من الوقائع التى حدثت على علم منى. فلو عزل أمان اللّه خان لما لحق به أحد إلا بعض الخدم الذين يستطيع تأدية رواتبهم. و لكن لو عزل محمود باشا السليمانية لغادر كل أقاربه البلاد على الفور و لحقوا به و قدموا كل ما ملكت أيديهم من مال و أملاك، بل لا شتغلوا يوميّا بأجور زهيدة ليساهموا بها فى توفير المساعدة لسيدهم و تأمين راحته. و من أبرز أوجه التباين بين القبليين و الكورانيين هو اختلاف المحسوس بين روحيهما لأن الكورانيين أناس مستكينون جبناء و يقال إنهم أكثر خسة و أشد خداعا و أعظم ميلا إلى اللصوصية من الإيرانيين أنفسهم.

و لقد لاحظت أمرا يبعث على الارتياح فى سلوك الإيرانيين، و هو أنهم لا يداورون أو يتحايلون كما يفعل الأتراك، لكى يتحاشوا الجلوس

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۱

فى مكان أدنى من مقام الأوروبى فيتقدمون عليه، فهم يسعون لإجلاسك فى صدور مجالسهم و يعاملونك إجمالا كما يعاملون أحد كبرائهم.

لقد سافر المستر (به ل لى نو) هذا المساء فى جولة أثرية إلى (همدان) و (كرمنشاه).

۲۸ آب: استعرض أمامى مساء اليوم السربازيون- الجنود النظاميون- ولدى الوالى (۳۰۰) جندى منهم جندهم قبل عام أسوة (بعباس ميرزا) الذى أرسل له ضابطا روسيّا و بعض الجنود الروس لتدريبهم و قدم له طبولا- و مزامير .. أما تدريبهم فيجرى على الطريقة الإنكليزية، و من الغريب أن تسمع الطبول و الأبواق الإيرانية تعزف قطعة «الكرينادیه البريطانية» فالضباط و خيرة الجنود السربازين هم الآن مع الوالى، و لم يبق فى (سنه) إلا مائة منهم و كلهم حديثو العهد بالجندية على ما قيل لى. و هم يشبهون مضيف (فولستاف) و لباسهم القبعات الإيرانية الاعتيادية و الستر الإيرانية الطويلة أدخلت فى سراويل من الكتان الأبيض و هو لباس، لا ينسجم على أناس يمثلون الجندية تمثيلا محزنا. و يبدو لى أنه لم يحصل من تدريبهم على نتيجة تذكر بمثل تلك المدة القصيرة. فقد كانوا يحملون بنادق إنكليزية جيدة اشتراها لهم الوالى من الشاه الذى يتاجر باستيرادها من الهند فيبيعها بثمن باهظ إلى أولاده و رعيته. لقد كان أحد الروس يصدر الإيعازات و آمر الفوج واقفا إلى جانبه و بيده هراوة راع، يمعن بها ضربا على رؤوس و أقدام الجنود، و لم يكن لباسه

رسميّا، بل كان مرتديا اللباس الإيرانى المعتاد.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۲

و يوجد تحت إمرة الوالى الكثير من قبائل الكرد الرحل، و هؤلاء هم أفخاذ من عشائر (شيخ إسماعيلى) و (مه ردمه) و (كه ل هوور) و الجاف؛ و عشيرة الجاف كانت فيما مضى من رعايا (سنه) تسكن منطقة (جوان روو).

۲۹ آب: تنقسم إيالة (سنه) إلى سبع مناطق هى (جوان روو) فى أقصى الجنوب الغربى و (آورمان) و (مه ريوان) و (بانه) و (ساقز) على طريق تبريز، و (حسن آباد) التى تضم نواحى (سنه) و (اسفند آباد) على طريق (همدان). و كل منطقة من هذه مقسمة إلى أربع أو خمس «محلات» أى نواحى صغيرة. و منطقتا (آورمان) و (بانه) من المناطق المذكورة، كانتا منذ زمن قديم تحت حكم عائلة واحدة، و منها الوالى عادة يكون الحاكم لهما، و إنى أستنتج من ذلك بأن هاتين المنطقتين كانتا مستقلتين فى الأصل ثم خضعتا للوالى بمقتضى معاهدة، أما المناطق الأخرى فيحكمها أى حاكم يعينه الوالى؛ و يحكم (جوان روو) أحد أبناء الوالى.

و أدخلونا اليوم غرفة الوالى الخاصة لنشاهدها، فهى قاعة أنيقة علقت على جدرانها صور نساء قيل إن إحداهن كانت جارية أهداها الشاه عباس الكبير إلى أحد أجداد الوالى. دخلنا الغرفة قبل أن تهيأ لنا، و حالما فتحت لنا أبوابها فاحت منها رائحة خمور شديدة، لقد شاهدنا على

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۳

الرفوف بعض القنانى و الزجاجات الأمر الذى دلنا دلالة واضحة على أن الخان لم يكن من المسلمين الشديدى التمسك بدينهم، و أن مخدعه هذا إنما خصص لملذاته السرّية.

و بالنظر إلى ما لاحظته بين أتباع الوالى فى سنه من دلائل ميل الإيرانيين إلى الجشع، فقد رأيت من الأفضل أن لا أذهب إلى مضربه كما سبق و وعدت. و عليه أخبرت مضيفى مساء اليوم بعزمى على العودة إلى السليمانية بالطريق المؤدية إليها مباشرة. فأثار هذا كما كنت أتوقع معارضتهم الشديدة التى لم تجد نفعا، و رأيتهم يتبادلون النظرات الحيرى و بعد أن حاولوا عبثا تغير عزمى ذهبوا جميعا إلى غرفة عمر آغا و عقدوا مجلسا، فأرسلوا إلى عدة رسل يتوسلون فى أن أذهب إلى الوالى، غير أننى بقيت متمسكا بقرارى. و قد بدأت أخشى أن تكون عناية الخان بى مما قد تتطلب منى أن أقابله بما لا قبل لى عليه، و هذا مما دعانى إلى التصلب برأيى. لقد جاءنى عمر آغا عدة مرات ثم السيد و بعده أوفانس و هما من السكرتيرين الأهليين فى دار المقيمية ليغيروا رأيى و لكن دون جدوى. و أخيرا جاء أعضاء المجلس كافة إلى باب غرفتى ليتوسلوا إلى بل يستعطفونى أن أستجيب إلى طلبهم و قالوا بأنى لا أعرف عن حقد الخان إلا القليل، و إنه لا عذر هناك و إن قلته له بنفسى يحول دون اعتقاده بأنهم قاموا نحوى بما سبب امتعاضى و جعلنى أغير خطتى بهذه الصورة المفاجئة. ثم حدثونى كيف أن الخان استأصل عائلة رشيد بك لأمر أقل أهمية من ذلك، و أننى إذا أصررت على الرفض فلا بد من فرار كل من عناية اللّه بك و ميرزا فرج اللّه إلى السليمانية فيبلغانها بأسرع من وصولى إليها إذ إن مقابلتهما للخان بدونى ستكون من الأمور المستحيلة عليهما.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۴

و قد خيل لى أن ما وصفوه لى من الخطر الذى سيتعرضون له ما هو إلا مصطنع لذلك أحجمت عن تغيير رأيى غير أننى بعد ذلك بدأت أتساهل فأرسلت من يعرض عليهم حلا وسطا و ذلك بأن أوفد سكرتيرى الإيرانى إلى مضرب الخان ليعتذر بالنيابة عنى عن عدم استطاعتى زيارته شخصيّا و ليعرب عن ارتياحى من سلوك أتباعه نحوى؛ فأخبرت بأنهم أخذوا يذرفون الدموع و أن اقتراحى الجديد لم يبعث فيهم إلا سرورا ضئيلا.

و قد علمت بعدئذ بأنهم استخاروا بديوان حافظ فشجعتهم الاستخارة على إعادة الكرّة على فى الوقت الذى بدأت فيه بالتفكير فى أن اهتمامهم فى الأمر لا يمكن أن يستند مطلقا على التصنع، و تذكرت بعض القصص التى سمعتها عن حقد الوالى و قسوته، و على

الأخص فى حادث محمد رشيد بك و بدأت فى الحقيقة أخشى أن يصيب هؤلاء المساكين كارثة من أجلى فقررت النزول عند رغبتهم مجازفا بما قد يصيبنى من المتاعب. و لما أعادوا الكرة و أتوا باب الغرفة يتضرعون إلىّ لإسداء آخر معروف لهم بتأجيلى سفرى يوما آخر لتتاح لهم فرصة إخبار سيدهم بعزمى على تغيير خطتى الأولى وجدونى مستعدّا لمنحهم أكثر مما كانوا يتوقعون إذ أجبتهم بأننى سأذهب إلى الخان إرضاء لهم، و قد دلنى الفرح الذى بدا عليهم فى هذه اللحظة الانقلابية دلالة جلية على أن مخاوفهم لم تكن مصطنعة أبدا؛ إننا مضينا فى المداولة حتى الساعة الحادية عشرة، و قد اعترانى صداع شديد جعل على الراحة مستحيلة هذه الليلة.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۵

الفصل الثامن الرحيل عن (سنه)

- مناظر الأرض- خيام كولانه- ساسة الكرد العظماء- نهر قيزيل (أوزون)- المضارب- ملاحظات قروى- سلوك الجاف غير القانونى- طرق ناهد- مرطبات من العسل و الزبدة- الوصول إلى قرية ميك- السيدة ريج تؤخذ إلى قرى أخرى- خلايا النحل- التحاق السيدة ريج بنا- هدية فواكه من الوالى- الوصول إلى بانه*** ۳۰ آب: نهضت مبكرا و أنا متوعك المزاج و لكنى بقيت مصمما على الشروع بالسفر، و عندما بلغت الفناء الخارجى من القصر وجدت ميرزا فرج اللّه يهرع إلىّ و يشد على يدى شاكرا لى صنيعى بإذعانى لرجائهم الأمر الذى بعث فيه الاطمئنان التام، و قد رافقنى إلى خارج المدينة، أما رائدى إلى مضرب الوالى فكان عبد اللّه بك نجل عناية اللّه بك الذى أوفده الوالى بذاته خصيصا لهذه الغاية. مررنا أولا بمدخل القلعة ثم بمدخل أسوار المدينة التى ذكرتنى بأسوار البصرة المشيدة من «الطوف» أيضا. و قد وجدت الآن أن للمدينة سورا واحدا عدا سور القصر الحصين تمتد وراءه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۶

الضواحى الواسعة. و فى السادسة إلا ربعا صباحا تركنا المدينة نهائيا.

لقد أخبرنى الآن عبد اللّه بك بالأسباب الحقيقية لجزعهم فى الليلة الماضية، و قال إنك لا تستطيع أن تتصور نزوات الوالى فى شكوكه و حقده إلا قليلا، فإنه لو سمع بأنك قد عدلت عن زيارته لكان تعليله لذلك على الوجه التالى:

«هذا رجل دعوته أنا مثلما دعاه جيرانى مرارا دون جدوى، و مع هذا فقد تنكب طريقه قاصدا زيارتى بمحض رغبته. و لا شك أن هذه الزيارة لو تمت لكانت حديث الأوساط و لزادتنى شرفا و ربما كانت لديه بعض الشؤون أو الأمور التى كان يرغب الإدلاء بها إلىّ. و رجالى فى (سنه) يعرفون ذلك فتعمدوا إزعاجه و حمله على العودة دون أن يرانى، فهم لا يطلبون الخير لى، و ربما كانوا متآمرين على» ثم أردف الرجل الشاب قائلا: «و لك أن تتصور الآن بأن هذه السلسلة من الأفكار لا بد و أنها كانت تعود علينا بالنتائج الوخيمة».

أخبرنى عبد اللّه بك بأن شتاء (سنه) أقسى من شتاء السليمانية، و صيفها أكثر برودة، و حالما تركنا المدينة بدأت الطريق تتدرج بنا صعودا طيلة السفرة و كانت الأرض مكشوفة و الزراعة فيها على نطاق معتدل، و كانت قمم التلال مهشمة مشققة و بلغ التشقق ببعضها بحيث ظهرت و كأنها خرائب، فكنا نشاهد الصفائح الأردوازية و الجبس على جوانب هذه التلال، و كان الكثير من هذه التشققات يبدو و كأنه مطعم بوفرة بالحديد. و كان لون بعضها ضاربا إلى الخضرة، تخالطها ذرات الطلق.

سرنا مدة فى مسيل، و فى الثامنة تقريبا شاهدنا عن يسارنا قرية (صارى قاميش) الكبيرة و كرومها، و من ثم بدأنا نرتقى هضاب (اللّه خدا) فبلغنا فى العاشرة إلا ربعا القمة و نحن نرتقى ارتقاء هينا. و يتصل هذا الجبل بسلسلة (بازرخانى) و يمتد مبتعدا عن (زغروس) الشامخ برأسه على جميع السلاسل المتوازية من الجبال الكائنة على يسارنا. و كانت

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۷

التلال أمامنا، و على يميننا أو على اتجاه شرقى جنوبى شرقى. و إلى الشمال الشرقى منا تنبسط عن بعد سهول (بان ليلاق) حيث تلوح أمامنا قمم بعض الجبال العالية و كانت رؤوس الجبال المتشققة تعلو أمامنا من كل الجهات. لقد استدرنا حول الجبل مدة من الزمن، و فى العاشرة و الثلث بدأنا نهبط منحدرا رهوا و هذا الجبل يتجه نحو الشمال الشرقى و حوالى الساعة الحادية عشرة و النصف بلغنا قرية (بايه ن كو) الكبيرة القذرة، و هى فى واد بأسفل المنحدر، و تقع فى منطقة ناحية (حسن آباد)، و هنا اتصلنا بطريق (تبريز) و كان اتجاهنا العام شماليّا، و سرعة سيرنا جيدة جدّا عدا مدة ساعة و نصف ساعة جوبهنا بها بصعوبات جمة فى شق طريقنا فوق نيسم ضيق و عر متكسر الصخور يمر بطوار السفوح السحيقة من الجبال. لقد تركت قرينتى المدينة ممتطية جوادا فى الغسق، و لم تسبقنا إلا بساعة واحدة فقط إذ سلكت طريقا أكثر تمعجا من طريقنا و كان ما قطعناه فى مرحلتنا هذا اليوم أربعة فراسخ.

۳۱ آب: امتطينا الجياد فى السادسة إلا ثلثا، و بعد أن استدرنا مدة فى وهد، و تقدمنا فى مسيرنا ازداد انكشاف الأرض و ظلت قمم التلال الشامخة، و شاهدنا و نحن نسير فى طريقنا بعض الأردواز و الجبس و قليلا من نترات البوتاس، أو ملح البارود، أما التربة فلا نجزم بخصوبتها أو عدم خصوبتها، و كان الزرع فيها قليلا و ضعيفا، و قد شاهدنا الكثير من ينابيع المياه فى أول مسيرنا. تقع (بان ليلاق) إلى الشرق منا، و هى مقاطعة تابعة إلى (سنه) و منظرها أشبه بسهول تخترقه سلاسل من التلال، و تعد ذات مناخ بارد جدّا خلال موسم الصيف. و كان طريقنا متموجا و اتجاهنا شماليّا فى الغالب. و كان الهواء لطيفا يذكرنا بمناخ بغداد فى شهر كانون الأول. و فى التاسعة مررنا عن يسارنا بطنف اصطناعى منبسط أقامه نادر

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۸

شاه و نصب عليه خيمته فبقى هناك مدة أربعين يوما لعذوبة الهواء خلال حربه مع طوبال عثمان، باشا بغداد. و فى العاشرة إلا ثلثا وصلنا خيام قرويى (كولانه) فى مضاربهم الصيفية كما يفعل قرويو (به رروده ر).

و كانت الخيام منصوبة بالقرب من الطريق غير بعيدة عن تل اسمه (طاوشان ته به) و قد سميت بهذا الاسم لكثرة ما يشاهد فيها من الأرانب أيام الشتاء. و لا يستخدم الإيرانيون الصقور فى صيد الأرانب كما يفعل الأتراك بل يستخدمون السلاق فى مطاردتها.

وجدنا خيمة بعمودين من خيام الوالى منصوبة لنا، و قد فرشت بسجادة جميلة من مصنوعات (سنه) و بعض المدات من حولها، أما الخيمة التى كنت أحملها معى فقد اتخذها عمر آغا سكنا له، و أشغل عبد اللّه بك الخيمة الخاصة به.

إن الكرد كالإنكليز كثيرو الاشتغال بالسياسة، و لم يتكلم كل من عمر آغا و عبد اللّه بك بينهما فى السياسة طيلة مسيرة اليوم.

و لما كانت (كورانه) قرية تقع على الحدود بين منطقة (حسن آباد) و (قه ره تورآو) فإنها كثيرا ما تنتقل من أيدى سيد إلى آخر، و يحكمها عادة أكثر حاكمى هاتين المنطقتين مصلحة فيها.

لقد تبين الآن أنه من المحتمل جدّا أن يتحتم علينا الذهاب إلى (بانه) للحاق بالوالى، و لم يخبرنى بذلك أحد من قبل خشية إحجامى عن الذهاب لبعد المسافة. إن (بانه) لا تنحرف عن طريقنا إلا مسيرة يوم أو يومين، و كان سفرى إليها مما يتيح لى فرصة مشاهدة قسم جديد و ممتع من كردستان، فقد كان من المؤسف أن أؤجل سفرى إليها. و إن زيارتنا لكهوف (كرفتو) ستؤخرنا يومين آخرين، الأمر الذى لا أريده، إذ إن جماعتى كلهم مصابون بالحمى و إننا أصبحنا أشبه بمستشفى متنقل.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۱۹

۱ أيلول: سرنا فى الخامسة و النصف من صباح اليوم متجهين نحو الشمال الغربى إلى منطقة جبلية عن يسارنا، و فى الساعة الأولى قطعنا الكثير من المرتفعات و المنخفضات الناهدة، فتباطأت سرعة مسيرنا خلالها ثم تحسنت تحسنا جيدا. و فى السابعة إلا خمس دقائق دنونا من منخفض هدود إلى (قيزيل أوزان) و هو نهر له بعض الشهرة الجغرافية و يقع

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۲۰

منبعه على بعد مسافة تقارب الفرسخين إلى الغرب أو اليسار فى جبال عباس بك و هو يجرى شرقا ثم يتجه إلى (ميان دوآو).

أطلت النظر فی النهر متأملاـ شأن من یلقی أول نظرة علی الأنهر العظیمـة الشـهیرة و هی فی حالـة تکونها، و ما کان فی النهر ماء یزید ارتفاعه علی القـدم الواحـد، و لکن هذا کان أمرا شاذا، و ذلک لأن المیاه فی هذا الموسم کانت شـحیحة علی غیر المألوف. و ارتفاع میاه هذا النهر تکون عادة بمستوی الرکب، و کثیرا ما یمسی خوضه مستحیلا لعدة أیام فی الربیع، و ینوی الوالی تشیید جسر فوقه.

وفور عبورنـا (قیزیل أوزان) أخـذنا نرتقی ثانیـة و مررنا فوق بقعـة و عرة جرداء کالتی طرقناها سابقا من حولنا بعض القمم السامقـة. و کـان القسم الأـعظم من الأـرض بورا، و هـذه الأـرض هی المراعی الصـیفیة الاعتیادیـة لعشائر السـلیمانیة. و من مشاهـدتی آثار بعض المضارب تعرفت علی الطریقة المتبعة لدیهم فی ترتیبها فوجدت أنهم ینصـبون بیوتهم علی شـکل دائرة، توضع القطعان فی وسطها. و هـذا الترتیب ضـروری فی الحقیقة للدفاع ذلک أنهم فی عداء دائم مع سـکان المناطق التی یجوبونها، و جولاتهم هذه تجعلهم ضـیوفا غیر محببین مطلقا.

و یبدو أننا الآن علی ارتفاع شاهق فوق سـطح البحر، و یظهر لی أن الأرض التی نحن فیها إنما هی نجد تتقاطع فیه الوهاد، و هو غنی و خصب فی إنتـاج (الریواز-Rhubarb) من النوع الممتـاز و خاصـة ما ینبت منه فی الأماکن الصـخریة. و هـذا النبت الـذی ینبت فی کردسـتان برّیّا و فی أکثر أقسام إیران و الـذی یسـتهلک بکثرة فی صـنع الشـرابات، لم یکن إلا راوند الحدائق الذی نصـنع منه الفطائر المعروفة باسمه.

مررنا بواد أخذ یضیق تدریجیّا حتی أصبح وهدة صخریة تجمعت

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۲۲۱

فیهـا میـاه الأمطار بکثرة، و ذلک یـدلنا علی هطول الأمطار الغزیرة لیلـة البارحـة فی هـذه الأماکن. و فی التاسـعة و النصف ارتقینا إلی أعالی الوهـد ثم انحـدرنا ثانیـة إلی الوادی فوصـلنا قریـة (که له ک آوه) الکبیرة فی منطقـة (هوبه توو Hobetoo) فشاهـدنا أکواما کبیرة مکدسـة من القش الخشن للاسـتهلاک الشـتوی. و کان الأهلون یحصدون الحبوب، أما الدخن فما زال أخضـر یانعا و بعضا من الـذرة الهندیة ناضـجا، و یقال إن الشـتاء فی جمیع هذه النواحی من البلاد قارص البرد. و کان الهواء باردا منعشا، و کان فی اسـتطاعتنا استئناف السفر راکبین طیلة النهار دون أن تزعجنا الشمس.

اتجهنا إلی خیام القریة، و قد نصـبت فی منتهی الوادی فوصـلناها فی العاشرة و الدقیقة العاشرة ، و کان موسم المضارب فی العراء علی و شـک الانقضـاء، و الأـهلون أیضا علی أهبـة العودة إلی القریـة. و لاحظنا أن درجـة حرارة ینبوع ماء عـذب قرب مخیمنا کانت (۵۰) درجة.

شاهـدنا الکثیر من الکرکم(Crocus) الأـبیض و الأـحمر مـا زال موردا، ثابتـا فی کـل الأنحـاء حتی فی أواسـط الطریق، و طلبت من القرویین أن یأتونی ببعض جذوره لأخذها إلی بغداد فأتونی ببعض البصیلات من أنواعه المختلفة، و أفادوا بأن البلاد کلها ترتدی حلة ورود فی الربیع.

۲ أیلول: مع أن اللیلـة کانت باردة جـدّا فقـد هاجمنی البعوض و لم یـدعنی أتمتع بلحظـة واحدة من الراحة. و کان الهواء صـباح الیوم قارصا بدرجة ارتحت معها إلی لبس فروتی الصغیرة القدیمة من جزة الخروف. امتطینا

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۲۲۲

الجیاد فی السادسـة و کان اتجاه الوادی ما زال شـمالیّا یخترقه طریق (ساقز) و (تبریز) غیر أن طریقنا کان یمر من أعالی التلال المحیطة بالوادی، و هو فی اتجاه شمالی غربی، و قد سلکنا هذا الطریق طیلة الیوم و إن التجأنا إلی بعض الاستدارات.

«بارک اللّه بالکرمانـج» هـذا ما قاله إلی عمر آغا أحـد القرویین الذی کان یصـحبنا بعد أن التفت یمینا و یسارا لیتأکد من خلو المکان من إیرانی یسمع قوله فسأله عمر آغا «و کیف تری السنویین؟» فأجابه القروی «ألا لعنة اللّه علیهم أجمعین» فأسکته عمر آغا قائلا: «صه یا فتی ألا تعلم مصیرک لو سمعوک» و کان جواب القروی المسکین علی ذلک «لن تکون معاملتهم لنا أقسی مما هی الآن».

كانت الأرض منذ أن تركنا مضارب القرية ترتفع ارتفاعا تدريجيّا و لكن محسوسا جدّا، و لم يطل بنا الوقت حتى رأينا أنفسنا فوق نجد و من حولنا القمم لشامخة و سلاسل تنتهى عند حدود النجد. و يتصل أحد التلال القائمة على يسارنا بجبل (حاجى أحمد) الذى يبعد عنا مسافة أربعة فراسخ، كان يستره عن أنظارنا و كانت سلسلة تلك التلال تمتد باتجاه الشمال الشرقى و الجنوب الغربى نحو (زغروس).

و الشتاء هنا قارص جدّا و تنقطع السابلة عن اجتياز الطريق لوفرة الثلوج و تراكمها عليه. و قد شاهدنا آثار عواصف أمطار غزيرة هطلت أخيرا، و هذه العواصف من الظواهر الطبيعية الاعتيادية فى مثل هذا الموسم، إذ إن المطر يبدأ فى أوائل تشرين الأول، و يعقبه تساقط الثلوج بعد زمن قصير. و الأرض بكاملها بور غير مزروعة، و قد اتخذت مراعى صيفية لعشائر السليمانية.

و فى الثامنة بدأنا نهبط هبوطا ناهدا استغرق مدة ربع ساعة انتهينا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۲۳

منه إلى واد ضيق يتلوى بين التلال العالية، و مضينا فيه نكمل ما تبقى من مسيرنا و أخيرا مررنا بقرية أو قريتين من القرى الحقيرة المنظر، و ببعض الرقع الصغيرة من المزارع التى كمل جمع غلتها فى الأيام الأخيرة، و شاهدنا بعض القطن المتوقف عن نموه الطبيعى و بعض أشجار الخروع و هى على تلك الحالة من النمو تقريبا.

تشرع قرينتى عادة فى مسيرها اليومى قبلنا، غير أن شروعها اليوم كان بطيئا، و لما كنا على و شك اللحاق بها فقد ترجلنا فى التاسعة و النصف عند منبع صغير لنفسح لها المجال لتسبقنا ثم استأنفنا السير فى العاشرة و نحن فى ذلك الوادى الضيق نفسه، و فى الحادية عشرة وصلنا قرية (سوورموسى-Soormoosi) الواقعة فى منطقة (خورخوره) و قد دخلناها و هى فى منتهى المنحدر الناهد أو عند رأس الوادى و شاهدنا فى أعالى التلال المقابلة لنا حصنا مربعا صغيرا، يتحصن فيه القرويون للاحتماء عند غارات البلباسيين، على أن هذه الغارات قد تضاءلت أو انقطعت تماما، إذ إن الأتراك و الإيرانيين قد قضوا على نزعات البلباسيين و قوتهم.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۲۴

لقد كان الحر مزعجا فى الوادى، عند توقف هبوب الريح. و خلال مسيرتنا اليوم شاهدت كميات كثيرة غير اعتيادية من الجبس و كميات من الأردواز و بعض أملاح النترات و الطباشير و أعتقد أننى شاهدت الأحجار الغرانيتية على بعض المرتفعات، و لكنى غير واثق من ذلك.

إن عدد الأهلين الذين يرتدون لباسا تختلط فيه البزتان التركية و الكردية فى هذه النواحى أكثر من عدد الذين يرتدون اللباس الإيرانى منهم أما النساء فكلهن يلبسن على الطراز الإيرانى.

۳ أيلول: شرعنا بالمسير فى السادسة و أخذنا نلتوى فى مسيرنا التواء مستمرا فى الوادى ببطء محسوس حتى وصلنا التلول التى تحد جانبه الجنوبى، ثم قطعنا ما تبقى من الطريق بخطوات مريحة و إن كثرت استدارتنا فيه.

ولدى ارتقاؤنا التل وجدنا بعض أشجار الكمثرى البرية الضخمة التى ترتاح إلى منظرها النفوس بعد سفر طويل فى أرض قاحلة جرداء لم نر فيها منذ مغادرتنا (سنه) فيما عدا البساتين، أشجارا أكبر من عليق الأزهار النامية بكثرة فى كل مكان، أو أشجار الصفصاف القزمة.

درنا حول الجبال، و كانت الأعشاب على بعض مرتفعاتها العالية لا تزال خضراء تتخللها الورود. و فى السابعة و النصف هبطنا وهدة ضيقة بدأنا منها بالارتقاء فورا و فى الثامنة و الثلث انعطفنا غربا و دأبنا على اتجاهنا هذا فى بقية الطريق و كانت التواءات السير كثيرة. و بعد قليل بلغنا جدولا صغيرا يدعى نهر (خوره خوره) و قد فاضت مياهه من جراء الأمطار التى هطلت أخيرا و لما هبطت المياه الفائضة تركت وراءها عددا من الأسماك، ماتت على الأطيان .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۲۵

و من ثم ارتقينا جوانب وهدة صخرية. و فى العاشرة وصلنا قرية (قه ره بوكرا) التى تقع فى أعالى الوهدة تقريبا، حيث تشرف عليها قمة الجبل. لقد جعلت بعض أشجار الحور و الفواكه منظر القرية جميلا- و إن لم تقلل من قذارتها. و على المرتفع المقابل للوهدة وجدنا أنقاض حصن شيد للالتجاء إليه من البلباسيين.

و قد شاهدنا اليوم قرية أو قريتين من القرى الحقيرة، و كانت المناطق التى مررنا بها اليوم قفراء خالية، لقد سمعنا قصصا محزنة عن الجاف الذين يرعون مواشيهم فى جميع أنحاء هذه المنطقة و يسلكون سلوكا كيفيّا لا يقرّه القانون، و مما لا شك فيه أن لإدارة الوالى السيئة التأثير الكلى فى إقفار هذه البلاد من السكان علاوة على ما لغارات القبائل الهمجية من تأثير.

شاهدت اليوم أكثر مما مضى صفائح الأحجار المركبة(Schistus) فى طبقات أفقية تتخللها عروق الجبس التى كان لون بعضها ضاربا إلى حمرة لطيفة، كما شاهدت الكثير من الطلق أيضا، و على الأخص فى أواخر مرحلة يومنا هذا.

كنا نرغب فى السير أكثر من سيرنا اليوم لنصل (بانه) فى اليوم التالى إلا أن الكرد الذين أرادوا استمرارنا على السير لم يكونوا على بينة من المسافة و لما كان طريقنا جبليّا متعبا قررت أن لا أجازف بمسيرة طويلة و معى من جماعتى الكثير من المرضى، فقر الرأى أخيرا على المكوث اليوم فى (قه ره بوكرا) و كان اليوم شديد الحر فى هذا الوادى الضيق.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۲۶

تقع (ساقز)- حاضرة المنطقة- على شمالنا تماما، و تستغرق المسافة إليها ست ساعات بطريق ردىء جدّا، و سبع ساعات بطريق أجود منه نوعا ما. و هى على الجانب الثانى من جبال خسرو خان .

۴ أيلول: رحلنا من قرية (قه ره بوكرا) فى السادسة و الربع، و بعد أن اجتزنا الوهدة و ارتقينا التل الذى يحدها من الشمال اتجهنا نحو الحصن فوصلناه بعشر دقائق بطريق ناهد ردىء، ثم أخذنا ندور بين قمم التلال، و تكثر الدببة فى هذه التلال و كلها من النوع الأربد الاعتيادى.

و فى التاسعة و الدقيقة الخامسة بدأنا بطريق جيد، و عند وصولنا منتهاه وجدنا أنفسنا فى واد حجرى ضيق، أو بالأحرى وهدة محاطة بالتلال فدأبنا على السير فيها بقية النهار بمشقة لا حد لها. و كان الطريق يتراوح بين انخفاض و ارتفاع مستمرين على جوانب عمودية من الأردواز المفتت، و كان الممر ضيقا مائلا، لم يكن فى الحقيقة إلا نيسم على يساره هاوية سحيقة.

و اعترف الكرد أنفسهم بأن هذا الطريق اسوأ الطرق التى مروا بها حتى الآن، و قد رأيتهم للمرة الأولى يترجلون عن خيولهم فى الممرات الوعرة، و قد كبا جواد عمر آغا مرة على جرف الهاوية و لكنه رمى بنفسه حالا عن ظهر الجواد برشاقة، دون أن يفلت العنان من يده، و لو لم يفعل ذلك لقتل الرجل و الجواد معا. لقد أصابنى دوار شديد اضطررت معه على المشى بموازاة حضيض الجبل حتى نهاية المسيرة، و كان ذلك مجهودا شاقا حتى بالنسبة لرجل يتمتع بتمام الصحة اعتاد المشى، و كان

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۲۷

اليوم حارّا مزعجا، و لم تكافأ العين بأى منظر لطيف أو مشهد جذاب.

و من فوق الجبل شاهدنا جبل (كه للى خان) و جبل (زاغروس) أو بالأحرى قسما منه، و وصلنا أسفله فى السابعة و الدقيقة الخامسة و الثلاثين و بعد قليل بلغنا قرية حقيرة صغيرة اسمها (حاجى محمد) و بعد أن ارتقينا قليلا هبطنا توّا إلى قرية (سووتا) فى منحدر ناهد مخيف تقع على يساره هوة. وقفنا عند هذه القرية فى الثامنة و النصف و أنعشنا نفوسنا بكوب من القهوة. لقد خلنا أن مصاعبنا قد انتهت إلا أننا وجدنا بعد ذلك أن أشدها لا يزال أمامنا. و قد استأنفنا المسير فى التاسعة و الربع و بعد مدة وجيزة انحدرنا مجتازين الجدول الصغير الجارى فى منخفض الوادى، ثم وصلنا قرية (سه وى تاله) الصغيرة و معناها التفاحة المرة، فوقفنا فيها أيضا للاستراحة ثانية، فمد أمامنا رجل من رجال الدين- و هو على ما يظهر صاحب القرية- سماطا غنيّا بالعسل و الزبدة الطرية و اللبن الرائب و الخيار و الشنين.

و قد التهم كل من عمر آغا و البک من هذه الطيبات الريفية بشراهة، إلا أن الحمى الشديدة منعتنى من أن أتناول من بينها سوى ملعقة أو ملعقتين من اللبن الرائب.

و فى الحاديـة عشـرة و النصف عاودنـا مسيرنا فى نفس ذلـک الطريق المرعب و نحن نشاهـد أشـجار الصـفصاف تزين ضـفتى (خور خوره) و هو يجرى فى قرارة الوادى و قد جئنا الآن إلى مخارف لطيفة بين أشجار الدردار و الحور و الكظيظ من عليقات الزهر البرى.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۲۸

و فى الواحدة و النصف أنهكنى التعب فاضـطررت معه إلى الاضطجاع تحت ظلال الصفصاف عند جدول تسبح فيه الأسماک الكثيرة الأليفـة. و لم يكن الأهلون فى هـذه الأنحاء شـغوفين بأكل السـمک و فى الثانية عدنا و امتطينا جيادنا، و بالأحرى إننا سـرنا إذ إننى لم أمتط جوادى طيلـة الطريق و على طواره الهاويات التى لم أقـدر على السير معها لما أنا عليه من ضـعف و صـداع، و فى الثالثـة إلا ثلثا وصلنا قرية (ميک-Meek) و أنـا منهوک القوى. و هنا لاقيت علاوة على ما أنا فيه، خيبـة أقلقت منى النفس. إذ علمت بأن قرينتى و معهـا الأمتعـة قـد أخـذت إلى قريـة (بـايه نـده ره) فى أعلى الوادى، عوضا من الانعطاف إلى اليمين و الوقوف فى (ميک). و بعـد أن تأكدت من المكان الذى أخذت إليه أيقنت بأننى لا أطيق الحركة للحاق بها، و لا بمقدورها العودة للحاق بى بعد سـفرة كسفرتنا هذا اليوم، و أن انتظارى الطويل على أمل وصولها إلينا وقت العشاء قـد سـدت شـهيتى للطعام فساورتنى نوبة خفيفة من الحمى. فبلل العرق كل ملابسـى و لم يكن معى ما اسـتبدل به لباسـى الـداخلى، و قد أظهر عمر آغا نحوى فى هذه الحالة الحرجة منتهى اللطف، و اعتنى بى الحاج قاسم عناية فائقة و سـهر عند فراشـى طيلة الليلة. هذه هى المرة الأولى فى هذه السـنين العديدة يقدم لى خادم أو أجنبى هذه الخدمة، و لم أتمكن من التصور إلا و إننى غير مرتاح.

تقع قريـة (ميک) فى منطقـة (ساقز) التى تبـدأ عند الجدول الصـغير و قبل وصولنا إلى (سه وى تاله) بقليل. إن لعسل هذه النواحى من البلاـد شـهرة واسـعة لكثرة النباتـات العطرة التى تنمو فيهـا. و على الرغم ممـا أنا فيه من التعب، ذهبت لمشاهـدة خليـة نحل فى بسـتان قريب، زرع زرعا منسقا بالورود و الأعشاب العطرية، و فيه كوخ من الأغصان المجدولة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۲۹

و فى جانب منه أنابيب من الفخار أو على الأصـح الطين المجفف مفتوحـة من طرف واحـد و فى طرفها الثانى منفذ ضـيق، فإذا أرادوا جمع العسـل كشـفوا عن جـانب الكوخ المقابـل للجـانب الـذى فيه الخلايـا، و أشـعلوا النـار فى كومـة من القش، فيفر النحل حالا من الفتحـات الصـغيرة إلى الخـارج تاركا العسل وراءه إلى مالكيه. و قـد أخرج القرويون خليـة من الخلايا و أرونى النحل و هو يعمل فى عدة أقراص منها. لقد كان النحل منهمكا فى عمله انهماكا جعله لا يعبأ بالمتطفلين و لا يهاجمهم.

سمعنا اليوم أصوات أسـراب لا حصـر لها من الحجل، و يقال إنه أوفر عددا فى (آورامان) و يصطاد الصيادون المئات منه، و ذلک بأن يقفوا على تلين متقابلين فيخيفون أسـرابه المتوجهـة نحوهم بالصـراخ و الصـياح عنـدما تقترب منهم، فتفزع الطيور و ترتبک و تتساقط فيسـهل عليهم عند ذلک التقاطها. لقد أكد لى عبد اللّه بک بأنه كان مرة بمعية الوالى فى (آورامان) فى صيد من هذا النوع فاصطادوا ما ينوف على الألف من الحجل.

و الغزلان على اختلاف أنواعها، و الماعز الجبلى و الأيائل، على ما أعتقـد،- لأنهم يسـمونه بالثور الجبلى كما يسـمون الظبى بالخروف الجبلى- كثيرة فى هذه الأصقاع، و هم يصيدونها فى موسم الشتاء أما الريم فيوجد فى منطقة (اسفند آباد).

۵ أيلول: كنت مريضا جـدّا طيلة الليل و كانت مشـكلتى هذا الصـباح هى هل فى مقدورى السـفر اليوم؟ لكننى قررت محاولته، فرحلنا من (ميک) فى السابعـة و بعـد أن ارتقينا تلّا بنيسم ناهد جدّا درنا حول قمته إلى المكان الذى يبدأ منه الهبوط إلى قرية (بايه ن ده ره) و هنا شعرت بالضعف الشديد يدب فى أوصالى بحيث لم أستطع الاستمرار على السفر أكثر من

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۳۰

ذلك و بينما أنا أحاول الجلوس غبت عن رشدى فسقطت و من حسن حظى أن كان (كورد أوغلى) ورائى فاحتضننى بين ذراعيه. و قد أدركت الآن، و بالأحرى أن ضعفى هذا جعلنى أن أدرك، بأننى لا أطيق السفر أبعد من (بايه ن ده ره) حيث قضيت قرينتى ليلة البارحة، على أن حظى العاثر لم يتخلّ عن متابعتى إذ وجدت أن قرينتى- لخطأ ما- قد تقدمت مرحلة أخرى. و عندما علم عمر آغا بذلك و قد ذهب إلى (بايه ن ده ره) أوفد خيالا للرجوع بالجماعة و إيقافها فى أقرب قرية إلى (بايه ده ره) ثم رجع ليخبرنى بما فعل. و على ذلك استأنفت المسير أو بالأحرى حملنى كل من كورد أوغلى و البيطر- النعال- إلى أسفل المنحدر فاضطجعت ناشدا الراحة ثانية تحت ظل صفصافة عند جدول جميل. فاحتسيت فى هذا المكان كوبا من القهوة أنعشنى، و أصر عمر آغا الحنون على بأن أشرب ملء ملعقتين من دواء الكرد العام و هو الشنين، و قد جلبه لى من (بايه ن ده ره)؛ و الحق يقال إنه أنعشنى كثيرا. و فى العاشرة و النصف شعرت بقدرتى على قطع ما تبقى من الطريق، و كان لحسن الحظ سهلا.

سرنا راكبين بخطوات معتدلة فى واد متمعج، و لكنه أكثر انبساطا، ينساب فيه جدول تنبت على ضفتيه أشجار الصفصاف بنسق جميل. و فى الثانية عشرة إلا ربعا، و دون أن نرتقى كثيرا وصلنا قمة مهبط منحدر، و أعتقد أنه أكثر انحدارا من المنحدرات التى جئناها حتى الآن، و قد استغرق هبوطنا فيه قرابة نصف ساعة و اسمه (كه لله بالين-Kelleh Balin). لقد اتفق كل من عمر آغا و عبد اللّه بك فى القول بأنه أحد مضايق (زاغروس).

و الجبلان هنا يؤلفان واديا يصل (بانه) و كلاهما مكسو بأشجار البلوط.

و من أسفل المنحدر سرنا فى مخرف بين أشجار البلوط و الدردار و الصفصاف و الحور و وصلنا فى الواحدة و النصف قرية (سووره نه) فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۳۱

واد بين هضبتين من جبال (زغروس) و هى قرية كئيبة لا- ينطبق حالها على ما سميت به و لكننى التحقت عندها بقرينتى و تمتعت بطعام الفطور الذى هيأته لى، لأننى لم أتناول قوتا بعد طعام العشاء قبل يومين.

جاءنى فى هذا المكان رجل أوفده إلىّ الوالى من (بانه) و معه بعض الأحمال من الفواكه و رسالة رقيقة.

۶ أيلول: رحلنا فى السادسة من (سووره نه) و سرنا فى الوادى الجميل، و مررنا فى السابعة بقرية (بجه ئى-Bjae) أو (بزه ئى-Bzae) و هى على يميننا. و بعد مسافة قليلة بدأ الوادى و الجبلان بالانعطاف كثيرا إلى الجنوب، و الآن شاهدنا النقاط أو القمم الثلاث التى تكرر ذكرها، و بعد قليل تعود الجبال من مضيق بين الجبلين يؤدى إلى (قزلجة) إلى ما كانت عليه. و فى التاسعة و النصف وصلنا منزلنا فى (أحمد آباد) أو (أحمد آوه) كما يلفظها الكرد، و هى قرية بجوار (بانه) و كان منزلنا فى موقع جميل على تلال (آردبابا) و هى قسم من سلسلة زغروس الغربية أو الجنوبية، و هو يبعد عن (بانه) مسيرة عشر دقائق للراكب. و كان هناك بعض الكروم

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۳۲

و شرفة جميلة، ينصب عليها أحيانا سلطان (بانه) خيمته قصد النزهة، و صفصافة جد جميلة قرب ينبوع بارد (حرارته ۵۳ درجة)، كانت حقّا أجمل أشجار الصفصاف التى شاهدتها حتى الآن و أعظمها. لقد نصب الوالى بعض الخيام لاستقبالنا، و وجدنا رئيس خدمه و بعض الطباخين بانتظارنا لخدمتنا.

جاءنى بعد الظهر أحد أنجاله، حسين قولى خان ليرحب به و بصحبته الوزير و ثلاثة آخرين من أعضاء المجلس، و أحدهم و هو شيخ طاعن اسمه ميرزا عبد الكريم على ما أظن. و كان هو المحدث أو المتكلم الرئيس فيهم. أما الخان الصغير فكان صبيّا نبيها فى الثانية عشرة من عمره تقريبا و هو فى ملامحه يشبه أمير (سنه) الصغير و لكنه يبدو أكثر نشاطا و أمضى ذكاء. و كان سلوكه على جانب عظيم من الكياسة و الأدب و قد رحب بى بلطف فائق باللّغة الفارسية و افتتح الحديث بالسؤال عن المسافة بين بلاده و بين إنكلترا، و كيف وجدت كردستان، و هل إننا ندخن الغلايين فى بلادنا، و غير ذلك من الأسئلة. ثم تولى الرجل العجوز الحديث، و لما كان

الحديث قد انحصر على الأكثر فى المجاملات الإيرانية فلا أراه يستحق التدوين.

وصلتنى مساء من الخان هدية كبيرة من الفواكه بعضها إجاص من (ميان دو آو)، و هى و إن لم تكن جيدة جدّا فإنها مرضية لأنها كانت باكورة الموسم. و فى مراسيم تقديم الهدايا تمثلت أمامى الصور التى شاهدتها منحوتة فى (به رسه بولس) خير تمثيل، إذ يتقدم رئيس الجماعة و بيده عكاز طويل و من وراءه رتل من الخدم يحمل كل منهم شيئا و هكذا تجزأ الهدية إلى أكبر عدد ممكن قصد التفخيم. لقد أصر الخان على أن يطبخ طعام إفطارنا و عشائنا فى مطبخه الخاص؛ إنه و لا ريب وفق الذوق الإيرانى أو على ما أعتقد أحسن طهيا و ترتيبا من طعام (سنه)، و إنهم راعوا أوقات راحتنا.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۳۳

الفصل التاسع زيارتنا لوالى سنه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى ؛ ص۲۳۳

قلعة بانه- حديث الوالى- زواج ابنه- الوالى يرد زيارتى- قسوته فى بانه- التهيؤ للرحيل- عوائق غير منتظرة- صعوبة الحصول على دواب الحمل- اعتذار الوالى- سلطان بانه- بدء مسيرنا- رئيس القرية- رفضه السماح لنا باستمرارنا على المسير- موقف سيئ- القرار لشق طريقنا قتالا- خوف رئيس القرية- سماحه لنا بالمسير- جبال- دخول منطقة البابانيين- أتباع عمر آغا- خرائب قالاجوالان- تلال هدود- الوصول إلى السليمانية

*** ۷ أيلول: عين صباح اليوم موعد لزيارتى الخان، و قد وعد بأن يستقبلنى فى وقت مبكّر قبل اشتداد الحر الذى كنت أفزع من التعرض له، و لكن لم يأتوا ليخبرونى باستعداده لمقابلتى قبل العاشرة و النصف. و عندئذ امتطينا جيادنا و ذهبنا إلى المدينة فاستقبلنا فى مدخلها ميرزا عناية اللّه و رهط من الخيالة، و قد زاد حشدهم فى الحرارة و إثارة الغبار الذى اكتنفنا. و عند ارتقائنا تل القلعة وجدنا جماعة من حملة البندقيات من (سه قز) و غيرها

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۳۴

من المناطق الجبلية الأخرى قد ألفوا ممرّا اصطفوا على طرفيه، و كذلك السربازيون، أو الجنود النظاميون و قد حيونى التحية العسكرية بالسلاح، و ما كانوا بأحسن من رفاقهم الذين شاهدناهم فى (سنه)، و كان عددهم قرابة المائة و الخمسين جنديّا. و كانت القلعة أو القصر، أو مهما أطلق عليها من اسم، محلّا بشع المنظر. وجدت الخان جالسا فى إيوان غير مملوج بالجص، تحيط به كمية من البطيخ، فنهض ليستقبلنى، مادا يده إلىّ و إلى المستر (به ل). لقد خبت فيما كنت أظنه فيه من السلوك و المظهر. و كنت أتوقع أن أرى فيه أنفة و أناقة داود باشا بغداد و لكننى وجدته إيرانيّا اعتياديّا خشن المظهر أو بالأحرى مستهجنا، أو شبيها لما نعبر عنه بالرجل الطيب، المتواضع الذى لا تلمس الطلاوة فى حديثه الذى يقتصر على توجيه بعض الأسئلة المقتضبة و إبداء الملاحظات القصيرة. و كانت قامته أطول من المتوسط، و له وجه قصير مكتنز و لحية خطها الشيب، و حاجبين أسودين كثين كانت استقامتهما و تقطبهما تغطيان أعلى وجهه سحنة لا ترتاح إليها النفس.

و لا بد لى من الإشارة هنا، إلى أننى لم أر مطلقا إيرانيّا جليلا ظريف الشمائل، و لعل لباسهم هو الذى يحرمهم من مظاهر الظرف، إن أطوارهم الخشنة الفظة، و تكلمهم بصوت جهورى أصبحت من الأساليب المعتادة لديهم تقليدا لرجال القبائل، و بطانات القصور؛ و ما هم عندى إلا أوباش متأنقون. و كان يجلس مع الخان، موسى خان حاكم (سه ردشت) الذى كان يزور الوالى و سلطان (ساقز)، و هو من المقربين إليه و سلطان (بانه). و جلس عمر آغا إلى جانبهم؛ و كان فى جلوسه غير متكلف قليل الاكتراث و كان أوفرهم حرية و أكثرهم جرأة الأمر الذى جعله يظهر كالأمير بينهم. وقف نجلا الخان وراء النافذة و هما على رأس جماعة من الخدم المسلحين، فنجله المقرب إليه محمد على خان و هو الذى سيقترن بابنة الشاه فى عيد النوروز المقبل، كان ولدا غليظا أسمر

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۳۵

اللون شبيها بوالده، أما الأنجال الآخرون الذين رأيتهم فلا يشبهونه.

و كان لباس الوالى الخارجى يتألف من شال كشميرى أسود، و ملابسه الأخرى كانت اعتياديۀ و ما كان يحمل سلاحا جميلا أو خنجرا ثمينا.

و كل ما كان يزين صدر ديوانه أو عرشه (كذا) ناظور باخرۀ و عصا مصبوغۀ باللك ذات قبضۀ من فضۀ و إناء فيه ساعۀ اعتياديۀ و ختمين أو ثلاثۀ أختام و علبۀ آفيون من صنع برمنكهام.

خاطبنى بالتركيۀ و قد أصبحت لغۀ الطبقۀ الراقيۀ الآن فى إيران، و إننى كما ذكرت آنفا، لا أتذكر إلا القليل مما يستحق التدوين من حديثه لأنه لم يسأل إلا أسئلۀ قصيرۀ، و كان يتعمد لتحايل الممقوت فى تكرار الأمور التافهۀ فيجعلك تكررها أنت أيضا. سألنى عن عمرى فأجبته أنه ثلاثۀ و ثلاثون عاما، فأبدى ملاحظۀ باللّغۀ الكرديۀ قائلا بأننى أظهر و كأننى ابن الأربعين. ثم سألنى عن مرضى بسيل من المصطلحات الطبيۀ الشرقيۀ التى بدا لى منها بأنه ذو إلمام فيها، و تكلم عن (مالكولم) و امتدحه كثيرا، و أخبرنى بأن (مالكولم) كان قد أهداه الهدايا اللطيفۀ، ثم سألنى عما تكون واجبات المقيم البريطانى فى بغداد، و تمادى فسألنى عن راتبى، ثم جيء إليه بخمسين بطيخۀ تقريبا وضعت أمامه فاستل مديۀ صغيرۀ برمنكهاميۀ من جيبه و ذاق كل واحدۀ من البطيخ، و قدمت أطباق الحلوى، فأكل و أكلت من الطبق ذاته، و استمر مصرّا على كسر قطع صغيرۀ منها بيده و تقديمها إلى. أما الغلايين فكانت تتوارد الواحد بعد الآخر. و سأل كثيرا عن (بونابرت) و استفسر عما إذا كان يشيد الخانات، و قال عنه إنه أصبح من المشاهير. جلست معه قرابۀ ساعتين، و عند مغادرتى له نهض و رحب بى ثانيۀ، و قال بأنه سيرد زيارتى فى القريب العاجل. و قد سألنى بوجه خاص عن أتباعه فى (سنه) و عما إذا ارتحت إلى معاملتهم، و عما إذا شذ أحدهم فى سلوكه نحوى. إن الغضب الذى يبدو على ملامحه، و الرعب الذى يستولى على خدمه عندما يظهر ذلك

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۳۶

الغضب جعلانى أعتقد أنه كان رئيسا مخيفا، و إن لم أسمع ما سمعت عنه من قبل. و فى الواقع إن كل ما سمعته عنه ليؤيد لى بأنه رجل غاشم حقود ظالم، فقد كان الجلد من الأعمال اليوميۀ فى (بانه)، و قد ابتزت المقادير الكبيرۀ من الأموال فيها. لقد نشبت ثورۀ هنا فى الشتاء الماضى يقال إن سببها كانت هذه الأعمال القاسيۀ. و مدينۀ (بانه) حقيرۀ قذرۀ، تكاد لا تستحق أن يطلق عليها اسم مدينۀ و إنها لم تكن بأحسن حال من القرى التى مررنا بها سوى أنها أوسع منها قليلا. «و البنايۀ» أو القلعۀ تقوم على طنف اصطناعى صغير. و الأصح أن اسم (بانه) هو اسم المنطقۀ، أما المدينۀ فاسمها (به روزه-Berozeh) و لكنه غير شائع؛ و يقطنها الكثير من اليهود.

۸ أيلول: زارنى صباح اليوم موسى خان حاكم (سه رده شت)، و قد تكلم كثيرا عن الإنكليز فى (تبريز)، و إنه مما يثلج الصدر و يملؤه فرحا ما يتحدث به الكل عن حسن سلوك أبناء بلادى فى إيران.

و فى المساء جاء الوالى ليعيد الزيارۀ، و قد تقدمه جنوده النظاميون، و من ورائه عدد كبير من الفرسان. و ما كان الموكب ذا روعۀ كالمواكب التركيۀ فقد كانت تظهر عليه مسحۀ الحطۀ و الكآبۀ بالقيافۀ الإيرانيۀ و على الأخص إذا كان جمعهم كبيرا. لقد كان الخان فى لباس أبسط من لباسه أمس، إذ كان يرتدى ثوبا خشنا من الصوف مما يلبسه الدراويش.

و استقبله السربازيون عند مدخل الخيمۀ فحيوه بالسلاح و عزفت له الجوقۀ النشيد الملكى بالطبول و المزامير. و كان بصحبته خان (سه رده شت) و سلطانا (بانه) و (سه قز). إنه أرانى عدۀ أسلحۀ و سألنى عما إذا كانت

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۳۷

إنكليزيۀ أو فرنسيۀ، و عن قيمتها الماليۀ و غير ذلك، و قال لى بأن شاه إيران وعده بثلاثۀ مدافع صحراء و طائفۀ من المدفعيين لتدريب جماعۀ من أتباعه عليها و أردف قائلا: «و أنا شخصيّا سأتعلم و أصبح كما سترى مدفعيّا جيدا كمدفعى إنكليزى. أما رأيت حصون

القصر فی (سونه)؟ إننی سأضع فیها مدفعا، و أضع بعض الجاموس و الأغنام علی التل المقابل لها، و سنری کم سأقتل منها یومیّا» لقد أصبح موقفه الآن ودیّا، و الحدیث معه و إن لم یکن مفیدا مما حواه من المعلومات إلا أنه کان مسترسلا لا تکلف فیه. ثم التفت إلی موسی خان و خاطبه بالکردیة قائلا: «لقد جذبنی و اللّه هذا الرجل إلیه»، ثم قال لی: «أترغب فی مؤاخاتی؟ إنه من الخیر أن یکون للمرء صدیق مثلی، فأنا رجل غنی». و قد جاء ذکر مکتبتی، فانتهز عمر آغا الفرصة بلباقة و أخبره بأننی أرغب فی الحصول علی نسخة من کتاب تاریخ کردستان الشهیر المسمی بتاریخ الکرد، و کان عند ذاک فی أوج بشاشته فقال: «أترید تاریخ الکرد؟ إنک و اللّه ستحصل علیه»؛ لقد کنت فی بحث مستمر عن هذا الکتاب منذ عدة أعوام.

و کان یستحق أن یتحمل المرء عناء السفر إلی (سنه) بغیة الحصول علی هذا الکتاب وحده و یبدو أنه أخذته مؤخرا سورة دینیة فراح یذکر و یسبّح، و قال بأنه ینوی الحج إلی مکة، ثم سأل بعض الحاضرین عن الوقت، و لما أخبروه به تناول حبة صغیرة من الأفیون و أردفها بقطعة من السکر، و دخنت الغلایین العدیدة. ذکرت له رغبتی فی الرحیل غدا،

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۲۳۸

فرجانی أن أؤجل ذلک إلی ما بعد الغد کی یقابلنی ثانیة. إنه جاءنی فی الساعة الرابعة و مکث عندی حتی قرابة الغروب ثم استأذن فی الانصراف بلطف و ظرف، لقد کان یرکب جوادا أو بالأحری برذونا ضخما علی برذعة مکسوة بالمخمل، و کان خدمه یجفلون کلما التفت إلیهم بغتة أو کلم أحدا منهم.

۹ أیلول: کان علیّ أن أزور الوالی الیوم استئذانا بالرحیل، و کنت قد طلبت إلیه أن یضرب موعدا فی وقت یکون فیه غیر مشغول لأن الأوقات عندی سواسیة فأجاب بأنه سیخبرنی بذلک. لقد قضی الصبح بطوله فی تصفیة الحساب مع (بانه). إنه فقأ أعین ثلاثة رجال من أعیان هذا الجزء من المملکة، و نفی نساءهم و بناتهم مع عدد غیر یسیر من الناس إلی (سنه).

لقد شاهدنا رتلا طویلا من النساء فوق الخیول یقطعن السهل بحراسة بعض أتباع الخان و هم یسیرون راکبین بین النساء؛ و کانت هذه مشاغل الخان صباح الیوم و من حسن الحظ أنها لا تبدأ إلا فی الحادیة عشرة.

و کلما کثرت أخبارنا عنه ازددنا کرها لوحشیته الطاغیة. لقد ذهب بعد الظهر لمعاینة قریة کان قد استلبها و قبل ذهابه إلیها بعث إلیّ بخبر مفاده أنه قضی الیوم یعالج أمورا لم یستطع التخلی عنها و یرجو أن یزورنی غدا فیودعنی فیسیر فی اتجاه و نسیر نحن فی اتجاه آخر. و هذا التأخیر فی السفر أزعجنی کثیرا، فأوفدت إلیه استمحیه العذر عن التأخر إلی الغد، و لکنه کان قد غادر مکانه، و لم یعد إلا فی ساعة متأخرة من اللیل.

أویت إلی مضجعی فی الحادیة عشرة و لم أستقر فیه إلا- قلیلا حتی جاء رئیس الفراشین، و هو رئیس ناصبی الخیم، قائلا بأنه تلقی الأوامر لتقویض الخیام حالا، فاستغربت من هذه الخشونة المفاجئة و بقیت أنا و عمر آغا الذی حمل النبأ نجهل کیفیة تعلیله، غیر أنی قررت الحیلولة

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۲۳۹

دون ذلک إلا- إذا استخدمت قوة متفوقة إزاءنا فی تقویض هذه الخیام، و بالرغم من تأخر الوقت طلبت من عمر آغا أن یرکب إلی المدینة لمقابلة الوالی و استطلاع خبر هذا الأمر الشاذ فلبی عمر آغا الطلب و بعد نصف ساعة رجع ملاه- کاتبه- ب «الفقیه قادر». (و هو رجل من أطیب الناس، و الکلام فی سرک) لیخبرنی بأن القضیة محض خطأ و إن المیرزاوات طلبوا متوسلین به بأن لا یشتکی لدی الخان، و قد أمسی رئیس الفراشین لفی رعب شدید و قال لو علم الخان بالأمر لفقأ عینیه. و أخبرنی عمر آغا بأنه لم یر الوالی و نتیجة لذلک فإنه یفضل البقاء فی المدینة لیؤتی بالبغال- التی کان علی الوالی أن یهیئها لنا، إذ لا یمکن الحصول علیها دون أمر منه- لنستطیع الرحیل فی ساعة مبکرة من صباح الغد. و لقد استصوبت السکوت عن القضیة لأننی لم أجد فیها أی إهانة مقصودة، و استنتجت بأن الأمر لم یصدر إلا فی نوبة سکر شدید لأن الوالی علاوة علی تناوله الأفیون یحتسی النبیذ بوفرة، و من السهل جدّا تصور

استحالته إلى وحش ضار فى مثل تلك الحالات. و هذا الحادث المزعج تركنى ساهرا حتى الثانية بعد منتصف الليل .

۱۰ أيلول: نهضنا مع الشمس، و لم نجد البغال. و قد أخبرنى عمر آغا الذى عاد من المدينة بأنها آتية و لكن تسعة منها فصلت من قافلة من بغداد مرت ببانه بطريقها إلى بلاد الكرج، تلك القافلة التى أنقذتها أمس من دفع الضرائب المضاعفة و بعض التكاليف الثقيلة الأخرى التى أراد أعوان الخان فرضها عليها.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۰

كان طعام الفطور المعتاد يهيأ لنا، و بعد تناوله كان الخان يرغب فى مواجهتى ليودعنى لقد أخبرنى كل من «وكيل الخرج» رئيس خدم الخان، و عبد اللّه بك، بكل ذلك. فغضبت و قلت لهما بأننى لا أريد بغال القافلة- التى أمرت بإعادتها إلى أصحابها، و تأكدت تنفيذ الأمر بعدئذ- و إننى سأسافر لوحدى تاركا الأمتعة مطروحة فى محلها، و لا أريد مواجهة الخان مطلقا، و على ذلك ركب عبد اللّه بك و بعض أتباع الخان حالا مسرعين إلى المدينة خببا، أما صاحب البغال فبقى بجانبى مع بغاله التى جىء بها إلى مضربنا فى تلك الآونة. و أسرع «وكيل الخرج» فى تقديم الطعام استرضاء لى و ما كنت حاقدا عليه إذ كان رجلا خدوما مؤدبا، و هيأ عمر آغا ثلاثا أو أربعا من دواب حمل جمعها من محلات مختلفة لتحميل أهم الأشياء و ألزمها و المضى بها. و قد اهتم قبل كل شىء بحقائب سرجى و المزولة، و كان الجمع فى هرج و مرج. و بعد أن سارت قافلة الأثقال التى تمكنا من تحميلها ركبت السيدة ريج و المستر (به ل) يرافقهما مريض واحد أو مريضان من جماعتى و رجل يعتمد عليه من رجال العشائر من أتباع عمر آغا و هو ابن عم له، و قد تسلح بندقيتى و اتشح بسيف عريض لى اتشاحا مضحكا إذ رمى بمنطقته الجلدية العريضة و ألواحها المعدنية اللامعة فوق كتفه. لقد أصبح قائد القافلة، و هو بهذه القيافة فى وضع يصلح معه أن يترأس عصابة من قطاع الطرق.

و بعد أن سارت القافلة مدة نصف ساعة رجع عبد اللّه بك مسرعا ليخبرنى بأن الوالى قد استيقظ الآن من نومه و سمع بتأخرى عن الشروع بالسفر لقلة الدواب فأمر بأن يؤتى إلى بجواده، و هو مهتم اهتماما فائقا بأن لا يكون قد وقع ما يزعجنى، و يرجو أن أتناول كأسا من القهوة معه فى طريقى الذى يمر بالمدينة، و أنه يرى بأننى أزيده شرفا لو تقبلت منه برذونا رهوانا كدليل على رضائى عنه. لقد سررت لهذا التصرف لأن الأمور أخذت تسير سيرا وديّا، و عليه بعد أن وزعت بعض الدراهم على

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۱

جمع من الجشعين الذين ضايقونى و لم يقنعوا بما نالوا، و إقناعهم مستحيل، ركبت متجها إلى المدينة لتوديع الخان. فوجدته منشغلا جدّا بإملاء كتاب على أحد الميرزاوات- الكتاب- و قد جثا أمام الخان يكتب ما يمليه عليه بالحرف الواحد. و إنى على ثقة بأن الميرزا لو ترك و شأنه لكتب ما أملاه عليه الخان بأسلوب آخر .

استقبلنى الخان بلطف و أدب على طريقته الغريبة. و كان أمامه ناظور مسرح صغير، و قال لى إنه هدية من رئيس وزراء الشاه له، و طلب منى أن أنظر فيه و سألنى عن ثمنه. و قد استغرب لم لا يجسم هذا الناظور الأشباح بقدر ما يجسمها ناظور أكبر، ثم قال ما داموا قد بذلوا هذا الجهد فى صنعه فقد كان الأجدر بهم أن يجعلوه بقوة المرقب فى التجسيم. و دخل سلطان (بانه) نور اللّه سلطان و جلس عن بعد، فقدمه الخان إلى بقوله:- ياخشى أوغلان، أى إنه ولد طيب- و كان لهذا الولد الطيب لحية كثة سوداء طولها قدم تقريبا، و كان خوفه من مادحه ظاهرا عليه جليّا- «و إنه أهدى إليه، أى إلى الخان قرية- و هى القرية التى اغتصبها الوالى أخيرا- و إنه يريد أن يقيم فيها جنينة تفوق جنينة (خسرو آباد)، و يدعو الناس لمشاهدتها من الموصل، و حلب؛ و القاهرة».

و قدمت الآن أطباق الحلوى، و سألنى الوالى عن الهدية التى أرغب فى أن يرسلها لى، فأجبته أن الكتاب الذى وعدنى به، سيكون عندى أثمن الهدايا كلها. فأكد لى بأننى سأحصل عليه، و قال إنه لم يكذب مطلقا و عليه فهو يعترف بأن لديه نسختين منه، و لكنه يرغب فى مقارنتهما، و أنه سيرسل لى بكل تأكيد نسخة منهما مع رسول سريع من (سنه) على أن أعطيه لقاء ذلك بضع علب من البارود، و كرر السؤال عن الهدية التى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۲

أرغب فيها، و ألح علىّ فى ذلك إلحاحا، و لما رأيت إصراره أجبته بأننى سأكون ممتنا جدّا لو أرسل إلىّ أى كتاب يعثر عليه و يعتقد بإعجابى به، فلم يقنعه جوابى هذا و ألح علىّ أن أعين الكتاب فقلت له بأننى بعد رجوعى إلى موطنى سأبحث عن الكتب التى أحتاجها فأخبره بها فأجابنى عند ذاك بأنه سيفتح معاملة معى، أى أنه سيكتب إلىّ عما يريده لأرسله له على أن أفعل مثله. و بعد مكوث قرابة ساعة ودعته، فنهض و صافحنى و أسمعنى الكثير من كلمات المجاملة و أصر لأخبره عن رضائى التام عنه.

سيرحل الخان اليوم من (بانه) فى طريق عودته إلى (سنه)، و هذا يبعث الفرح فى نفوس سكان هذه الديار.

رحلنا من (بانه) بعد الظهر بنصف ساعة، و بعد أن قطعنا السهل باتجاه شمالى غربى دخلنا واديا ضيقا، تحيط به تلال مكسوة بأشجار البلوط، و استمر سيرنا فيه حتى الثانية إلا ربعا ثم ارتقينا سلسلة تلال صغيرة حائدة عن الطريق، و فى الثانية وصلنا قرية (سوويروه- Swearwea) الصغيرة الحقيرة فوقفنا عندها. و وجدت أننا قطعنا الكفاية من المسافة فى مرحلة اليوم الأول، إذ بدأنا السير متأخرين. و هذا يوم عودة الحمى على الكثير من جماعتى. و كان يقصد عبد اللّه بك مرافقتى حتى هذا المكان، و لكنه ارتأى بأنه يكون أعظم فائدة لنا إذا تخلّف عنا ليرسل الباقى من الأمتعة إلينا و يطلق بأمان و سلام المكارى المسكين الذى حميته، و لذلك ودعته فى (بانه) و هو الرجل الوحيد فى هذه المنطقة الذى أسفت لفراقه؛ إنه شاب طيب خدوم، مرح.

سار فتى بجانب جوادى من (بانه) إلى هذه القرية، و سألته عن مهنته فأجابنى أنه إسكافى، فوددت أن استطلع ما يدفعه سنويّا للحكومة فأجاب أنه يدفع تومانا واحدا ضريبة فى كل خمسة عشر يوما، و لكن منذ

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۳

أن جاء الخان إلى (بانه) دفعت عائلته خمسة تومانات و كاد يموت جوعا من جراء ذلك، لأن مهنته لا تدر عليه ما يكفى لأداء هذه الضريبة الباهظة.

۱۱ أيلول: سطا علينا ليلة الأمس بعض اللصوص، فسرقوا من عدتى سرجين فضيين و بعض الأسلحة المطعمة بالفضة، و حالما أعلمونى بالأمر أوفدت على آغا و هو من أتباعى و الفقيه قادر و هو من أتباع عمر آغا إلى أمان اللّه خان لإخباره بما وقع طالبا منه العثور على اللصوص و إعادة المنهوبات إلينا.

و فى السابعة و النصف رحلنا من (سوير آوا) و بعد أن عدنا إلى طريقنا أمس سرنا باتجاه شمالى غربى فى الوادى حتى التاسعة فوصلنا و هدا فى الوادى ثم عرجنا عن طريقنا فوصلنا فى التاسعة و النصف قرية (نويزكه)، القائمة على تل يحد الوهد من الغرب. كان طريقنا اليوم منبسطا فى الغالب مكتظا بالأشجار و أكثرها أشجار البلوط و الكمثرى البرية، أما الأرض فكانت أردوازية و جبسية، و أننا لا نزال فى مقاطعة (بانه)، و إذا كان الشىء بالشىء يذكر فإنها مشتهرة باللصوص. و لما كانت الدواب التى حصلنا عليها فى (بانه) غير مكدة- و أغلبها من البراذين- لم نستطع اجتياز (نويزكه) اليوم، إذ لا توجد قرية أخرى بينها و بين (مه روه) و هى على بعد أربع ساعات فى منطقة أصدقائنا البابانيين.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۴

۱۲ أيلول: إن أحمد بك رئيس القرية رجل لا جاذبية فى محياه، لقد كان ميالا إلى المشاكسة. و قد علمنا صباح اليوم أنه لا يريد أن يهيئ لنا الدواب أو يسمح لنا باستخدام دوابنا أيضا و قال إنه تلقى الأوامر بذلك من سلطان (بانه).

و هذا غير مستبعد كما يبدو، إذ ظهر لى من مذكرة جاءتنى من السلطان- الذى لى الحق كله أن لا أرتاح إلى سلوكه نحوى فى حوادث أخرى- أنه كان يميل بها إلى الانحياز إلى رجل أوقفناه لما حامت حوله الشبهات القوية التى لها علاقتها باللصوص.

لقد أصبحنا فى مأزق حرج، فلقد سافر أمان اللّه خان، و يبدو أن السلطة الوحيدة التى نستطيع الاعتماد على معاونتها لنا إزاء وقاحة هذا الرئيس، ستنحاز إليه أكثر من مساندتها لنا. إن القرية فى موقع حصين و تجمع ثلاثين أو أربعين حامل بندقية، أما جماعتنا فقلائل بحد

ذاتهم، و كلهم من الخيالة و قد أنهكهم المرض، و هذا مما يعيقنا عن الاستعداد لمجابهة الطوارىء. و أخذت أشعر الآن بالندم على إعادتى الجنود «السباهيين» إلى السليمانية، إذ محض وجودهم معنا مما كان يعيد الأمور إلى مجراها الطبيعى، و بعد المشاورة مع عمر آغا فيما يجب عمله فى هذا الظرف الطارىء قررنا السير إلى حدود البابانيين تاركين وراءنا الأمتعة و الخيام، فنرسل جماعة مسلحة من الشينكيين- قبيلة جبلية باسلة، على مقربة منا فى المنطقة البابانية- لإنقاذ الأمتعة. و قد غادرت قرينتى آنذاك المحل بحماية المستر (به ل) و محمد رضا جاووش، و بعض الخدم، و كلهم راكبون مسلحون. أما أنا و عمر آغا فتخلّفنا لنتعهد المرضى و نقاوم أى هجوم نتعرض له، هذا و يبدو أن ما لاحظه أحمد بك من موقفنا و مشاورتنا لم يرق له فجاء من فوره و قال بأنه مستعد ليجهزنا بما نحتاجه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۵

من الحمير، و تم الاتفاق، و بعد مصاعب جمة، و تأخير طويل و قسمهم اليمين و تهديدنا لهم أحضرت الدواب فحملنا أمتعتنا و أركبنا مرضانا و دفعنا بها جميعا على الطريق إلى مسافة لا يستهان بها قبل حركتنا.

و استدلالا بسلوك هؤلاء و ببعض ما بدا منهم عند رحيلنا خشى عمر آغا غارتهم علينا فى طريقنا، و كنا و لا ريب عازمين على المقاومة، و قد شعرت بالثقة التامة بكفاءتنا فى منازلتهم منازلة الند للند إذ كنا فرسانا ماهرين و مسلحين فنظمنا أنفسنا أحسن تنظيم مستطاع لحماية الأمتعة و المرضى و العاجزين منا، و احتفظنا بتلك التنظيمات حتى اجتزنا الحدود بأمان.

و يظهر أن كبير (نويزكه) رأى من الحكمة أن يدعنا نرحل عن منطقته دون أن يمسّنا بضرر، إذ لم نر له و لأعوانه أثرا بعد ذاك .

سرنا فى السابعة و النصف، و اتجهنا ببطء نحو الطريق الذى تخلّينا عنه أمس فوصلناه فى الثامنة. و بعد قليل بدأنا نرتقى الأرض بطريق جيد، وسط غابة من أشجار البلوط الضخمة و أشجار الكمثرى البرية و أشجار تشبه الزعرور ذات ثمر مستساغ، و وقفنا مرتين خلال تسلقنا الجبل الذى كنا نجتازه و اسمه (بى لوو) و كان يتجه شماليّا جنوبيّا تقريبا، و لكن ارتقاء الجبل من سهل (بانه) كان ارتقاء تدريجيّا بدرجة لا يظهر معها للجبل أثر فى ذلك الجانب، و عن يسارنا و على بعد قليل، يرتفع جبل (سوركه ئوو-Soorkeoo) بسفوحه الهدود و هو يتجه اتجاها جنوبيّا شرقيّا، و منتهاه القريب منا مخدد بمياه (بانه) و بجداول أخرى و أنه من الجلى جزء من السلسلة التى كنا نسير عليها، و هو على ما أعتقد نفس الجبل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۶

الذى يحد سهل (أحمد كلوان) و الذى اجتزناه فى طريقنا من السليمانية إلى أحمد كلوان بالطريق المسمى (تاريله ر) و بعد أن استرحنا و أرحنا الحيوانات فوق قمة جبل (بى لوو) استأنفنا السير فى العاشرة و النصف.

كنا نسير و كأننا فى لجة من الجبال تحيط بنا من اليمين و اليسار، لقد كان البعض منها يمتد فى خطوط مستقيمة و البعض الآخر متكسرا، متشابكا تشابكا يستحيل على المرء تخطيطه، و يبدو أن الأرض كانت مغمورة بصفيح الأردواز و بالجبس و الصوان.

و بعد قليل وصلنا قمة المرتفع، و بهبوطنا منه دخلنا حدود المنطقة البابانية، و كان المنظر رائعا بهيجا، و قد أخذ الطريق بالهبوط توّا إلى واد عميق ضيق لا يمكن للعين أن تدرك قعره، ثم ترتفع الأرض ثانية فى الجانب المقابل إلى ارتفاع أعلى من المستوى الذى نحن فيه، تعلوه قمتان تصل بينهما صهوة، الشمالية منهما على هيئة غريبة التكوين كنا شاهدناها من (سويرآوا). لقد كان منظر البلاد خلابا فهى غنية بأشجارها و وفرة قراها الخضراء الزمردية، لقد كانت فى مجموعها جميلة جذابة، و سلاسل الجبال و هيئتها تتكسر تكسرا بديعا، و كان اللون الغالب للتربة هو الأحمر الغامق، يتخلله اللونان النحاسى و الأخضر الزمردى عند جوانب التلال حيث حددتها سيول المياه و انهارت جروفها. لقد استغرق هبوطنا الساعتين و نحن نمر من بين الغابات الجميلة إلا فى بعض الفترات القصيرة جدّا. و كان النزول هدودا، و ما كان الطريق رديئا كما يتوقعه المرء و هو فى أرض جبلية كهذه، و لا ريب أنه ليس هناك من أمر يبدو أكثر وضوحا من الفرق بين «كردستاننا» و إيران إذا ما تأمل فيهما المرء من هذه البقعة. إن ما نراه هو أن التربة ذاتها قد تغيرت فى طبيعتها و فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۷

لونها، فكل شىء كان مظهرا من مظاهر العظمة و الجمال. وصلنا حضيض المهبط بعد الزوال بنصف ساعة فعبرنا جدول (به روزه) أو (بانه) حيث تتصل به جداول أخرى تنحدر من الجبال. و هذا النهر يفصل إيران عن تركيا، و هو يسيل شمالا إلى الغرب قليلا و يصب فى آلتون صو فى أعالى مياه (قالاجوالان) .

شعرت بغبطة قلبية لنجاتى من أرض المشاكل و الشحاذين و دخولى بلاد الضيافة الحقة، و شعرت أيضا كأننى عدت إلى دارى. ارتقينا المرتفع المقابل و مضينا نسير طوار سفحه، و قد شاهدنا طبقات أحجار سمكها عقدتان أو ثلاث عقد عند الجروف التى كونتها المياه، و هى ملتوية متشابكة تشابكا غريبا كأنها قطع من مصاغ مخرم، صيغ على الطراز القديم.

و فى الثانية إلا ربعا وصلنا قرية (مه روى) فى منطقة (آلان) و قد استقبلنا هنا الكرد الأقحاح، و هنا يجوز لى أن أتوقع الآن الاستمتاع بالراحة. و تقع القرية فى موقع لطيف على جانب الجبل و على ارتفاع غير كثير فوق النهر، و قد شاهدنا فى الجانب المقابل منه جبل (بى لوو) ممتدا شمالا و إلى الغرب قليلا- و هو يكون هناك هوة- جرف سحيق- عظيمة من الصخر الأجرد تدعى (برى) و يشاهد المرء من فتحة أو فجوة فى هذا الجرف شمال القرية منظرا صخريّا جميلا آخر؛ و يزداد الجبل ارتفاعا وراء الفجوة. و ترى مدينة (بى تووش) تحت الجبل باتجاه شمالى غربى و على مسافة ثلاث ساعات لا لبعد المسافة، بل لصعوبة الطريق، و على واجهة الجبل، قبالة (بى تووش) تقع منطقة بيشدر. و على الغرب منا سلسلة من التلال تسمى (كوور كوور) و الظاهر أنها تتصل بالجبل الذى وصفته الآن، و تقع على جانبه القريب منا قرية (شينك) و هى على

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۸

بعد خمس ساعات، و تقع (كلاله) بجوار (شينك) إلى اليمين أى إلى الشمال، كما تقع (مه ركه) و على الجانب الآخر من السلسلة يفصلها نهر عن (بيتوين)؛ و هى على مسافة عشر ساعات.

و يزرع الكثير من التبغ فى جوار (مه روى)، و القرويون الآن يجففون أوراقه بنشرها على الحبال و القضبان. دخنت من التبغ على سبيل الاختبار فوجدته معتدلا فى نكهته. و يزرع الماش بكثرة فى هذه النواحى، و لمزارعه الخضراء منظر جميل بين التلال. و تكثر الأدغال البرية خاصة فى هذه البقاع و هى على وجه الأرض كالديباج.

۱۳ أيلول: سرنا فى السابعة فأخذنا توّا نصعد التل، نحو القمة الغريبة الشكل التى ذكرناها و اسمها (كمو-Gmo). و تكثر الينابيع فى هذه الجبال، يستغل أغلبها المزارعون، بفتحهم السواقى لمياهها حول التلال لتسيل على المنحدرات كلما اقتضى الأمر.

و فى الثامنة و الربع وصلنا قرية (ديرى) الجميلة و قد اكتنفتها غابة من أبدع أشجار الحور التى شاهدتها حتى الآن، و كانت ذات أغصان مديدة، و ظل وارف. و كانت الجنائن و الكروم تحيط بالقرية فى كل بقعة من جوانب الجبل، و قد تسلقت الكروم، فى أماكن عديدة على الأشجار و تدلت منها و امتدت من الواحدة إلى الأخرى، كجدائل زهور و ضفائر أغصان. و هنالك عدد وافر من الينابيع تتدفق من جوانب التلال فتسيل مياهها على جذور الأشجار بشلالات صغيرة لا حصر لها؛ و ما كنا نسمع إلا خرير المياه.

ليس من السهل على المرء أن يمر ببقعة بهيجة كهذه دون أن يقف عندها و يتمتع بجلالها، لقد ترجل عمر آغا و ترجلت معه تحت ظل شجرة جوز عند ساقية صغيرة، فمد القرويون أمامنا من فورهم فطورا من العسل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۴۹

فى أقراصه، و الزبدة الطرية، و الشنين، و الإجاص و العنب. بقينا هنا حتى التاسعة و الدقيقة العاشرة، ثم غادرنا المكان الجميل آسفين. و وصلنا بعد نصف ساعة تقريبا و كنا لا نزال نرتقى فى طريقنا، أعلى جزء من المرتفع و قد كان له مظهر مهيب، لقد كان العدد الوفير من الينابيع تتدفق من الأرض فتسيل مياه جانب منها باتجاه شمالى نحو مياه (بروزه) و تنساب مياه الجانب الآخر على بعد قليل إلى الجنوب فتصب فى مياه (شينك).

لم نر أشجارا و لكن الأرض كانت خضراء نضرة لوفرة المياه، و يعرف هذا المكان ب (هزار كانيان) أو الألف ينبوع. و هنا وصلنا إلى أعلى قسم من طريقنا و لكن على ارتفاع أعلى منا تستوى قمة (كمو-Gmo) و صنوها، و هما صخريتان جرداوان. سرنا مدة و القمتان تشرفان علينا؛ لا يمكن اختيار طريق أحسن من هذا الطريق يتاح لى فيه تكوين فكرة صحيحة عن سلاسل الجبال و اتصالاتها. لقد كانت سلسلة (سوورکيو) على موازاة مع مسيرنا و هى كما توقعت سابقا تؤلف جبل (قزلجة) أو (تاريه ر)، و تتشعب من هذه السلسلة شعبة تنعطف مستديرة من جبل (سه رسير) ثم تؤلف الجبل الذى نسير عليه الآن أو تتصل به و يقع إلى ما وراء هذا الجبل، أو إلى جنوبه جبل (كوررە كازاو) الذى يمتد باتجاه جنوبى شرقى تقريبا نحو (تاريه ر). و فى الأرض التى تتخللهما تلال متكسرة ترتفع إلى كل من السلسلتين بالتعاقب، و تقع القرى و البقاع الخضراء على مسطحات سفوح الجبل حينا و على منحدراته حينا آخر و كل ذلك يؤلف تباينا جميل المنظر. فكلما سرنا مائة ياردة جئنا ينبوعا بارد المياه إذا شربت منها آلمتك أسنانك. و كان للأرض لون نحاسى كبريتى، و كان الطريق مشجرا كالمعتاد و هو و إن كان رخوا صخريّا فما كان رديئا كنيسم جبلى.

و بعد مدة قصيرة سقط نعل جوادى، و لم أستطع الاستمرار على السير على طريق حجرى كهذا و أنا على حيوان ثمين كجوادى قبل إعادة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵۰

تنعيله، و لم تمض إلا- برهة منذ أن أجزنا للنعال- البيطر- بالذهاب لزيارة حبيبته الساكنة فى قرية مجاورة، و قد أركبناه و جهزناه تجهيزا شيقا لهذه الزيارة، و لكن عمر آغا حصل على أدوات التنعيل اللازمة، و نعّل الحصان بنفسه قائلا «إننى لا أسوم الجندى الذى لا يحسن تنعيل جواده بفلس واحد» لقد أعاقنا هذا الحادث زمنا و لم نصل قرية (كه نارووو) فى منطقة (سى وه يل) قبل الساعة الثانية .

۱۴ أيلول: التحق من السليمانية ليلة أمس بعمر آغا الكثير من أعوانه، و قد أخبرنى بأن عنده ما ينوف على أربعين خادما و كلهم من القبليين إلا- ثلاثة أو أربعة، و أضاف قائلا- بأن ليس من صالحه أن يحتفظ بخدم من أهل المدن أو القرى ثم أردف:- «إنهم لا يرتبطون بك ارتباطا قويّا، و لا يقفون بجانبك عند الشدائد، أما القبائليون فعلى النقيض من ذلك فهم و إن لم يكونوا من قبيلتك أو عشيرتك يتعلقون بك تعلقا شديدا، و لا يفصلهم عنك الجوع أو العطش أو الفقر أو التعب، كلا و لا الخطر».

و سرنى كثيرا أن أعلم من رجال عمر آغا نقاهة المرضى من جماعتى فى السليمانية.

و فى السادسة و النصف امتطينا الجياد و سرنا، و كان اتجاه طريقنا جنوبيّا فأخذنا نهبط و هدا حتى حضيض (سه رسير) ثم افترقنا عن الوهد و عبرنا امتداد السلسلة التى قطعناها أمس حيث تتصل بجبل (سه رسير) ثم انحدرنا إلى نهر (سى وه يل) و هو يسيل على طوار (سه رسير) ثم

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵۱

ينعطف شمالا و قليلا- نحو الغرب و يتصل بنهر (قالا- جوالان) عند (ماوەت) فيتجه النهران إلى (آلتون صو). و كانت مياهه فى محل عبورنا على ارتفاع مع ركاب الخيال، لبضع خطوات ثم يصبح ضحضاحا، عرضه حوالى اثنتى عشرة، أو خمس عشرة ياردة، و لكن مسيله أوسع من ذلك و كثيرا ما يصعب عبوره فى الشتاء إلا بالرماث «الأكلاك».

لقد أصبحت الأرض الآن طباشيرية، و انحدرنا إلى سهل (شار بازير) و بعد مدة قليلة ميزنا أليفنا القديم جبل (غودرون) و تلال (كويزه)، و هى جرداء متناسقة ممتدة ما امتد البصر كالأسوار ذات الأبراج. لقد أصبحنا الآن فى بقاع الأحجار الرملية، و التكتلات الصخرية، و قد تضاءلت الأشجار بل و انعدمت إلا فى أماكن و أماكن.

و فى التاسعة إلا ثلثا هبطنا واديا ضيقا كونه نهر (قالا جوالان) و سرنا إلى حيث مدينة (قالا جوالان)، العاصمة القديمة لهذا الجزء من كردستان.

بنيت المدينة فى هذا المضيق، لأنه تبدو أن الكرد يفضلون هذه المواقع المنخفضة المستورة ليشيدوا فيها مدنهم و قراهم- لم يبق من

المدينة أثرا، إلا بعض الأكواخ الحقيرة للقرويين الذين يقطنون المكان- ترجلنا فى (سليمان آوه) أو (سليمان آباد) و هى حديقة مندرسة كان قد غرسها (سليمان به به) جد العائلة البابانية الشهير. و هذا الوادى مشهور بفواكهه الطيبة و خاصة الأعناب و الرقى منها، و تصدر منه فواكه السليمانية كلها.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵۲

۱۵ أيلول: سرنا فى السادسة و الدقيقة العاشرة و قد عم الجذل و الفرح رجالنا لتوقعهم الوصول إلى السليمانية بعد بضع ساعات. و قد شعرت شخصيّا بارتياح نفسى بمثل ما يتحسس به المرء عند عودته إلى بيته، و الحق يقال إن اللطف و حسن الضيافة اللذين لمستهما فى السليمانية هما من العوامل القوية التى تجعلنى أن أعتبرها موطنا ثانيا لى. و كان طريقنا كله يرتقى بعد الوادى، أو منخفض مجرى نهر (قالا- جوالان) ارتقاء هينا، و كان يعارضه خانق عميق حفره سيل جف الآن، و قد انهارت التربة و تقوضت الأحجار الرملية و تدهورت و تراكمت فوق بعضها أكواما كالأنقاض متبعثرة على غير انتظام .

و فى السابعة و النصف وصلنا حضيض جبل (أزمر)، و بعد برهة بدأنا نرتقى ناهدا جزء منه بطريق جد معتدل متمعج على سفح الجبل دون أن يكون هدودا، و فى الثامنة وصلنا القمة، و بعد أن سرنا جنوبا مدة خمس دقائق بمحاذاة رأس الجبل بدأنا بالهبوط. و ما كان القسم الأول من الهبوط رديئا إلا أن الطريق أخذ بعد ذلك يمر لمسافة قصيرة على حافات مهاوى الجبل و قد أمسى خطرا فى مكان أهملت تسويته لنتوء صخرة عظيمة فى وسطه، فاضطررنا إلى الزحف من فوقها، بعد أن ترجل كل منا و ترك جواده ليشق له طريقا، فشقت الحيوانات طريقها ببطء و تؤدة و حذر؛ و لقد مر ذلك بسلام. و فى الثامنة و النصف وصلنا أسفل المنحدر الرئيسى، و ما زلنا فى اتجاهنا الجنوبى و نحن ننحدر انحدارا تدريجيّا فى واد ضيق تكون من الجانب الواحد من سفح الجبل ذاته و من الجانب الآخر من هضبة متفرعة منه و على امتداد مواز له. و فى التاسعة إلا عشر دقائق مررنا من فجوة فى تلك الهضبة إلى وهد السليمانية و قد ألفناه فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵۳

التاسعة و قد أصبح اتجاه المدينة جنوبيّا غربيّا بعشرين درجة. و فى العاشرة وصلنا خيامنا فى حديقة الباشا فى (جواربا غ) .

و هكذا أتممت السياحة، و ما كانت سارة لمرض أعوانى، فإنها و للّه الحمد كانت أقل عناء مما كان متوقعا إذا أخذنا بنظر الاعتبار الحمى التى تعرضنا لها، و ضعف بنية البغداديين على تحمل المشاق و تهيبهم، و هم يؤلفون معظم رجال حاشيتى المسؤولين عن إدارتى. و كانت السياحة ذات فوائد جمة، لقد زرت أهم جزء من كردستان و أعجبه، و ما أندر الأماكن المعروفة فيها قبل زيارتى لها، تلك الأماكن التى لا يحتمل أن يزورها سائح آخر فى القريب العاجل. إن الطرق التى اتبعتها بحكم الصدف على الأغلب، أو نتيجة لقرارات كانت بنت ساعتها كانت لحسن الحظ أحسن الطرق التى مكنتنى من الحصول على فكرة عامة عن البلاد و هى الطرق ذاتها التى كنت أحاول مسحها، لو كان لى العلم الكافى بتعميم الخطة العامة لإنجازه.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵۵

الفصل العاشر فشل التطعيم ضد الجدرى

- وفاة ابن عثمان بك- حزن الباشا- المواقع الأثرية فى شهرزور- الإسكندر الكبير و الأميرة الهندية- أسماء المناطق- عمر آغا- اضطهاده و حبسه- تعلق أتباعه به- نزاهته- كراهيته لعثمان بك- رحمة اللّه التاتار- رحلته فى الجبال المنيعة المنقطعة التى تسكنها عشائر الكلدانيين المسيحيين- العمادية- نصيحة الباشا إلى التاتار- مصاعبه و مخاطره- المضارب الكلدانية- خبز الرز- دهشة الكلدانيين لرؤيتهم رحمة اللّه بينهم- اليزيديون- مدينة و ان- أسماء القبائل الكردية- حفلة عرس- السيدات يرقصن- مقام المرأة الكردية- لباس الرجال- قصة داره شمانه- شيخ بابانى جليل

*** ۲۳ أيلول: عند وصولى إلى السليمانية أصبت بخيبة أمل مريرة لعلمى بفشل خطة قرينتى فى التطعيم ضد الجدرى، لجهل الرجل الذى تعهد بتنفيذها و عجرفته. و يبدو أن اللقاح كان فاسدا، و الطفح ناقصا. لقد أصيب به كل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵۶

من لقح من الأطفال عدا واحدا أو اثنين منهم. و كان نجل عثمان بك الثانى، و هو طفل جميل يبلغ من العمر سنة و نصف سنة، ضمن من أصيبوا، و توفى أمس.

ذهبت صباح اليوم لتعزية الباشا و عثمان بك، فوجدت الباشا بالغ التأثر، إذ كان يحبس دموعه بصعوبة، و قد أجابنى على تعزيتى بصوت خافت متهدج وردد ذكر ابن أخيه الصغير مرة أو مرتين بعبارات ملؤها الحسرة و الحنان. و انتقلنا رويدا رويدا إلى بحوث أخرى وعدنا إلى موضوعنا القديم المتعلق بعاديات هذه البلاد. إن تحرياتى عن موقع مدينة (شهرزور) دفع الكثير من الكرد إلى التفكير فى الأمر. و أفاد الباشا اليوم بأنه يعتقد شخصيّا بأن المدينة القديمة تقع عند (قيز قلعه سى- حصن الفتاة) بالقرب من (بستان سوور) فى منطقة شهرزور. و لا يزال هناك خرائب كثيرة، أو بالأحرى أنقاض خرائب عند (قيز قلعه سى) الواقعة على بعد ساعتين من (آربهد) و خمس ساعات من السليمانية، و أن الأهليين لا يزالون يجلبون النورة من تلك الأنقاض. و يدّعى الأهلون بأن (قيز قلعه سى) قد بناها الإسكندر الكبير لأميرة هندية جاء بها من الهند عند رجوعه من حملته عليها، و على إثر إصابتها بمرض نصح لها أطباؤها بأن تقطن فى مكان مناخه يضاهى مناخ بلادها، فوقع الاختيار على سهل شهرزور لهذا الغرض. و (ياسين ته به) و (كه وره قالا- القلعة الكبيرة) خربتان أخريتان فى تلك المنطقة، و محل آخر اسمه (دزكه ره). و خلاصة القول إن منطقة (شهرزور)، أو فى الحقيقة هذا الجزء من كردستان كله، زاخر ببقايا الآثار القديمة، و إن كان لا يمكن اعتبار أى واحدة منها خرائب بحد ذاتها.

و على بعد ساعة و نصف ساعة من السليمانية، و تحت خط التلال المقابلة يقع (هه زار ميرد) و هو موقع تذكر عنه الأساطير، إن عبدة النار أو المجوس، كما ينعتهم الكرد، دافعوا عنه دفاعا مديدا إزاء الغزاة الأول

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵۷

من الإسلام، و كان مسرحا لاصطدام عنيف. و يقال إنه يمكن مشاهدة بقايا التحصينات على محاذاة قمم هذه التلال، بين مسافة و أخرى.

أنوى زيارة (شهرزور) حالما يعتدل الطقس. لقد بدا لى اليوم برهان قاطع على صعوبة الحصول على المعلومات الصحيحة من الشرقيين، حتى من المتصفين بالذكاء المفرط و بالصدق منهم، و كان عندى دليل آخر عن كيفية وقوع السواح فى أفظع الأخطاء و أشنعها على غير قصد منهم. فقد أخبرنى الباشا نفسه مرة أخبارا لا يقبل الشك بأن اسم قبيلته هو (كرمانج)، أما الآن فقد قال إن الأمر ليس كذلك، بل إن (كرمانج) هو الاسم الذى يطلق على جميع الكرد البابنيين أما قبيلته بالذات فهى القبيلة البابانية، و لم يستطع هو أو غيره من الحاضرين إخبارى عن معنى (كرمانج)، و من أين اشتقت هذه الكلمة. و قد قال أحد السادة من الرجال الحاضرين- و أعتقد أنه كان من العائلة ذاتها- بأن العائلة البابانية هى فرع من قبيلة (سه ككير) و أن قبيلتى (شينكى) و (كه لالى) تمتان إليهم بصلة القربى، و أن العائلة البابانية قد برزت و ذاع صيتها منذ أن انقرض بيت (سوران) القديم، و لم يكن ذلك قبل مائتين من السنين كما ذكرت من قبل. لقد انحدرت العائلة البابانية أولا من جبل (بيشدر) و استولت على (مه ركه) و (ماوه ت) و (قيزلجة) من الإيرانيين، و (زه نكه نه) من بيت من البيوتات، و لا يزال يسكن قسم من هذه العائلة (كرمنشاه) و هى و إن تتكلم الكردية فلا تعتبر من الكرد الأقحاح و يحتمل أنها كانت من القرويين أو الفلاحين.

و بعد أن فارقت الباشا، ذهبت لمقابلة عثمان بك، و قد أجابنى على تعزيتى له بموت ولده بالجمل القصيرة المعتادة «هذا أمر اللّه، و لا مرد لأمره، أطال اللّه فى عمر الباشا و فى عمرك» و بعد برهة قصيرة بدأ يتحدث و يضحك كعادته، ثم فحص بعض الجياد، و جىء له ببعض أحجار الرخام ليختار منها قطعا يزين بها جوسقه الجديد و جلب انتباهى إلى أنها أحجار من (قه ره داغ).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵۸

يشكو أهل السليمانية كلهم من هبوب الريح الشرقية هبوبا غير اعتيادى فى هذه السنة مما جعل الموسم شديد الحرارة شدة لا تطاق و باعثا على الخمول، و لم ينجوا منه ثلاثة أيام متواليات منذ بداية الصيف و إننا منذ رجوعنا من الجبال و نحن نتلظى بحرارته و ببواعث كسله، على الرغم من أن حرارته غير الاعتيادية قد خفت بعض الشىء. و فى خلال هذه الأيام القلائل راقبت طبيعة هذه الريح العنود، فوجدتها تهب هبوبا عاصفا على شكل تيار مستقيم فوق المدينة، فى الوقت الذى لا يهب عند خيامنا التى لا تبعد إلا بضع مئات من الياردات إلا نسيما خفيفا، و لم أجد هذا وحده، بل وجدت أنها تهب حول خيمتى، و الخيمة ساكنة سكونا تامّا لا حراك فيها. و قبل بضع ليال، بينما كانت هذه الريح الشرقية تهب بشدتها عندنا، تمكن ميناس آغا من قطع السهل و الذهاب إلى الجبال المقابلة لنا. و فى اللحظة التى عبر بها نهر (تانجرو)، لم يجد لهذه الريح أثرا و لكنها داهمته فى المكان ذاته عند عودته.

۲۸ أيلول: حصلت من عمر آغا على القائمة التالية فى مناطق هذا الجزء من كردستان كلها، ابتداء من حدود بغداد .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۵۹

۲۹ أيلول: أخبرنى صديقى الحميم عمر بك فى سياق كلامه عن تاريخ حياته و ما لحقه أخيرا من الاضطهاد فقال بأن أربعة أو خمسة من أخص رجاله كانوا قد سجنوا معه، و كان السجن رطبا خاليا من وسائل التدفئة، و موسم الشتاء فى عنفوانه. و كانوا يأخذون فى كل يوم واحدا أو اثنين من رجاله إلى خارج السجن حيث يجلدون جلدا مبرحا لإكراههم على القول و الإرشاد على مخبأ دراهم سيدهم و أمواله و ربما كان يجلد الواحد منهم مرتين فى اليوم، و بالرغم من ذلك لم يبد الضجر على أحدهم أو اعترف.

و اجتمع رجاله فى أحد الأيام و توصلوا إلى إخبار سيدهم بأنهم دبروا خطة لاقتحام السجن فى تلك الليلة و ذبح الحراس و الفرار بسيدهم إلى كركوك، و لكنه منعهم منعا باتّا عن هذه المحاولة، و كاد رجاله يموتون جوعا خلال مدة سجنه إلا أنه لم يظهر أى منهم رغبته فى تغيير ما هو عليه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۰

من الحال أو ترجيح خدمة أخرى على خدمته. إن أكثر رجال عمر آغا بالإضافة إلى أنهم قبليين، فإنهم سليلو أناس كانوا فى خدمة والده، فوالده الفقيه قادر و سكرتيره و زوجته و أخواته و إخوانه الصغار كلهم يعيشون فى حرم عمر بك، و يعتبرون جزءا من العائلة ذاتها، و يشاركه رجاله كلهم السراء و الضراء، و يفعلون ما يفعل و يجوعون أو يلبسون الأسمال البالية عندما يجور عليه الزمن، و يكسبون المال عندما يعود إلى منصبه، كل ذلك دون تضجر، أو تأفف، بل إنهم يتلقون كل هذه كأمور اعتيادية لا مفر منها. و عمر آغا نفسه لا- يعدو عن كونه مثلا- لهذه الأخلاق و هذا الوداد. فالباشا و إن كان فى الحقيقة يوده ودّا أكيدا إلّا أنه غلب على أمره بتحريض من عثمان بك الذى يكره عمر آغا فعامله معاملة قاسية جدّا. و لاقتناع عمر آغا بأن الباشا يوده و للاحترام العظيم الذى يكنه لعبد الرحمن والد الباشا فإنه لم يفكر مطلقا فى التخلى عنه، كما لم يبد تذمره منه إلا عند التحدث إلى من يعتمد عليه من الأصدقاء. و فى هذه الحالة لم يكن كلامه لينم عن تذمر أو تبرم بل إنه صوت توجع أليم ليس إلا. و عندما رثيت لضعف الباشا، أجابنى عمر آغا من فوره و بصدق واضح قائلا: «أؤكد لك يا سيدى بأنه ليس كذلك إنما هذا شأنه إزائى فقط» و ما كان قوله هذا تصنعا بل كان منبعثا من الصميم، و قد قاله حذرا من أن أجور فأظن فى سيده. لقد انحط مستوى عمر آغا المالى لدرجة الفقر المدقع لسوء المعاملة التى يلقاها من جراء عداء عثمان بك له، كما سبق أن ذكرت، و هو لا يخفى سخطه عليه، و مع هذا فهو لا يتشكى بل يبذل أعظم الجهد لكى لا يشعر بضيق ذات يده و حاجته. و بالرغم من مصاحبتى له منذ بضعة أشهر، لم يظهر مثقال ذرة من التلميح أو الرغبة فى الحصول على شىء منى، و لو كان أغنى الأتراك فى مكانه لما تردد فى الاستجداء منى بصراحة خلال نصف تلك المدة. و عندما أوفدت قبل بضعة أيام تاتارا إلى استانبول تلك العاصمة التى أصبحت الآن تحوى كل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۱

ما يحتاجه المرء من المواد الكمالية و الضرورية التى قد تغرى أى شرقى، و سألت عمر آغا عما يرغب فى جلبه له منها، فأجابنى لا يتذكر احتياجه إلى أى شىء، و غيّر مجرى الحديث فورا. و كان (المصرف) بين الحاضرين فطلب منى أن أجلب له قطعة كهرمان لمبسم غليونه. و عمر آغا لا يتودد إلى عثمان بك، القادر على تحطيمه إذا أراد. و هو يظهر فى حضرته أنوفا على الدوام كأنه لا يخافه و لا يخشاه. و لما سألته لماذا لا يتقرب إلى البك أو يذهب إليه إلا معى أجابنى «لأنه أساء معاملتى و إنى لا أوده» و صفوة القول إن عمر آغا هو الشرقى الوحيد الذى عرفته حتى الآن خلال اختباراتى الطويلة للعرب و الأتراك و الإيرانيين، الذى أستطيع أن ألقبه بالفتى «جنتلمن» بكل ما فى تلك الكلمة من معنى.

۳۰ أيلول: وصلتنى هذه الساعة رزمة أخرى من (بومباى) يجب إرسالها إلى استانبول. و كان رحمة اللّه آغا هو التاتار- الساعى- الذى أتانى بها من بغداد و هو الشخص الذى حاول خلال ثورة سعيد الباشا الذهاب إلى استانبول بطريق (العمادية) و (وان). و قد بحثت معه بحثا طويلا فى هذا الطريق، و هو طريق غريب جدّا، لم يحاول أى تركى آخر سلوكه .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۲

و تنفيذا لتوصية حاكم أربيل استصحب معه من (عين كاوه) مترجما كلدانيّا ليعاونه و هو بين عشائر (جوله مه ركى) الكلدانية. و ذهب من أربيل إلى عقرة أو (ناأوكور-Naoukor) و هى على مسيرة يومين باعتبار مسير اليوم الواحد اثنتى عشرة ساعة، و كان الطريق مستويا بعض الاستواء حتى بدأ التاتار يرتقى الجبل إلى قلعة عقرة، و من هناك تبعد العمادية مسيرة يومين، يقطعها الراجل فى اثنتى عشرة ساعة يوميّا، و الطريق جبلى وعر جدّا. و قد بذل زبير باشا حاكم العمادية الجهد لإقناعه بالعدول عن السفر إذ إنه محفوف بالمخاطر إن لم يكن مستحيلا و لكن التاتار أصرّ على رأيه، فأسدى له الباشا عندئذ بعض النصائح منها أن يدفع ثمن كل ما يأخذه منهم، و أن لا يبخس قيمة أى طعام يقدم إليه، بل عليه أن يظهر الرضى عنه و يمدحه إذ إن الناس الذين يقطنون البلاد التى سيمر منها و خاصة المسيحيين منهم من أشرس الناس و أكثرهم حقدا، و من المتقلبين فى أهوائهم و أطوارهم و هم سريعو الصراخ و الانفعال، و إن أقل تعريض بهم قد يؤدى إلى هلاكه. ثم أعطاه بعض

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۳

اللوح الرقم (۴) زوجان نسطوريان من (حه كارى) من عشيرة (جه لو)

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۴

الرسائل و أرفق معه شخصين أو ثلاثة من المطّلعين على المنطقة. و لكن سفرته كانت سلسلة مصاعب مستمرة، فقد سلبوه ماله و سلاحه و مع ذلك فإنهم منوا عليه بقولهم إنه إنما نجا من أى اعتداء آخر بفضل توصية زبير باشا به. و قد استغرق طريقه من العمادية إلى (وان) ثلاثة عشر يوما بما فى ذلك تأخره أربعا و عشرين ساعة فى (جوله مه ركى) . إن منطقة (حه كارى) من المناطق الجبلية المنيعة جدّا و تمتد مناعتها طيلة الطريق حتى (وان) و هى فى أغلب أقسامها مكسوة بالأشجار أو الغابات الكثيفة.

و سكانها أوحش من الكرد و العرب الذين شاهدهم التاتار، و الجبال فيها شامخة شموخا متناهيا لدرجة أنك بعد أن تتسلقها أحيانا و أنت تبارح القرية، تسلقا ملتويا بطيئا مدة أربع أو خمس ساعات ترى القرية ثانية و كأنها لا تزال تحت قدميك. أما المراحل اليومية فطويلة جدّا تبدأ فى شهر تشرين الأول قبل شروق الشمس و تنتهى بعد غروبها. و بعد مسير خمسين ساعة من العمادية أدرك التاتار قرية مبعثرة يمتد طولها مسيرة ساعة تقريبا. و كانت هذه مضرب عشيرة من العشائر المسيحية،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۵

و أكواخها مشيّدة من قرم الأشجار، و كان سكانها أوحش الناس الذين رآهم فى بلاد المتوحشين هذه. و هؤلاء الكلدانيون على حالتهم هذه يلبسون البرانيط المصنوعة من قش الرز و هى تشبه البرانيط الأوروبية.

و هم لا يعرفون الحنطة أو الشعير، و لا يزرعون إلا الرز الذى يصنعون خبزهم منه. و هم يمتازون على غيرهم من الناس بطول قاماتهم

و بقوتهم.

و لم يستطيعوا إكرام التاتار بغير الجوز و العسل و خبز الرز، و قد استوفوا عن هذا الطعام ثمنا غاليا، و قد أطرى التاتار على هذا القوت إطراء حارّا نزولا- عند الوصايا التى تلقاها فى العماديۀ، و إن كان التراب و التبن و الرماد يساوى مقدار كميۀ الرز فى ذلك المزيج الردىء الذى سموه خبزا. و هم لا- يتكلمون الكرديۀ عدا اثنين أو ثلاثۀ منهم، أما لغتهم فلم تكن مفهومۀ تقريبا لدى المترجم العينكاوى. و لقد أظهروا الإعجاب الشديد بهيئۀ التاتار الذى لم ير من الفطنۀ، أو حس العاقبۀ أن يبدى نفس الإعجاب بهم. و قد سألوه ما عساه أن يكون من الرجال؟، فأجابهم بأنه عثمانى، و لكنهم لم يفهموا معنى ذلك، و كان من المشين له، و إن لم يجرؤ على إظهار اشمئزازه، لما أفادوا بأنهم لا يعرفون السلطان و لا يعبأون به على أنهم فهموا أنه مسلم فقالوا له حينذاك إنهم أقاموا فى مكانهم هذا قبل ظهور نبيه (محمد) بكثير، و مع هذا فإنهم لم يسلبوه، و قد غادرهم و هم معه على أتم ما يكون من الوئام. و قد أخبروه بأنهم لم يسبق لهم أن رأوا خيالا يمر من جبالهم. و قد شاهد أيضا الكثير من اليزيديين عبدۀ الشيطان، و لم ير أمير (حه كارى) الذى ليس له على ما يظهر إلا القليل من السيطرۀ على رعاياه، و ذلك لأنهم كلهم من أبناء القبائل. و لم يكن فى (العماديۀ) و (حه كارى) صنف من الناس يصح القول عنهم بأنهم قرويون أو صنف آخر يقال عنهم فلاحون. و هذا دليل، على ما أعتقد، بأن هذه المناطق هى الموطن الأصلى للكرد و الكلدانيين، فى حين أن وجود عنصر (التاجيك) أو (التات) فى أنحاء كردستان السفلى

رحلۀ ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۶

كافۀ يدلنا على أن هذه المناطق إنما هى بلاد دخلها الفاتحون. و فى الأخير وصل التاتار إلى (وان)، و لا ريب أن فرحه بوصوله، لم يكن قليلا- و قال رحمۀ اللّه إن (وان) و إن كانت إمارۀ كرديۀ و لكنها متمدنۀ، و قد قال له أميرها درويش باشا بأنه لم يسبق له أن عرف غريبا انحدر من هذه الجبال.

۱ تشرين الأول: هطلت الأمطار مدرارا صباح اليوم لمدۀ ساعۀ تقريبا، و كان هطولها سابقا لأوانه و يعتقد أنها ستضر مشاتل الرز، و هو على و شك النضوج.

و فيما يلى، على ما أعتقد بيان واف عن العشائر أو القبائل القاطنۀ فى ذلك الجزء من كردستان الذى تحكمه حكومۀ باشا السليمانيۀ.

أولا: القبائل المتوطنۀ، و الساكنۀ فى مناطق خاصۀ.

أ- فى منطقۀ بيشدر:

عشيرۀ سه ككير، و نور الدينى، و عدد قرى هاتين العشيرتين يقارب المائۀ قريۀ، و هم قادرون على حشد ألف حامل بندقيۀ تقريبا.

ب- فى المناطق المسماۀ بأسماء عشائرها:

شينكى ۲۰۰ عائلۀ كه لا لى ۱۵۰ عائلۀ و العشيرتان قبيلتان صرفا.

ج- سى وه يل. إن المنشأ الأصلى لهذه العشيرۀ مشكوك فيه، و مهما كان الأمر فإنها الآن عشيرۀ. و أفرادها لا يختلطون بالقرويين.

أما المناطق الأخرى فسكانها خليط منهم القروى، و منهم القبلى، أى ليست هناك قريۀ مسكونۀ من طبقۀ واحدۀ من هاتين الطبقتين.

رحلۀ ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۷

ثانيا: القبائل أو العشائر الرحالۀ أو التى تسكن المضارب.

أ- الجاف: هناك اثنى عشر فخذا لقبيلۀ الجاف. و لا يوجد أكثر من ستمائۀ عائلۀ من الجاف الأقحاح و لكن يوجد تحت حمايۀ الجاف الفلول الكثيرۀ من جميع عشائر لورستان، و كوردستان الإيرانيۀ، و بذلك تصبح قوۀ القبيلۀ بمجموعها بضعۀ آلاف من العوائل، و يمكن للقبيلۀ أن تجند ألفا من حملۀ البندقيات و ثلاثمائۀ خيال للدفاع عن نفسها، و لكن عند التجمع لمصلحۀ الباشا لا يمكن إقناع القبيلۀ على حشد هذا العدد.

و القبيلۀ بكاملها تدفع للحكومۀ جزيۀ سنويۀ مقدارها ثلاثون كيسا و قد تقل عن ذلك أحيانا. (و كان الكيس ۵۰۰ قطعۀ من النقود

المتعامل بها، فضة كانت أو ذهبا. راجع الملحوظة (۱۸).

أما القبائل الأخرى فتدفع نسبيّا جزية أكبر من هذه بكثير لأنها لم تكن قوية قوة الجاف أو محمية حماية كالجاف.

عشيرة شيخ إسماعيلى ۵۰۰ عائلة.

عشيرة كه لهور ۲۰۰ عائلة.

عشيرة مه نديمى ۳۰۰ عائلة.

عشيرة كه لو- كه وانى ۲۵۰ عائلة ليست من عشائر الجاف.

عشيرة مه رزينك ۸۰ أو ۹۰ عائلة (هذه العشيرة كانت جزءا من البلباسيين).

عشيرة تى له كو ۱۰۰ عائلة.

عشيرة كووسا ۶۰ عائلة (و صحيحها كوستا).

عشيرة هه ما داوه ند ۲۰۰ عائلة (و هى: هه ماوه ند).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۸

عشيرة سوفيا وه ند ۴۰ أو ۵۰ عائلة و هؤلاء قسم من عنصر عشيرة (له ك).

عشيرة كه جه لى ۴۰ عائلة (و هى قرية أيضا، يسكنها قسم من عشيرة شيخ إسماعيلى).

عشيرة جكنى ۴۰ عائلة.

عشيرة زه نكه نه ۴۰۰ عائلة مشتتة فى القرى.

عشيرة زه ند ۶۰ عائلة (عشيرة كريم خان، شاه إيران الذى خلعه القاجاريون- عشيرة الشاه الحالى- عن العرش). و عندما جاؤوا إلى هذه البلاد كانوا رحلا ثم سكنوا القرى و الكثير منهم يقطن الآن فى (زه نكه باد) كما انخرط الكثير منهم فى جيش باشا بغداد.

عشيرة كروه ئى ۶۰ عائلة (و هم الكرويون، أصلهم عرب، و كان هؤلاء يقطنون (قه ره ته به)).

عشيرة لور ۶۰ عائلة (و هؤلاء من الفه وليين).

عشيرة سه ده نى ۱۰۰ عائلة (و الصحيح صه دانى).

عشيرة كوورزه ئى ۱۰۰ عائلة (أصلها من كوى سنجاق، و هنالك قرية بهذا الاسم أيضا).

و لا تعتمد أية عشيرة من هذه العشائر على الجاف، و إن كان الكثير من عوائلهم تحت حماية الجاف، و لم تذكر عدد أفراد تلك العوائل فى هذه القائمة. و لما كانت قبيلة الجاف قوية و محمية حماية جيدة، يلتحق يوميّا بها عدد من رجال العشائر الأخرى المضطهدين.

و ليس من بين العشائر المذكورة أعلاه عشيرة كاملة، بل هى فلول فقط لعشائر لها أقسامها الأخرى فى مناطق (سنه) أو (كرمنشاه) أو (لورستان).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۶۹

حفلة عرس السيدات الكرديات يرقصن

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۷۰

۲ تشرين الأول: على أثر سماعى بحفلة عرس تقام فى دار ضواحى المدينة، عزمت على أن أكون أحد المتفرجين فيها، و تحاشيا من جلب الأنظار وضعنا أنا و المستر (به ل) عمامتين من الشال على رأسينا، إخفاء لملابسنا و ارتدينا عباءتين سوداوين فوقها و ذهبنا بعد هذا التنكر ليلا لمشاهدة الحفلة. و بعد مسير طويل وصلنا محل الحفلة و هو دار اعتيادية، فاندمجنا بين جموع المتفرجين الكثيرين فوق سطح الدار و هو لا يعلو عن الأرض أكثر من ست أقدام. و كان فناء الدار و هى مسرح «العرس» تضم حشدا من الكرد من مختلف

الطبقات و الأعمار، من فتی یلبس عمامهٔ ذات عذبات ملونهٔ إلی وحشی مخیف فی فروهٔ من جلد الماعز و کان الکثیر منهم یتماسک بالأیدی فی رقصهٔ تسمی الدبکهٔ «جوبی» علی دائرهٔ غیر متصلهٔ المحیط و قد أشغلت ساحهٔ الدار بکاملها تقریبا. و الرقص عبارهٔ عن هز الأبدان إلی الأمام و الخلف، و المراوحهٔ أولا بقدم واحدهٔ ثم بالأخری، و ضرب الأرض أحیانا بالأقدام ضربا قویّا. و قد ذکرنی هذا الرقص بالأغنیهٔ الإیرلندیهٔ Rising on Gad ,and Sinking on Sugan أی أنهم یعلون مرهٔ و یهبطون أخری.

و کانت أفراح قلوبهم تعبر عن نفسها بین الفینهٔ و الأخری بصیحات صاخبهٔ، أما الذین لم یرقصوا فقد ملأوا ما بقی من الساحهٔ و احتشدوا فوق السطوح التی تحیط بفناء الدار من جهاته الأربع. و جلس عدد آخر القرفصاء فی وسط دائرهٔ الرقص و من بینهم الزمار و الطبال. و کان المحل مضاء بثلاثهٔ مشاعل و لکن الجموع لم تکن لتهتم بسحب الدخان و الشرر المنبعثهٔ من لهیب المشاعل. و کان الراقصون یرقصون منذ أکثر من ساعهٔ قبل وصولنا إلیهم. و بعد أن تمتعوا برقصهم مدهٔ نصف ساعهٔ أخری توقفت الموسیقی و انصرف الراقصون لیفسحوا المجال لغیرهم، و ذلک بهجوم، من صاحب الدار و بعض أصحابه و هم مسلحون، بالعصی

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۲۷۱

علیهم. و علی أثر انفضاض الجماعهٔ الأولی بهذه الطریقهٔ و فراغ الدائرهٔ منهم قفز إلی وسط الساحهٔ کردی ضخم أخذ یضحک الناس لبضع دقائق بقفزاته المتنوعهٔ و بعض ألعابه التی مارسها مستعینا بمقمعهٔ کبیرهٔ کان یحملها. ثم بدأت الموسیقی تعزف ثانیهٔ لحن الدبکهٔ (الجوبی) فتقدم رتل من ثلاثین امرأهٔ تقریبا متماسکات الأیدی بخطی وئیدهٔ رشیقهٔ و هن علی أتم ما یکون من التزین بالزراکش الذهبیهٔ و أثواب الحریر الملونهٔ، دون أی حجاب. لقد کان منظرا بدیعا حقّا، بل کان أمرا جدیدا بالنسبهٔ لی، إذ لم أر حتی الآن النساء فی الشرق- و خاصهٔ السیدات منهن- مختلطات بالرجال بمثل هذه الحریهٔ دون الالتجاء إلی التحجب؛ بل إن نساء العشائر العربیهٔ أکثر تحجبا بالنسبهٔ إلیهن.

تحرک صنف السیدات هذا ببطء و تموج حول الساحهٔ، و هن فی رقصهن یتقدمن حینا خطوهٔ نحو مرکز دائرهٔ الرقص و یتراجعن حینا آخر، و یهززن قاماتهن و رؤوسهن هزّا متزنا، ظریفا کل الظرف. لقد کانت النغمات هادئهٔ متئدهٔ، أما السیدات فلم یقمن بأیهٔ حرکهٔ نابیهٔ فی رقصهن، و لم یبالغن فیه. لقد انشرح صدری لهذا المنظر الذی دام قرابهٔ نصف ساعهٔ. ثم انقطعت الموسیقی فانسحبت السیدات إلی بیوتهن، بعد أن تحجبن من القمهٔ إلی الأخمص، و هذا أمر یعتبر فی الواقع تدبیرا لا محل له، إذ من شاهد الرقص من الرجال کان أکثر عددا ممن یحتمل أن یقابلنه فی شوارع السلیمانیهٔ، و أغلبهن کن جمیلات فاتنات.

قد یکون من العبث أن نقول بعد وصفنا هذا المشهد بأن النساء الکردیات فی بیوتهن أقل تحجبا من النساء الترکیات بل و العربیات.

و یسمح للرجال من الخدم بالدخول إلی بیوتهن، و هن لسن متحفظات کثیرا فی التحجب حتی أمام الغرباء، و عندما یخرجن إلی المدینهٔ یرتدین إزارا أزرق محققا کالذی تلبسه نساء بغداد، و نقابا أسود من شعر الخیل، و من النادر أن یرخینه فوق وجوههن إلا إذا کن من سیدات الطبقهٔ العلیا

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۲۷۲

و صادفن أناسا لا یرغبن فی أن یعرفوهن. إن رئیس خدم- حرم آغاسی- حرم الباشا الذی یجب أن یکون نزولا عند العادات الشرقیهٔ من الطواشی، و عدد آخر من خدم الحرم، کانوا کردا أقویاء ملتحین. لم تحاول مطلقا سیدات کیخسرو بک التحجب حتی أمام جماعتنا، و عندما ذهبت قرینتی لرد الزیارهٔ فی خیامهن، وجدت رجالا- بعدد النساء، أما نساء الطبقات الفقیرهٔ، حتی فی السلیمانیهٔ فیتجولن فی المدینهٔ سافرات.

و قد یشاهدن باکرا، فی أیام الصیف و هن فی الفراش مع أزواجهن أو عند ترکهن مضاجعهن نحو أعمالهن، فوق سطوح الدور المنبسطهٔ المشرفهٔ علی الأزقهٔ الضیقهٔ التی لا تعلو عن الأرض أکثر من خمس أو ست أقدام، و علی الرغم من هذه الحریهٔ و ما یبدو علیهن من مظاهر عدم الاکتراث فلیس هنالک نساء یسلکن سلوک الحشمهٔ و الأدب أکثر من السیدات الکردیات، و هن یفقن

بفضائلهن النساء التركيات تفوقا بعيدا.

إن مقام النساء فى كردستان أفضل بكثير من مقامهن فى تركيا و إيران، و أعنى بذلك أن أزواجهن يعاملونهن على قدم المساواة، و أنهن يسخرن من خضوع النساء التركيات خضوع العبيد و يحتقرنهن . و هناك ما يشبه الاستقرار العائلى فى كردستان، و هو أمر معدوم فى تركيا تماما.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۷۳

و لكن هنالك نوع من العسف يقترفه بعض أمراء الكرد الأقوياء المتطرفين مما لا يمكن الخضوع إليه فى تركيا، و هو أنه إذا أحب رجل من تلك الطبقة فتاة فإنه غالبا ما يجبر أبويها على تزويجه منها إذ إن وساوسه الدينية تمنعه من نوالها بطريقة أخرى، و إذا ما ملها طلقها و زوجها من أحد خدمه. و القرويون المساكين خاصة معرضون إلى هذا النوع من الاضطهاد. و عثمان بك هو الأمير الوحيد فى هذه العائلة الذى وقع بمثل هذه الجريمة. أما النساء من سبايا الحروب فيتخذن عادة جوارى فى البيوت- و أغلبهن من اليزيديات، أو من نساء الأصقاع الأخرى من كردستان. و الرقص عند النساء الكرديات الهواية الكبرى، فكثيرا ما يتطوعن للخدمة فى حفلات الأعراس عندما لا يدعين إليها، و قد يحملن أيضا الهدايا الصغيرة إلى العروس ليسمح لهن بالرقص، و هن يظهرن للملأ دائما فى مثل هذه المناسبات سافرات مهما بلغ عدد الرجال الحاضرين. و الرقصات الشرقية على اختلافها على أسلوب واحد، و قد تكون موروثة من أقدم العصور. و الدبكة (الجوبى) طرز من السيرتو الإغريقية أو الروميكا و لكنها أقل إنعاشا و أقل تنويعا.

و لباس السيدات فى كردستان يشتمل عادة على السراويل التركية العريضة و على ثوب فضفاض يحزم من فوقه بحزام ذى عروتين كبيرتين من الفضة أو الذهب. و يلبس فوق ذلك المشلح، و هو على نمط مشالح الرجال، و يزرر عند الرقبة و لكنه يترك غير مزرر من الرقبة حتى الأذيال كاشفا عن الثوب و المحزم، و يخاط عادة من الحرير المخطط أو المشجر

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۷۴

أو من النسيج الملون أو من القماش الكجرات أو من المقصب الاستانبولى و ذلك يختلف باختلاف الموسم أو ثراء صاحبة اللباس. و من فوق ذلك، يأتى ال (بنش) أو الصدرية و هى من (الستن-Satin) عادة و تخاط كالمشلح، و لكنها ذات كمين ضيقين لا يصل طولهما المرفقين.

و يستعضن عن الصدرية فى الشتاء باللبادة، و هى رداء من نوع الصدرية إلا أنه مبطن بالقطن. و يلبسن فى الشتاء الجاروقة (جاروكه) أيضا التى تصنع من أنواع الحرير المربع الألوان. و هذه الجاروقة نوع من المشالح أو أردية التدفئة من غير أكمام تشد فوق الصدر و تتدلى من على الظهر حتى تصل إلى تحت الردفين. و لا تعتبر الجاروقة رداء بذاته إنما يستعاض عنها بالصدرية فى أيام المراسم و الأعياد، و قد اقتبست عادة لبس الصدرية أو ال (بنش) من الأتراك أو الإيرانيين، و لذلك نرى أن منزلتها أرفع جدّا من الجاروقة التى تبدو أنها لم تكن إلا رداء خاصّا بكردستان. و النساء الكرديات لا يلبسن البرانص بل يستعضن فى أيام البرد عنها بمشلح إضافى أو مشلحين. و يصعب فى الواقع وصف لباس الرأس عندهن وصفا دقيقا، و هو يتكون من المناديل الحريرية، أو بالأحرى الشالات الملونة بألوان القوس قزح كلها، ينظمنها تنظيما فنيّا فى الجبهة و يثبتنها بالدبابيس تثبيتا يجعلن منها تاجا أو قلنسوة ترتفع إلى قرابة القدمين، أما أطرافها السائبة فتترك مدلاة من وراء الظهر حتى كعوب الأقدام، و الثريات منهن يزين جباه توجهن بسفائف ذهبية عريضة يتدلى من كل منها صف أوراق ذهبية صغيرة، و من كل جانب من جانبى القلنسوة يتدلى أيضا خيط من المرجان. و هن يلبسن تحت هذه العمامة فوطة كبيرة من الموسلين تلف من الأمام و تعقد فوق الصدر، و يبقى جزؤها الخلفى مسترسلا على الظهر. و علمت أن هذه الفوطة لا تلبسها إلا المتزوجات منهن؛ و لا يظهرن كثيرا من شعورهن على نواصيهن، و لكنهن يعنين بالذوائب و يدلين ذؤابة على كل من الصدغين. و النساء الفقيرات من

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۷۵

سكان المدن يقلدن السيدات فى طراز لباسهن. أما القرويات فى الأرياف فلا يلبسن إلا الجلاليب و السراويل من النسيج الأزرق الخشن، و يحزمن الجلاليب من الوسط بسفائف و جاروقاتهن من قماش أزرق غامق ذى خطوط عديدة بيضاء فى حواشيها السفلى و هن يعقدنها من طرفها على صدورهن، و لباس رؤوسهن طاقية صغيرة.

و لباس رؤوس السيدات ثقيل جدّا، يتحملن آلام شديدة حتى يتعودن على ارتدائه، و غالبا ما يسقط الشعر الكثير من قمم رؤوسهن.

و من الأمور التى يصعب تصديقها أنهن ينمن فعلا و عماماتهن على رؤوسهن و هن يستعملن و سادات صغيرة لإسناد الرأس عليها و لا يمتلكن من المجوهرات إلا قليلا أما حلاهن فتتألف على الأكثر من الذهب و المرجان، و أما حلى الطبقة العامة من النساء فمن المسكوكات الفضية، و القطع المعدنية الصغيرة و الخرز البلورى.

و لباس الرجال يشبه اللباس التركى فى الشكل و القماس شبها كبيرا و قليل منهم عدا الباشا و عائلته من يلبس الجوخ أو الصدريات (بنش) و الجبب المصنوعة من الشال الأنقرى .

اللباس الاعتيادى الخارجى فيخاط كالعنترى أو كالرداء التحتانى، و هو يزرر عند العنق و يبقى مدلى مفتوحا، و يصنع من الأقمشة الحريرية المطبوع عليها بالورود أو الخطوط، و يستعاض عنه فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۷۶

الشتاء «باللبادة». و يتمنطق الرجل من الوسط بنطاق ذى أبزمة ذهبية أو فضية، أو مرصعة بأحجار لازوردية. و فوق كل هذا يلبسون العباءة بشكلها المعروف، و الذى يميز الكردى بوجه خاص فى ملبسه هو عمامته و هى تتألف من «غترة» من القماش الحريرى المحقق بالألوان الحمراء و الصفراء و الزرقاء تتخلله خيوط من الذهب أو الفضة. و تلف هذه حول الرؤوس على أن تبقى النواصى مكشوفة تماما و للكرد نواص بديعة تنم عن الرجولة، و يتدلى على الأكتاف و الظهر الكثير من الأهداب الملونة المخاطة بحواشى هذه الغترة؛ و ذلك مما يخلع على الرجال منظرا غير مألوف لا يمكن وصفه و على الأخص عندما يخبون جيادهم.

و عندما يلبسون الشال الكشميرى أحيانا، و القليل من يلبسه منهم، يضعونه فوق أكتافهم بطريقة تترك أطرافه مدلاة على ظهورهم أو جوانبهم و يلبس عامة الناس الأحذية ذات الرباط كالأوروبيين تماما، و هى إما سوداء أو صفراء مزينة بشلة. و قليل منهم من يستعمل الأحذية الصوفية (كلاش) و قد شاهدتها فى إيران؛ و أعتقد أنهم يجلبونها من تلك البلاد.

أما القرويون و الفقراء من رجال العشائر فيلبسون الجلباب «الأنتارى» و من فوقه لباس مصنوع من الشال «شالوون» الخشن مفتوح الزيق، و يحزمونه من الوسط بحزام جلد و بزيم نحاسى، و هم لا يخيطون قماش هذا اللباس إلى بعضه البعض من المحزم فما تحت فتبقى أذياله الأربعة مدلاة كأذيال المعاطف؛ ذيلان من الأمام و ذيلان من الخلف.

و يكون لون هذا الرداء عادة أسمر أو أبيض أما أطراف الأكمام و الصدر فتزين بخيوط مختلفة الألوان، و عمائمهم من قماش قطنى خشن بلون أحمر غامق مخطط الحواشى بالأزرق و هم يلبسون العباءة عادة و من لا يستطيع شراء العباءة أو لا يجد فيها التدفئة الكافية يستعيض عنها بفروة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۷۷

من جزة ماعز بكامل شعرها أو بعباءة من الصوف الخشن الداكن اللون.

أما الدارعات فتصنع من اللباد الاعتيادى الأبيض ، و هو لباس لا مهارة فى صنعه، أو أنها فروات قصيرة من جزات الماعز، و هى من الأردية الفوقانية الشائعة.

و يتسلح الكرد على اختلاف طبقاتهم، فقيرهم و غنيهم، صغيرهم و كبيرهم، بالخنجر، و يضيف الجاف و العشائر الأخرى إلى سلاحهم المقمعة و هو قضيب خشب ينتهى بكرة حديدية، فالخنجر و المقمعة هذه، و السيف و ترس صغير ملقى على الكتف، كل هذه تؤلف أسلحة الكردى الماشى، أما الخيال فيضيف إلى هذه الأسلحة الرمح و مسدس بحمالته، و من يتمكن منهم يلبس فى

الحرب ثوبا من الزرد و خوذة فولاذية و يتسلح المشاة عادة بالبندقيات الطويلة الثقيلة ذات المساند الملقطية لإسنادها عليها عند الرمى. تجند عشيرة (الشينكى) أكبر عدد من المشاة و يعتبرون هدافين ممتازين. و يجند الجاف أيضا نصيبهم من المشاة و لكن لا يعتمد كثيرا على خدمات المجندين من أبناء العشائر خارج مناطقهم، أو بالأحرى فى المعارك التى لا تمس مصالحهم الشخصية.

۴ تشرين الأول: وصل السليمانية اليوم رجل من (داره شمانه). و عمر آغا الذى يعلم بأننى أتطلع إلى طرائف الأمور و أرغب فى استقصائها، ذهب فورا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۷۸

لمقابلته و وعدنى بأن يأتينى به غدا و أطّلع منه فى الوقت ذاته على القضية الغريبة الرومانتيكية التى تتعلق بأصل العائلة البابانية. و علينا أن نعلم قبل ذلك أن (داره شمانه) قرية صغيرة فى بيشدر كانت مركز البابانيين قديما، و سكان القرية الحاليون كلهم من ذلك البيت، أو بالأحرى أن البيت البابانى منهم، و هم يفاخرون الآخرين بذلك مفاخرة بينة و قد يأتى البعض منهم بين الفينة و الأخرى إلى السليمانية، فيكرم عبد الرحمن باشا أبناء عمومته الجبليين هؤلاء و عند رجوعهم منها يحمّلهم الهدايا التى تتناسب و احتياجاتهم و حالاتهم. و هم يرفعون معه الكلفة بل يتقدمونه فى حضرته بوصفهم الفرع الأقدم فى الأسرة. و قد ترى قرويّا انحدر من قريته و مضى إلى السليمانية يسوق أمامه حمارا فيذهب إلى الباشا و يجلس إلى جانبه قبل أن يدعوه الباشا إلى الجلوس و يسحب غليونا قصيرا قذرا فيملأه ثم يقدح لنفسه نارا يولع غليونه بها و يدخن منه قليلا ثم يقول: «و الآن يا ابن العم، قل لى، كيف حالك؟». لنرجع إلى القصة: كان هناك أخوان فى (داره شمانه) هما الفقيه أحمد و خضر و قد قاسيا الآلام الكثيرة من البلباسيين، الذين كانوا أقوى الناس فى بيشدر.

و كان الفقيه أحمد، شجاعا أنوفا، فهجر القرية غاضبا و قد أقسم ألا يرجع إليها إلا إذا أصبح فى مركز يستطيع به الانتقام لنفسه. ذهب إلى استانبول و انخرط فى خدمة الحكومة. و من المصادفات العجيبة أن السلطان كان فى حرب مع الإفرنج- و قال الراوى، إن هؤلاء الإفرنج هم الإنكليز- و كانت الحروب فى تلك الأزمنة تشن على هيئة مبارزات فردية، فنزل الميدان بطل من أبطال الإفرنج و راح ينازل أشجع فرسان الأتراك مدة أربعة أو خمسة أيام و قد تغلب عليهم فرادى و قتلهم. فتطوع الفقيه أحمد لمنازلة هذا العدو المغوار فأرسل عليه السلطان يسأله عن موطنه. و بعد أن اقتنع بمظاهر الرجل سمح له بأن يقدم على المجازفة و قد أعطاه جوادا و زوده بما يحتاج من السلاح. فنزل إلى الميدان و تغلب على الفارس

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۷۹

الإفرنجى، و عند ترجله لقطع رأس الفارس، بوغت بكون عدوه المصروع فتاة راحت تستعطفه و تعده بقبوله زوجا لها إذا منحها الحياة. فأخذها إلى معسكر الأتراك رمزا لانتصاره فسأله السلطان عمّا يرغب فيه من مكافأة على صنيعه فاستعطف إرادته ليمنحه لقب (بك) و ينصّبه على قريته مع تمليكه القرية و أراضى (داره شمانه) ملكا أبديّا. و قد كان متواضعا فى طلبه كريما، أو قصير النظر فى الواقع إذ لو طلب كردستان بكاملها لنالها دون ريب. و قد رجع إلى وطنه غانما فخورا بعد أن قنع كل القناعة بما أحرزه مع قرينته الجديدة. و قد رزقه اللّه منها طفلين هما (بابا سليمان) و (بوداخ كيخان) و على أن أذكر هنا بأن اسم الفتاة الإنكليزية كان كيخان، و قد نافس البلباسيين منافسة مستمرة و انتزع منهم السلطة و حط من مكانتهم كثيرا. و فى يوم من الأيام عندما كان غائبا غزى دياره الكثير من البلباسيين غزوا ضاريا فامتطت كيخان جوادها و دحرتهم جميعا و كان يتراوح عددهم بين الأربعمائة و الخمسمائة، و قتلت الكثير منهم. ثم استدعت سكان (داره شمانه) و خطبت فيهم قائلة «يا رجال داره شمانه، لقد منحنى الفقيه أحمد حياتى، و أنا فى قبضته. و كنت بانتظار اليوم الذى أرد صنيعه إليه، و هذا كل ما أتمناه و كل ما انتظره. و الآن عليكم أن تخبروا الفقيه أحمد بما رأيتم، إذ إننى ذاهبة إلى حيث لا يرانى ثانية، و قولوا له بأننى أطلب منه أن لا يلحق بى فذلك لا يجديه نفعا، و سألحق به الأذى إذا فعل، و يعلم اللّه بأننى لا أرغب فى ذلك» قالت هذا و لوت عنان جوادها و همزته و غابت فورا عن الأنظار.

«و عند رجوع الفقيه أحمد استغرب مما حدث، و كان استغرابه متوقعا، و قد حزن لفقده زوجه كيخان فقرر اللحاق بها على الرغم من منعها له. و قد لحق بها فى وادى (خردان) الكائن فى بيشدر،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۰

فاستعطفها لتعود معه. فأجابته قائلة: «إن هذا لمستحيل، إنك مسلم و أنا إفرنجية. و إنى لذاهبة إلى موطن آبائى، فوداعا، و إياك أن تقترب منى و إلا أصابك منى الأذى» و لكن الفقيه أحمد المتيم أصر فرفعت رمحها و طعنته فى كتفه فسقط و ولت هاربة، و لم تبتعد كثيرا حتى شعرت بأنها قد قابلته بقسوة إزاء لطفه معها عندما كانت حياتها بين يديه، كما أنها رأت أن بعلها و إن كان مسلما، فإنه كان أبا لأولادها، فرقّت له و رجعت إليه فوجدته لا- يزال على قيد الحياة فوضعت على جرحه مرهما قويّا دفع عنه الخطر و يسر له الإسعاف، و ما كان إسعافه ببعيد، فتركته ثانية إلا أن الزوج العاشق الغيور لم يقلق راحته بعد أن التأم جرحه و شفى إلا ما قاساه من معاملة زوجه الخشنة غير أنه بقى عند رأيه فى ملاحقتها و إرجاعها، فطاردها حتى وصل فرنكستان- بلاد الإفرنج- و ذات مساء ألقى عصا الترحال فى مدينة كبيرة، سمع فيها أصوات الطرب و الأنس، و كانت- المهترخانة- الموسيقى تعزف و المشاعل موقدة و غير ذلك من الاستعدادات و الترتيبات التى تتخذ عادة فى أفراح ال «طوى» .

«ظل حائرا فى أمره يبحث عن مكان يقضى فيه ليلته، و أخيرا قرر أن يترك أمره للأقدار تفعل ما تريد، و أن يرحل إلى حيث يقف جواده.

فأرخى العنان له فوقف الجواد عند باب دار امرأة عجوز فضيفته عندها، و بعد أن تردد سألها عن الأفراح التى شهدها فأخبرته أن بنت الملك كانت قد ذهبت لمحاربة المسلمين، و أنها رجعت من الحرب أخيرا بعد أن غابت عدة سنوات و أنها ستتزوج من ابن عمها. فتوسل الفقيه أحمد إلى الامرأة العجوز لتدبر أمر السماح له بدخول حفلة الزواج كمتفرج، و قد وافقت العجوز أخيرا على أن يتنكر فى لباس النساء. و هكذا استطاع أن يكون بالقرب من كيخان الجميلة و زوجها العتيد فى أثناء مقابلتهما

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۱

الأولى. تقدمت السيدة، و قد قابلها العريس الفظ من فوره بصفعة على أذنها قائلا لها: «أنت يا من كنت أسيرة عند المسلمين، أنت يا من التاث شرفها، كيف تجرئين على الظهور أمامى؟» أما العروس فقد صرخت من ألم الضربة و صاحت بالكردية و قد أصبحت متمكنة منها «أواه يا فقيه أحمد، أين أنت الآن منى؟» و فى تلك اللحظة اندفع الرجل المستجار به فقتل العريس الفظ و هرب مع العروس الجميلة إلى استانبول، و قد أكرمه السلطان زيادة على كرمه السابق له.

«و قد رجع الفقيه أحمد و عروسه المتعلقة به الآن إلى بيشدر، فعاش معها عيشة وادعة راضية ما تبقى من أيامه. و قد استولى قبل وفاته على مناطق بيشدر، و مه ركه و ماوه ت، و قد خلفه فى منصبه نجله الأكبر بابا سليمان، و هو الجد الأكبر لأمراء السليمانية الحاليين. و قد احتل ما تبقى من مناطق كردستان و التى هى تحت سيطرته الآن. أما نجله الثانى بوداغ كيخان فمات دون خلف».

لقد سمعت بعض الشذرات من هذه القصة، و قد قصّها لى الباشا بصورة معقدة، و كان يتباهى بانحداره من سلالة كيخان الأوروبية، و قد قال لى بأنه قد يمت بصلة القرابة إلى. و لكنه نسب الحادث إلى جد بابا سليمان. و قد قصصن سيدات العائلة القصة نفسها تقريبا للسيدة ريج.

و فى هذه القصة التى دونتها كما سمعتها من الراوى دون أية إضافة أو تحوير الشيء الكثير من روح الفروسية و البطولة، الأمر الذى لم يعتده الشرقيون، فى الوقت الحاضر على الأقل. و الحادث بذاته بعيد كل البعد عن أسلوب مخيلتهم. و الظاهر أن القصة مبنية على حوادث واقعية ربما حدثت فى زمن أقدم جدّا من الزمن الذى حدده الراوى فى روايته. و قد يكون من الطريف، أو المستغرب إذا أمكن العثور على علاقة ذلك الحادث بأقاصيص البطولة أو الفروسية فى عهد الصليبيين، أو عهد صلاح الدين الأيوبى. و كان صلاح الدين أميرا كرديّا. و يحتمل أن قد حور فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۲

أسطورتها الرواة الجهلاء من الكرد الذين لا يمكنهم أن يتصوروا سلطانا مقصودا غير سلطان استانبول، كما أنهم يميلون إلى أن ينسبوا مثل هذه القصة الجديرة بالاعتبار و الشهرة إلى الجد الأول لبطلهم المحبوب بابا سليمان، و حياته معلومة لديهم و لها من الشهرة بحيث تتقبل مثل هذه التلفيقات. و إننى على استعداد لذكر الأمثلة الكثيرة للتعقيدات المتشابهة فى العهود و التواريخ التى يذكرها أو يرجع إليها الرواة الشرقيون.

و على أثر ملاحظة الباشا ولعى الشديد و اهتمامى بالتاريخ الكردى، تلطف فأرسل فى طلب أحمد بك أحد كرام أبناء عائلته، و يقال إنه فى العام المائة من عمره و هو حائز على احترام أبناء جلدته لأنه يحفظ عن ظهر قلب الكثير من أساطير تاريخ عائلته. و قد أخذت هذه الأساطير تندثر الآن يوما بعد يوم و إن كان الكثير منها يستحق فى الحقيقة الاحتفاظ به بجدارة. و الشيخ البابانى الجليل هذا يعيش فى مقاطعته فى شهرزور.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۳

الفصل الحادى عشر كآبة الباشا و حزنه

- نجله الأكبر يرسل رهينة إلى كرمنشاه- مرض نجله الأصغر- فتنة بين أفراد عائلته- أحمد بك الداره شمانى- عشائر راوندوز- مراسيم الجنازة عند الكرد- العائلة البابانية- شجرة الأمراء البابانيين- موت ابن الباشا الصغير بالجدرى- تأثر الباشا- سليمان بك- تجارة السليمانية- الحديث مع عثمان بك- رغبة الباشا فى التنازل عن منصبه- عمر آغا- ذكاؤه و دقته- المقارنة بين الكرد و الأتراك و الإيرانيين- لقمان- زيارة لوداع الباشا- محادثات دينية- عثمان بك يستدعى لتسنم منصبه- رفضه الامتثال- ميزات الخلق الكردى- هروب خالد الدرويش الكبير- زيارة الباشا الأخيرة إلى المستر ريج- حديث شيق- حزن الباشا لفقده ولده- خلقه- التهيؤ للرحيل من كردستان- الحزن على فراق أهل كردستان

*** ۷ تشرين الأول: كنت فى زيارة الباشا صباح اليوم، و قد وجدته كئيبا أشد الكآبة، مهموما، و قد ضاق صدرى لكآبته و همه، و يحزننى أن أرى الرجل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۴

الفاضل حزينا. لقد أرسل ابنه الأكبر عبد الرحمن بك و هو صبى فى السابعة من عمره قبل ثلاثة أيام إلى كرمنشاه رهينة، و أصيب ابنه الصغير أخيرا بالجدرى كما دبت فتنة كبيرة بين عائلته. لقد ضايقه عثمان بك مضايقة شديدة بإجباره على الكلام معى لكن حديثه كان سطحيّا لشدة وطأة الحزن عليه. و جاء أحمد بك لمقابلتى، و هو الشيخ الكردى العجوز الذى أرسل الباشا فى طلبه من أجلى. إنه، و هو لم يتجاوز الثانية و التسعين من عمره، شيخ جميل المحيا، إلا أن ذاكرته أصبحت مشوشة بحيث بات من الصعب الحصول على جواب مباشر منه لما تسأله عنه إلا- إذا بقيت مترقبا الوقت الذى يخطر له فيه خاطر فيبدأ الحديث بنفسه؛ ففى ذلك الوقت وحده تستطيع معرفة ما تريد معرفته منه. و عندما عرف حقيقة أمرى قال على الفور «آه، نحن أقرباء و قد كان أجدادنا أقرباء» إنه يقصد بكلامه و لا- ريب، ذكر قصة كيخان الفتاة الإنكليزية و الفقيه أحمد الزعيم الكردى، تلك القصة الرومانتيكية. و لكننى عندما استوضحته المزيد انتكس و تراجع. و قال لى الباشا إنه بانتهازه فرصة جمع أشتات أفكاره استطاع الحصول على المعلومات التالية- «إن بابا سليمان كان أصغر إخوته الاثنى عشر، و كان اسم والده مير سليمان و سمى بابا سليمان بهذا الاسم لوفاة والده قبل ولادته، و قد استولى على جميع هذه البلاد بعد أن طرد الأتراك و الإيرانيين منها، و لم ينل كل ذلك دون جهد كبير و طالع متباين، و أخيرا تواطأ الأتراك و الإيرانيون عليه فطردوه من كردستان السفلى، فاستقر عندئذ فى راوندز و ترك قرينته و أولاده فيها

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۵

ميمما شطر استانبول. و قد كان ذلك فى عام (۱۱۱۱ ه) - لقد خلد ذكرى الحادث أو تاريخه فى قصيدة قيلت فى الزلزال الكبير الذى وقع فى (تبريز) قبل الحادث ببضع سنين- و فى استانبول استرعى انتباه السلطان، فأصبح وزيرا أو باشا برايهٔ ذات ثلاثهٔ ذيول. و هو إما أن يكون قد فتح (باباداغ) أو كان حاكما فيه و قد سمى باباداغ نسبهٔ إليه؛ و مات فى هذه البقاع. و بقيت هذه الأقسام من كردستان تحت حكم الأتراك باسم لواء أو أيالهٔ شهرزور، و كانت كركوك عاصمهٔ تلك الأيالهٔ. و كان ذلك قبل أن تستعيد العائلهٔ البابانيهٔ سيطرتها عليها بعهد قديم.

رحلهٔ ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۶

و قد أيدت ذكريات الكثيرين ما سبق الكلام فيه.

شاهدت عن بعد و أنا فى طريقى اليوم إلى القصر ثلاثهٔ أعلام عسكريهٔ فظننتها قطعهٔ عسكريهٔ كبيرهٔ تسير، إلا أننى استغربت عندما علمت أن هذه الأعلام تتقدم جنازهٔ، و هذه عادهٔ خاصهٔ بكردستان، أما فى كرمنشاه فإنهم يشيعون النعش إلى مرقده بالموسيقى و الغناء.

و عندما بحثنا اليوم مع الباشا فى تاريخ كردستان، تجرأت فذكرت استغرابى لقلهٔ اطلاعه على تاريخ عائلته. فأجابنى بأدب و احتشام بأن ذلك التاريخ لا يستحق التدوين و لم يكن تاريخ عائلهٔ مالكهٔ، بل هو تاريخ قبيلهٔ متواضعهٔ. فأجبته و لكن عائلته عريقهٔ شريفهٔ، فأجابنى بأنها لم تكن موغلهٔ فى القدم، و لم يصبح أبناؤها باشوات إلا منذ عصر واحد، فقلت له بأننى أعرف سلالهٔ عائلته منذ ذلك العهد فوقع قولى فى نفسه موقعا حسنا، و تحركت عنده على الفور عصبيته القبليهٔ و عزته العائليهٔ فانجلت ملامح وجهه و داخله انتعاش لم يكن اعتياديّا. و لا- يخلو مطلقا الرجل الذى نزل بنفسه إلى درجهٔ التواضع الدينى مثل الباشا من الزهو و الافتخار عند طرق هذه المواضيع. و قد قال بعد ذلك بأنه غير شغوف بالتاريخ ما خلا تواريخ الأولياء و الأنبياء و بالقدر الذى يمكنه من الوقوف على أحوال عصورهم.

أما غير ذلك من التواريخ فإنه لا يقرأ منها إلا الشاهنامهٔ.

۹ تشرين الأول: فاجأنى عمر آغا فى هذا المساء مفاجأهٔ سارهٔ إذ جاءنى بلفافهٔ طويلهٔ من الورق كالحمائل أو التعاويذ فى وعاء من جلد يحمل على الدوام داخل الجيب. و كانت اللفافهٔ تحتوى على سلالات أمراء العائلهٔ البابانيهٔ، من عهد سليمان باشا حتى يومنا هذا. إنه بحث عنها جادا حتى عثر عليها عند أحد الكرد الذين اعتاد أجداده أن يدونوا الوقائع فى تلك اللفافهٔ مع ذكر التواريخ، و اقتدى هو أيضا بهم. و كانت الأوراق مكتوبهٔ بالفارسيهٔ

رحلهٔ ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۷

و لهذه الأوراق قيمتها العظمى التى لا تقدّر إذ إن ما فيها من المعلومات ستكون الحلقهٔ المتممهٔ لتاريخ الكرد فيما لو أسعدنى الحظ و حصلت على نسخهٔ من ذلك السفر المفيد. بادرت حالا إلى ترجمهٔ ما تضمنته هذه اللفافهٔ المدهنهٔ.

۱۰ تشرين الأول: جاءنى عمر آغا اليوم بكتاب قديم يحتوى على شذرات فى الشعر الدينى و نبذ فى الحساب و التطبيب، و قد دوّن فيه صاحبه بعض التواريخ و الحوادث. و قد اقتطفت البعض منها .

۱۲ تشرين الأول: يؤلمنى جدّا أن أعلم بأن نجل الباشا الثانى أحمد بك قد توفى صباح اليوم متأثرا من إصابته بالجدرى. لقد كان طفلا أنيسا متعلقا بنا التعلق كله. و لقد بذل المستر (به ل) جهده معه و زار الطفل مرتين. و لكنه لم يستطع إقناع أبويه لإعطائه الدواء، أو وضعه فى مكان معتدل البرودهٔ، و إن كانوا فى النهايهٔ اتبعوا وصايا المستر (به ل) الأخيرهٔ بعض الشىء و اعترفوا بتأثيرها المباشر على حالهٔ الطفل. و كان الباشا فى حالهٔ حزن مؤلمهٔ، و الكرد جميعهم مولعون بزوجاتهم و أولادهم، و هم فى الحقيقهٔ أولاد فى غايهٔ اللطف و الجمال؛ أما التركى فلا يهتم بالفريقين .

رحلهٔ ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۸

كنت قد عزمت على السياحة فى شهرزور، لمشاهدة تلك المنطقة من البلاد و هى أهم مناطق كردستان من الناحية الأثرية إلا أننى أجلت السياحة على أثر مرض نجل الباشا، و قد تحسس لذلك كثيرا، أما الآن و قد مر الزمن و بطؤ علينا الأمر فيجب أن نتهيأ للسفر إلى الموصل.

۱۴ تشرين الأول: ذهبت اليوم لأعزى الباشا. و كان ذلك واجبا صعبا بقدر ما كان ضروريّا و ديّا و قد بدا لى بجلاء أن قلبه كاد يتفطر على الرغم من تجلده و محاولته إخفاء ما يعانيه بكل رجولة. و قد صعب على جدّا أن لا أشاطره أحزانه، أو أن لا أشعر برهة كأننى فقدت ولدى. لم أر مطلقا فاضلا فياض الشعور و الإحساس فى أى بلد كالباشا، إنه يحب زوجته و أولاده حبّا جمّا لا يضاهيه فى ذلك إلا أحسن الرجال فى أوروبا. و قد بدا عليه نوع من الذهول المخيف اعتراه بغتة فودعته و روحى مثقلة بالأحزان.

ذهبت لزيارة عثمان بك، فوجدته جالسا فى جوسقه الذى لم يتم بناؤه بعد، و هو يتمتم بالصلوات و يسبّح بمسبحة، و علائم الجد تعلو محياه. و من الجلى أن بعض الأمور كانت تشغل باله، لكنها لم تكن كلها محزنة. كلمنى عن كمنجة كنت أهديتها له قبل مدة، و رجانى أن لا أنسى شراء الأوتار له. إن ثمة فرقا كبيرا بينه و بين الباشا.

ذهبت بعد الظهر لتعزية سليمان بك، فوجدته متأثرا تأثرا لا يقل عن تأثر الباشا و إن ظهر أهدأ منه و أكثر جلدا فقدرته تقديرا زائدا على إحساسه، و هو فى الحقيقة فتى يستحق الاحترام إلا أن رزانته لا تتناسب مع عمره، و هو متعلق كثيرا برجال الدين و الدراويش و ليس فى تعلقه هذا مسحة من التقشف أو التعصب، و هو يشبه فى سيماه المرحوم عبد الرحمن باشا أكثر من شبهه بأخويه، إذ إنّه أطول منهما و أكثر بدانة و عيناه الزرقاوان الجميلتان تعكسان على ملامحه صور الكرامة المطمئنة.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۸۹

و كلما قابلته ازددت حبا له و تعلقا به. لقد ذكرت له عزمى على الرحيل من كردستان فى القريب العاجل، فشعرت بأسفه و أسف غيره من الكرد جميعا، و قد بذلوا جميعا كل ما فى وسعهم لأعدهم بالعودة إلى بلادهم فى العام المقبل. و إننى أشعر بحزن عميق حقّا كلما خطرت ببالى مفارقة هؤلاء الناس المخلصين، و احتمال عدم رؤيتى لهم ثانية. و أشعر بأننى سأقضى ردحا من الزمن لا يستهان به، قبل أن أحظى بالعيش بين أناس يبذلون ما فى وسعهم فى سبيل إعزازى بلطف عميم، و ضيافة كريمة أينما ذهبت و حللت.

۱۵ تشرين الأول: لم تكن تجارة السليمانية تجارة واسعة، و هى بوجه عام منحصرة بين السليمانية و الأماكن المدونة فى أدناه، و تنقل بواسطة القوافل:

تبريز: تخرج عادة إلى تبريز قافلة واحدة فى كل شهر، لكن ذلك لم يكن بانتظام. و تعود القافلة محملة بالقز، و الأقمشة الحريرية و غير ذلك، و يصدّر أكثر القز إلى بغداد، أما الأقمشة فتستهلك فى كردستان، و صادرات السليمانية إلى تبريز هى التمر و البن و غيرهما من المواد التى تجلب عادة من بغداد.

أرضروم: تخرج سنويّا قافلة واحدة على الأقل من السليمانية إلى أرضروم، و هى تحمل التمر و القهوة و غير ذلك فترجع بالحديد و النحاس و البغال. و هم يشترون الكثير من هذه الحيوانات و يستوردونها و أحسن بغال هذه البلاد من أرضروم.

همدان و سنه: تصل شهريّا من هاتين المدينتين قافلة صغيرة محملة بالدهن و الفواكه المجففة و العسل و الفولاذ الوارد من أطراف بحر قزوين.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۰

كركوك: المتاجرة مع كركوك مستمرة دائمة، و تستورد منها الأحذية و بعض الأقمشة القطنية الخشنة. أما صادرات السليمانية إليها فهى البقول و العسل و العفص و السماق و الفواكه و الرز و الدهن و القطن و الأغنام و المواشى. و كركوك فى الحقيقة سوق رائجة لجميع منتوجات كردستان.

الموصل: و المتاجرة مع الموصل مستمرة بعض الاستمرار.

و تستورد منها الأحذية و الغتر و الخام و الأقمشة القطنية الملونة، و منتوجات الشام و ديار بكر و غير ذلك. أما الصادرات إليها فالعفص و غيره.

بغداد: المتاجرة بين السليمانية و بغداد دائمة و تستورد السليمانية من بغداد التمر و البن و المنتوجات الهندية و الأوروبية و الأقمشة. أما الصادرات إليها فهى البقول و التبوغ و الجبن و الدهن و السماق و الصمغ و الشحم و الصابون الاعتيادى- صابون الشحم.

۱۶ تشرين الأول: جاء عثمان بك لزيارتى هذا المساء و جلس عندى مدة ساعتين.

و لقد تطرق كثيرا إلى شؤون بلاده و خصنى بسر رجانى أن أكتمه و هو أن الباشا يفكر جادا فى التنازل عن منصبه، و أنّه بذل قصارى جهده لإرجاعه عن عزمه. و هذا ما يقدر عليه و يزيده شرفا إذ لو تم تنازل الباشا عن منصبه لخلفه هو فى منصبه. و فى الواقع إننى عالم أن أمير أو شهزادة كرمنشاه قد عرض المنصب عليه أكثر من مرة. لقد قال لى عثمان بك بأنه سمر مع الباشا ليلة أمس حتى بعد منتصف الليل محاولا- أن يثنيه عن عزمه، قائلا- له ما دام اللّه منّ عليه بالمنصب الذى هو فيه فعليه أن يستمر على أداء فرائضه فيه، و ليس من حقه أن يتبع هواه و ميوله. أما رغبة الباشا فمخضرة فى العيش بسلام و الاعتزال مع زوجته و أولاده. و قد أردف

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۱

عثمان بك قائلا: «ما دام فىّ رمق من الحياة، فلن أدع أخى يتنازل عن منصبه و إننى لأرجو اللّه أن يمكّننى من ذلك».

أرسل لى الباشا بعد الظهر من يعتذر عنه لعدم تمكنه من زيارتى فى الأيام الأخيرة و كان يقول فى اعتذاره إلىّ «و لكنه يعرف الحال التى أنا فيها. إننى أحببت ذلك الطفل أكثر من حب يعقوب ليوسف».

۱۸ تشرين الأول: أطلعت عمر آغا مساء اليوم على بعض مخططاتى و قد عجبت كثيرا لإدراكه لها. و قد ذكر لى أسماء عدة أماكن و أسماء قمم التلال، و بيّن لى المحلات التى يجب إدخال بعض العوارض الأرضية عليها فى تلك المخططات، و كنت قد أهملت رسمها أو ذكرها إذ لم أشاهدها، كما صحح لى بعض أقسامها، بل إنه أدرك أصغر التلال التى مررنا بها فى طريقنا. و هذا دليل واضح على ذكائه و على صحة مخططاتى فى الوقت ذاته. لقد قابلت فى بغداد كثيرا من الناس الذين درسوا الرياضيات بوجه خاص- كما يسمونها- و لكنهم لم يستطيعوا الإحاطة و لو قليلا بالخرائط أو المخططات.

أما عمر آغا، فحالما تناول كراسة التخطيط بيده وجه المخططات الواحد بعد الآخر إلى استقامة طرقنا و تابعها بأصبعه دون أى تردد. و إن كونه جبليّا مما يزيد فى ذكائه الفطرى، و فى اعتياده على اتباع سلاسل التلال، و النظر إلى قعور الوديان، ذلك لأن جميع سكان البلاد الجبلية يدركون تفاصيل المخططات بسهولة فمثلا إن الذى وضع خريطة الجبل الأبيض المجسمة و البلاد المجاورة له كان حلاقا من (شامونيا). و قد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۲

رسم القرويون خريطة التيرول الجميلة. و إنى أتعهد بتعليم عمر آغا بعد بضعة دروس كيفية استعمال المزولة و كيفية رسم مخططات الميدان. و لم تخطر لى هذه الفكرة من قبل مع الأسف إذ كان فى الوقت مجال متسع لى لأقوم بذلك فى السليمانية قبل مغادرتى لها إلى (أحمد كلوان). و كان فى إمكانى و أنا فى سياحتى التى تلت مكوثى فيها أن أدعه يتمرن على رسم المخططات تحت إشرافى. إن الفوائد التى يجنيها العلم من رجل قوى الملاحظة يجوب مجاهل هذه البلاد التى تسترعى الاهتمام لا شك إنها عظيمة جدّا، و قد يستطيع بدوره أن يعلّم غيره فينشر العلم و المعرفة.

و أرى بوجه عام، إن الكرد شغوفون جدّا باستقصاء المعلومات و لكنهم قليلو الاعتداد بأنفسهم مهملون لشأنهم، و إنهم أسهل تعليما من الأتراك، بل أعتقد أنهم أسهل تعليما من الإيرانيين أيضا، إذ إن هنالك بعض الأمور التى يستطيع الإيرانى أن يقتبسها بسهولة، إلا فى مجال الأدب و العلم لأنه يحسب نفسه متفوقا على الأمم الأخرى فيها تفوقا عظيما. و التركى يعتقد الاعتقاد الراسخ بتفوقه فى جميع الأمور و هو يزدرى ازدراء مرا بكل أمر يدركه أو يفهمه. إن «سنونوا واحدا لا يأتى لنا بالصيف» . فرجل أو رجلان فى أمة متعطشة

إلى العلم و الرقى ليسا إلا- من الشواذ فى كيانها العام. و هكذا فالعزم الطبيعى للفكر البشرى و حيويته، يخترق أحيانا الحجاب الذى يقيمه أمامه التعجرف و التعصب، و هناك القليل حتى من بين أكثر الأقوام و الأمم وحشية من لا تستطيع أن تنجب فى مختلف أدوار تاريخها رجلا يسبق عصره و بلاده. لقد كان كتاب (جهان نما) أو (جغرافية الحاج خليفة)، سفرا جليلا جدّا فى حينه، و كان يضم كل المعلومات الجغرافية التى يجدها المرء فى الكتب الأوروبية فى ذلك العهد، و كان الحاج خليفة رجلا مثقفا منورا بالنسبة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۳

إلى أى تركى آخر، و لكن لم يعقب الحاج خليفة أحد، و من من الأتراك يطالع الآن جهان نما؟ أو يكون لديه فكرة قياسية عن العالم بل عن بلاده نفسها؟ فإنه إذا تعلم الرياضيات و الجغرافية، فهو يراجع بكل تأكيد كتب إقليدس و المجسطى، و قصة الأقاليم السبعة القديمة، و بحر الظلمات و ربع الأرض المسكون، و هو قلّما يجسم نفسه متاعب التفكير فيما إذا كانت تلك النظريات تتفق مع التطورات و الاكتشافات الحديثة.

إن المطابع فى استانبول، لم تقم حتى الآن بواجب تثقيف الشعب، إلا- أنها طبعت بعض الكتب الجيدة، و قلّما يطلبها أحد، بل لا يطالعها حتى الذى يحصل عليها. و الآثار الوحيدة التى طبعت و نشرت و تهافت الناس عليها هى القواميس. و (عباس ميرزا) معنى الآن بتأسيس مطبعة فى تبريز. ترى هل ستفيد هذه المطبعة الإيرانيين أكثر مما أفادت الأتراك مطابع استانبول؟ و الأمة لا تتقدم بالقوة و الإكراه أو بمجهود فردى، مهما كان تقدميّا أو قويّا و مع ذلك فإن للإيرانيين كفاية أوسع من كفاية الأتراك، و لو كانت استانبول عاصمتهم لتمكنوا منذ أمد بعيد من الوقوف فى صف الأمم الأوروبية. و الدين الإسلامى هو الذى يحول دون الرقى فلا يمكن لأمة أن تتمدن و هى مسلمة. و الإسلام دون استثناء، دين يعيق التقدم و يشجع على الجمود و على النفاق و الزلل. لقد تدخل محمد فى كل شىء، و سمم كل شىء مسه. و قد جعل كل شىء سواء أكان علما أو فنا، تاريخا أو أخلاقا من الأمور الدينية، و أقام الموانع إزاء الرقى و التقدم، و إزاء أى تفكير أو تطور حديث فى أية ناحية من تلك النواحى . و التركى يكفّر كل من يعتقد بأى أمر تاريخى قديم سبق أن

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۴

أبدى محمد رأيه الحاسم فيه. ذكرت مرة تاريخ الإسكندر لمؤلفه (آريه ن) فأبدى عمر آغا رغبة شديدة فى الوقوف على الحوادث الواردة فى مثل ذلك المصدر القديم الموثوق به. و عندما سردت عليه القصة، و كان يبدو أننى تطرقت إلى أمر يناقض العقيدة الإسلامية قال أحد الكرد الشنكيين من الحاضرين بأن ذلك التاريخ قد يكون قديما كقدم الإسكندر نفسه، لذلك لا يمكن الوثوق به، إذ إن نبينا قال كذا و كذا فيه. و هذا ما أخمد فى عمر آغا رغبته فى الاطلاع على هذا الكتاب و قد أردف الشنكى قائلا: «كان اليهود و النصارى فى زمن الرسالة يوجهون إلى محمد الأسئلة المتنوعة فى حوادث تاريخهم القديم امتحانا له ليروا فيما إذا كان يجيبهم صوابا أم خطأ و ليظهر لهم رسالته السماوية. و قد أجابهم على أسئلتهم بكلام اللّه، و هو محفوظ فى القرآن و فى الحديث.

و يعتقد بعض المسلمين أن الإسكندر الكبير كان نبيّا، و يعتقد البعض الآخر أنه بطل من الأبطال، كما يعتقد بعضهم بنبوة لقمان، و الآخر بولايته .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۵

۱۹ تشرين الأول: زرت الباشا اليوم زيارة الوداع. فوجدته أكثر استقرارا من ذى قبل، و لكنه ما زال مغتما يتنهد باستمرار تنهدا عميقا. و كان معظم حديثه اليوم فى مواضيع دينية كعادته. و قد سألنى عن عدد الأناجيل سواء السماوية منها أو الموضوعة من قبل البشر بوحى من اللّه، و هل سيظهر المسيح و ينشر سلطانه على الأرض، أو هل أنه سيظهر يوم الحساب فقط. ثم تكلم عن الدجّال و عن يأجوج و مأجوج و غير ذلك، و كان لطيفا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۶

كعادته، و قد قال لى بأنه سيرانى قبل مغادرتى المدينة، و أنه سيزورنى غدا فى مخيمى.

ذهبت بعد ذلك لزيارة عثمان بك و كان فى مظهر الجد على عادته، إلا أن نوعا من مسحة العزم و القسوة كانت تبدو عليه، و مثله مثل الرجل الذى أسند ظهره إلى الجدار. و يبدو أن محمود باشا يصر- بناء على توصية باشا بغداد- إصرارا شديدا على أخيه ليتقبل منصبه و هو حاكمية كوى سنجاق. و هذا ما يرفضه عثمان بك، إذ إنه يخشى أن يتغلب الأتراك عليه فيتسلموا أزمة الأمور بأيديهم حالما يتنحى هو عن طريقهم الأمر الذى يعنى خراب بلاده المحقق. إن باشا بغداد لا يرغب فى تضامن العائلة، و لا يحتمل مطلقا وحدتها، و هو الذى كما كنت أظن، و كما تأكد لدى، نجح فى جر الاضطراب على عبد اللّه باشا و هو الآن يسعى لتنحية عثمان بك و إحلال التنابذ بينه و بين أخيه. أما تصرف عثمان بك، فقد كان فى جميع الحوادث الأخيرة تصرف الرجل الشريف الذى لا يحمل فى دخيلة نفسه إلا الخير للبلاد و ضمان منافعها. و خطأ الباشا الكبير هو ضعفه و احترامه للأتراك الاحترام الكلى، المنبعث فى الحقيقة عن الشعور الدينى، و كثيرا ما استغربت ضعف الباشا النفسانى فى هذا الشأن. و من المؤسف أن يلاحظ المرء شدة انخداعه بباشا بغداد، الذى اعتاد أن يذكره بقوله «أفندمز» أى سيدنا. فلو كان يقدر قوته و مصالحه حق قدرها، لكان من المحتمل أن يجعل باشا بغداد منقادا إلى ما يريد و إلى معاملته المعاملة اللائقة به. أما عثمان بك، فلا يذكره أو ينعته إلا بكلمة «الوزير».

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۷

و بعد مكوثى عند عثمان بك مدة، جاء المصرف، فخاطبه عثمان بك بنبرة حازمة قائلا: «لا فائدة من الكلام فى الموضوع» فالباشا هو أخى الأكبر و أميرى، و له أن يعاقبنى، و إن شاء له أن ينتزع منى ما أملكه، و لكننى لا أذهب إلى كوى سنجاق.

ودعته بعد مدة وجيزة، و سمعت بعد ظهر اليوم بأن الباشا أرسل إليه الأوامر الصارمة ليذهب إلى كوى سنجاق، و إلا يحرمه أملاكه و يمنع الناس عن زيارته. و أخذ يندب على رؤوس الأشهاد ضعفه الذى اضطره إلى الانصياع لمقترحات عثمان بك خلال السبع سنوات الماضية من حكمه.

و مهما كانت أغلاط عثمان بك، فمن المؤكد أنه تصرف تصرفا شريفا فى جميع الأمور التى وقعت أخيرا. إنه أقنع أخيه بألا يتنازل عن منصبه، و رفض دعوة أمير كرمنشاه بالذهاب إليه، و فى كلتا الحالتين كان يعلم العلم اليقين بأنه يصبح باشا لو فعل ذلك. و مما يحزننى أن أرى مثل هؤلاء المخاليق الأتراك يبذرون بذور الشقاق بين أعضاء هذه العائلة المحترمة.

قررت قبل مغادرتى هذه المدينة أن أوجه بعض الكلمات الطيبة إلى صديقى القديم عبد اللّه باشا. قال لى عثمان بك إن ما حدث إنما كان بدس الأتراك و حيلهم، و مما لا ريب فيه أن عبد اللّه باشا برىء من أكثر الأمور التى أسندت إليه. و قال لى أيضا بأن الباشا لان فى المدة الأخيرة و طلب من باشا بغداد أن يسمح له بالإفراج عن عمه، و لكن داود باشا لم يوافق على ذلك. فقلت له إننى أعتقد عن يقين بأن ليس هناك ما يمكن أن يلحق به شرّا إذا ما أحجمت شخصيّا عن إيقاع الضرر به لمدة قصيرة.

فقال لى عثمان بك سوف لا يلحق به الحيف مطلقا، و نحن لسنا كالأتراك، إذ ليس فينا من يمس منه شعرة، و إن أعطى الدنيا بكاملها.

كان فى خدمتنا رجل همجى يدعى محمد جاووش، و كان هذا من

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۸

رجال عمر آغا مثلما كان أبوه فى خدمة عائلة عمر آغا. و كنا نتمشى خارج الدار قبل بضع ليالى، فوددت أن أتحدث مع عمر آغا الذى كان يتقدمنا بمسافة قليلة ببعض الأمور فنادى محمد جاووش سيده بأن صفر له، و عمر آغا الذى يبدو أنه يدرك تمام الإدراك هذا النوع من المناداة، أدار بوجهه على الفور ليرى من المنادى. و قد أرادت قرينتى أن تهدى أحد الخدم الذين مرضوا فروة صغيرة فسألت محمد جاووش عن الثمن فأجابها الرجل بالكردية التى يتكلمها بصعوبة، و لم تسألين عن الثمن؟ إنه يتراوح بين الخمسة و العشرة قروش، و لكن إذا كنت تريدين الفروة لك، فإنى أوصيك بأن تفصلى لك صدرية من اللباد. و هذه الصدريات أو الستر

تصنع من اللباد الاعتيادى المستعمل فى بطانة السروج و السمرات، أو فى المدات اللبادية، و هى تصنع بقطعة واحدة يلبسها الرعاة و الطبقة العامة من الكرد المعرضين إلى تأثيرات الجو؛ و يحتمل أن زوجة محمد جاووش تلبس واحدة منها.

و الكرد لا- يلغطون أو يتصايحون فيما بينهم عند الكلام كالإيرانيين، و لكنهم معتادون على الصياح المفاجىء و الصراخ فإذا أراد الكردى أن ينادى آخر، أو يجذب انتباهه إليه صاح بأعلى صوته «هو حه مه كه هو- بتطويل النداء- حه مه كه هو، هو، هو، ووررا، ووررا» فيجيبه المنادى بالصيحة نفسها. و هكذا يتنادى الجاف أيضا، و يكلمون بعضهم البعض من تل إلى تل، و الكرد نادرا ما يقطعون الطريق قطعا مستقيما و بسكون، مهما كانت مسافته أو مدته. بل إنهم دون أى سابق إنذار أو سبب تراهم يصرخون و يطاردون على ظهور خيولهم مسرعين ثم يعودون إلى أماكنهم و ذلك عند مسيرهم أو أسفارهم. فعندما كان عمر آغا قائما بمهمة فى كردستان الإيرانية، أوفد رجلين من أتباعه ذات ليلة إلى قرية لا تبعد كثيرا عن الطريق ليشتريا خبزا، و ذلك لطول المسيرة. و كانت الليلة حالكة الظلام، و بعد انقضاء مدة طويلة سمع أصوات الفارسين يعودان باتجاهه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۲۹۹

و هما يتطاردان بسرعة فائقة فوق الصخور. و لما كانت المنطقة غير مأمونة أو كانت بالأحرى على غير وئام مع العائلة البابانية فقد تبادر إلى ذهن عمر آغا بأن الأعداء يعقبون رسولية فتهيأ و رجاله الذين معه للقتال و أشهروا أسلحتهم و لكن الأصوات انقطعت على الفور، انقطعت مدة من الوقت دون أن يقف على كنه ما حدث، فاضطر إلى الاتجاه بحذر نحو مصدر الأصوات حيث بوغت بالعثور على جواد لا راكب عليه، و وجد الخيال مطروحا على الأرض، أما الخيال الآخر فقد ترجل إلى جانبه و ظل حيث هو ممسكا عنان جواده. و قد ظهر أن الرجلين بعد أن اشتريا الخبز رجعا و وضعا مقدارا من الدراهم رهانا للسباق بينهما، و بدأ السباق على الفور و كانت الأرض غريبة عنهما و هى صخرية و عرة و الليلة حالكة الظلام، مما أدى إلى سقوط أحدهما و انكسار عظم فخذه.

و الكرد فرسان شجعان لكنهم يجهلون أصول الفروسية، إذ يندفعون بخيلهم على أية أرض و بأية سرعة كانت، و هم يستديرون و ينعطفون بخيلهم دون رحمة أو شفقة. و هم يقومون بكل هذه الحركات بخشونة، و بقوة و بالالتصاق على ظهور الخيل و حسب، و هم لا يحسنون معرفة نسل الجواد المعرفة الجيدة. و إن خيولهم جميعها حتى العربية منها، تصاب بعد حين بالعاهات و تمسى كذلك جفولة شرسة. و الكردى يفضل الجواد العزوم الشرس، إذ يعتقد أن ذلك مما يظهر المهارة و الشجاعة فى فارسه. أما العرب، فعلى خلاف ذلك فهم فرسان ماهرون هادئون. و لك أن تركب جوادا ركوبا مريحا و أنت تسير وراء العربى أو وراء التركى فى بعض الأحيان، أما وراء الكردى فلا- هذا و الكرد يعتنون العناية كلها بخيلهم و هنالك الكثير من رجال الكرد الذين يسوسون جيادهم بأيديهم. و لا يستبعد أن يعلفوها العلف الكثير، و يدفئوها الدفء الجيد، الأمر الذى يجعلها أقل تحملا للمشاق التى يخطر ببال المرء وقوعها بين هؤلاء القوم. لقد تفشت فى هذه الأيام بينهم الرغبة فى اقتناء الجياد العربية و كثيرا ما يدفعون المال

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰۰

الوافر دون مبالاة ثمنا للخيول غير المعروفة الأصل. و هذه الرغبة أخذت تقضى على تشجيع توليد و تربية الخيول الكردية الأصيلة التى يمكن اعتبارها من أحسن الجياد و أقواها احتمالا للمشاق و أقدرها على أداء الخدمات للفروسية الباهرة. أما الآن فقد اندرست هذه الجياد تقريبا و استعيض عنها بالجياد الهجينة المستوردة من بغداد و من البلاد المنخفضة. و لا تتناسل الخيول العربية فى كردستان إلا نادرا. فمهورهم كلها من النوع الاعتيادى و لا تملك من مزايا الخيول العربية إلا القليل.

و الكرد كشافون ماهرون و أكفاء فى الحصول على المعلومات الكثيرة عن معسكرات العدو، فهم يتسللون إلى قلبها بمهارة فائقة، بل إلى خيمة آمرها بذاته. و عندما حاربوا باشا بغداد، سهلت القضية سهولة عظمى لوجود عدد كبير على الدوام من جنود الكرد الاحتياط المضطهدين فى الجيش التركى. و قال لى عبد اللّه باشا إن أخاه عبد الرحمن باشا أرسل فى وقعة من الوقائع كرديّا إلى معسكر باشا بغداد لكن الرجل لم يستطع الحصول على المعلومات التى كان يريدها فرأى من الأفضل أن يقبض على أحد جنود المعسكر و يأتى

به أمام عبد الرحمن باشا ليستجوبه كما يريد. و الكرد ميالون إلى الموسيقى ميلا شديدا و أغلب موسيقاهم حزينة، و بعض قطعهم و أغنياتهم ك (مه لكى جان) و (مه ن كوزه به ناز)- الزاء الفارسية- و (ئه زده نالم) أغنيات رقيقة على بساطتها. و للكثير من أغنياتهم أدوار تتناوب. و نغمات الحصادين و هم يغنون (شيرين و فرهاد) أعادت إلى ذاكرتى أغنية أصحاب زوارق الغندول فى البندقية و هم يرددون أغنية تاسسو.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰۱

لم أشاهد مطلقا أناسا ذوى أجسام قوية صحيحة من الجنسين النساء و الرجال كما شاهدت ذلك فى كردستان، بالرغم من سوء الأحوال الجوية. و الكرد بوجه عام قوم أقوياء أصحاء. و الأطفال منهم أيضا ذوو بشرة نقية، و وجوه موردة. أما الطفل البغدادى فتعلو وجهه الصفرة، و بطنه بارزة ناتئة و جسمه مسقوم عليل فكأنه مصاب بالكساح، و إذا لمسته نفر و انكمش على نفسه. أما الطفل الكردى فمخلوق صغير نشيط مرح، قوى، يتصف بالبشاشة و الألفة.

۲۵ تشرين الأول: هرب صباح اليوم الشيخ خالد الشهير. و على الرغم من أن هروبه كان مفاجئا و سرّيّا فإنه استطاع أن يصطحب زوجاته الأربع معه، و لم يعرف حتى الآن الوجهة التى سار فيها. لقد وضعه الكرد قبل بضعة أيام فى منزلة ترتفع على منزلة الشيخ عبد القادر و قد اعتاد الباشا أن يقف أمامه ليملأ الغليون له، أما اليوم فإنهم ينعتونه بالكافر، و يرددون الروايات العديدة عن غطرسته و كفره و زندقته. لقد أضاع الشيخ منزلته إثر وفاة نجل الباشا إذ ادّعى أنه سيشفيه من مرضه، و أنه بحث فى سجل اللّه عن أمره .. و غير ذلك و قد تباينت الروايات عن سبب هروبه، و قال البعض إنه صار يبذر بذور السوء بين الباشا و إخوانه الذين أرادوا أن يواجههم بالأمر فى حضور الباشا. و قال الآخرون إنه بدأ بوضع أسس مذهب جديد، و أراد أن يجعل نفسه سيد البلاد الدنيوى. و لقد قيل عنه و لا ريب الكثير و اتهم بأمور أكثر مما يمكن فى الحقيقة اتهامه بها فالعلماء و السادة و على رأسهم الشيخ معروف كلهم يكرهون الشيخ خالدا و قد بزهم كلهم عندما كان له سلطانه.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰۲

و قد هرب أيضا يوسف بك شقيق الشيخ خالد و حاكم بيشدر و التجأ إلى عباس ميرزا، الذى يقال إنه نصبه حاكما على (سه رده شت) علاوة على حاكمية بيشدر التى عليه أن يستمر فيها بحماية عباس ميرزا.

لقد قطع الباشا علاقته بعثمان بك و جرده من جميع حاكمياته و أملاكه و قد كان هذا دون ريب بتأثير خدع و حيل تركية. و هكذا تقوض هذه العائلة التعسة أركانها بنفسها بالشقاق و الفتن و تتعرض إلى دسائس السلطات المجاورة لها، و ليس بين هذه السلطات من يستطيع التدخل فى كردستان بالقوة إذا أرادت.

زارنى الباشا مساء اليوم الزيارة الأخيرة. و قال لى عند دخوله الخيمة إنه يشعر كأنه زارنى زيارته الأولى أمس من حيث المكان و الوقت و النمط. و فى فترات الحديث أجبته بأنه مهما كان يشعر بقصر الوقت الذى قضيته عندهم، فإن هذه المدة قد مكنته ليقوم نحوى بأمور لن أنساها طيلة ما تبقى لى من العمر. لقد وجدته اليوم متأثرا أكثر مما سبق،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰۳

و يحتمل أن ذلك نتيجة ما قام به من العمل فى خصامه مع أخ كانت له السطوة الكلية عليه، ذلك العمل الذى أغلى فيه الدم فنسى حزنه بعض النسيان. و قد تحور الحديث تدريجيّا إلى حالة بلاده و إلى الانشقاق القائم بين أبناء عائلته. و قد سعيت لأحرك فيه شعوره القومى و العائلى، و لكن دون جدوى. بيد أننى كنت أحس بوجود قليل من الحماسة عنده، عندما كنت أتطرق إلى تاريخه القديم، و المنزلة التى قد ينالها قومه بين الأمم المستقلة، إلا أن تلك الحماسة ما كانت إلا سرابا. إن أخلاقه تتصف باللين و التواضع الممتزجين بالأوهام و القنوط مما يجعله منقادا كل الانقياد إلى ما ترسب فى أعماقه من الخزعبلات المثبطة التى أتردد فى القول بأنها من صنع الدين، لقد وجدته متجردا تجردا تامّا من كل ما يتعلق بنفسه و ببلاده، و ذا فطرة عنيدة لا تطاوع الغير. و كان يظهر الصلابة

إزاء كل مناقشة لى معه و أخيرا قلت له مازحا إذا كان قد عزم على استعمال مهارته فى إيجاد العراقيل لإصلاح بلاده فلم يعد هناك ما يمكن عمله و مع ذلك فقد تضرعت إلى اللّه لينعم بالرفاه و القوة على عائلته و بلاده. فأجابنى بأنه لا يمكن أن تصبح بلاده أو عائلته يوما ما قوية، ما دام فى العائلة هذا العدد من الأعضاء الأقوياء. فأصررت على رأيى فى أن ذلك ممكن، فأجابنى: «نعم هذا ممكن إذا ابتلانا اللّه بطاعون لم يترك إلا واحدا منا». فقلت له ثانية، إن ذلك ممكن دون الحاجة إلى الطاعون، و إن اللّه على كل شىء قدير، فقال لا ريب إن اللّه قادر على إطفاء نار جهنم و لكنه لا يطفئها، ثم ذكر رغبته فى التخلى عن منصبه فأجبته أن عليه أن يقوم بواجب المنصب الذى اختاره اللّه له، فقال: «لا شك فى ذلك و لكننى أعجب كيف قضت إرادة اللّه أن تجعلنى حاكما، فقلت له إن ذلك كان لصلاح هذه الآلاف من الناس، فأجاب: «أواه ما أشد الحساب الذى علىّ تأديته فى الآخرة، فلم أوافقه على رأيه و قلت له فى الحقيقة إن معاملته للناس كانت على الدوام معاملة حسنة، و إنه كان رحيما بكل فرد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰۴

منهم، و إنه لا يمكن بصورة من الصور الحيلولة دون طبع البشر الذى سبب وقوع بعض الاضطرابات فى مملكته، مما قد يكون غافلا عنها، أو لا طاقة له على إخمادها. فأجابنى و الصدق يغمر محياه «اسمعنى يا بك، إنما يحكم على المرء بأعماله، لا بنواياه، و أنا لوحدى المسؤول عن تأدية الحساب يوم الدين عن كل ما يقع من الاضطراب فى حكومتى». لقد أنكر داود باشا جميل هذا الباشا و عامله بالخيانة و الغدر، و لكنه الآن كسبه كل الكسب ببضع كلمات طيبة، و هو الآن فى الحقيقة متعلق بداود باشا كل التعلق، و قد أكد لى محمود باشا بأن الباشا سيخدم داود باشا طيلة حياته؛ و لم يكن قول محمود باشا مجرد ادّعاء.

و بعد حديث شيق دام ساعة و نصف ساعة، نهض الباشا ليعود.

و عندما ودعنى انخفض صوته و ارتجفت يده و هو يصافحنى، و كنت شخصيّا مكروبا مثله لمفارقتى إياه. لقد رجا أن يرانى ثانية، و إنى أخشى أن لا نرى بعضنا مرة أخرى. إنه من الصعب أن تفارق المفارقة الأخيرة رجلا عديم الاكتراث، فكيف و أنت تفارق رجلا توده و تحترمه، كان محمود باشا رجلا محبوبا جدّا فى الحقيقة، و إننى سأتذكره على الدوام بشوق، فملامحه النقية لا تنم إلا عن الطهر و الإخلاص و البساطة. و ما كنت أتوقع مقابلة رجل مثله فى الشرق كما أننى أخشى أن لا يجد المرء الكثير من أمثال هذا الرجل فى بيئات أرقى. إن المرء ليلمس الحزن و الرقة فى خلقه، و ذلك مما يجعله رجلا لطيفا جذابا، فهو الإحساس بعينه. إنه لم يتغلب حتى الآن على ما داهمه من الأحزان لوفاة ولده، و إننى أدوّن رأيى مطمئنا لما أقول فى أن ليس هناك رجل فى الشرق يحب أولاده و زوجته كحبه لهم. دخل عل حزمه مساء أمس للمرة الأولى بعد المصاب، فناداه طفل من أبناء أخيه بكلمة بابا. لقد كان الاسم و صوت الطفولة الذى ردد به الاسم أكثر مما يحتمله، فصرخ و سقط على الأرض مغميا عليه. هذا مع العلم أن الدين الإسلامى يمنع الأحزان و أن الإفراط

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰۵

فى الشعور إزاء المرأة، أو الولد من الأمور الشائع نكرانها أو الازدراء بها بين أتباع الإسلام، الأمر الذى يعزز جمود الشعور و صلابة النفوس. لقد أصبح الباشا من أقوى الناس تمسكا بدينه فى الشرق، إلا أن تمسكه هذا لم يعطه التعصب و الركود فى الإحساس. إن طبيعته المثلى ارتقت فوق المعتقدات الإسلامية المنحطة . و ربما كان بإمكان رجل أسوء منه خلقا أن يكون أكثر ملاءمة لحكم كردستان. و إن محمود باشا لم يكن بالزعيم الذى تحتاجه تلك البلاد لأن فضائله جديرة برجل يعيش عيشة خاصة، إذ إنه كان لين العريكة جدّا كثير الثقة بغيره و لا يقدّر نفسه إلا بأقل مما تستحق؛ و مع كونه شجاعا فى ميدان القتال فقد كانت تعوزه جرأة المدنى اللازمة. لقد جعله الدين و التفكير قليل الاكتراث بالأخطار كما أفقده الحزم و العزم أيضا. لقد كان بميسور أى رجل أن يقوده، فكان يركن إلى أى فرد يتقدم لمعاونته حتى فى الأمور التى تخالف رأيه الراجح و مع أنه كان بشخصه مثالا للصدق و الشرف، فقد كان يجهل أساليب أرباب الدهاء الذين كانوا يموهون أسوأ خططهم الجهنمية بالصبغة التى ترضيه.

و على الرغم من وقوعه مرارا على خدعهم كان يظل على ثقته بهم، ذلك لأنه كان ببساطة الطفل الصغير و وداعته. فلقد استطاع داود باش مؤخرا أن يفسد أخيه عليه و حاول تحطيمه. لكنه وجد الآن من مصلحته أن يكتسبه إلى جانبه و أظهر له كثيرا من التودد و الاحترام، و قد تناسى محمود باشا كل ما حدث فى الماضى.

جاءنى سليمان بك ليلا ليودعنى. لقد كان شابا طيبا أكثر حيوية و عزما من أخيه، فلم يتكلم عن كردستان بعبارة اليائس و قد قصصت عليه قصة حرب السبع سنوات فأصغى إلى حديثى باهتمام زائد.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰۶

بدأ هذا الجزء من سياحتى بوصولى إلى السليمانية، و سينتهى برحيلى عنها. و سأسافر غدا إلى الموصل بطريق (آلتون كوبرى) و (أربيل).

و إننى أبارح كردستان بأسف لا حد له، فما كنت أتوقع مطلقا أن أجد فيها أطيب الناس الذين لاقيتهم فى الشرق كله. فقد عقدت الصداقة فيها، و عوملت بإخلاص متناه أينما حللت، و بلطف و بضيافة لا حد لهما؛ و أخشى أننى سوف لا أنتظر مثل هذه المعاملة خلال سياحتى المضنية، و لسوف تبقى هذه الذكريات عالقة فى قرارة نفسى ما حييت.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰۷

***** هكذا أنهى المستر ريج الجزء الأول من كتابه هذا بهذا الفصل. و قد أراد المترجم أن لا ينهى هذا الجزء إلا بإضافة الفصل الثانى عشر إليه و هو الفصل الأول من الجزء الثانى من الكتاب. و بهذا الفصل يصل (ريج) إلى الموصل، تاركا السليمانية و مارّا ب (آلتون كوبرى) و (أربيل) و غيرهما من المدن و القرى عابرا الزابين. و يعتقد المترجم أن صفحة الرحلة الثانية تبدأ بيوميات (ريج) عما شاهده فى الموصل و نواحيها و ما كتبه عنها و عن سفره منها بطريق النهر راكبا الرمث- الكلك- حتى بغداد و إتمامه رحلته من بعدها.

*****

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۰۹

الفصل الثانى عشر الرحيل من السليمانية

- وصف البلاد- قرية ده ركه زين- عمر آغا- نجله- مضيق (ده ربه ند)- مغادرة كردستان- أخبار من السليمانية- خيبة عمر آغا- سهل جميل- قرى- طنف اصطناعى- نهر كابروس (الباء فارسية) أو الزاب الصغير- آلتون كوبرى- مخيم فارس آغا- خسته- مشاهدة أربيل للمرة الأولى- وصف المدينة- سهل أربيل- كوكه مه لا (الكافان فارسيتان)- جبل مقلوب- قرية (كلك) اليزيدية- نهر الزاب أو (لى كوس)- مظهر البلاد- نهر الخاور أو (بومادوس Bumadus)- الحاج جرجيس آغا- مدينة كرمليس- خرائب نينوى- الوصول إلى الموصل

*** ۲۱ تشرين الأول: و دعنا الكثير من الإخوان بأسف لا مزيد عليه، و امتطينا جيادنا فى السادسة و النصف تقريبا من صباح اليوم فرحلنا من بستان صديقنا الباشا الكريم الحكيم، و سرنا فوق أرض متموجة من سهل السليمانية مارّين بقرية آق بولاق- آبلاغ- الكبيرة و هى عن يسارنا. فالسهل جميعه فى هذه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۱۰

الأماكن مرتفع أكثر إلى الجانب الغربى منه، و هو يستمر بالانخفاض إلى أكثر من نصف الطريق إلى التلال المقابلة. و بعد ميل و نصف الميل تقريبا من السليمانية وصلنا إلى (تانجرو) أو نهر (سه رجنار) و هو الذى عبرناه فى طريقنا من بغداد و قد أصبح الآن ساقية صغيرة، و إن كان عرض مجراه لا يقل عن المائة ياردة و كانت قرية (ألياسه)- قلياسان- على ضفته اليمنى.

و بعد مرورنا من قرية (باوين مرده)- باوه مرده، أى الأب الميت- فى التاسعة و خمس و عشرين دقيقة جئنا إلى قرية (كيله سبى) أو (ته به ره ش) و هى تقرب قليلاـ من أسفل الرابية التى نصبنا خيامنا عليها فى طريقنا إلى السليمانية من بغداد. نزلنا هنا لقضاء اليوم بالرغم من رداءة القرية، و كان القرويون جميعهم مشغولين بجمع محصول الأقطان، و قد زاد حالهم فى بهجة المنظر. و الأرض فى هذه البقعة يرويها جدول صغير يسيل جنوبا مع انحراف إلى الشرق، فيصبّ فى نهر (تانجرو) و كان جبل (غودرون)- بيره مه كروون- و نحن فى هذا المكان ماثلا أمامنا كجدار صخرى يمتد نحو الشمال الغربى و الجنوب الشرقى. و كانت السلسلة الغربية من التلال مرئية لنا و هى أمامنا على بعد ميل و نصف الميل، يحدها بوجه عام، أفق أو خط صخرى، يزداد ارتفاعا كلما امتدت التلال إلى الجنوب. و كانت الصخور مرئية أيضا فى جوانب التلال بأوصال متشققة، و كأن التلال هذه كانت تلالا متفتتة. و إلى مسافة ميلين أو ثلاثة أميال إلى الشمال تتشعب من هذه التلال سلسلة منخفضة تتصل بجبل (غودرون) و كأنها تستر وادى السليمانية من ذلك الاتجاه. و يقع على هذه السلسلة المنخفضة طنف (كه رماوه) و بقاياه و إلى أبعد من ذلك، فيما وراء (غودرون)، تشمخ صخور (كوور كوور) العظيمة الجرداء.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۱۱

درجة الحرارة ۸۵ فى الثانية بعد الظهر، و ۵۹ فى العاشرة بعد الظهر.

۲۲ تشرين الأول: ركبنا فى السادسة و الثلث من صباح اليوم و اضطررنا إلى السير فى الاتجاه الشمالى الغربى إلى مسافة لا يستهان بها تخلصا من أرض موحلة. و كان الهواء عند طلوع الشمس قارصا، و بعد السابعة بقليل وصلنا إلى جبل (طاسلوجه) حيث يتسع خط التلال عندها عرضا و ينخفض كثيرا، و لم تكن قنن تلولها صخرية كما كانت تظهر بفترات على قمم التلال الأخرى من السلسلة، و هى تزداد ارتفاعا فوق السهل نحو الجنوب الشرقى، و قد يكون ذلك بسبب انخفاض السهل فى ذلك الاتجاه نحو نهر ديالى، و كذلك الأمر فى سهل (بازيان) ذلك السهل الذى انحدرنا إليه بعد ارتقاء متدرج جدّا فى نحو الساعة الثامنة. و هذا السهل ينشطر من وسطه بخط تلال أوطأ من تلال (قه ره داغ) التى يظهر أنها تنتهى عند جنوب طريقنا بقليل و المتكونة من الأحجار الرملية و طبقاتها مرتفعة إلى الشرق و منحرفة انحرافا مائلا إلى الغرب. و قد صادفنا فى هذه الأماكن بعض الرجال و معهم فلو جاؤوا به من كركوك لبيعه فى السليمانية. لقد أعجبنى الحيوان و بدأت أتساوم عليه فاشتريته بمائة و خمسين قرشا عينا . و لم تعقنا هذه المعاملة عن طريقنا، إذ إن الباعة رجعوا من حيث أتوا و صاروا يتساومون معنا و نحن دائبون على المسير .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۱۲

و فى العاشرة و الدقيقة الخامسة و العشرين انعطفنا إلى الجنوب الغربى نحو قرية (ده ركه زين)، و التلال التى تشطر السهل تنعطف نفس الانعطاف ثم تنتهى مباشرة بصورة تدريجية. و تقع (ده ركه زين) تحت سلسلة صغيرة من التلال الآتية من (ده ربه ند) و تمتد نحو التلال التى تشطر السهل، و هى تنتهى قبل الاتصال بها تاركة فجوة فى القسم الغربى من سهل (بازيان). وصلنا إلى القرية قبل الحادية عشرة بعشر دقائق و نصبنا الخيام فى أرض مخيمنا السابق.

كان سكان القرى التى مررنا بها بأجمعهم فى حقولهم يجمعون محصول الأقطان، و كان منظرهم مبهجا فرحا، بل منظرا فريدا، إذ إن الطرق فى الشرق كله تكون عادة هادئة خالية، إلا فى مثل هذا الموسم.

و سكان قرية (ده ركه زين) من أصل تركمانى، و هم لا يزالون متمسكين بلغتهم، و مظاهرهم تميزهم تميزا كافيا عن القرويين الكرد. و يسرنى أن أذكر بأن عمر آغا، صديقنا العظيم، لا يزال مهماندارنا. إننى راجعت الحكومة فى السليمانية لتعيد إليه بعض القرى التى انتزعت منه بطريقة مزرية. و قد وعدونى بذلك إرضاء لى، فبقى عمر آغا فى السليمانية لاستلام القرى، غير أنه أرفق أغلب رجاله معى. إن ما يقارب المائتين من الرجال يعدون من محسوبيه، و يعتمدون عليه فى عيشهم. و فى كردستان تصبح عائلة كهذه العائلة عشيرة آجلا أو عاجلا. و قد تعلق بى اثنان من أتباعه و هما «فقى قادر» و «آوره همان»- عبد الرحمن تعلقا شديدا، فكانا يتبعاننى أينما

ذهبت و يقتفيان كل حركاتى. فإذا وقفت وقفا بجانبى، و إذا نظرت إلى شىء أصغيا إلى و تفرّسا فى وجهى أولا ثم وجها نظرهما إلى الاتجاه الذى أنظر إليه، و قد كانا أتبع لى من الظل.

وصل الليلة «آولا»- عبد اللّه- نجل عمر آغا الأصغر، و هو طفل فى السابعة من عمره، إلى مخيمنا من السليمانية، و معه صبى آخر لا يتجاوزه فى العمر كثيرا. إنه استأذن والده بمرافقتنا، و على إثر إجابة والده له

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۱۳

انسل خفية منه و هو يتناول طعام الإفطار، فرزم أمتعته القليلة و شد السرج على جواده وجد فى السير حتى قطع بمرحلة واحدة المسافة التى لم نقطعها نحن إلا بمرحلتين.

درجة الحرارة ۵۶ فى السادسة ق. ظ، و ۸۴ فى الثانية ب. ظ، و ۶۴ فى العاشرة ب. ظ.

۲۳ تشرين الأول: رحلنا صباح اليوم فى السادسة و النصف، و سرنا فى واد بين خط صغير من التلال يقع وراء (ده ركه زين) مباشرة و خط آخر يقابله و هو متجه من الشمال الشرقى أيضا من (ده ربه ند) نحو (بازيان). و فى السابعة و الثلث اجتزنا (ده ربه ند) و كانت طبقات الجبل منحنية فى كل جانب من جانبى الجبل كأنها تحاول تكوين المضيق. و فى خارج المضيق مباشرة ترتفع عن الأرض طبقة من الصخور موازية للجبل كأنها قسم من أنقاضه؛ و فى خارجها كلها فى أسفل الجبل، و هو امتداد جبل (قه ره داغ) كانت الطبقات منحنية و متموجة بصورة عجيبة، و فى رأس المضيق خربة مربعة كالحصن فى داخلها بئر اكتشفت فى الأيام الأخيرة، و جدرانها مشيدة بأحجار كبيرة.

و من مضيق (ده ربه ند) سرنا باتجاه جنوبى غربى، و قد ارتفع أمامنا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۱۴

خط تلال (كيشه خان) و (قه ره حسن) الصغيرة المخددة و هى تمتد إلى الشمال الغربى، و الجنوب الشرقى. و قد انخفض توّا مستوى الأرض عن يميننا انخفاضا و عرا خربا، و يبدو أن انخفاضها بلغ عمقا يزيد على المائة قدم، و كأنها تغيرت تغيرا عجيبا و خطت فيها نتوءات من أحجار رملية خطوطا متوازية بفجوات متساوية، و كلها منبطحة من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى، و كانت شأن غيرها من الطبقات التى مررنا بها، ترتفع نحو الشرق و تنحدر نحو الغرب انحدارا كبيرا جدّا. و كان قعر هذا المنخفض متشققا أيضا، خددته مجارى المياه. و يشاهد المرء بوضوح فى الكثير من هذه الشقوق و الأخاديد آثار نترات البوتاس، و لون التربة على العموم أحمر غامق ضارب إلى السواد. و قد انحدرنا إليها فى السابعة و النصف، و بقينا نسير بين طياتها طيلة مرحلتنا لهذا اليوم.

و بعد مدة قليلة جئنا إلى قرية (شيخ و يسى) الصغيرة فى منطقة (شوان)، و قد وجدنا هنا أنفسنا قد حدنا قليلا عن الطريق فانعطفنا إلى الجنوب بخمس و أربعين درجة إلى الغرب للعودة إلى طريقنا الأصلى.

و شاهدنا الكثير من شجر الدفلة على ضفتى جدول ماء صغير، و وصلنا إلى طريقنا الأصلى فى التاسعة إلا ربعا، و كان للأرض المحيطة بنا منظر غريب جدّا، فكأنها تخططت بسطور مائلة متوازية مكونة من طبقات أحجار رملية متشققة، و نشزت عن وجه الأرض فبرزت فوق الأديم بروزا قليلا.

و فى العاشرة و النصف وصلنا إلى قرية (غزالان) الكبيرة فرأينا فيها بعض اليهود. و الظاهر أن سكنة هذه المنطقة هم من الطائفة المسماة ب (جراغ سوندیره ن) أى مطفئوا الأضواء، و بعد رحيلنا من هذه القرية بقليل بدأت الأرض ترتفع أيضا، و أصبح طريقنا متكسرا جبليّا و وصلنا إلى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۱۵

مراحنا هذا اليوم فى قرية (غوولووم كووه- Ghulum Kowa) فى منطقة (شوان) فى الدقيقة العاشرة بعد الزوال، و قد سرنا مدة خمس ساعات و أربعين دقيقة، و كانت سفرتنا لهذا اليوم سفرة غير مريحة فى طرق متعبة فى منطقة و عرة، و كنا نشاهد تلال

کرکوک من موقعنا هـذا و کأنها نجد منبسط یهبط هبوطا متدرجا متکسـرا متخددا إلی بقعهٔ الأرض الواقعهٔ بین تلک التلال و بین (ده ربه ند). درجهٔ الحرارهٔ- ۶۲ فی السادسهٔ قبل الظهر، و ۸۴ فی الثانیهٔ بعد الظهر، و ۶۴ فی العاشرهٔ بعد الظهر.

۲۴ تشـرین الأول: رکبنا جیادنا کالعادهٔ فی نحو السادسـهٔ إلا ربعا فخرجنا صاعـدین من الوادی الضـیق الذی تقع فیه قریهٔ (کوولوونکه وه) و قد أمسـی أدیم الأرض مزیجا من التراب و الحصـی، یغطی أضـلاع الأحجار الرملیهٔ التی شاهدناها فی کل منخفض مررنا به یوم الأمس، أما لون التربـهٔ فلم یعـد بمثل الحمرهٔ السابقـهٔ. و هذه البقعهٔ من الأرض تلیهٔ و إننی لأعتقد بأن جمیع البقاع الحصـباویهٔ الأخری تلیـهٔ أیضا تتخللها أودیـهٔ و عرهٔ عمیقـهٔ، تقطعها مجاری المیاه التی تبلغ أحیانا عمق ستین قـدما، و الأرض فی هذه الأماکن لا یظهر من طبقاتها إلا التراب حتی و إن کانت مقاطعها بمثل هـذا العمق، و لا تظهر فیها الأحجار الرملیهٔ، و إن الحصـی الذی شاهدته کان إما من الأحجار الرملیهٔ أو من المرمر أو الجبسین أو أحجار النورهٔ. اجتزنا و ادیین عمیقین

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۱۶

ببعض الصـعوبات و کان الارتقاء منهما نهودا أکثر من انحدار نزولهما و ذلک بعد وصولنا بمسافهٔ قلیلهٔ إلی قریهٔ (کوولوونکه وه). إننا لاـ نزال فی منطقـهٔ (شـوان)، و الإـدارهٔ فیهـا تتبع أصولاـ لم أتمکن من إدراک کنهه؛ فالمنطقـهٔ تابعـهٔ إلی (کرکوک) و لکن القرویین تابعون إلی کردستان. و هذه المنطقهٔ تراجع فی شؤونها السلیمانیهٔ تارهٔ و (کوی سنجاق) تارهٔ أخری.

و من (کوولوونکه وه) ینعطف طریقنا نحو مرتفعات هذه المنطقهٔ التلیهٔ المتشـقهٔ الأرکان، و هذه هی الحقیقهٔ، لم تکن إلا امتدادا إلی منطقهٔ (قه ره حسن) و هی فی حالتها الآن جرداء قاحلهٔ تماما، إلا من بعض الشجیرات فی الودیان، لا یری المرء فیها خضرهٔ حیثما وجه نظره. لقـد تـذکرنا کثیرا و هاد کردسـتان البهیجـهٔ تلک الوهاد الجمیلهٔ حتی فی موسم ذبولها فی الخریف. و لا یزال (غودرون) شامخ الرأس من بعید.

و مجاری المیاه التی شاهـدناها الیوم و فی الأمس، کانت تجری عن یسارنا. و فی السادسـهٔ و النصف تشـعب طریقنا إلی الجنوب قلیلا من طریقنا إلی کرکوک. و بعـد الثامنـهٔ بقلیل اضـطررنا إلی الوقوف لمـدهٔ قلیلهٔ، لإعادهٔ نعال سـقط من حافر جوادی. و کانت کل من (خال خالان) و (کوی سـنجاق) فی تمام الاتجاه الشـمالی منا. و اسـتأنفنا المسیر فی الثامنهٔ و النصف، و کانت الأرض الآن أقل تشققا، أو أن تشـققها أقـل عمقـا من سابقتهـا، و فی العاشـرهٔ إلاـ عشـر دقائق وصـلنا إلی قریـهٔ (قفار) و هی منتهی مرحلتنا الیوم. و کان أغلب القرویین فی خیامهم بجوار القریهٔ؛ و الأرض و القرویون هنا تابعون إلی کرکوک. لقد سرنا الیوم مدهٔ ثلاث ساعات و خمس و ثلاثین دقیقهٔ.

التحق بنا عمر آغا فی اللیلهٔ الماضیهٔ و قد أخبرنا بأن عثمان بک رضی أخیرا بالذهاب إلی کوی سنجاق. و عمر آغا المسکین لم ینجح فی طلبه لاستعادهٔ قراه، و قد جاء بجمیع رجاله و أفراد عائلته إلا النساء منهم؛ إننی سأبذل کل ما فی وسعی من أجله.

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۱۷

درجهٔ الحرارهٔ- ۵۰ درجهٔ فی السادسهٔ ب. ظ. و ۸۸ درجهٔ فی الثانیهٔ ب. ظ.

۲۵ تشـرین الأول: سـرنا فی السادسهٔ من هذا الصـباح. و کان اتجاهنا شـمالیًا غربیًا بثلاثین درجهٔ و نزلنا إلی واد یسیل فیه جدول یروی الکثیر من القری، و یـدیر الکثیر من الطواحین التی تعلوها الحصون الصـغیرهٔ، و تحیط بها عـدد من الأشـجار؛ و مظهرها من بعید أشـبه بکنـائس القری. و یأخـذ الـوادی بعـد ذلـک بالانحـدار متسـعا نحو السـهل، و المعتقـد أنه سـهل (کوک ده ره) و الجـدول یصب فی (کوبری صو). لقـد مررنا بقری کثیرهٔ؛ و من بین القری الکبیرهٔ التی شاهـدناها قریـهٔ اسـمها (عمر بک). لقـد وصـلنا الآن سـهلا واسـعا جمیلاـ و إن کـان أدیمه لاـ یزال حصـباویًا فإنه غنی بالمزارع، و أراضـیه صالحـهٔ لزراعـهٔ الحبوب. و القری الکبیرهٔ متبعثرهٔ، فی جمیع الاتجاهات فیه. و إحـدی هذه القری کانت فی أول مدخل السـهل، و فی جوارها طنف اصـطناعی صـغیر، و إننی لم أتمکن من معرفهٔ اسمها.

و کانت تلال (قیزبیر-Kizbeer) أمامنا و هی تمتد عن یسارنا و السهل یصل حتی سفحها، أما عن یميننا فکانت تمتد الأرض المتکسرهٔ التلیهٔ التی غادرناها الآن.

و فی السابعهٔ اجتزنا قریهٔ (کوک ته به) و طنفا کبیرا جدّا عن

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۱۸

یسارنا، و کان فی تمام الاتجاه الغربی و علی بعد یقل عن المیل من الطریق، و کان الطنف أشبه بهرم ناقص ینشأ من جانبه الشمالی الغربی طنف أوطأ منه، و منظرهما أشبه بالآثار «البابلیهٔ». و بعد نصف ساعهٔ تقریبا اجتزنا طنفا أصغر قریبا من طریقنا و وصلنا فی منتصف النهار إلی (آلتون کوبری). کان الیوم شدید الحرارهٔ و مرحلتنا أطول مما کنت أتوقع، و قد قضینا فیها ست ساعات و نصف ساعهٔ.

انحدرنا نحو النهر من فوق أرض تعلوها الحصی الکبیرهٔ. إن صخور النهر وقاعه کلها حصویهٔ جلمودیهٔ. و لیس بإمکانک مشاهدهٔ المدینهٔ إلا عند انحدارک إلیها. و شاهدنا علی الضفهٔ الجنوبیهٔ من النهر معسکرا لقطعهٔ کبیرهٔ من مدفعیهٔ الصحراء و المدفعیهٔ الثقیلهٔ؛ و قد وصلت الآن من استانبول أغراض باشا بغداد و خدمه. و کانت هذه القطعهٔ مؤلفهٔ من أربعهٔ رعائل؛ و سریهٔ من المدفعیهٔ الثقیلهٔ و خمسهٔ عشر مدفعا صحراویّا، و حمولهٔ خمسمائهٔ بعیر من الذخیرهٔ. مررنا من فوق الجسر المرتفع المسنم الذی رمم أخیرا ثم اجتزنا المدینهٔ و منها عبرنا جسرا آخر و خیمنا فوق أرض بطحاء بالقرب من الأحیاء الیمنی أی الشمالیهٔ الغربیهٔ من المدینهٔ.

یبعد دجلهٔ عن آلتون کوبری مسیرهٔ ثمانی عشرهٔ ساعهٔ، و یمکن قطع المسافهٔ علی رمث (کلک) خلال نهار واحد عندما یفیض النهر، أما فی هذا الموسم من السنهٔ فیستغرق الوصول إلی دجلهٔ مدهٔ ثلاثهٔ أیام. لقد عبرت المدفعیهٔ المار ذکرها أعلاه النهر خوضا و کان عمق المیاه علی طوار سد ینحدر فی وسط النهر یتراوح بین الثلاثهٔ و الأربعهٔ أقدام و تبعد (کوی سنجاق) الواقعهٔ علی خمس و ثلاثین درجهٔ من الشمال الشرقی

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۱۹

مسافهٔ اثنتی عشرهٔ ساعهٔ بمسیرهٔ جواد سریع، و بمسافهٔ ثمانی عشرهٔ ساعهٔ بمسیرهٔ القافلهٔ. و یوجد طریقان إلیها، فالواحد علی الضفهٔ الیمنی من النهر الذی یفترق من (کوی سنجاق) بعد ست ساعات منها و الطریق بکامله متکسر، تلی، غیر أنه لا یعترضه جبل یقتضی اجتیازه. و علی الضفهٔ الیمنی من النهر علی بعد قلیل من أسفل الجسر شاهدنا بعض المرافیء و مخازن الحبوب و غیرها. و فی هذا المکان تفرّغ الأرماث الواردهٔ من (کوی سنجاق) أحمالها، کما تشد و تحمل الذاهبهٔ منها إلی بغداد. و النهر قابل لملاحهٔ الأرماث بین (کوی سنجاق) و دجلهٔ. و عرض النهر فی أعالی المدینهٔ یبلغ المیل الواحد تقریبا، و هو یجری بفرعین یتصلان فی أسفل المدینهٔ بعد أن یستدیرا حولها و یجعلاها کالجزیرهٔ و الفرعان لا یستهان بهما. و غالبا ما تجرف میاه النهر البیوت الکثیرهٔ فی الربیع و حینذاک تحیط المیاه بالمدینهٔ تماما و قد توحد الفرعان. و یسیل النهر فی جانب الجسر الکبیر عند جرف صخری «متحجر» علی ارتفاع واحد مع الجسر تقریبا، ثم یرتد الجرف المرتفع إلی مسافهٔ ربع المیل و بعد ذلک یبدأ بالعلو تدریجیّا. و فی الجانب الشمالی سهل رملی صخری منخفض تحده تلال متکسرهٔ علی مسافهٔ میل واحد تقریبا. و الظاهر أن هذه الفسحهٔ کانت معرضهٔ إلی طغیان میاه النهر فی زمن من الأزمنهٔ حتی حدودها التلیهٔ. و تلال (کی بیر) بقممها المسطحهٔ و سفوحها المتکسرهٔ تحیط بنا من الیسار، و یقال إنها تنتهی فی منطقهٔ (شه مامک) الکردیهٔ، و إلی ما وراء هذه التلال فی الاتجاه الذی یمر النهر من بینها نری (قه ره جوق).

درجهٔ الحرارهٔ- فی السادسهٔ ق. ظ ۵۹ درجهٔ، و ۹۰ درجهٔ ب. ظ و ۶۲ درجهٔ ب. ظ.

رحلهٔ ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۲۰

۲۶ تشرین الأول: سرنا فی السادسهٔ صباحا باتجاه غربی فی منطقهٔ ترکناها بین النهر و بین التلال المتکسرهٔ، أو الأرض المرتفعهٔ التی تبدأ فی أعلی المدینهٔ فتمتد مبتعدهٔ من الأرض التلیهٔ التی رحلنا عنها، و التی تأتی ثانیهٔ فی تلال (کی بیر). و فی السادسهٔ و الثلث

تشعب الطريق إلى (شه مامك) فابتعد إلى اليسار، و بعد مدة قليلة وصلنا إلى منتهى المنطقة. و هنا عبرنا تلالا رملية منعزلة، و قد بدأ من بعدها مستوى الأرض يرتفع ارتفاعا محسوسا، و أخذت الأرض عن يسارنا تتخدد و ترتفع نحو تلال (كى بير)، و على يميننا على مسافة كبيرة امتداد للأرض التلية المتكسرة التى رحلنا عنها، و تسمى هنا باسم (هه له جه و بستانه) و هى ناحية من نواحى (كوى سنجاق) ، و شاهدنا إلى وراء هذه امتداد جبل (ازمر) و على بعد شاسع من ورائه ترتفع جبال أخرى عالية.

مررنا بقرية (مخزومة) عن يسارنا و نهر صغير يصب فى (آلتون صو) و يظهر أن الطريق الذى نسير عليه كان فيما مضى معلما بتلال صغيرة اصطناعية متباعدة عن بعضها بمسافة ساعة أو ساعة و نصف الساعة، و قد شاهدنا بعضا منها. و الأرض و إن كانت حصوية قليلا، إلا أنها كانت سهلا جيدا يمتد إلى (كى بير) و إلى (هه له جه و بستانه). و كنا نشاهد عدة قرى فى كلا الجانبين عن اليمين و عن اليسار و الزروع كثيرة و القرويون يحرثون الأرض.

و فى العاشرة وصلنا إلى مضرب فارس آغا رئيس عشيرة (دزه يى) فى قرية (قوش ته به) و قد سميت باسم أحد التلال الصغيرة التى ذكرناها.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۲۱

و عشيرة (دزه يى) كردية كانت تابعة فيما سبق إلى (كوى سنجاق)، و قد فصلها باشا بغداد عن كل من (كوى سنجاق) و (أربيل) و جعلها تحت سلطته المباشرة؛ و هذا مما جعل العشيرة لا تبالى بأحد. لقد طرد فارس آغا ممونا قائلا له إنه غير تابع إلى وزير بغداد، أو باشا كردستان أو شاه إيران، بل إنه سيد نفسه، يعيش فى بلاده، و يرفض قبول الضيوف فالأفضل لنا أن نذهب إلى (أربيل). و على هذا لم يبق لنا أمل، و فى الحقيقة كان الأفضل لنا و الأرجح أن نستمر فى طريقنا فنكسب يوما، فاستأنفنا طريقنا بعد توقف بضع دقائق.

و فى الحادية و النصف ترجلنا عند جدول ماء صغير لتناول كوب من القهوة و ابتعد حملة الأثقال عنا مسافة.

ثم ركبنا فى الثانية عشرة و سرنا باتجاه شمالى، و فى الواحدة و النصف بعد الظهر تراءت لنا (أربيل) باتجاه شمالى شرقى بعشر درجات، و بعد مدة قليلة ظهرت معالمها واضحة، و عندها رسمت منظرها . لقد كان منظر الطنف المسطح الذى، ربما كان مدفنا للأرساسيديين، تعلوه القلعة و من ورائه جبال الكوردوشيين، منظرا قشيبا حقّا. لقد استقبلنا قرب المدينة نائب حاكمها على رأس خمسين أو أربعين خيالا- تركيا يتقدمهم العرفاء و الطبالون. لقد كنت فى غنى عن شرف هذا الاستقبال، إذ كاد الغبار يخنقنا قبل ترجلنا. و وصلنا إلى محلنا فى الثالثة و النصف، و قد سرنا اليوم ثمانى ساعات و أربعين دقيقة.

أقمنا خيامنا عند (كهريز)، أو قناة ماء تعود إلى الحاج قاسم بك على بعد قليل من الجنوبى الغربى من المدينة. و قد خيمت قبلنا بالقرب منا جماعة صغيرة من عشيرة حرب العربية. و ظهر لى أن العرب، بعد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۲۲

مضى وقت طويل على آخر عهدى بهم، أنهم أناس قذرون صفر الوجوه غير محبوبين؛ أما سكان أربيل فكرد و أتراك.

و فى طريقنا اليوم مررنا بقافلة ذاهبة إلى بغداد تحمل بصلا و بذور البصل. و كان بانتظارى فى (أربيل) مضيفى القديم (حسين) آغا و قد أوفده باشا الموصل لمرافقتى. لقد قررت البقاء فى (أربيل) مدة يوم أو يومين لإراحة جماعتى، و كراء بغال أخرى و توديع عمر آغا .

درجة الحرارة- ۵۸ درجة فى الخامسة ق. ظ. و ۹۴ درجة فى الثانية و النصف بعد الظهر و ۵۹ درجة فى العاشرة ب. ظ.

۲۷ تشرين الأول: نهضت مع الفجر، و بدأت أعمالى فورا فذهبت أولا- إلى المنارة القديمة، و هى أبرز مظاهر المدينة. أما جامعها فمنهدم خرب ، و قد نبشت أسسه كلها و أخرجت أنقاضها و آجرها. و ارتفاع المنارة مائة و واحد و عشرون قدما، و محيط قطرها واحد و عشرون قدما و هى قائمة على قاعدة مثمنة طول كل ضلع منها تسعة أقدام و إحدى عشرة عقدة و يتراوح ارتفاعها بين الثلاثين و الأربعين قدما، و فى داخل قطرها درجان لولبيان لا اتصال بينهما حتى الشرفة أو الصحن، و الصحن متهدم مع ما يعلوه من قمة

المنارة التى لم يسلم منها إلا بعض ما تبقى من الساق الذى يعلو الصحن عادة. و المنارة مشيدة على طراز منارة (طاووق) و يظهر أنها تعود

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۲۳

اللوح الرقم (۵) مدينة أربيل كما رسمها المستر ريج عام ۱۸۲۰

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۲۴

إلى عهد الخلفاء، أو بالأحرى إلى عهد أمراء (أربيل). و كانت الخرائب تحيط بها، و هى أكوام من الأنقاض كأنقاض بغداد القديمة. و كانت بقايا السور و الخندق ظاهرة، سيما من جانب مخيمنا الذى ضربناه بالقرب منها. و يبدو أن المدينة كانت فيما مضى جد واسعة؛ و ربما كانت بسعة بغداد الحالية. و تقع (أربيل) عند سفح الطنف الاصطناعى، و على الجانب الجنوبى منه خاصة؛ و فيها حمام واحد، و خانات و أسواق. و يقع قسم من المدينة فوق الطنف و يسمى هذا بالقلعة. و هنالك إلى الشرق من المدينة، و بالأحرى إلى شمالها قليلا- منخفض يدعى وادى (جى كونم) يقال إن تيمورلنك نصب خيمته فيه، عندما حاصر (أربيل)، و إن شيخا ديّنا من (أربيل) نشر الرعب فى جيشه فأخذ يتفرق فصاح تيمورلنك عند ذاك بالفارسية قائلا: «جى كنم» أى «ماذا أعمل؟» فأصبحت العبارة علما للوادى .

درجة الحرارة- ۵۲ درجة فى الخامسة ق. ظ. و ۹۰ درجة فى الثانية و النصف و ۶۴ درجة فى العاشرة ب. ظ.

۲۸ تشرين الأول: استأنفت استطلاعاتى فى فترات من هذا اليوم، و أنا محاط بجمع غفير من الأربليين وقفوا على شكل نصف دائرة عن بعد، و غلا-يينهم فى أيديهم و أفواههم و هم يتحدثون فيما بينهم عما أعمله. و لكن لم يضايقنى أحد منهم مطلقا. و لم أتمكن من إخفاء ابتساماتى كلما تذكرت ما لاقاه (دى لامير)- لو صحت المقارنة- فى جوار باريس و التى تختلف عما ألقاه أنا فى هذا الوسط الغريب المتوحش بدون حرس و لا خدم، و أنا وحيد.

كان تخمينى لارتفاع الطنف الاصطناعى الذى تعلوه قلعة (أربيل)، مائة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۲۵

و خمسين قدما، و قطره أربعمائة ياردة، و لا أشك أنه كان فيما مضى أكثر ارتفاعا، و يحتمل أن (قاراقللا-Caracalla) قد هدم ذروته. فقد حدث قبل مدة بينما كان الحاج عبد اللّه بك يشيد بناية فوق الطنف، أن اكتشف العمال لحدا فيه جثة لم تغير الأيام معالمها، و لن الجثة لم تلبث أن تفتتت بعد أن تعرضت للهواء قليلا. فإذا صح ظنى أن هذا الطنف كان مدفنا للآرساسيديين، أليس من المحتمل أن تكون تلك الجثة لأحد ملوك البرثيين؟ و لقد أخبرنى الحاج قاسم بك بأن باطن الطنف مقسم إلى شقات مبنية بالآجر الكبير الحجم، الخالى من الكتابات. و قد تأكد الحاج من ذلك عند تنقيبه فى سرداب بيت له فى القلعة. و قد يخمن ارتفاع الطنف بأربعين ذراعا كبيرا.

و هناك أسطورة محلية خاصة بأربيل هى أن (داريوس) هو الذى بنى أربيل، و هذا أمر غريب فى بابه إذ لا توجد فى أية قصة شرقية أو تاريخ شرقى أية صلة بين دارا و أربيل، و الشرقيون عموما يجهلون أمر معركة (أربيل) أو (كوكه مه لا).

و تكثر الأرانب و الغزلان فى سهل أربيل، مع أسراب لا حصر لها من القطا. و تصاد الصقور البالابانية فى هذا السهل أيضا، و تصدر إلى كردستان خاصة.

درجة الحرارة- ۷۰ درجة فى السادسة ق. ظ. و ۸۴ فى الثانية و النصف ب. ظ. و ۷۴ درجة فى العاشرة ب. ظ.، الريح جنوبية شرقية، و الجو مغيم.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۲۶

۲۹ تشرين الأول: كان الأمس يوما مزعجا، فقد كان المناخ يشبه مناخ كرارة فالأرياح تهب عاصفة من الشرق و الشرقى الجنوبى، و

الجو مملوء بالغبار الذى غطى كل شىء و ملأ أعيننا و خياشيمنا و أفواهنا. و سرنا اليوم فى الخامسة و النصف صباحا باتجاه شمالى شرقى، و بعد ساعة تقريبا مررنا بقرية (ره شكى) على الجانب الأيسر من طريقنا و هنا يتشعب طريق آخر إلى اليسار و يتصل بالطريق الرئيسى ثانية عند قرية (كرده شير).

و الظاهر أن الأرض مزروعة بكاملها زرعا جيدا، و هى أكثر تموجا من الأرض الواقعة فى جنوب (أربيل). و كان القرويون منهمكين بالحرث، و هو خدش بسيط لسطح الأرض ليس إلا. و قد شاهدنا ثورا صغيرا و حمارا يجران محراثا و قد ربطا إلى فدان واحد.

و الظاهر أن الجبال فى هذه المنطقة تنعطف نحو الشرق فتشكل قوسا، ثم تعود فتتجه نحو الغرب عند (الزاب). و لقد أصبح بإمكانى أن أميز الآن عدة سلاسل، الأولى هى الأرض المتكسرة، و لم تكن هذه إلا امتدادا لجبال (شوان) و الثانية التلال و هى مرتفعة قليلا يرتفع عليها تل أو تلان، و سلسلة أخرى صخرية أمام (زغروس) التى تشرف فوق الجميع، و تظهر أنها أكثر ارتفاعا و تكسرا فى قممها من أى مرتفع أو قسم منها شاهدناه حتى الآن. و تتبين خطوط التلال على ما أعتقد، أكثر تقاربا مما كانت عليه فى كردستان. و قد شاهدنا أمامنا جبل (مقلوب)، و إلى مسافة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۲۷

من يساره جبل (قه ره جووق) و هو جبل يقال إنه يمتد حتى (الجزيرة) و (ماردين). و إلى يمين (مقلوب) نرى سلسلتين عموديتين من التلال.

و هما تمران من (عقره) و تؤلفان مع (مقلوب) منطقة (ناوكور) و هى منطقة غنية جدّا فى إقليم (العمادية).

كانت الأرض تزداد تموجا كلما تقدمنا، إلا أنها لم تكن مضرسة تضرسا كبيرا و لم تكن فيها ظواهر خاصة. و بين الفينة و الأخرى كنا نشاهد ربوة أو ربوتين صغيرتين، كان الطريق يتعقب الطريق نفسها التى شاهدتها فى الجانب الآخر من أربيل. و فى الثامنة و النصف تقريبا اجتزنا موقع (كرده شير)، و هو حصن صغير يعلو ربوة و قرية صغيرة فى سفح الربوة، و يقال إن هذا منتصف الطريق إلى الزاب. و بعد مدة و جيزة اجتزنا قرية (كرده شير) الصغيرة، و هى عن يميننا. لقد أخذ مستوى الأرض الآن بالانخفاض و كان الزاب إلى يميننا و على ضفته قرية (بشير) و فى الحادية عشرة وصلنا إلى قرية (كلك) على ضفاف الزاب الحصوية و كانت ضفة النهر المقابلة لهذا المكان ترتد ثم تبرز فى أسفل المجرى على حين ترتد الضفة التى نحن عليها، و يتكون من ذلك سهل تتراوح سعته بين الميل و نصف الميل حيث يتشعب الزاب فى هذا السهل إلى فرعين أو ثلاثة فروع. انحدرنا إلى هذا السهل، فاجتزنا فرعين من الزاب لا يتجاوز عمق

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۲۸

الماء فيهما بضع عقد على أكثر تقدير. و فى الحادية عشرة و النصف وصلنا الفرع الرئيسى منه عند الضفة اليمنى و هى جرف حصوى. فعبرناه برمث.

أما جيادنا و خدمنا فعبروه من مخاضة فى أسفل المجرى، حيث لا يكاد عمق الماء يزيد على الأربعة أقدام و حيث ينبسط المجرى إلى مسافة عريضة، و كان عرض النهر فى المكان الذى عبرناه منه لا يتجاوز الأربعمائة قدم فى أضيق نقطة منه، و لكنه فى عمق يتراوح بين القامتين و الثلاث قامات و نصف القامة. و كان التيار يجرى بسرعة عقدتين أو ثلاث عقد و كان الماء شفافا و لونه بزرقة السماء، و يفيض النهر غالبا فى موسم الربيع فيطغى على السهل بكامله. و تقع قرية (اسكى كلك) اليزيدية على الجرف عند المعبر، حيث قضينا ليلتنا، و حيث شاهدنا الكثير من معارفنا اليزيديين الذين كانوا فى حراستنا فى سفرتنا السابقة.

كان سيرنا بطيئا فى الساعة الأولى من هذا اليوم ثم أصبح جيدا طيلة ساعات النهار الباقية، و تقدر المرحلة الواحدة للقافلة بسبع ساعات، إلا أننا قطعناها بخمس ساعات و خمس و خمسين دقيقة.

و توجد مخاضات عديدة فى النهر بين القرية و مصب الزاب بالقرب من (كشاف) عند دجلة، التى تبعد مسيرة خمس ساعات و

يتلاشى (الخازر) أو (بومادوس-Bumadus) بالزاب على مسافة ثلاث ساعات من

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۲۹

اللوح الرقم (۶) زوجان يزيديان من (سنجار)

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۳۰

أسفل هذا المكان. و (الخازر) ينبع من صخرة على بعد خمس ساعات وراء (عقره). و النهران (الزاب) و (الخازر) كثيرا التمعج، و تقع قرية (أورده ك) فى أسفل ملتقاهما مباشرة على الضفة الغربية من الزاب.

و إننى اقتنعت القناعة التامة بعدم وجود أى واد، أو مجرى، أو عين ماء عند الزاب بعد ملتقاه بالخازر.

درجة الحرارة- ۶۸ د، فى السادسة ق. ظ، و ۸۸ د فى الثانية و النصف ب. ظ. و ۶۸ د فى العاشرة ب. ظ.

۳۰ تشرين الأول: سرنا فى السادسة و الخامسة و العشرين و كان مستوى الأرض بوجه عام يرتفع عن النهر بمقدار قدمين. فكان الارتفاع الأول من مستوى الماء إلى القرية عند الجرف الحصوى، ثم يعقب هذا الارتفاع سهل منبسط يتلوه الارتفاع الثانى و هو بمستوى الجروف تقريبا، و هو على نحو خمسة عشر قدما و كأنه كان ضفة النهر فى الأيام السالفة. سرنا من القرية إلى المرتفع الثانى، و بعد أن انحدرنا إلى السهل اتجهنا فى الساعة السابعة غربا، و سطح الأرض بين نهرى الزاب و (بومادوس- الخازر) متموج لكنه لم يكن وعرا أو متكسرا. و كان القرويون يحرثون الأرض فى أماكن عديدة. و فى التاسعة و الخمسين وصلنا إلى نهر (بومادوس) أو (نهر الخازر) الذى يشبه الزاب تماما، فإن جروفه كجروف الزاب حصوية عالية ترتد هنا و هناك، فتكوّن سهلا بينها و بين مجرى النهر ذاته. إننا لا نزال نسير فى السهل باتجاه غربى،- و كانت قرية (منكوبه) تعلونا و هى على ضفة النهر- و النهر على يميننا و قد خضناه فى الساعة الثامنة و الدقيقة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۳۱

العاشرة. و كان ماء المخاضة على عمق واحد من أوله إلى آخره و هو يتراوح بين القدمين و نصف القدم و الثلاثة أقدام، حيث كان يصل تقريبا إلى ركابى جوادى، أما عرضه فكان نحو الثلاثمائة قدم. و كان النهر الآن فى موسم انخفاضه و هو أسرع من الزاب فى جريانه. و فى الربيع يفيض فيضانا يغمر السهل حتى جروف ضفتيه فيصبح خوضه مستحيلا لكنه لا يبقى على ذلك المستوى المرتفع أكثر من يومين و يقال إنه يتبع من محل على مسافة قريبة من (عقره) و لم يكن ساحله الغربى الذى وصلناه بعد أن خضنا النهر، مرتفعا كساحله الشرقى، و الأرض تهبط بعد الساحل الغربى هبوطا تدريجيّا- إذا صح التعبير- فتنقلب إلى سهل واسع مستو على امتداد البصر، و أغلب أنحائه مزروعة. و تقع قرية (سارا خاتون) على بعد قليل من أسفل المخاض و من النهر سرنا باتجاه شمالى غربى، و فى الثامنة و النصف (۶۸ د. إلى الشمال الغربى) أصبح اتجاه (قه ره جووق) باتجاه واحد مع (مقلوب) الذى اختفى وراءه. و قبل أن يغيب عنا (مقلوب) شاهدنا على جانبه الشاقولى، و فى وسطه تقريبا، دير (مار متى) أو (القديس متى) و هو دير له قدسيته العظمى بين نصارى هذه الأنحاء.

و شاهدنا أيضا على قمة (قه ره جووق) بقايا كنيسة و كان تقدمنا من (بومادوس) أسرع من ذى قبل.

استقبلنى الحاج جرجيس آغا و هو صديق قديم لى، و موظف التشريفات المعين لمرافقتى، وراء مخاض (بومادوس)، و كان معه جماعة من القاووقليين و قد أوفده باشا الموصل ليرافقنى و يرحب

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۳۲

بقدومى إلى منطقته، فسرنا سوية إلى قرية (كرمليس) و هى قرية كلدانية حقيرة، و قد دخلناها فى العاشرة إلا ثلثا بعد أن سرنا سيرا حثيثا طيلة اليوم. و تقدر مسيرة القافلة بساعتين و نصف الساعة إلى (بومادوس) و مثلها من (بومادوس) إلى (كرمليس). و كانت (كرمليس) فيما مضى مدينة مهمة و قد خربها (نادر شاه) و هى الآن قرية حقيرة، قذرة جدّا شأن غيرها من قرى النصارى فى الشرق، و

فی القریـة کنیسـة واسـعة و قدیمـة جـدّا یظهر من التاریـخ المکتوب علیهـا أنهـا رممت قبـل مائـة و ثلاثین عاما، و هی الیوم آیلـة إلی الانهـدام. و هناک کنیسـة أصـغر منها، شـیدت فی زمن غیر بعیـد، و هی بنایة حقیرة المنظر. و یوجد وراء القریة علی بعد نصف المیل من خیمتنا (۸۰ د. إلی الشـمال غربا) طنف اصطناعی قدیم. و قد تسلقته لتثبیت اتجاهات بعض المناظر المحلیة بالبوصلة، و قد نجحت فی ذلـک بعض النجـاح، إذ کانت الشـمس مائلـة نحو الغروب، و کان هبوب الریـح یجعل الأشـباح البعیـدة غیر واضـحة کما أن إبرة البوصلة لم تستقر علی حال. و کانت القری تظهر لنا فی کل ناحیة من نواحی السهل، و کل شیء منبسط أمامنا انبساط سطح البحر.

و یعتقـد المیجر (ره نه ل) بـأن (کرملیس) هی (کوکه مه لاـ) و لکن یظهر مما کتبه (اریه ن-Arrian) و (کوینتوس کورتیوس) بأن (کوکه مالاـ) کـانت واقعـة علی ضـفة (بومـادوس) و علی هـذا لاـ یمکن القول بأی وجه بأن (کرملیس) کانت علی ذلک النهر. و فی الحقیقة أنه یصعب علینا أن نبت فی أی من القری العدیدة القائمة فی هذا السهل، و علی طول مجری (بومادوس) کانت (کوکه مالا). و إننا نعلم جیدا بأن (کوکه مالا) کانت،

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۳۳

حتی فی عهد الإسکندر قریة لا شأن لها، الأمر الذی جعل الإغریق یطلقون علی الموقعة الحاسمة اسم (أربیللا) لأنها کانت أقرب موقع مهم من ساحـة المعرکـة. و قد ذکرت (کوکه مالا) دون غیرها بغیة تعیین موقع المعرکة، أما الیوم فلیس لنا إذا أردنا أن نعثر علی موقع (کوکه مه لا) إلا أن نسـتمد ذلک من معلوماتنا عن السهل، لکن هذا أمر لا طائل منه إن لم نقل إنه مستحیل. و إننی لا أجد أی سبب یجعلنی أن أختـار (کرملیس) دون غیرهـا من القری التی تحیـط بهـا باعتبـار أنهـا (کوکه مالاـ)، و قـد یکون الجهـل بموقع المکـان و الاشتقاق الغریب لاسمه هما الداعیان لاختیارها.

و تقع (کرملیس) فی وسط السهل تقریبا و لیس فی موقعها أمر یسترعی الأنظار.

درجة الحرارة- ۵۸ درجة فی السادسة قبل الظهر، و ۸۰ درجة فی الثانیة بعد الظهر و ۶۴ درجة فی العاشرة بعد الظهر.

۳۱ تشرین الأول: امتطینا الجیاد فی السادسة و الربع، و الطریق من هنا إلی الموصل باتجاه ۷۵ د. شمالی غربی. سرنا فی السهل المنبسط حتی الثامنـة ثم أصـبح وجه الأرض حصویّا غیر منبسط. أما السـهل فلا یزال ممتدا علی بعد عن یمیننا. و فی الثامنة و النصف جئنا إلی أرض أکثر ارتفاعا، و قد اختفی السـهل عن أعیننا فی کل الأنحاء. و لم تمض برهة إلا و انحدرنا إلی مجری نهر اسـمه (شورده ره) أو الوادی المالح و کان یابسا، أما فی الشتاء و الربیع فلا یمکن عبوره أحیانا لمدة یومین أو ثلاثة أیام من جراء المیاه و الأوحال.

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۳۴

و مررنا هنا بقافلة جمال محملة عفصا و نحاسا فی طریقها إلی بغداد.

و فی التاسـعة و الدقیقة الخمسـین وصـلنا إلی سد کبیر، ثم إلی منخفض یشبه الحفرة ثم إلی سد آخر، و الأتراک الموصلیون یعتبرون هـذه أول (نینـوی) أو مطلعهـا، و بعـد مـدة وجیزة وصـلنا إلی حفرة أخری و جـدار، و یظهر أن ذلـک ممـا یـدل علی أنه کـان لنینوی سوران. و فی الأسـفل أو عنـد هـذا الجـدار الثانی توجد عین ماء أو بئر یعلوها قوس من بنایة قدیمة، مؤلف من أحجار کبیرة و یسـمی هـذا البئر ب (داملامـاجه) و یعتقـد الأهلون بأن فی میاهه شـفاء للکثیر من الأمراض لیس لخصائصـها الطیبـة بل لبعض الأمور الخرافیة المنسوبـة إلی البئر و کلهم یعتقـدون بأنها مسـکونة من الجان، و لا یجرؤ أحد علی التقرب منها بعد حلول الظلام و قد أخبرنی حسـین آغـا أنه مر فی ظلام لیلـة من اللیـالی بالبئر فسـمع دقات طبول و ضـجیجا صاخبا من داخلها فحث جواده هربا ذلک لأن الرجل الـذی یجرؤ و لو بغیر قصـد علی الوقوف لمشاهـدة الجان فإنه إما أن یموت لساعته و إما أن یفقـد صوابه. و لقـد ذقت الماء فوجدته عذبا، و کان صافیا و نقیّا.

مکثت عنـد البئر عشـر دقـائق، و اسـتأنفت المسـیر مارا بمنطقـة نینوی، بمحاذاة قریـة (نبی یونس) و هی عن یسارنا. لقـد أمست أسوار نینوی الشـرقیة رکاما حصویة، و کأنها طبیعیة. و وصـلنا إلی ضـفة دجلة فی الدقیقة الخامسة و العشـرین بعد العاشـرة. فعبرناه بمعبر إلی

مسكننا الذى اتخذناه طيلة مكوثنا فى الموصل، و هو جنينة نعمان باشا الواقعة إلى جنوب المدينة، و التى هيأها لنا صديقى اللطيف الباشا، و ذلك لأن الإقامة فيها قد تكون أفضل من الإقامة داخل المدينة.

و تقدر المرحلة من كرمليس إلى الموصل بأربع ساعات. أما نحن فقد سلخناها بأربع ساعات و ربع الساعة. و قد كانت مسيرتنا جيدة إن لم تكن ممتازة.

درجة الحرارة- فى السادسة صباحا ۵۸ و فى الثانية بعد الظهر ۷۸.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۳۵

الملاحق

اشارة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۳۷

الملحق الأول شذرات من مذكرات السيدة ريج فى رحلتها من بغداد إلى السليمانية

ملحوظة: لقد طوى المترجم من مذكرات السيدة (ريج) كل ما جاء فى يوميات بعلها- إلا ما ندر- من وصف الرحلة و الأرض و الطرق، و اعتنى بوجه خاص أن يثبت ما دونته فى يومياتها عن النسوة، و الحياة النسوية.

*** ۱۶ نيسان ۱۸۲۰: و أخيرا، بعد أن أخرتنى زائرات عديدات حتى الساعة الثانية عشرة، و دعت دار المقيمية و ذهبت لأداء بعض الزيارات مودعة. ذهبت أولا إلى صديقتى الكردية (صالحة خانم) زوجة سليمان باشا، فلم أجدها تغبطنى مطلقا على رحلتى هذه إلى جبال موطنها. إنها وصفت لى انسحابا أو تقهقرا يضاهى تقهقر العشرة آلاف، كانت فيه بصحبة زوجها و هو يتراجع من (كوى سنجاق) إلى (كرمنشاه) فوق جبال (ره وه ند-Revend) فى منطقة عشيرة (بلباس) الكردية، و هى من أوحش العشائر المستقلة، و كان قد حرضهم باشا بغداد على مهاجمة زوجها و قتله. و قد استمروا فى قتال دائم حوالى أربعين يوما.

و ها أنا أنقل كلماتها كما هى، قالت: «كثيرا ما كان الرصاص

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۳۸

يتطاير من حولى من كل ناحية، و أنا ممتطية جوادى، و حينما وليت وجهى لم أكن أرى إلا القتلى أو الجرحى مجندلين على الأرض حولى» إنهم نجوا و شعروا بسرور السلامة بشجاعة أتباعهم و مساندة بعض الأصدقاء الأوفياء لهم مساندة جاءت فى حينها. كانت الخانم جميلة حسناء، مكتملة الأنوثة، نحيفة القد رشيقة الأمر الذى لا يتفق و المخاطرة الفريدة التى انغمرت فيها، فقد كانت تقص علىّ قصتها بهدوء و تؤدة و تواضع.

ودعتها ميممة شطر حرم الكهيا لتوديع صديقتى الحميمة الوفية (حنيفة خاتون)، و من الغريب أننى وجدتها غاضبة كل الغضب لذهابنا إلى بلاد وحشية جدّا مثل كردستان تاركين راحة بغداد و مباهجها. فارقتها عند الغروب و أنا حزينة، و ذهبت إلى بستان صالح بك و هى تبعد عن المدينة مسيرة خمس دقائق؛ للمبيت عند والدته و غيرها من السيدات التركيات الصديقات اللاتى اجتمعن هناك لتوديعى.

كان زوجى قد ذهب إلى بستان الحاج عبد اللّه بك التى تبعد عن بغداد مسافة ثلاثة أميال، و قد دعى لقضاء ليلته هناك. و من هذا المكان بدأت سياحتنا. لقد كانت الليلة ممطرة عاصفة. و قد استغربنا جميعا لرؤيتنا زوجة الحاج عبد اللّه بك تدخل علينا فى الساعة العاشرة تقريبا؛ إنها امتطت جوادها، و قطعت فى هذا الجو الردىء و فى الظلام ثلاثة أميال بغية قضاء ليلتها الأخيرة بصحبتى.

۱۷ نیسان ۱۸۲۰: بعد نوم ساعتین نهضت مع الفجر فودعت صدیقاتی الکریمات، و قد أخذ الحزن منا جمیعا کل مأخذه. و أصرت ضابط خاتون زوجة الحاج عبد اللّه بک علی مرافقتی حتی دار الحدیقة فأرکبتها و بنت أختها الجمیلة الصغیرة فاطمة خانم تخت روانی، کما أرکبت خادمی (تقی)

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۳۹

علی حمار و رکبت أنا و أم میناس التی رافقتنی فی سفرتی هذه المحفات (الکجوات) و اتجهنا إلی حدیقة البک، و خدمی یحیطون بنا علی ظهور جیادهم. هذا و لم یسمح لنا صدیقنا بأن نمر بداره دون أن ننزل عنده و نتناول بعض المرطبات.

و لما کان زوجی علی و شک الشروع بالمسیر عند وصولنا، و کانت الآداب الشرقیة تعیب المرء إذا اعتنی بزوجته أکثر من اعتنائه بأمتعة سفره، أو إذا سمح لها بأن تصحبه فی موکبه أو قافلته قبلت الدعوة و انتهزت الفرصة لتناول فطور جید قبل الرحیل، و قد قطع زوجی و صحبه فی الوقت نفسه مسافة لا یستهان بها من الطریق.

رحلت عند الساعة العاشرة، و صدیقاتی الکریمات و حاشیاتهن یبتهلن متمنیات لنا أطیب الأمانی. رکبت التخت روان؛ و فی وصف التخت روان أقول إنه محفة مثبتة علی عمودین متوازیین فی المقدمة و عمودین متوازیین آخرین فی المؤخرة تحمل علی ظهور البغال و یعلوها غطاء من قماش أحمر مزوق من الزوایا الأربع بالأکر المذهبة، أما خادماتی فقد رکبن (الکجوات) و هذه أشبه بأقفاص یحمل اثنان منها علی البغل الواحد و علی کل من جانبیه لتعادل الحمل، و لسمنة أم میناس و نحافة (تقی) المسکین فقد کان من الأمور الصعبة المضحکة أن یوضع فی کجاوة (تقی) کمیة من الأحجار لتعادل ثقل الجانب الآخر. و مهما کان الأمر فالسفر فی الکجوات لم یکن مریحا، إذ علی الراکب أن یجلس فیها القرفصاء.

و کان یرافق رکابی ستة فرسان، ما عدا الخدم و المکاریین.

و عند الخامسة وصلنا مخیمنا بالقرب من قریة (دوخله) ...

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۴۰

۲۱ نیسان: ... بدأت السماء تمطر عند شروعنا بالمسیر، و بعد مدة وجیزة هبت ریح جنوبیة شرقیة شدیدة فکف المطر و صحت السماء صحوا جمیلا- و کانت أم میناس منزعجة انزعاجا شدید طیلة الطریق، و بالرغم من شعوری بالإشفاق علیها، لم أتمالک نفسی من الضحک إذ کان فی سیمائها و فی ملامح وجهها التی کانت تنم عن الیأس و القنوط ما یثیر الضحک، و کذلک فی وضع دابتها المسکینة التی تطوی بها الأوحال و هی علی ظهرها غیر مطمئنة لراحتها. وصلنا (جوبوق) فی العاشرة.

... بقیت و الحق یقال أرتجف حتی انبلاج الصبح، إذ لم أکن أعلم ماذا یخبئ لنا الدهر فی کل لحظة، و أقل الاحتمالات شرا هو أن نبتل، أو أن تتقوض الخیمة علینا. لقد کانت لیلة من لیالی (بایرون).

۲۳ نیسان: ... و فی العاشرة وصلنا (ده لی عباس) علی قناة (الخالص) و ما هی إلا بقایا قریة. و کنا نشاهد القری فی جمیع الأنحاء المحیطة بنا إلا أنه لم تقع إحداهن علی طریقنا مباشرة. أخبرنا بعض القرویین من قریة (آدانه کوی) المجاورة، أن الأمطار استمرت عندهم لمدة ثمانیة أیام متوالیة، و أن الأرض بکاملها قد غمرتها المیاه. و قد قلقوا کثیرا فی لیلة الخمیس لمرور ثلاث أکر نازیة، أو صواعق فوقهم، و کانت آتیة من الغرب و متجهة نحو جبال حمرین ...

۲۴ نیسان: ... بلغنا نهایة تلال ینعتها الأهلون بجبال (حمرین) و ذلک بعد السابعة بقلیل، و فی هذه الساعة ألمت بأم میناس آلام شدیدة حتی باتت تعتقد فی الحقیقة أن ساعتها قد اقتربت. لا یستطیع مجازف، یتسلق جبال

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۴۱

(تشیم بورازو-Chim -Borazo) أو (الجبل الأبیض-Mont Blanc) أو (هه مه لایا)، أن یقدر جرأته و شجاعته مثلما شعرت أم میناس عندما رأت نفسها آمنة مطمئنة فوق هذه الروابی الصخریة. امتطیت جوادی تخفیفا عن إتعاب بغال التخت روان، و لتغییر وسیلة

السفر، أما حاشيتى فقد تبعتنى على مسافة قصيرة لكى استطيع الركوب سافرة عن وجهى. و ما كان بحراستى أحد إلا ميناس. و هكذا بدأت بالانحدار من التلال ...

... و المنظر من أعالى قمة الجبل، و إن لم يضاه المنظر من أعالى (زورا) فإنه يبعث الرضى فى نفس من يحب المناظر التى تقترب فى جمالها من حد الإبداع؛ فى نفس من قد حرم من مثل تلك المشاهدة مدة طويلة. فالمروج الخضراء و القرى البعيدة و نهر ديالى الفياض المتمعج فى السهل و حتى الجبال النائية كلها كانت بديعة سارة على الرغم من تواضع هذه المناظر التى أثرت فى نفسى التأثير الكلى. و بعد انحدارى من التلال و أنا على صهوة جوادى، و بعد التمتع بقليل من الراحة، دخلت محملى ثانية قبل العاشرة.

... و (قه ره ته به) قرية تركمانية، فيها تكية للدراويش القادريين، و قد تكون قديمة جدّا؛ دفن فيها أحد سلاطين بخارى المشهورين، و كان قد انزوى فى هذه القرية فى عهد الخلفاء العباسيين ...

و فى الجهة المقابلة من القرية، يقوم طنف آخر اتضح أنه أنقاض حصن قديم. و سكان هذه المناطق مبتلون بأمراض العين كسكان بغداد، و كانت النسوة يترددن بإلحاح على خادماتى و يضايقنهن بطلب السكر الإفرنجى، أى السكر الأوروبى و هو دواء مهم لأمراض العين فى جميع أنحاء الشرق.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۴۲

بلغت درجة الحرارة فى التخترون فى الساعة الثانية بعد الظهر ۹۰ د.

۲۵ نيسان: نهضنا على عادتنا بعد الرابعة بقليل. و كان صباحا رائقا جميلا، و النسيم شماليّا غربيّا عليلا، و كنت جالسة على بساطى تحت شجرة بانتظار دعوتى لركوب التخترون، و بعد أن رحل الرجال وجدت كثيرا من النسوة و قد اجتمعن حولى، و كانت إحدى النساء المسكينات فى حالة بؤس و شقاء شديدين لما أصاب عائلتها من القسوة المخيفة التى تعرضت إليها. لقد تزوجت ابنتها قبل مدة من ابن عمها الذى طلقها أخيرا برضاء الطرفين- و الطلاق أمر شائع بين الطبقة العامة من المسلمين- و تزوج بعد مدة من امرأة أخرى، فاقتدت المطلقة به و تزوجت من رجل آخر. و من المؤلم أن نذكر بأن زوجها السابق قد قتلها إثر زواجها دون أن يكون لذلك سبب، فأرادت الأم الشقية الذهاب إلى بغداد لترتمى عند أقدام الباشا شاكية، لكنها لم تجرؤ إذ إن الجانى هددها بتعقّبها و قتلها إذا سارت خطوة واحدة فى تحقيق هذا الغرض. فهى أرملة و لها ولد وحيد لا يزال صبيّا و هو يسعى لتسليتها و يعدها بأنه سينتقم لأخته عندما يبلغ أشده ...

و كاد يسقط التخترون من الضفة فى الأوحال، فارتجفت بل أصابتنى رعدة إلا أننى لم أنزعج، و سمعت صرخة من آمنة خاتون (أم ميناس) تعبّر عن خوفها من أن ترانى و قد تحطمت على الأرض أوصالا.

و لكن قوة المكارين و نشاطهم أنقذانى من التعرض للخطر.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۴۳

و فى الثانية عشرة وصلنا (كفرى) فوجدنا مساكن مريحة قد خصصت لنا فى دار مزارع تركى كريم، كان من الأثرياء سابقا، أما الآن فقد أنزلته مشاركة الحكومة التركية لثروته إلى الدرك الأسفل من الفقر.

و قبيل رحيلنا من بغداد كان قد أخرجه المستر (ريج) من الحبس، و أقنع الباشا بأن يعفيه من دين عليه للحكومة مقداره ألف قرش.

قبل مدة تزيد على الخمسة عشر عاما، كانت قرية (قه ره ته به) تشمل على سبعمائة دار أما الآن فليس فيها إلا خمسة و خمسون دارا.

فلقد اضطر أكثر الأهلون إلى الهجرة إلى بغداد تخلصا من مضايقة حكامهم لهم. و هذا ينطبق على جميع القرى فى هذه الباشوية، و غيرها من باشويات الإمبراطورية التركية.

۲۶ نيسان: يوم استراحة للحاشية و البغال. امتطينا صهوات جيادنا بعد تناولنا الفطور لمشاهدة بعض الخرائب التى اكتشفها المستر (ريج) يوم أمس خلال تنزهه عصرا، و كانت تبعد عن القرية بمسافة عشر دقائق و هى فى مجرى السيل.

وجدنا الشمسية و قد نصبت لنا، و بساطنا و قد فرش، و محمود جاد فى الحفر، فأرسلنا المستر (به ل لى نو) ليرى بعض الخرائب الأخرى التى لا تبعد كثيرا، و ليخبرنا فيما إذا كانت تستحق عناء الذهاب إليها لمشاهدتها. و بعد مدة قصيرة كشفنا عن غرفة صغيرة مبنية جدرانها بناء خشنا بالأحجار السائبة المرصوفة بعضها فوق بعض و قد جصصت جدرانها و نقشت بنقوش متقاطعة، كان بعضها بديعا حقّا. و يبدو أن أرض الغرفة كانت مفروشة بالجص البسيط و كذلك السقف الذى صبغ بلون قرمزى غامق و نقش بالأزهار أو بالريازة العربية. و كانت الخطوط الأساسية لهذه النقوش باللون الأسود، محاطة بلون أحمر لامع الأمر

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۴۴

الذى حيرنا، إذ لم نذكر بأننا سمعنا ببناء إيرانى قديم بزخارف إغريقية.

و لجنا مدخل هذه الغرفة و كان سليما، و كشفنا عن قسم من غرفة أخرى كانت أقل جودة من الأولى. و يبدو أن الغرفتين تؤلفان قسما من عدد غرف صغيرة جدّا يصح التعبير عنها بالسراديب أو الأقبية و هى تمتد نحو الغرب الجنوبى الغربى و إلى الشرق الشمالى الشرقى، و شاهدنا آثار خمس أو ست منها. و اتضح لنا أن الجانب الشمالى منها قد دعم أو أسند إلى دعائم صغيرة مستديرة. و قد كشفنا النقاب فى الغرفة الأولى، و هى أكثر الغرف غرابة، عن قطع من مادة سوداء تشبه فحم الخشب. و عبثا حاولنا أن نعثر على كتابة أو قطع من المسكوكات ...

۲۷ نيسان: أنا اليوم منحرفة الصحة انحرافا أستطيع معه أن أستأنف السفر أو أصحب الرجال، فى جولة بقصد البحث فى الخرائب فى مكان اسمه (اسكى كفرى)، على مسيرة ساعتين حيث أسعدهم الحظ باكتشاف أنقاض أغلى فائدة و أوسع ساحة من أنقاض أو خرائب أمس، و إن كانت تختلف عنها من حيث الطراز و النوع. فأينما حفروا عثروا على عظام و أنقاض. فأية كثافة من النفوس كانت فى هذه البلاد المقفرة من سكانها الآن؟

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۴۵

لقد جاءنا الأهلون اليوم ببعض المسكوكات الأرساسية و الساسانية و الكوفية و ختم رومانى و آخر ساسانى و كانت الكتابة على الأخير واضحة كل الوضوح. و هذا مما قد يكشف عن غموض هذه الخرائب و يلقى ضوءا عليها.

كا اليوم قائضا مزعجا، إذ كانت الرياح جنوبية شرقية. و من المتوقع وصول والدة محمود، باشا السليمانية غدا إلى هنا، فى طريقها إلى بغداد، و يقال إنها ذاهبة إليها لمفاوضة داود باشا فى أمر السلم بين الفريقين. لقد صحبها ابنها الأصغر عثمان بك، حتى الحدود التركية إنهم سلكوا طريق (سه كيرمه) أو الطريق المستقيم مخترقين الجبال، و مارين بإبراهيم خانجى. و قد علمنا أنهم استخدموا ما ينوف على الألف قروى لتمهيد السبيل أمامهم، إذ لو لا ذلك لما أمكن طرقه و هذا ما لا يدعو إلى ندمنا على القرار الذى اتخذناه للسير بطريق أسهل ندخل به كردستان، و إن كان أطول مدى.

۲۸ نيسان: رحلنا من كفرى فى السادسة، و أطفال القرية يتبعوننا و يغمروننا بالأزهار ...

و كان الرجال و النساء جادين فى المزارع إلا- أن الفتور كان ظاهرا فى عملهم، فقد كانوا يحصدون الزرع بمناجل صغيرة بالية كالمدى التى يستعملها البستانيون فى إنكلترا فى تشذيب حدائقهم ...

و فى الثانية بعد الظهر وصلنا السيل الذى يمر من جوار (طوز خور ماتو) و اسمه (آق صو) و هو ينحدر من الجبال الكردية عند

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۴۶

(إبراهيم خانجى). و بعد أن استدرنا فى طرق ضيقة جميلة تكتنف الجنائن جانبيها و تتدلى خلالها أشجار الزيتون و الإجاص و البرتقال فوق رؤوسنا مثقلة بثمارها و أزهارها، و يعلوها الآلاف من اليمام و هى تردد الأغاريد الخلابة، وصلنا دار (عمر بك) الجميلة الجديدة فى الثانية و النصف و قد أخذ السرور منا مأخذه، إذ قد أخذ التعب منى نصيبا كبيرا؛ و قد فرحت كثيرا بما هيأه لى (كلود) بنفسه من فراش و ثير و فاكهة طيبة ...

۲۹ نيسان: على أثر اعتزامنا البقاء هنا لمدة يوم أو يومين لإراحة الدواب، ذهب الرجال لزيارة بعض المنابع النفطية الكائنة فى الفتحة التى فتحها السيل بين التلال الواقعة إلى الجنوب الشرقى من القرية ...

لقد علمنا بقرب وصول عدد من السعاة (التاتار) من استانبول، و كلنا رجاء أن يصلوا قبل أن نبتعد عن طريق بغداد.

و قد بلغنا من أخبار بغداد، أنّ من المتوقع أن يقبل كل من العاصيين الفارين جاسم بك، و صادق بك العفو الذى صدر عنهما فيرجعا. أما الأخير فقد ألح فى أن يكون المستر (ريج) كفيله، فهو لا يعتمد على غيره و يقول إنه يعود إلى ولائه على الفور دون شك أو خوف، إذا أعطاه ال (باليوز) بك، المستر (ريج)، وعدا بكفالته. لقد كان هذا أمرا خارجا عن نطاق الإمكان، إذ إن الحكومة ستطلب و لا شك من المستر (ريج) أن يكون مسؤولا عن حسن سلوك هذا الرجل الشاب الذى و إن كان مستعدا لربط نفسه بأى يمين يطلبه منه المستر (ريج)، و ذلك لأن الفتى المسكين لا يركن على وعد أبناء بلاده، كما أن المستر (ريج) لا يعتمد عليه مهما كانت الأيمان التى قسمها مغلظة. لقد مرت بنا تجارب محزنة فى هذا الباب، و هى قضية الأخ الأكبر لهذا الشاب، و هو المرحوم سعيد باشا الذى اضطر المستر (ريج) أن يتعهد بكفالته لصيانة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۴۷

حياته، و قد حلف بالقرآن بحضور الباشا و رئيس الوزراء و المستر ريج و غيرهم بأنه لا يتشبث بالهروب من بغداد و لكنه هرب فعلا بعد مدة قصيرة، و اتخذ الشقاوة مهنة و أصبح باشا و قتل نفس الرجل الذى حفظ له حياته و ماله بتوسط من المستر (ريج) ...

۳۰ نيسان: كلود منحرف المزاج كثيرا بتأثير حمى صفراوية شديدة اضطرته إلى الركون إلى الهدوء.

كان صباحا رائقا صحوا، و النسيم شماليّا غربيّا عليلا، و لكن الغيوم تلبدت بعد الظهر، و أمطرت السماء قليلا أعقبها رعد يسمع من بعيد، و يظهر أن الجو فى بغداد لم يستقر بل هو عاصف أيضا مثل جونا. لقد أمطرت السماء بلا انقطاع نهارا و ليلة فجعلت المرور فى الأزقة مستحيلا.

بقى (كلود) مريضا طيلة اليوم، و قد زادت و طأته عند المساء فرجوته أن يتخلى عن فكرة السفر غدا.

۱ أيار: قضى المستر ريج ليلة هادئة، و لما كان اليوم جميلا جدّا فقد رغب كل الرغبة فى عبور سيل (طاووق) قبل هطول أمطار أخرى تجعل عبوره مستحيلا، و لذا رأى أفضلية الرحيل من (طوز خور ماتو).

و جريا على العادة، لم أتحرك أنا و حاشيتى إلا بعد رحيل الرجال بنصف ساعة، و قد تحركوا فى السادسة. و كان النهار بديعا أنعش زوجى العزيز.

و على الرغم من لطافة قرية (طوز خور ماتو) فقد كنت مرتابة فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۴۸

كونها صحية لكثرة مشاتل الشلب فيها. و (كلود) لم يمرض هذا المرض الشديد، إلا بعد وصولنا هذا المكان. لقد شعرت أنا أيضا بالانحراف و شكت حاشيتنا ذلك.

و بعد أن ودعنا (طوز خور ماتو) الخادعة اجتزنا جماعة تدعى بالتركية (ده لى دومه ن) و هى جماعة متشردة، مهرجة تحترف الغناء، و كانت جماعة مضحكة جدّا، و بظهورهم تعالى الفرح و الطرب فى نفوس أتباعنا. لقد كانت الجماعة مؤلفة من سبعة أو ثمانية أشخاص ممتطين الحمير الصغيرة الهزيلة، و عليهم الأسمال البالية و هم نحاف هزيلون أيضا. و كان أحدهم، و يظهر أنه المهرج الأول بينهم، واضعا فوق قاووقا قديما قطن بطانته بارز من خروقه. لقد كان يمتطى حمارا قزما حتى ظهر كأنه يمشى على الأرض من فوقه إذ إن قدميه لم تكونا تعلوان عن الأرض إلا عقدتين تقريبا. لكز كل من على آغا، و رئيس الخدم جواديهما و أغارا عليه ليلعبا معه الجريد، و طاردا حماره و هو عليه و أوقعا قاووقه على الأرض و صارا يداعبانه قفزا و نطّا، لتسلية الناظرين ...

و كنا كلما تقدمنا فى طريقنا نلاحظ قلة الأراضى المزروعة و كثرة المراعى الغنية، و وجدنا جماعات من المسافرين رجالا و نساء و

أطفالا أكثر مما شاهدناه منذ رحيلنا من بغداد.

و أخيرا عند منتصف النهار وصلنا (طاووق جاى) أو سيل طاووق العظيم الذى زاد فى مخاوف أم ميناس و كربها، و هى لم تذق الطعام و لم

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۴۹

تنم ليلة أمس لمخاوفها منه. و هذا النهر ينبع من جبال كردستان القائمة على مسافة قليلة من يمين طريقنا، و تستغل مياهه فى الصيف فى الإرواء و لا يزيد فى الخريف عمق مياهه على القدم و نصف القدم، و إننا نستند بقولنا هذا على خبرتنا السابقة إذ عبرناه فى شهر تشرين الأول من سنة ۱۸۱۳ فى طريقنا إلى استانبول. أما وقت فيضانه و خطورته فهو الشتاء و الربيع حيث تهطل الأمطار الغزيرة على الجبال فجأة فيصبح متفرعا، تملأ المياه مجراه كله و هو نصف الميل عرضا فيجرى جريانا سريعا مخيفا جارفا معه الصخور العظيمة. و قد يباغت سيله و فيضانه المسافرين و هم وسط مجراه، و من هنا نشأت مخاوف آمنة خاتون ..

و قد ذكره بطليموس باسم (كوركووس-Gorgus) وزه نيفون باسم (فيسكووس-Phiscus) و دانفيل باسم (اودورنه-Odorneh).

و فى الثانية وصلنا (طاووق) و لجأنا إلى مكان مريح، و لقد استغربت للأمر. فإن منظر القرية منظر قذر و هى تقع فى سهل خصب، غزير المياه. و من بقايا الخرائب الكثيرة التى تحيط بالقرية من كل ناحية يبدو لنا أنها كانت فيما مضى مدينة واسعة الأرجاء. و كل ما بقى منها هو من عهد الخلفاء الذين يبدو و الحق يقال، إنهم كانوا حكاما مثقفين إنسانيين كغيرهم ممن سبقهم من الحكام، و إن البلاد كانت غاصة بالنفوس فى عهدهم كما كانت فى عهود سميراميس و خسرو و غيرهما.

و (طاووق) أو (داقوق) فى العصر الثالث عشر كانت مركز الأبريشية الكلدانية، و كانت و لا ريب تشتمل على عدد كبير من المسيحيين و لا يزال يشاهد فيها أنقاض ما يسمونها بالكنيسة.

۲ أيار: قضيت ليلة مزعجة لا راحة فيها، ساورت النوم خلالها الأحلام المزعجة مما جعلنى أفضل الأرق عليه. و غلبنى النوم عند الفجر، و عندما

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۵۰

استيقظت استغربت إذ لم أسمع صوتا يدل على التهيؤ للرحيل و رأيت الناس أكثر ميلا- إلى الفتور و الكسل لقضاء اليوم هنا بحجة كون السماء ملبدة بالغيوم و المطر محتمل الهطول، إلا أن شكيمتنا لم تلن؛ فموسم الصيف آخذ بالتقدم و إذا ما تأخرنا كثيرا فقد نجد أنفسنا فى غمرة الحر قبل أن نقطع السهول. إن السفر بعد الساعة الثامنة صباحا فى الضواحى القريبة من بغداد المتأججة يعد من الأمور المستحيلة.

يؤسفنى أن أقول إننا سنبتعد الآن عن طريق البريد كما سيتراءى لك إذا كنت تتذكر شيئا يتعلق بسياحتنا السابقة إلى استانبول. و إننا الآن نضيع آخر فرصة لنا فى مقابلة التاتار (ساعى البريد) الذى يقال إنه يقترب منا بخطوات حثيثة يحمل رزمة خاصة بنا.

يرغب المستر (ريج) فى أن يوصى مأمور البريد فى (طاووق) حتى يوفد الساعى إلى السليمانية مباشرة من (طاووق) عند وصوله إليها و لكنه علم أنه إذا لم تصدر الأوامر السريعة من حكومة بغداد فالقرى لا تعطى الجياد لهذا الغرض. و عدا ذلك قد يظن حاكمنا المتوجس المرتاب داود باشا أن لوصول الساعى من استانبول علاقة بسفرنا إلى كردستان، هذا السفر الذى لم يرق له فى الواقع و ما كان راضيا عنه، فالتركى لا يعتقد بالسفر ترويحا للنفس أو طلبا للاستشفاء، و قد يتذرع أحيانا بهذه الأسباب لكنه لا يضع على الدوام أمام عينيه بعض الدوافع الخفية التى لا يعترف بها و هو لا يصدق أى شخص يرغب السفر طلبا للراحة فقط. و مهما كان داود باشا يعتمد مباشرة فى شؤونه على قوته أو مقدرته فى خداع الآخرين فإنه لا- يرتاح لأية خطوة يتخذها الآخرون، و إنه إذا لم يصدق الأسباب المنتحلة لهذا العمل، فإنه يعتقد أن وراءها أمورا يقصد بها أذاه. فهو

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۵۱

يسيء الظن فى كل أحد و لا يصدق أحدا. و يسوءنى أن أقول بأن الناس جميعا يرتابون منه، و لا يصدقه أحد.

إننى مضطرة- و يسوءنى أن أعترف بذلك- إلى الانتظار مكرهة عدة أيام قبل أن أرى علامة بريد (مردخ) المحبوبة. فأى مكان هذا الذى سأتسلم فيه كتبا خطها أعز الناس و أكثرهم كمالا و أحبهم إلى، كتبا ممن يقطنون الأنحاء الجميلة فى أبدع و أسعد بلاد العالم. أواه لو كان باستطاعتى أن أعطيكم فكرة عن البلاد الوحشية المحرقة التى نحن فيها؛ حقّا عليكم أن تحبوا إنكلترا وطنكم العزيز.

رحلنا فى السادسة و الثلث، و مضينا نسير حتى الثامنة فى أوحال كثيرة و مزارع حبوب جميلة حتى وصلنا قرية فى نهاية سلسلة طويلة من تلال واطئة، تنعت فى هذا المكان (مطارا) و لكننى أعتقد أنها لم تكن إلا امتدادا من تلال كفرى. استدرنا كثيرا فى مضيق تكسو أرضه الأحجار الرملية، و يجرى فيه جدول ماء لطيف و الصخور الكبيرة منتشرة فى جميع أنحائه. و قد جابهنا المصاعب الكثيرة فى سحب التختروان فى بعض الممرات الضيقة الزلقة. و البغال المسكينة كانت تنزلق انزلاقا رديئا، و لم تنج من السقوط على الأرض أحيانا إلا ببذل جهد جهيد. و بعد أن جاوزنا الممر جوبهنا ببحر مرعب من تلال الأحجار الرملية الجرداء، ممتد إلى أبعد ما يدركه البصر، لا خضرة فيها إلا بعض مزارع حبوب قائمة فى القليل من أنحائها ....

... و بعد الحادية عشرة بقليل وصلنا قرية (ليلان) و هى على بعد خمس ساعات من كركوك، فوجدنا فيها كوخا أخلى من قاطنيه لسكنانا.

تعود هذه القرية إلى عبد اللّه أفندى متولى الإمام الأعظم، و قد تعرفت على عائلته فى بغداد معرفة جيدة. و هو الآن هنا، و قد أرسل إلينا هدية مؤلفة من خمس قطع من الجبن الطرى اللذيذ، و بعض الزبدة الباهرة و اللبن الرائب، إننى لا أستطيع وصفه، لكنه من أجود مستحضرات

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۵۲

الحليب التى عرفتها حتى الآن. لقد أكلنا أكلة مترفة قد يعبر عنها بالغذاء فى مثل هذه الساعة من النهار بفضل ضيافة الأفندى الكريم ...

۳ أيار: سررنا كل السرور لتخلصنا من ملجأنا القذر، و سررت كل السرور لركوبى تختروانى و نجاتى من النسوة الصاخبات اللواتى كان لهن مظهر الرجال و اللواتى أحطن بى فى اللحظة التى ركب زوجى العزيز فيها جواده و تركنى، فإنهن لم يجرؤن على الاقتراب منى طالما كان بجوارى، كن يكدن يمتن تلهفا لاستراق نظرة إلى ...

... و بعد التاسعة بقليل وصلنا مضرب يوسف آغا فى وادى (ليلان)، و هو عبد كرجى من عبيد باشا بغداد و حاكم هذه المنطقة المسماة (قه ره حسن)، و هو صديق قديم للمستر (ريج) و قد أظهر كرما كبيرا عندما أصر على تضييفنا جميعا على وفرة عددنا. لقد نصبت خيمة لنا فوق مرتفع صغير يعلو النهر الذى أحببته ... رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى ؛ ص۳۵۲

كان كل ما حولنا منعشا، الأمر الذى جعلنى عاطفية على حد تعبير (كلود)، على الرغم من أنه كان يشاركنى هذا الشعور و إن بذل جهده لإخفائه. و يظهر أن حرماننا منذ أمد بعيد من مشاهدة مثل هذه المناظر هو الذى جعلها تسحرنا و تخلب نفوسنا أكثر من غيرها من الأماكن الشهيرة التى رأيناها فى إنكلترا، أو سويسرا أو إيطاليا. تمشينا فى الوادى بين الأنجم و جمعنا الأزهار و الأوراد البرية ثم فوجئنا بعليقة زهر برى، فنسينا كل شيء غير هذا الزهر. و كدنا نعيد منفانا الموحش إذ شعرنا بأننا أصبحنا فى إنكلترا.

و عند المساء زارتنى عقيلة يوسف آغا، و كانت متحجبة حجابا متقنا، فدخلت خيمتى زاحفة من تحت سجوف الخيمة لكى لا يشاهدها أحد. لقد تملكها هذا الحرص على ما أعتقد، إثر زواجها من التركى،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۵۳

و هى عربية، و ليس فعلها ذاك من عادات العرب. و عندما بارحتنى زائرتى، قمنا للنزهة ثانية، و أخذ منا الأسف مأخذه عندما أجبرنا الظلام و التعب على العودة إلى خيمتنا.

۵ أيار: ترويحا للبغال و تخلصا من رجات التختروان فى سيرة فوق الطريق المعروف عنه متعبا، ركبت فى الخامسة و النصف جوادى غير آسفة ....

و بعد الحادية عشرة بقليل وصلنا قرية (ده ركه زين) القائمة عند مدخل سهل جميل جدّا، و يقال إنه كثير الأفاعى. و كانت هذه أخبارا غير سارة بالنسبة لنا، إذ نصبت خيمنا فى وسط عشب مرتفع.

لقد لاحظنا فى هذا المحل، طنفا آخر يشبه الطنف الذى خيمنا فيه أمس و اسمه (كوبارا) .

أجفلت جفلة عنيفة مساء اليوم، حين شاهدت أم سبع و سبعين كبيرة تدبّ بسرعة فوق البساط التى كنا جالسين عليه. و لو كان فراشى مطروحا على الأرض لما استطعت النوم بعد الذى رأيت، إلا أننى أشكر سريرى السفرى الإنكليزى الصغير فقد ارتميت عليه لتعبى الزائد، و نمت نومة هادئة دون أن تزعجنى الأفاعى أو أمهات السبع و السبعين.

۶ أيار: نهضنا فى الرابعة صباحا، و استمتعت ثانية بركوبى حصانى المريح، ركبنا فى الخامسة و النصف و قطرات الطل الوفيرة تبلل الأعشاب، و سرنا فى سهل جميل محاط من جميع الجهات بالتلال الواطئة الجرداء و القرى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۵۴

و بقاع المزارع الصغيرة منتشرة فيه هنا و هناك، مع ما كان يكتنفه من المراعى.

لقد و لجنا الآن كردستان بعض الشىء فأحاطت بنا جبالها. أما اللّغة المعروفة فيها فهى الكردية فقط. لقد بدأنا توّا بملاحظة الفرق فى ملامح الكرد من أبناء العشائر و القرويين، فالعينان عند أبناء العشائر متباعدتين و الأنف أقنى و الجبين واسع و الأبدان ضخمة، و الأعضاء متناسقة و هم ذوو هيئات عسكرية. أما سيماء القرويين، فإنها منتظمة، و عيونهم ناعسة، و ملامحهم ألطف من ملامح أبناء العشائر. لكن القروى لم يكن طويل القامة أو حر السلوك و الاستقامة كأخيه العشائرى. و هذا الأمر ليس من الأمور العسيرة الفهم، فأبناء العشائر هم الأسياد و أبناء القرى هم العبيد ....

۸ أيار: خيمنا اليوم فى بستان من بساتين الباشا متصلة بالمدينة تماما، إذ إن دخولنا البلدة فى هذا اليوم لم يكن ليتفق و الترتيبات التى اتخذها أصدقاؤنا الكوردكيون، و لذلك اضطررت إلى التخلى عن الركوب كما اضطررت على إخفاء نفسى إخفاء تامّا فى التختروان، إذ كان من المتوقع أن تتجمهر الجماعات المتزاحمة من الناس للتطلع إلى وجوه الأوروبيين الذين يدخلون بلادهم لأول مرة، و أن ملابسهم الخاصة و الجنود و الهنود الذين يرافقونهم سيثيرون فضولهم ذلك لأنهم أولا شغوفون بكل ما له علاقة بالحرب، و ثانيا و بوجه خاص لانتهازهم فرصة مشاهدة جنود يظهر عليهم للوهلة الأولى أنهم مسلمون، و كذلك الهنود و الأوروبيون ...

عندما نزلت من التختروان، عجبت كل العجب حين لم أر غريبا حول مخيمنا على الإطلاق فكان يضاهى سكون مخيمنا على ضفاف دجلة. لقد خرج رجال المدينة البارزين لاستقبال (كلود). إنهم شربوا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۵۵

القهوة و جلسوا قليلا- دون أن يظهر منهم ما يشير إلى تطفلهم فى النفوس أو إلى أية بادرة مخالفة للسلوك بل كانوا أناسا مهذبين التهذيب العالى؛ و قد انصرفوا بعد ذلك.

لقد صدرت الأوامر المشددة من الباشا بإنزال العقاب الصارم فى من يقترب من مخيمنا، مهما كانت منزلته إلا إذا أوفده هو، الأمر الذى لم يهدف منه إلا تأمين راحتنا. و إلا كما يقولون، و إننى أصدق حقيقة قولهم، لأحاط بنا الرجال و النساء و الأولاد طيلة النهار من الصباح حتى المساء ليتطلعوا إلى هذا المنظر الجديد عليهم.

بعد وصولنا بقليل، وصل تاتار، من استانبول، قصد بغداد أولا هو لا يعلم برحيلنا منها فى سفرنا هذا. و الرزمة التى أتانا بها الساعى كانت تحوى نعى الملك فى ۲۹ كانون الثانى، و وفاة (دوق كه نت) فى ۲۴ من الشهر ذاته. فتحت البريد و أنا ارتجف و قد استولى على، كما هى عادتى شعور الفرح الذى يمازجه الخوف، و إننى جابهت الخيبة الكبرى إذ لم أعثر على الكتابات اليدوية المحبوبة، بل

حتی و لا علی سطر واحد من خط (مردخ). لقد ضاق صدری للأمر إلی أن رأیت اسم والدی فی أحد الجرائد الیومیة الصادرة فی أواسط شباط فارتحت قلیلا.

و نظرا لوصول أخبار وفاة الملک، کان یجب إعادة التاتار فورا.

کما یجب علینا أن نتخلی عن لذة مطالعة الجرائد. لکن ذلک لم یمنعنا من إلقاء نظرة خاطفة علی حقول أعداد جریدة (ایفنینک مه لس-Evening Mails) الصادرة حتی الرابع عشر من شباط، و هذا و لا شک تاریخ متأخر إذا ما لاحظنا وصول البرید إلی بغداد، و إرساله منها إلینا.

لقد قطع التاتار المسافة بین بغداد و بین مکاننا الآن بأربعة أیام بطریق (سه کیرمه) و هو أقصر طریق، و فی بلاد مجهولة تقریبا و وحشیة. قرأنا الخطب القیمة التی ألقاها والدی العزیز فی تأیید لائحة قانون الرقع و الطوابع التی نرجو أن یکون قد نجح فیها لتحقیق المصادقة علی هذه

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۵۶

الأمور الخطیرة، إذ کانت هنالک قوة توقف سیرة وزرائنا الإنکلیز الحالیین الجائرة عند حدها. یبدو أن قتل (دوق دوبه رری-Due de Berri) کان السبب فی إثارة شعور رهیب فی فرنسا، و هو شعور عدائی لم یسبق له مثیل نحو عائلة (بوربون) التعسة التی تستدعی الإشفاق بالرغم من الجنایات التی اقترفتها. فما هی الفضیلة التی باستطاعتنا رجاؤها من أوروبا إذا کانت إنکلترا نفسها التی اعتادت أن تنظر الشعوب إلیها نظرة احترام قد انحطت إلی الحضیض.

وصلنا مع هذا البرید متاع وافر للقراءة من (جورنو دیه سافان-Journaux des Savans) و (جورنو دیه دام-Journaux des Dames) و (أدنبره اند کورته رلی رفیو) و قد وصلتنا کل هذه الجرائد و المجلات فی الوقت الملائم بعد سیاحتنا المدیدة هذه. إننی أخشی أن لا یکون (زه نیفون) و من کان معه من الیونان عند زحفهم فی (کاردوکیا)، قد ذاقوا لذة تسلم الرسائل من الیونان، أو لذة تسلم (مورنینک کرونیکه ل) من إسبارطة، أو آخر عدد من مجلة (آثینس رفیو-Athen ,s Review).

و بینما نحن منهمکون فی لذتنا هذه التی جعلتنا ننسی مکاننا و ما یحیط بنا کل النسیان، جاءتنا رسالة من محمود باشا حاکم السلیمانیة الحالی یخبر (کلود) بها أنه یرغب فی زیارته بعد صلاة العصر الأمر الذی جعلنا فی حاجة إلی ترتیب وضعنا و التهیؤ لاستقباله ....

و علی أثر تحیة الجنود له ظهر أنه أدرک معنی الاحترام الذی قوبل به، إذ إنه رد التحیة بإحناء رأسه إلی صدره. و فیما أتذکر و قد کنت أختلس النظرات لمشاهدته عن بعد من وراء سجوف خیمتی أنه کان رجلا صغیر البدن قصیر القامة، لم یکن فیه ما یسترعی الانتباه أو یمیزه عن غیره فی مظهره. و إنه علی تناقض غریب مع رجاله الذین کانوا جمیعا ذوی أبدان ضخمة و هیئات عسکریة. إنه أکبر الأنجال الخمسة للمرحوم عبد الرحمن باشا الشهیر، و هو فی الخامسة و الثلاثین من عمره تقریبا،

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۵۷

ذو طبع رقیق إنسانی و إن کان یفتقر إلی العزم و الحزم. و کان علی جانب عظیم من التقوی الأمر الذی جعله ینقاد إلی أرباب الدین و العلماء، و ما کان هؤلاء من أثقف الناس فی أی قسم من الإمبراطوریة الإسلامیة؛ و المعروف عن طبقتهم هنا أنها طبقة متعصبة عنیدة. لکن الباشا کان ذا حلم ولین و لم یخضع إلی تعصبهم، لکونه سوداوی الطبع فقد کان یمیل بطبیعة الحال إلی النظر إلی الأمور التی تکتنفه نظرة قاتمة.

و عند المساء تمشینا داخل الجنینة، و کان الهواء معطرا بشذی الورود. إننی أشعر بالنفور الشدید من الرحیل من هذا المکان المبهج إلی المدینة التی لم تظهر لنا جاذبیتها و التی یقال إن بیوتها خربة. إننی أفضل البقاء حیث أنا، و لکن قد أظهر الباشا الکریم الطبع، الخلوق، رغبته فی انتقالنا إلی المدینة فلم یعد لی إلا أن أضحی برغبتی إرضاء له.

۱۰ أیار: و کان للموکب عند دخوله المدینة استعراض باهر لکثرة المشترکین فیه و تنوع أزیائهم. لقد تألف الموکب من الکرد و

الأوروبيين و هم جميعا فى بزاتهم الرسمية المبهجة، فالجنود الهنود بطبولهم و مزاميرهم و الخيالة الروس بأبواقهم ، و الضباط من الأتراك المسيحيين و حتى اليهود و الخدم التابعون لدار المقيمية كل هؤلاء كوّنوا شارة للعظمة البدائية الخليطة، و كان الأوروبيون فى مظهرهم الموحد المنسق يسترعى الأنظار بوجه بارز، و الموكب بكامله لم يكن إلا رمزا ناطقا عن أوروبا و آسيا.

يبدو أن الباشا قد أظهر رغبته القوية فى سكنانا المدينة، و هو يرى أن رجوع المستر (ريج) إلى مخيمه لم يكن فألا حسنا. و أخيرا رضخ

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۵۸

المستر (ريج) لهذه الرغبة معتقدا أنه من الأفضل أن ينزعج و لا يرتاح عوضا من أن يمس شعور هؤلاء الناس اللطفاء الكرماء أو أن يخالف معتقداتهم. لذلك جمعنا أثقالنا و ركبت تختروانى أيضا فأسدلت ستائره القرمزية و شدت شدا محكما من جميع أطرافها لكى لا يرى أحد قلامة ظفر منى، بالرغم من ارتدائى المئزر و إسدالى البرقع، و فى مثل هذه الحالات التى أنا فيها حيث تضطر حرم رجل له منزلته إلى المرور علانية بين حشد من الناس، يجب أن لا- يظهر منها حتى أطراف حجابها. هكذا وصلت الدار التى خصصت لإقامتنا، و من الصعب أن أسميها دارا قبل أن أرى شيئا من السليمانية أو من سكانها. و كانت الأصوات المستمرة الواطئة- التى كنت أسمعها من حولى و أنا أمر فى محملى المغلق على، الدليل الوحيد لدخولنا المدينة. و إن إعجابى و حبى للعاصمة و البلاد و أهلها انقلب الآن إلى كره و نفور نحوها جميعا لرداءة المكان الذى خصص لإقامتى، و من الأمور التى كانت تتطلب شجاعة عظمى أن أخاطر بدخول كومة من الخرائب كانت ماثلة أمامى فى ساحة الدار الخارجية.

و قد استجمعت قواى و ولجت الدار و ورائى كل من المستر (به ل لى نو) و الطبيب الإيطالى الصغير، و أخذ أولهما ينفخ مزيلا الغبار بفطنة و أخذ الثانى ينفض ما علق بكتفه منه باستهجان مقلدا ...

ليس لى أية علاقة بالديوان خانه- و لا يحتمل أن يكتب لى نصيب مشاهدتها، فترتيباتها تضاهى ترتيبات الحرم تماما، أما حالتها فأردأ منها.

إننى أشفق على المستر (به ل لى نو) و رجالنا الذين سيمكثون فيها.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۵۹

۲۰ أيار: مرت فترة طويلة لم أدون مذكراتى فيها، و منذ دخولى السليمانية بلغت حياتى من العزلة بحيث لم أر إلا القليل الذى يستحق التدوين، و لكننى كنت كثيرة الكتابة عن طريق الرسائل. فمنذ دخولى الدار لم أبرح الحرم إلا مرة واحدة للذهاب إلى الحمام ...

۶ حزيران: على أن أقضى اليوم بصحبة عائلة الباشا، و لما كانت العادة فى الشرق توجب على الزوار أن يقضوا يومهم- بالمعنى اللفظى- فى الزيارة، أكملت استعدادى فى العاشرة، فجاءتنى امرأة من القصر لتدلنى على الطريق إلى الحرم. لقد صحبتنى أم ميناس و خادماتى، و سرنا متحجبات تحجبا كاملا و لم يكن علينا أن نمشى كثيرا لأن بيتنا كان قريبا من القصر، إن مدخل الحرم لا يمر من ساحة القصر الخارجية، بل كان من وراء الحرم ذاته و كانت بابه صغيرة جدّا اضطررت على الانحناء كثيرا لأستطيع المرور منها.

استقبلتنى هنا الكيوانيات- القهرمانات- و من ورائهن رهط من الجوارى و قد سارت قهرمانه عن يمينى و أخرى عن يسارى و قادتانى إلى السلم فصعدناه، و عند باب غرفة واسعة استقبلتنى زوجة الباشا نفسها، و من ورائها إحدى شقيقات الباشا و عدة سيدات من العائلة. أديرت القهوة و الحلوى و (الشرابت) و الغلايين كما هو المتبع، و قد ضاق صدرى و انهدّت قواى لمراسيم المجاملات المعتادة هذه. و لكننى رأيتهن بعد انتهاء هذا الفصل من المجاملة الضرورية قد تخلين عن كل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶۰

المراسيم، و رجعن إلى دماثة أخلاقهن و بشاشتهن و عدم تكلفهن و هن يسعين سعيا حثيثا لإراحتى.

إن عادلة خانم، زوجة الباشا هى بنت عثمان بك، و على هذا فإنها من أقرباء زوجها. و فى الحقيقة أن جميع أعضاء هذه العائلة

العديدين قد تناسبوا و تزاوجوا فيما بينهم؛ و هم لا يتزاوجون مع الغرباء. و عادلة خانم فى السبعة و العشرين أو الثامنة و العشرين من عمرها، و هى طول من غيرها من نسوة العائلة، حنطاوية اللون سوداء الشعر، ذات عينين ناعستين، و مظهر جميل لا- غموض فيه، و ملامح رقيقة، جذابة فى سيمائها. و قد دل مظهرها على أنها حزنت كثيرا فى أيامها، فقد رأيت فى تصرفها الاستسلام الجليل و التؤدة الرزينة الأمر الذى أثر فىّ التأثير كله.

و هى زوجة الباشا الوحيدة و هما مرتبطان ببعضهما كل الارتباط، و قد زادهما حزنهما المشترك لموت الكثير من أولادهما الذين أودى الجدرى بهم، حبا و تعلقا. و لم يكن عندهما الآن إلا طفل واحد و هى و إن كانت تحن إليه حنانا رقيقا فإنها تتحدث عنه و كأنها لا تتوقع بقاءه لها و لزوجها. فكانت إذا نظرت إليه ترقرقت عيناها بالدموع و قالت: «إنه ليس لى، إنه للّه، و لا مرد لأمره». حدثتها عن ضرورة تلقيحه ضد الجدرى فأصغت بعناية إلى ما حدثتها عنه من فوائد التلقيح، لكن اليأس كان لا يزال باديا عليها فى توقع عدم جنى أية فائدة منه.

لقد شجعتنى و أحيت أملى، فى قبولها العمل بما قلت لها إذا جلبت لها اللقاح، و لكنها أنهت قولها بالكلمات التالية: «لا بد من الانصياع إلى إرادة اللّه، فاللّه أعلم، و علينا أن نثق به» لقد عزمت على الكتابة فورا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶۱

ليرسلوا لنا اللقاح مع ساع سريع، و إننى سأفرح الفرح كله إذا استطعت تخليص هذا الطفل الصغير الجميل من ذلك المرض القاسى القتال. إن الآلاف من البشر يذهبون ضحية هذا المرض فى كردستان. و يحتمل أن الناس إذا علموا بأن الباشا لقح طفله الوحيد ضد الجدرى فإنهم سيرغبون بالسماح لنا بتلقيح أطفالهم أيضا، و عندئذ سوف لا تكون سياحتنا إلى كردستان بدون فائدة تذكر إذا وفقنا إلى تخفيف وطأة الجدرى الفتاك؛ و إن لم نوفق إلى القضاء عليه قضاء كاملا.

لقد قضت مضيفتى السنين الكثيرة فى بغداد فى عهد طفولتها، و قد تعلمت التركية أيضا و لكن عدم ممارستها لها جعلها لا تتكلمها إلا بصعوبة، و قد بذلت ما تستطيع لمحادثتى. قضيت و الحق يقال يوما طيبا معها، و مع جماعتها العديدات و رجعت إلى الدار فى الخامسة و أنا أقل تعبا مما كنت أتوقع .

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶۳

الملحق الثانى رحلة إلى أطلال (زندان) و (قصر شيرين) و (حوش كه ره ك) ... إلخ عند حدود كردستان الجنوبية خلال شهرى آذار و نيسان ۱۸۲۰

و هى نبذ من كتب كتبها المستر (ريج) خلال رحلته هذه.

*** خان السيد فى بعقوبة:

ليلة ۱۸ آذار ۱۸۲۰: هاأناذا هنا، على الرغم من توصياتك الملحة لى بأن لا أبتعد عن (أورته خان) فإننى فى الواقع وجدت النهار من الصفاء، و الخان من القذارة، و نفسى من القوة، ما جعلنى أفكر فى أنه من الحيف أن أقضى وقتى فى كهف مثل هذا، فجازفت بالتقدم و لم أجدنى أسوأ حالا- مما كنت فيه، بل إننى لأشعر بتحسن كبير عما كنت أعانيه خلال اليومين الأخيرين. فقد فارقتنى أعراض الصداع، و أصبحت من النشاط ما يمكننى من السفر فورا إذا اقتضى ذلك، و إن كنت سأحتاط لنفسى كثيرا. إن الأرض الممتدة بين بغداد و هذا المكان من أكثر البرارى التى شاهدتها انبساطا و قحولة. أما الأقسام الأخرى من الصحراء بجوار بغداد فتعد (بليون-Pelion) و (أوسسا-Ossa) و (تامبهTempe) إذا قورنت بالصحراء

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶۴

التى أنا فيها. بلغنا فى الساعة الثالثة و النصف قناة (النهروان) و هى على الأقل بعرض نهر (ديالى) الذى بلغناه فى الساعة الرابعة بعد

الظهر.

و عندما علمت بأن صديقنا القديم حاجى عمر كان قد سافر إلى بغداد أول الأمس، قررت البقاء فى هذا الخان، فوجدته جيدا. و يقع هذا الخان على جهة بغداد من نهر (ديالى) قبالة قرية (بعقوبة) مباشرة، و قرية (الهويدر) التى لا أميل إلى مشاهدتها. و سوف أرحل فى صباح الغد إلى (شهربان). لقد أتيح لى مذ قدمت إلى هنا أن أرصد القبة الزرقاء، فرصدت ارتفاع الشمس تسع مرات و الشعرى اليمانية ثمانى عشرة مرة و رجل الجوزاء اليسرى ثمانى مرات، ثم انصرفنا لتناول طعام العشاء.

و قد آن لى أن أغتنم فرصة تدوين رسالتى هذه التى وعد المكارى بأن يحملها إليك. و أرجو أن تعطيه العطية المعتادة إذا و فى بوعده. إننى لم أكتب يومياتى بعد و لعلنى سأكتبها قبل النوم.

شهربان، فى ۱۹ آذار: بارحنا الخان بعد شروق الشمس مباشرة، و اجتزنا نهر (ديالى) بعبارة قرية (الهويدر) و قد كانت جروف النهر عالية هدود، و هى فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶۵

بعض الأماكن أشبه بالجدار، و الأرض عند الشاطىء مشققة، خددتها مياه المطر. و عمق النهر قرابة الثمانية عشر قدما. و قد أزفت الساعة الثامنة قبل أن عبرت جماعتنا النهر مع أننا سرنا عند مطلع النهار. و وجدت أشجار النخيل تكتنف القرى الواقعة فى هذه النواحى من كل جانب.

و فى الساعة العاشرة مررنا بما يشبه قناة قديمة على جانبها تل مرتفع فوقه ركام من الطابوق و بعض قطع الرخام. و يسمى هذا على ما أذكر (ليسيه-Lissia) إذا صح الاعتماد على الشخص الذى ذكر لى هذا الاسم. لكن تسمية المواقع فى هذه الأنحاء تختلف أحيانا اختلافا بينا.

و فى هذه الأماكن أضرحة عديدة للأئمة منتشرة هنا و هناك، و يقال إنها أضرحة أولئك الجنود من المسلمين الذين توفوا من جروحهم بعد عودتهم من معركة (قصر شيرين)، فدفن كل منهم حيثما قضى و أصبح من الشهداء. و قد لاحظت على طول الطريق بقايا أطلال من مبانى الطابوق كانت أحجارها مبعثرة فى الأنحاء. و مررنا ببعض مروج جميلة و قنوات عديدة تتفرع من صدور الجداول الرئيسية، و قد تركنا (خرنابات) و غيرها من القرى عن يسارنا، و فى الساعة الثانية بلغنا قنطرة ذات قوس واحد فوق قناة (مهروت) التى تصب شمالا فى نهر ديالى، فتوقفنا حتى الساعة الثالثة عند مرقد الإمام السيد مقداد الكندى.

بلغنا شهربان فى الساعة الرابعة، و أنا الآن متمدد بقامتى فوق الأرض لا أستطيع أن أرى و أن أكتب. فقد كانت سفرتنا جد مزعجة من جراء ريح جنوبية قوية كانت تهب بشدة فتثير بوجهنا سحب الغبار الذى أرهق الإنسان و الحيوان معا. و أرجو أن تخبرى ميناس بأن البغال هنا رديئة جدّا. فقد كانت تكبو فى كل ميل من الأميال، و لم نستطع بلوغ نهاية مرحلتنا بها إلا بشق الأنفس؛ و لقد وعدونى هنا باستبدالها. و تقدر المرحلة بين (بعقوبة) و هذا المكان بتسع ساعات. و الأرض على طول الطريق جد منبسطة تقاطعها القنوات فى كل مكان. و لما شرعنا بالمسير

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶۶

ثارت بوجهنا زوبعة مصحوبة بالرعد و المطر. فما إن هدأت حتى هبت علينا الرياح الجنوبية الشرقية التى ما زالت ترهقنا حتى هذه اللحظة. على أننى بتمام الصحة باستثناء عينى اللتين التهبتا بفعل الرياح و الغبار.

قابلنا هنا (سعدون آغا) حاكم البلدة الذى كان من قبل يقطن دارنا القديمة، فلم يسمح لى بالإقامة فى الخان كما كنت أرغب و إنما أفرغ لنا أحد البيوت و أعده لإقامتنا. و قد وجدت هنا سليم بك أيضا، بعد أن عزل من حاكمية خانقين. و حضر الاثنان معا لزيارتى بعد أن تأكدا من ارتياحى إلى مقامى، ثم أرسل لى سليم آغا طعاما شهيّا أصبح من نصيب جماعتى، لأننى كنت قد فرغت توّا من تناول وجبة من الدراج «و الكارى»- البهار، عند وصول ذلك الطعام. و كنت قد رجوت سعدون آغا رجاء خاصّا أن لا يكلف نفسه

بإرسال أى طعام، الأمر الذى لم يستحسنه أفراد جماعتى. و أرجو أن توفدى من يشكر زوجته على مزيد عنايهٔ زوجها بأمرنا، مع أننى فى الغالب سأقدم له هذا الكتاب ليرسل إليك بوساطته. و قد قيل لى إننى بعد مبارحتى المكان، سوف لا تتاح لى الفرص المؤاتيهٔ للاتصال بغداد حتى وصولى إليها. لقد كان بالإمكان أن تعد سفرتنا مريحهٔ لو لا هذه المطايا الرديئهٔ. ففى آسيا الصغرى كلها لا يوجد شىء أردأ من البغال. الحر آخذ بالازدياد، و من الخير لنا أن نسرع بمغادرهٔ بغداد للشروع فى رحلتنا الكبرى إلى كردستان.

شهربان، ۲۰ آذار: لقد قمت بعدهٔ اكتشافات مهمهٔ، إن مغامراتى اليوم فاقت ما كنت آمله، و ما شاهدته هنا من الناحيتين الجغرافيهٔ و الأثريهٔ استحق عناء السفر من بغداد، هذا و ليس بإمكانى أن أحدثك الآن عما وجدته إلا قليلا. فلقد كان عمل اليوم شاقا، زادت فى مشقته ريح جنوبيهٔ حارهٔ كانت تهب رهاء. لكننى، و للّه الحمد، متعب فقط و ليس بى أثر للصداع.

رحلهٔ ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶۷

خرجت صباح اليوم لمشاهدهٔ الأطلال المسماهٔ (زندان) و هى تبعد مسافهٔ خمسهٔ أميال إلى الجنوب من المكان الذى نحن فيه. و فى منتصف الطريق إلى الأطلال حدث ما لم أكن أفكر به، إذ طلب إلىّ دليلى و هو معمار معروف من (شهربان) أن أعرج على جانب من الطريق لمشاهدهٔ حصن قديم. و على هذا اجتزت قناهٔ أو قناتين، فإذا أنا أمام أطلال بلدهٔ ساسانيهٔ لا تقل اتساعا عن (طيسفون) و كانت أسوارها على نفس النمط و الطراز، و المكان مملوء بالأنقاض و الخرائب. إن هذا الموقع لا يبعد أكثر من مسيرهٔ ربع ساعهٔ عن (شهربان)، بل إن حدود البلدهٔ الشمالیهٔ أقرب من ذلك بكثير. و كانت أقسام السور الجنوبيهٔ و الغربيهٔ، و قد دخلنا المكان من هذا القسم الأخير، بحالهٔ جيدهٔ، و هى كبيرهٔ الشبه بأسوار (سلوقيهٔ) و (طيسفون). و مع أن هذه الأطلال تعرف ببغداد القديمهٔ (اسكى بغداد) فإن تاريخها يرجع إلى عصور ما قبل الإسلام. و تتذكرين بأننى قد عينت موقع (دستجرد) فى (زندان)، و لم أكن بعيدا عن الصواب فى حدسى. فإننى أصبحت الآن أكثر اعتقادا بأن (اسكى بغداد) ما هى إلا أطلال تلك العاصمهٔ الملكيهٔ .

تقدمنا بالمسير و عثرنا على خرائب ساسانيهٔ أخرى. و فى منتصف الطريق إلى (زندان) بإزاء السيد (سلطان على) لاحظت سورين ساسانيين متوازيين يمتدان إلى الشمال الشرقى و الجنوب الغربى، و هما على بعد ستمائهٔ قدم من بعضهما، و يبلغ طولهما مثل هذه المسافهٔ تقريبا، مثل أسوار سلوقيهٔ تماما، و لاحظت آثار القصب بين كل طبقهٔ من الطابوق.

رحلهٔ ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶۸

(زندان)

و بعد أن جاوزنا هذه الأطلال بلغنا (زندان) و هى تبعد مسيرهٔ خمس و أربعين دقيقهٔ للراكب عن اسكى بغداد، و هى أطلال على جانب عظيم من الغرابهٔ و الأهميهٔ، و تختلف الاختلاف كله عن كل ما شاهدته حتى الآن. فقد كانت مبانيها من الطابوق المفخور المتين، و أغلب ظنى أنها

رحلهٔ ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۶۹

كانت ضريحا ملكيا. و يبلغ طول هذا الطلل اثنين و ثلاثين سلسلهٔ من السلاسل الصغيرهٔ ذات الخمسين قدما و عرضها عند القمهٔ ستهٔ و أربعون قدما و ست عقد و ارتفاعها ستهٔ عشر قدما و عشر عقد، و فى بعض أطرافها أعلى من ذلك. و للبنايهٔ اثنا عشر برجا أو دعامهٔ ما زالت قائمهٔ، و أربعهٔ أخرى فى الناحيهٔ الشمالیهٔ متهدمهٔ.

و يبلغ قطر كل من هذه الأبراج البارزهٔ عن البناء ثلاثهٔ و ثلاثين قدما و خمس عقد و عرضها من جانب السور تسعهٔ أو ثلاثين قدما و ثمانى عقد، و تبلغ المسافهٔ التى تفصل بين البرج و الآخر ثمانيهٔ و خمسين قدما و ست عقد و يوجد بين البرج و الآخر ثلاثهٔ أزواج من المزاغل. هذا فى الواجهه الشرقيهٔ من البناء، أما فى الواجههٔ الغربيهٔ فيوجد سور متين لا أبراج فيه، باستثناء كوهٔ تقابل البرج القائم فى الجهه الأخرى. و كانت الكوهٔ الأخيرهٔ منها بحالهٔ جيدهٔ يعلوها قوس محدودب. و يبلغ ارتفاع الكوهٔ عشرهٔ أقدام وست عقد و عرضها قدمين و عشر عقد، أما عمقها إلى الداخل فعلى ما قدرته يبلغ واحدا و أربعين قدما و نصف القدم، و تنتهى بممر ضيق يقابله جدار

متين؛ أما قمم الأبنية الباقية و سقوفها فقد تهدمت جميعها.

و قد نقبنا فى داخل البناية الواقعة إلى جانب البرج من هذا الطلل، فوجدنا بأن المزاغل التى مرّ ذكرها تفضى إلى ممر أو مضيق ربما يوصل إلى البرج الواقع إلى الجهة المقابلة.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۷۰

طرف (زندان) الشرقى

و كان سقف البناية كله يتألف من طبقات عديدة من الطابوق بوضع مسطح كما يستبان من الجزء الظاهر فى الجهة الشرقية، حيث كان محطما و مهدما على طول البناء، و فى الجانب الغربى يصل السقف إلى حافة البناء الذى يبلغ فى هذا الاتجاه ارتفاعا أعلى من الجانب الشرقى الذى ضبطنا قياسه.

كوة فى (زندان)

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۷۱

و عند الكوة الخامسة من الجهة الجنوبية الغربية وجدنا بقايا طلل يستند إلى السور كأنه بقايا دعامة أو نتوء ربما كان مرقاة، أما الناحية الشمالية من الأطلال فكانت خربة تماما. و قد بنيت دور عديدة فى (شهربان) و غيرها من الأنقاض التى نقلت من (زندان).

و كانت الصحراء من الجهة الغربية تظهر مرتفعة على طول الجبهة إلى مسافات قليلة. كان فيها آثار مبان أخرى، لأن سطح الأرض كان مغطى بكسر الطابوق.

إن هذه البناية العجيبة مشيدة بالطابوق و «المونة» الجيدة، و على جانب عظيم من المتانة، و لم أعثر على أية كتابة فى الطابوق الذى شاهدته كما أننى لم أجد هناك لبنا غير مفخور أو طينا أو قصبا. و فى عدد من الأماكن وجدنا تجاويف عديدة أصبحت الآن مملوءة بالتراب و الأنقاض و من غريب ما عثرنا عليه فى هذه الأطلال قطعة نقد صينية من نحاس.

على أن هناك أمورا أخرى تتعلق بما اكتشفته اليوم سأحتفظ بها حتى نتلاقى لأننى لم أباشر بعد الأرصاد الفلكية فى هذا المكان.

سنرحل غدا عند مطلع الشمس إلى (قزيل رباط) و هى على مرحلة هينة. و لقد عزمت على إرسال هذا الكتاب صحبة البغالة العائدين، لأننى سأعيد من هنا كافة البغال الرديئة محتفظا بالجيدة منها، و سوف أتزود بما أحتاجه منها من القرية.

إن رسول الحاكم قد خرج الآن من زيارتى و عرض علىّ أن يضطلع بمهمة إرسال هذا الكتاب. و لكم تمنيت أن أتلقى هنا أخبارا منك، لأننى عازم على أن أضرب فى طول هذه الأماكن و عرضها، و سوف لا يتاح لى أن أتسلم كتابا منك قبل وصولى إلى ضواحى بغداد. و لقد استعلمت توّا عن وجود طريق أخرى أغلب ظنى أننى سأتبعها، لأنها ستمر بى خلال

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۷۲

أماكن غريبة إلى (كفرى)، و هذا هو الطريق الذى كنت آمل من أمد بعيد أن أتأكد منه، و الذى ما كنت أظن أننى سأستطيع التأكد منه يوما ما.

لقد أقام لى سليم آغا حفلة لهو و قد كان يبذل قصارى جهده لتسليتى. فأحضر لهذا الغرض الجوق الموسيقى من القرية، الأمر الذى ازعج (به ل لى نو) كثيرا. و قد أخذ الجوق يعزف أغنية «بريازى يازدم»- و معناها:- كتبت كتابة- و يقول سليم آغا أن سيدات بغداد شغوفات بهذه الأغنية.

تأكدى، و اكتبى لى إلى (كفرى)، و إنى سأكون فيها بعد خمسة أيام بعون اللّه. فإذا كنت لا تجدين من يسافر إلى (كفرى) مباشرة فلا بأس من إيفاد رسول خاص، و على كل حال إنى أرى ذلك خير طريقة.

درجة الحرارة فى هذا اليوم ۶۶، و الجو رائق جميل.

۲۱ آذار: غادرنا (شهربان) فى حوالى الدقيقة العاشرة قبل الساعة السابعة، و سرعان ما سررنا لبلوغنا أول أرض مرتفعة منذ بارحنا

بغداد، فكانت المناظر أشبه بالمروج الإنكليزية، و بعد فترة وجيزة بلغنا جدول (بلدروز) الجميل فاجتزناه فوق قنطرة جيدة ذات قوس واحد.

و فى الساعة الثامنة و النصف بلغنا (تلال حمرين) و هى لا ترتفع فى أى مكان أكثر من مائتى قدم. و السلسلة الأولى أو الجنوبية منها مؤلفة من أحجار رملية جرداء بطبقات منحنية و من ورائها فجوة ملأى بالأطناف كأنها تلال محطمة، و من بعدها تأتى السلسلة الشمالية و هى من تراب و أحجار، و فى أسفل التلال جدول صغير يصب فى نهر ديالى.

انحدرنا من تلال حمرين بمنحدر هين إلى سهل يدعى دشته

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۷۳

تنتشر فيه بعض الأكواخ العائدة إلى كرد (سوره مه نى) الذين يفدون إلى هنا فى هذا الموسم لزراعة التبغ. و قد كانت قبائل (الخزرج) و (بنى ربيعة) و (بنى ويس) العربية تقيم هنا قديما للزراعة، لكنها قد تفرقت فى الأيام الأخيرة.

و لقد سألنا مسافرا صادفناه عن بعد (قزيل رباط) عن ديالى، فأعجبنى جوابه «بر جوبوق ايجمه» أى «أمد وقت يستغرقه تدخين غليون» .

و كان مسيرنا فى طريق سبخة موحلة، و لكن وجدنا زرعا كثيرا على كلا جانبيها.

و كانت سلسلة تلال أخرى ظاهرة وراء (قزيل رباط) موازية لتلك التى غادرناها توّا، تلك هى تلال (خانقين) التى تبدأ عند كركوك و تتجه نحو (لورستان).

و عندما كنا نقترب من (قزيل رباط) التى بلغناها وقت الظهيرة شاهدت تلالا صغيرة من الأنقاض على يسارنا و هى لا تستحق الذكر.

و هناك طنف اصطناعى فى قرية (بارادان) ذو مظهر غريب. و عند مغرب الشمس خرجت إلى شرفة الدار التى حللنا بها، و منها استطعت رؤية نهر ديالى الذى يبعد عنا زهاء الميلين.

و بفضل مساعى محمود جاووش علمت بوجود بعض الأطلال

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۷۴

بالقرب من (قصر شيرين) و هى خرائب لم يسبق لأوروبى أن زارها.

فاستأجرت دليلا يقودنا إليها.

و لقد سمرت ليلا فى حفلة كان القرويون يقيمونها بمناسبة عرس عندهم. و كان منظرا قشيبا لعبت فيه السيوف و دارت حلقات الرقص على ضوء المشاعل.

و الناس هنا يتكلمون بالتركية و الكردية، و اللّغة الفارسية شائعة فى هذا المكان أما العربية فلا. و يقال إن دخل خزينة (قزيل رباط) يبلغ حوالى ۷۰،۰۰۰ قرش.

درجة الحرارة بين الساعة الثانية و الثالثة ب. ظ. ۷۳، و الريح جنوبية، و الأفق مغبر.

۲۲ آذار: امتطينا جيادنا فى السابعة إلا ثلثا هذا الصباح، و فى موقع يدعى (كه رميه)- بالكاف الفارسية- شاهدت تلّين لا أهمية لهما، و الظاهر أنهما اصطناعيان. و فى الساعة السابعة بلغنا جدول (قزيل رباط)، و كانت الأرض صخرية و عشبها قليل يكفى لرعى الأغنام، و قد شاهدنا قطعانا كبيرة من الغنم و الماعز.

و فى الثامنة إلا ربعا بلغنا التلال، و كانت السلسلة الأولى منها ترابية خددتها الأمطار و شققتها كثيرا ثم جاءت سلسلة من الأحجار و الحصى مندمجة بتربة خفيفة، و كانت تظهر بعض الأحجار الرملية فى أنحائها. و مررنا بمضيق قليل العرض يدعى (صاقال طوتان) أى «ماسك اللحية» كناية عن اللصوص العابثين فى هذه المنطقة، و منه انحدرنا إلى سهل و بعبارة أخرى إلى واد مملوء ببقايا تلال ركمة مغطاة بالتربة التى انحدرت إليها من التلال التى تعلوها.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۷۵

و فى التاسعة بلغنا (يه نى جه رى ته به- تل الينكشارى) الذى يعد منتصف الطريق بين (قزيل رباط) و (خانقين) و قد أخذ طريقنا يتلوى بين التلال، و بعد أن اجتزنا سلسلة ثانية منها شرعنا ننحدر انحدارا تدريجيّا باتجاه خانقين، و كانت التلال التى مررنا بها أعلى بقليل من تلك التى اجتزناها نهار الأمس، و كلها حصوية ترابية، و كانت الصخور الرملية تظهر هنا و هناك بطبقات مائلة نحو وسط التلال.

و سهل خانقين معشوشب جميل، تقاطعه فى الأنحاء بعض خطوط التلال، و الأرض مملوءة بالحجارة. و كانت الحبوب الهندية و التبوغ مزروعة فيها. و فى أعالى (ألوان) يزرع الرز أيضا الأمر الذى يجعل الجو فى موسم الخريف مزعجا جدّا. و قد قيل لى بأن كمية الغلة الاعتيادية فى هذه الأراضى تبلغ عشرة أضعاف البذور. و قد وجدنا عشائر كردية منتشرة فى كل مكان من هذا السهل المعشوشب لترعى مواشيها.

توقفنا فى السهل نصف ساعة أوفدت خلالها مأمور منازلنا (قوناقجى) و كانت الجبال تمتد إلى يميننا و هى تشرف على إقليم (كيلان)- الكاف فارسية- و أمامنا جبال إيران ظاهرة وراء زهاو الكردية.

و بعد أن اجتزنا ربوة صغيرة انحدرنا إلى البلدة الصغيرة أو قرية (خانقين) فبلغناها فى الثانية عشرة و الربع، حيث وجدنا خانا أنيقا من بناء الفرس، لكننا بدلا من الوقوف هنا عبرنا نهر (الوند) و هو جدول جبلى سريع يجرى من الجنوب إلى الشمال و يصب فى ديالى على بعد قليل من (قزيل رباط) فوق قنطرة جميلة ذات ثلاثة عشر قوسا بناها محمد على مرزا ، و اتخذنا مقرنا فى (حاجى قه ره) على الضفة المقابلة.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۷۶

۲۳ آذار: مرت بنا ليلة عاصفة. و رياح هذا الصباح شمالية غربية. و قد علمت توّا بوجود طريق تؤدى من هنا إلى (قه ره ته به)، أطننى سأتبعها.

و كنت اليوم أتلهى بالنزهة فى الأماكن المجاورة و الجلوس فى بستان حيث استمعت إلى موسيقى كردى عجوز من قبيلة (سووزمه نى) التى اشتهر أفرادها بالموسيقى و الرقص. و كان هذا العجوز يعزف عزفا لا بأس به على «كمان» محلية أو رباب ذى و ترين بأنغام مطربة. و قد عاد مرة أخرى فى المساء ليطربنى فأنشد عدة أغانى بدائية باللّغة الكردية.

درجة الحرارة فى الثالثة ب. ظ. اليوم ۶۶.

كفرى، ۲۷ آذار ۱۸۲۰: ها أنا ذا هنا بعد أن قمت برحلة أكثر ما تكون غرابة و أهمية. و قد كانت من الغرابة و التوفيق بنتائجها مما تعد من المشروعات التى نصممها أحيانا من غير ما تتاح لنا إمكانية تطبيقها. فقد غادرنا خانقين فى الرابع و العشرين منه برفقة سليم آغا الذى أصر على مصاحبتى فى سفرتى، و معه جماعة قوية من حرسه الخيالة، و ذلك تفاديا للخطر الذى قد نتعرض له من مؤخرة حرس جيش أمان اللّه خان عدا قطاع الطريق الذسين يقال بأنهم يحتلون المضائق فى هذه المنطقة و أن عددهم يبلغ ۵۰۰ خيال. و كنا نبعث بعض الحرس فى الطليعة و الجناحين، كما كان (به ل لى نو) و السيد المعروفين بقوة بصرهما قد انفصلا عنا و سارا أمامنا يتطلعان إلى الطريق. و الأراضى هنا جبلية، و الركوب لمدة خمس ساعات مريح جدّا.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۷۷

و فى الساعة التاسعة بلغنا (قالاى سه لزى) - قلعة سه لز- و هى حظيرة تشبه حظائر الغنم شيدها على هيئة «ده ربه ند»- مخفر حرس- عبد اللّه باشا جد فتاح باشا الزهاوى، لكنها هجرت منذ مدة طويلة.

و فى الحادية عشرة و النصف لما بلغنا خان (قصر شيرين) وجدنا الكل فى ارتباك من جراء غزوة أمان اللّه خان الأخيرة. و أخذ القرويون المساكين و هم من التركمان ال (ده ركه زين)، يقصون علينا قصصا محزنة عما أصابهم. و قد علمنا بأن الخان أصبح على

بعد أربع ساعات منا، فی منطقة الباشویة الکردیة بزهاو حیث باشر أعمال العدوانیة ضدها.

ضربت خیمتی فوق أکمة معشوشبة جمیلة تشرف علی نهر (الوان).

أما المستر (به ل لی نو) فقد أقام فی خیمة صغیرة اتخذها مرصدا علی مقربة منا، و أشغل فی مؤخرتنا سلیم آغا و رجاله مکانا أقل ملائمة. و قد ألف الحرس من بنادقهم نوعا من البطریات، کما أقام السید و محمود و الخیالة و غیرهم جماعتین من الحرس. و أخذوا یرددون بصوت مرتفع کلمة مرور هی: «کل شیء علی ما یرام» و کان البوق ینظم تبدیل النوبة للحرس فکان صوته یجلجل بین الجبال، فأخذ معسکرنا هیئة عسکریة مهیبة لکنه لحسن الحظ لم یحدث ما یستوجب إظهار بطولتنا.

سلخت ثلاث ساعات تجولت خلالها بین أطلال قصر خسرو (کسری) و قد خبت فیما کنت أتوقعه. و الحقیقة أننی منذ قیامی بزیارة طاق کسری مؤخرا لم أشهد حتی الآن بناء یعادله عظمة. فالأطلال التی أزورها الآن علی جانب کبیر من الخشونة، لا روعة فی تصمیمها أو

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۷۸

سعتها. و لیس من المعقول أن تکون مدینة کانت قائمة فی هذا المحل.

و علی کل حال لیست هذه (دستجرد) و إنما هی أحد قصور الصید التی کان ملوک ساسان یترددون إلیها.

و علی ناحیة التل وراء الخان وجدت سیاجا مربعا أشبه بالحصن محاطا بأبنیة مکورة، إذا صح التعبیر، کان داخلها سالما من العطب و هی صغیرة المساحة تشبه قمعا مقلوبا. و کان طرازها المعماری من أخشن ما رأیته. و یظهر أن بناءها مؤلف من حصاة کبیرة مستدیرة مکومة فوق بعضها دون اهتمام أو ترتیب، فوق طبقة کثیفة من «المونة» الخشنة.

و عند الزاویة الجنوبیة الغربیة فوق مسیل وجدت بقایا قنطرة من الطراز الخشن نفسه، تقع علی مسیرة عشر دقائق مما نسمیه المدینة.

و قبل بلوغها مررنا بتلال مؤلفة من طبقات عمودیة متوازیة من الصخور الرملیة، و قد حاول رفاقی إقناعی بأنها آثار أبنیة. و من الغریب أن هؤلاء کانوا علی استعداد للاندهاش من أی شیء یرونه. إذ کانوا یهتفون بکلمة «عجائب ..» کلما وقعت أبصارهم علی طلل لا أهمیة له، و کانوا أحیانا یعلقون بقولهم إن من المستحیل أن تقام بنایة علی هذا الطراز فی الوقت الحاضر.

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۷۹

أما البلدة ففی محیط غیر منتظم لا تزید مساحته علی المیل الواحد. و لها أربعة مداخل کان الغربی منها أفضل حالا. و أنا الآن أشرع بوصف هذه الأطلال حسب الترتیب التی شاهدتها به، فقد کان أول ما شاهدناه بعد اجتیازنا السور، و إلی الشمال الغربی مما أسمیه القلعة ب (۱۵) درجة، بناء مربع الأرکان یتجه إلی الجهات الأربع الأصلیة، و کان ذرع طول کل ضلع منها ثلاثة و خمسین قدما، أما ارتفاعه فلم أضبط قیاسه و قد یکون أربعین قدما. و فی کل ضلع من البناء بوابة مقوسة فوقها نافذة ضیقة. أما السقف، و یظهر أنه کان معقودا فقد تهدم. و البنایة کما ذکرت خشنة الإنشاء یکسوها الطابوق الأحمر الغلیظ، و کانت تقسیمات النوافذ و الأبواب من هذا الطابوق أیضا، و کان قسم منه ظاهرا فی مکانه. و وجدت إلی الجانبین الشمالی و الجنوبی ساحات صغیرة مربعة علی جوانبها حجرات صغیرة منهدمة و إلی الجانب الشرقی منها آثار بناء طویل یحتوی علی شقة ضیقة، یظهر أنها کانت معقودة السقف.

قصر شیرین

أما الخرائب الرئیسیة فی واجهة هذا البناء الذی کان یذکرنی بأطلال دارا، فقائمة فی قلب المدینة. و الظاهر أنه کان دکة واسعة تعلوها

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۳۸۰

القباب، مقسمة إلی ممرات ضیقة و حجرات. و فی الناحیة الغربیة من الجهة الجنوبیة یقوم شبه مجاز ینتهی بباب عند کلا طرفیه. و کان هذا المجاز مفتوحا من جهته الشمالیة و یفضی إلی حجرات و غرف قائمة بمفردها، و أغلب ظنی أنها کانت فی السابق جزءا من الدکة أو الرصیف.

و إلى الجهتين الشرقية و الشمالية و الجانب الشرقى من الواجهة الغربية كان البناء كاملا. و على كلا جانبيه مرقاة مزدوجة قائمة على العقود التى تسند الرصيف و هى واضحة كل الوضوح. و لا يزيد طول كل واجهة حسب اعتقادى على مائتى قدم و ارتفاعها من ثمانية إلى عشرة أقدام، و هذا أعلى قسم فى بقايا هذه الأطلال. و بناء الأقسام جميعها متشابهة من حيث الطراز.

و هناك أمام المدخل الشرقى و على امتداده، وجدت سياجا مستطيلا يتألف من أحجار مستديرة مكومة فوق بعضها، و الساحة التى تتخللها مزروعة فى الوقت الحاضر. و قد شعرت ببعض الشك فى أول الأمر فى كون هذه الحظيرة قديمة أم حديثة. لكن جميع الحاضرين فى هذا المكان أكدوا لى بأنها قديمة فأصبحت أميل إلى الاعتقاد بأنها كذلك و لعلها كانت صهريج ماء قائما أمام القصر. و كان السور من الجهة الشرقية بحالة جيدة. و لكننى لم أجد أثرا للأبراج فى أية جهة منه. و يظهر أن هذه كانت حظيرة بسيطة بدون دفاع. أما المدخل الخارجى فكان مؤلفا من بابين مزدوجين فوقهما قبة معقودة فى الأزمنة السالفة، و إلى كل من جانبيهما غرفة كانت معقودة أيضا. و السور كله مشيد بالصخور الرملية المستطيلة الشكل. أما أقواسه فمؤلفة من قطع كبيرة من الصخور الرملية. و يبلغ عرض البوابة الواحدة خمسة عشر قدما و ثلاث عقد، و لعلها كانت بارتفاع يناهز العشرين قدما فى الأقسام التى لا تغطيه الأنقاض.

رسمت مخططين لهذه الأطلال. و يقع خط العرض فى (قصر

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸۱

شيرين) حسب التخمين الإجمالى ۳۴ درجة و ۳۰ دقيقة و ۳۹ ثانية شمالية.

و فى اليوم التالى بعد أن مرت بنا ليلة قارصة البرد توجهنا نحو أطلال (حوش كه رو) التى لا يعرف عنها شىء حتى الآن. و هى واقعة فى باشوية زهاو الكردية التى سبقت الإشارة إليها فى (قزيل رباط). نهضت عند طلوع الشمس على الرغم من البرد؛ و أثناء ما كانت الخيام تقوّض، ذهبت لإلقاء نظرة على الأطلال التى نسيناها نهار الأمس، إنها وراء القلعة من ناحية الخان و كانت قائمة فوق أعلى مرتفع فى هذا المكان، فوق جبهة التل المشرف على الخان. و كانت هذه الرابية مستديرة فى أعلاها، و قد بنيت من جميع أطرافها أو أحيطت بسياج تتخلله الفجوات. و كان بناؤها من الطابوق الأحمر الغليظ. أفلا يمكن أن تكون هذه «دخمة فارسية» أى المحل الذى يلقى عليه الموتى؟. أما التلال المجاورة فكانت من الجبسين؛ و التربة حمراء سبخة فى بعض الأماكن. و قد عثرت عند أسفل الرابية و الخان على بقايا أساسات قديمة. لكننى على يقين من أنه لم تكن هنا بلدة. و إنما قصر للصيد، كما أننى لا أعتقد أنه كان بناء داخل السياج عدا القصر الذى مر بنا وصفه.

امتطينا جيادنا فى السابعة فشرعنا نسير فى تلال موحشة بين العشائر الكردية التى كانت من عنصر أرقى من عشائر ماردين و مررنا بإبل لأمير كرمنشاه كانت ترعى، كما صادفنا جماعات عديدة من عشائر (زه نكه نه) مع عوائلهم. و كنا كلما مررنا بجماعة من الكرد أو مضارب لهم يصر سليم آغا على أن ينفخ جنودنا بأبواقهم زاعما أن ذلك «هيبتلى»

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸۲

أى مما يزيد فى هيبتنا. و بالحقيقة إننى أستطيع أن أؤكد لك بأنى وجدت الأبواق تزيد فى هيبتى أكثر مما لو أضيف إلى رجالى خمسون جنديّا آخرين. و قد صرح الكرد بأنهم عرفوا أننى ال «ايلجى» أى السفير، من الأبواق التى ترافقنى، سيما أولئك الذين سبق أن تعرفوا إلى الجنرالين (مالكولم) و (يارمولوف). و على ذكر يارمولوف أقول إن كمنجاتيّا كرديّا عجوزا عزف لى رقصة قوزاقية قال إنه تعلمها من الجوقة التى كانت تصحب يارمولوف. أما على ذكر الأبواق فأقول إنه حدث فى (حوش كه رو) أن اهتاج جوادى و انتصب واقفا على رجليه و هاجم جوادا آخر كان بالقرب منه فقابله هذا بالمثل. و من جراء ذلك سقط حامل البوق الذى كان واقفا بين الجوادين على الأرض فوق الأحجار المتبعثرة.

فخيل لمن كانوا معى أن قحف رأسه قد تهشم فصاروا يهنئونه على سلامته، و قد قال:- «لم أكن خائفا على رأسى و إنما كنت أفكر بالبوق الذى أحمله إشفاقا عليه من الانفعاص»؛ و لكنه لم يتعطب.

وصلنا إلى أطلال (حوش كه رو) فى التاسعة و النصف. و كان الطريق إليها يتلوى بين التلال لكن اتجاهنا العام كان شماليّا بثمانين درجة إلى الغرب من (قصر شيرين). و (حوش كه رو) يشبه (قصر شيرين) الشبه كله و لكنه أقل تداعيا منه، الأمر الذى سهل لنا رسم مخطط له. و هنا قابلنا بعض الكرد ال (بتاره وه ند) من أتباع أمير كرمنشاه و هم على جمال يفوق المعتاد و نشاط و أدب، فقدموا لنا لبنا رائبا لذيذا وجبنا طريّا تمتعنا منه بأكلة شهية قبل شروعنا بفحص الأطلال.

و تتألف أطلال (حوش كه رو) أولا من سياج من جدران حجرية ذات شكل غير منتظم يتبع تموج الأرض. و هى أقل امتدادا من أسوار قصر شيرين، غير أنها لا تضم أية خرائب. و على بعد نحو مائة ياردة إلى الجنوب توجد البناية التى جئت خصيصا لمشاهدتها و هى التى يطلق عليها (حوش كه رو) و يزعم بعض الكرد أنه المكان الذى كان (كسرى) يربى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸۳

فيه أفراسه، و أنه كان يجلب الحليب لتغذية أفلائه عن طريق قناة منقورة فى الصخور لا تزال بعض آثارها ظاهرة على بعد نحو ساعة من (قصر شيرين)، لكننا لم نجدها جديرة بالزيارة. أما كرد ال (بتاره وه ند) الذين كانوا معنا فيزعمون أن (حوش كه رو) كان قصرا أو حصنا لشابور. و كان طراز بنائه يشبه طراز (قصر شيرين) و لما كان أحسن حالا منه فقد أتاح لنا فرصة دراسته و تفهمه كما فعلنا (بقصر شيرين).

و يحتوى (حوش كه رو) كالبناء الذى سبق لنا وصفه صحنا أو رصيفا يستند إلى عقود تؤلف قاعات صغيرة معقودة أشبه بالأقبية أو السراديب و قد أصبحت اليوم مأوى شهيرا لقطاع الطرق. و كانت أحسن هذه الغرف حالا تلك الواقعة إلى الجهة الشمالية، و قد علاها السخام من النار التى يوقدها اللاجئون إليها فى فصل الشتاء. و شكل هذا الصحن المحدد من جهاته الأربع طولانى. و قد قمت بقياس جبهته الشمالية فوجدتها ثلاثمائة و أربعين قدما من ضمنها البناء الواقع على الواجهة الغربية، أما ارتفاعه فكان خمس عشرة قدما و نصف القدم، و عرضه من الشمال إلى الجنوب يقدر بنصف طوله من الشرق إلى الغرب. و فى نهاية جبهته الغربية بقايا بناية القصر الذى دخلناه من منحدر يمكن الخيال أن يهبط منه. و إلى جانبى المنحدر ساحة صغيرة فوقها غرف معقودة. و بناية القصر عبارة عن أكوام من خرائب غرف صغيرة كلها مبنية بالصخور الرملية المستديرة، و هذه الصخور تغطى الأرض فى تلك المنطقة بكثرة مدهشة حتى سهل (بين كودره). و عند المنتهى الشرقى من الواجهة الشمالية و الجنوبية مرقاة مزدوجة، و الساحة من أسفل الواجهة الجنوبية. و قد قال لى آغا سيد إن هذا البناء يذكره بالمبانى التى يشيدها شاه إيران حيثما يعسكر بجيشه. و على بعد نحو مائة ياردة إلى الجهة الشمالية الغربية يوجد بناء غريب يستند إلى جدران السياج من الخارج، و هو مفتوح من أعلاه، و لا يزيد ارتفاع حيطانه على العشر أقدام. و هذا البناء يحتوى أولا على ساحة مكشوفة فى جانبه

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸۴

الشرقى قياسها نحو سبعين قدما مربعا تحيط بها الأقواس من كل جانب، ثم على ممرات ضيقة جدّا يظهر أنها كانت معقودة فى أكثر أقسامها، فإن قواعد أقواسها ما زالت قائمة؛ و من بعدها ساحة مكشوفة كالأولى ثم سياج أكبر. و يوجد فى الشمال ممران ضيقان يحدهما سور السياج. و يصعب القول فيما إذا كانت هذه البناية جميعها مسطحة فى الماضى شأن صحن القصر، إذ إننى لم أشاهد فى الساحة آثار أنقاض يمكن القول بأنها قد تساقطت من السطح لكن الممرات كانت معقودة بلا ريب.

و قد زعمت جماعتى فى الحال أن هذا كان محل الخدم، و فى الحقيقة أنهم زعموا أمورا اسوأ حدسا من هذا. و كانت البناية كلها من الصخور الرملية و كل ما شاهدته حتى الآن من الآثار الساسانية لم يترك لدى فكرة حسنة عن ذوقهم و عظمتهم. و أكبر ظنى أن هذه الأطلال و تلك التى شاهدتها فى (قصر شيرين) إنما كانت قصورا للصيد و حدائق نعرف أن ملوك الساسانيين كانوا يمتلكونها، و لعل هذه الأبنية كانت فخمة المنظر يوم كانت محلاة بالنقوش الكثيرة و مموهة بالذهب و مزينة، أما فى حالتها الخربة الحالية فليس فيها ما يدهش. و لا توجد فى هذه الأنحاء أطلال أخرى غير تلك التى وصفتها.

لم نقض ليلتنا فى (حوش كه رو) و إنما غادرناها فى الساعة الحادية عشرة فسرنا فى سهل (باجه للان) من أعمال باشوية زهاو، حيث تمكنت من تسجيل نقاط جغرافية مهمة، و حل بعض الأمور المعقدة التى لم يمكن توضيحها بوسائل أخرى، سيما تعقب مجرى نهر (ديالى) بكامله.

و قد استأنفنا طريقنا فوق قمم الجبال حتى الساعة الواحدة، حيث انحدرنا إلى السهل، فشاهدنا نهر (ديالى) يتلوى بعيدا عن جهتنا اليمنى، و على شاطئه تل اصطاعى مرتفع يدعى (شيروانه) و كان السهل على ما يظهر مزروعا جيدا، فهنا أخذت نسبة التراب تزداد على كمية الصخور المدورة التى مرّ ذكرها.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸۵

و فى الساعة الثانية إلا عشر دقائق بلغنا (بين كودره) و هى قرية كبيرة يملكها حسن آغا من رؤساء الكرد فى (باجه للان). و قد هرع لزيارتى فى خيمتى و كان يرتدى حلة قشيبة مقصبة بالذهب عليها عباءة من الفرو الثمين ارتداها لهذه المناسبة، و كان يتكلم التركية بذلاقة و هو مضياف كبير لم يسمح لى بشراء أى شىء من قريته باعتبارى «مسافره» أى ضيفه الخاص. و فى اللّيل خرجت القرية بأجمعها لرقصة الدبكة «الجوبى» على أنغام الطبل الكبير و المزمار. و لزيادة أنسنا جعلوا سليم آغا ينضم إلى حلقتهم. و قبل أن يبدأ الاحتفال قدم حسن آغا لزيارتى و قد تم الاتفاق على أن يعد رمثا «كلكا» نتمكن به من عبور ديالى الذى يبعد نحو نصف ساعة عن هذا المكان .

امتطينا جيادنا فى الساعة السابعة من الصباح التالى، و هنا ودعت دليلى الكيس سليم آغا فعاد إلى خانقين. أما أنا فقد سرت مع رئيس هذه المنطقة نحو (ديالى) التى بلغناها بعد ساعة من الزمن. و كان طريقنا إليها مستنقعا كونته مياه النهر الفائضة. و قد شاهدنا كثيرا من أشجار الصفصاف و الحور، و بعد مغادرتنا القرية مباشرة مررنا بأكوام من الخرائب تدعى (قطار ته به سى) أى تل الحجل، و قد زعموا بأن (أنوشيروان) كان يضع بغاله هنا؛ و قد شاهدنا أطلال أبنية كثيرة على طول نهر ديالى.

و حالما بلغنا نهر ديالى عبرته جيادنا سباحة بمساعدة بعض العربان، و أعد رمث «كلك» لعبورنا نحن و أمتعتنا. و لما كان الرمث صغيرا فقد

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸۶

اضطررنا للعبور بالتناوب الأمر الذى أخرنا زهاء خمس ساعات. و كان عرض النهر الرئيسى حوالى أربعمائة ياردة. و قد أعلمنا الزعيم الكردى بأنه فى موسم الفيضان يصبح عرضه ميلا- و نصف الميل، عدا ما يصب منه فى المستنقعات التى مرّ ذكرها. و قد وجدت القطن و التبغ يزرعان فى الأراضى المجاورة، و كان العرب من قبائل (بنى عجيل) و (العزة) ضاربين على شواطىء النهر. و الرمث الذى عبرنا النهر عليه كان من عمل أفراد العشيرة الأخيرة، و يقبض (حسن آغا) بدل التزامه مبلغا يتراوح بين المائتين و الثلاثمائة قرش. و قد تم نقلنا جميعا بسلامة على الرغم من و هن الرمث و شدة تيار النهر الذى كان أشبه بالماء المتدفق من فم الخرطوم.

و كان أحمد آغا قد تولاه الذهر لمجرد التفكير فى مهمة عبورنا على هذه الشاكلة. فلما رأى أننا قد عبرنا بسلام طفق يجهش بالبكاء و يقول: «آه يا سيدى كنت أرجح أنك تسير خمسة أيام على عبورك- و لعله كان يقصد نفسه- هذا النهر الرهيب. أما (جيت سنغ) فكان يتمتم طيلة مدة عبورنا البسملة:- «بسم اللّه الرحمن الرحيم، بسم اللّه الرحمن الرحيم».

عدنا إلى الركوب فى الجانب الأيمن من النهر فى الواحدة و النصف فمررنا أولا فوق تلال ثم انحدرنا إلى أرض رسوبية و بعض الأراضى التى كانت قد غمرتها المياه سابقا فبلغنا قرية (زه نكه باد) و هى مسقط رأس ابن الكيوانة لكنه كان غائبا، و كان وكيله رجلا

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸۷

مؤدبا. و على بعد ثلاثة أميال من القرية شاهدت على الشاطئ الأيسر و تحت سلسلة التلال مباشرة، قرية (ده كه) و هى على بعد ساعة من (زه نكه باد).

كان وصولنا فى الساعـة الرابعـة و الربع، فوجدنا الحاكم قد خرج لسـرقة الأغنام حسب العادة المتبعة فى الحدود. و يبلغ بدل التزام (زه نكه باد) ۰۰۰، ۵۵ قرشا سـنويّا. و هى تقع على بعـد ميل واحـد بخط مسـتقيم عن نهر ديالى الذى شـهدناه يتلوى على يسارنا على بعد يسـير منـذ أن عبرناه بجوار (بين كودره)، و هو يجرى باتجاه شـرقى على مقربة من قرية (زه نكه باد). و قرية (زه نكه باد) قاعدة ذلك الإقليم بلـدة حقيرة، تكاد أن تكون مهجورة، و أكثر من نصـفها خرب، و قد كانت أحسن حال فيما مضـى كما تدل عليه بقايا حمام و مسجد كان قد بناه سليمان باشا جد عبد الرحمن، باشا السليمانية، و قد أقمنا فى هذا المسجد؛ و قد ذكر فيه اسم المسيح للمرة الأولى .

و إلى الشـمال، على بعد بضع مائة ياردة عن القرية شاهدنا طنفا مرتفعا مربع الشـكل يدعى «قه لان ته به سى» و إلى جواره طنف آخر أصـغر منه يشـبه تلال أطلال معبـد بابل. و لا يسـتخرج الطابوق من هـذين الطنفين و لكنه يسـتخرج بكثرة من الجانب الآخر من القرية حيث توجد تلال عديدة كلها أطلال تدعى «خست كه ن» و الظاهر أنها آثار بلدة قديمة.

و الجو فى هذه الأراضـى المنخفضة مزعج جدّا بسـبب المسـتنقعات و كثرة المياه. و على بعد ميلين من غربى (زه نكه باد) توجد قرية مماثلة تدعى (مه نايتوه) تكتنفها أشجار النخيل و جوّها مزعج بصورة خاصة،

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸۸

و فى هذا الإقليم قرى عديدة أخرى هى عبارة عن مجموعة أكواخ من طين حقيرة مسقوفة بالقصب.

لقد عانينا الأمرّين طيلة يومنا من شدة الحر. و شعرت بالتعب بعد مسيرة ثلاث ساعات أكثر مما كنت أشعر به بعد مسيرة عشر ساعات.

بارحنا (زه نكه باد) قبيل الساعـة السابعـة، و فى التاسـعة بلغنا (كوشك زه نكى) المنسوبـة على ما يظهر إلى الأتابكة، و قيل لنا إن فيها بعض الخرائب. و لقـد وجدنا هذه عديمة الأهمية و هى مؤلفة من حطام طابوق خشن و أساسات من الطابوق فوق قمة طنف مسـتدير. و أخبرنا بوجود أطلال على بعـد يسـير حيث يوجـد كثير من الرخام، لكننا لم نـذهب لمشاهـدتها. إن روايـة الناس فى تاريخ الخرائب الموجودة فى هـذه النواحى مما يمكن الركون إليها بوجه عام، و على الأقل فيما يتعلق بعهدين من عهود التاريخ هما العهد الذى سـبق النبى محمـد و العهد الذى خلفه. فهم لا يعرفون سوى عهد الكاوور (الكفار) و عهد المسـلمين؛ و على هذا فهم قلّما يخلطون بين آثار العهد الأول و الثانى.

تركنـا التلال إلى يميننا و توجهنا نحو (كفرى صو) ، و هو أحـد مجارى الماء التى تنحـدر من هـذه الجبال نحو سـهل (كفرى)، حيث تسـتهلك فى إرواء الزروع. فبلغنا النهر فى الساعة الحادية عشـرة فوجدنا قعره مجموعة عظيمة من الحصو تخترقها ساقيتان أو ثلاث من الماء الرقراق.

و كانت التلال المار ذكرها تعترض طريقنا و شاهـدنا مجار عديـدة واسـعة للجـداول المنحدرة منها كانت فى هذا الوقت يابسة، و يبلغ عرض بعضها بضع مئات من الياردات.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۸۹

اسـتأنفنا طريقنـا بين الجبـال و شاهـدنا إلى يميننـا (اون ايكى إمـام) حيث توجـد ينـابيع للنفط على بعـد مسـيرة ساعـة و نصف من هنا «كفرى» فبلغناها بعـد الظهر بقليل و قـد برح فينا الحر، و لم أكـد أتمتع بقسط من الراحـة حتى شـرعت أكتب إليك هـذه القصة. و قد كـانت المرحلتـان الأخيرتـان اللتـان قطعناهما رهيبتين من شـدة الحر مع أننا قـد وصـلنا إلى هنا فى الساعـة الثانيـة عشـرة و النصف. إن رجالى كلهم منهوكون تعبا، أما أنا، فللّه الحمد، بصحة جيدة و إن كنت شديد العناية بأن لا تفوق أتعابى ما تتحمله قوتى.

و لقـد حللنا هنا فى نفس المكان الـذى حللناه عند سـفرتنا إلى اسـتانبول، و قد كدت أبكى عندما شاهدت الشـجرة القائمة إلى جانب الجدول الصغير فى باحة المكان حيث تناولنا طعام الغداء معا فى سفرتنا الخالدة تلك .

و قـد أصـبحت بلـدة (كفرى) أكثر تـداعيا و نفوسـها أقل عـددا منـذ كنا فيها. و قد اسـتغرب الناس عندما عرفت طنفا لم أره منذ سـبع سنوات، و كنت قد شاهدته من طرق مختلفة. و على بعد نحو الميل عن البلدة اكتشف الناس مؤخرا ينبوعا للنفط.

يا ترى هل أنت على استعداد لرحلتنا المقررة إلى كردستان؟ ليس لدينا وقتا نضيعه لأن الشمس تكاد تشوينى، كما أننى لن أوافق على السفر ليلا. و لقد سجل المحرار اليوم فى خيمتى ۹۰ درجة فى الساعة الثانية و الثالثة بعد الظهر.

سيغادرنا الليلة أو صباح الغد محمود بك رئيس خدم القصر و أرجو أن يسلمك كتابى هذا. إنه يجتاز بعض المصاعب فافهميها منه و انظرى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۰

إذا كان باستطاعة أحد أن يساعده. إنه صديق مسكين ذو قلب طيب.

درجة الحرارة فى خيمتى ۹۰.

كفرى ، ۲۸ آذار: أصبحت توّا أسعد رجل فى العالم عندما تسلمت كتابك المؤرخ فى ۲۳ منه، بعد حفلتك المفرحة. و قد كان مرورنا فى هذه النواحى من السرعة بدرجة أن رسولك العربى صار يبحث عنى حيث لا أدرى حتى عثر عليه أخيرا سليم آغا فى مكان ما و أرسله إلىّ صحبة حارس و رسالة رقيقة، و بذلك أضاف حملا جديدا إلى المعروف الذى سبق أن طوق به عنقى. حقّا إننى لم أستطع أن أجد اللفظة الإنكليزية المناسبة، لذلك استعملت لفظة اقتبستها من لغة أهل الغال. فإن أفكارى أسرع من أن يلحق بها قلمى. و يظهر من سياق رسالتك أنك كنت قد كتبت إلىّ رسالة أخرى قبل هذه جوابا إلى كتابى إليك من بعقوبة. فإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون (إسماعيل كوسيد) قد تسلّمها، و أنه سيرسلها رأسا إلى (ويللوك)، أو أن أحد العربان ما زال يبحث عنى فى عرض الصحراء، أو لعله سقط أسيرا بيد أمان اللّه خان و كرده. إننا كنا ننتقل بسرعة البرق بين الجبال و بين السهول بحيث كان من الصعب اللحاق بى بعد مغادرتى (خانقين). فكأننى قد غطست فى خانقين و ظهرت ثانية فى كفرى.

إن ميناس قد أرفق رسالتك بعلبة كبيرة من البسكويت. و قد ظهرت على وجه (كورد اوغلو) الرزين تقطيبة رهيبة استعاض بها عن ابتسامة استخفاف عندما شاهد محتويات العلبة و هو يفتحها، محتويات تلك العلبة التى أرسلت من بغداد على وجه السرعة.

و فى الليلة نفسها التى ثارت عندكم العواصف، مرت بنا عاصفة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۱

مماثلة كانت تهب من الجنوب الشرقى و نحن فى خانقين. لكن الريح انقلبت ريحا شمالية غربية حالما غادرنا حدود باشوية بغداد فى خانقين.

على أننا لم نكد ندخل هذه الحدود ثانية فى (زه نكه باد) حتى عادت الرياح تهب جنوبية غربية، و من ثم اشتد الحر الذى لا يطاق. و قد سجل المحرار اليوم ۸۹ درجة.

قمت اليوم بنزهة جميلة فى الأراضى الأميرية فى (كفرى). و هى واقعة على بعد بضع مئات من الياردات وراء المدينة حيث تكوّن روافد (كفرى صو) الرئيسية الممر الذى يؤدى إلى كردستان، باختراقها طريقا فى تلال الجبسين المحيطة بكفرى. و إلى الجهة الشمالية من المضيق يشق النهر تلّا عاليا إلى شقين عموديين يبلغ ارتفاعهما زهاء مائتى قدم.

و هناك نهر آخر يقال إن مياهه أكثر عذوبة تندفع على نفس القهر الحصباوى و إن كانت تأتى من ينبوع آخر على بعد نصف ساعة و تتصل بالنهر الأول عند الرابية؛ و هذان النهران فى مثل هذا الموسم من السنة عبارة عن ساقيتين لا شأن لهما. لكن القعر الحصباوى العظيم الذى يشغل المنخفض الواسع برمته يدل على أن الفيضان المفاجىء يكون عادة شديدا هائلا، بحيث إن سيوله تدحرج من أعالى الجبال قطعا كبيرة من صخور الجبسين قدرت وزن كل منها بطن واحد. و القمة المواجهة لكفرى عمودية تنتهى بالسهل مباشر لكنها أقل هدودا من جبال كردستان.

و الناس هنا يمتدحون ماء كفرى كثيرا و يقولون إنه يساعد على الهضم. أفلا يمكن أن يكون ذلك ناشئا عن مروره فوق أرض متشعبة بالنترات و الجبسين التى تجعل فيه خصائص إسهال خفيف؟ و الحقيقة إننى وجدت الماء خفيفا عذب المذاق ليس فيه الثقل

الذى نحسه فى مياه الصخور، فإن هذا الماء لا طعم له.

و قد أصر جماعة من مهرجى (ده لى دومه ن) على أن يمثلوا أدوارهم أمامنا هذه الليلة. و هؤلاء على ما أظن ينتمون إلى الغجر

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۲

و يعرفون فى بعض أنحاء إيران باسم (ته ت) و هم أشبه بالبازكاريـة فى الهند. أما تهريجهم فعبارة عن ألعاب قبيحة يسرّ لها الأتراك كثيرا؛ على أن بينهم بعض الموسيقيين البارعين.

إن ساعيك العربى ينتظر رسالتى هذه ليشرع فى طريق عودته بعيد حلول الظلام. و لا شك أنه اعتاد مثل هذه السفرات غير الاعتيادية.

أما خطتى فى الوقت الحاضر فهى مشاهدة كسوف الشمس نهار الغد هنا، و فى اليوم التالى نشرع بعودتنا إلى بغداد فنمضى ليلة فى (قه ره ته به) و هكذا نقسم طريقنا إلى مراحل قصيرة تفاديا لحر النهار.

۲۹ آذار: خرجت صباح اليوم لمشاهدة الرابية الجبسينية فتسلقتها حتى القمة، و هناك على الرغم من كثافة الأفق سجلت مزولتى عدة نقاط.

و الجبال التى اخترقناها بطريقنا تمر إلى الجنوب من كفرى، و الطريق الآتية من بغداد تقاطعها هناك و من ثم تنخفض فتتلاشى نحو الصحراء فى نقطة اجتيازنا الطريق خلف موقع (اون ايكى إمام). أما سلسلة كفرى فهى متكسرة نهود فى اتجاه بغداد، و فى نواحيها سلاسل ثانوية من الجانب الآخر طريق (طوز خور ماتى) . و الجبال فى هذه النواحى جبسينية قليلة التربة و هى مزروعة فى بعض نواحيها. و فى الجهات المقابلة أى الجنوبية الشرقية من المنخفض تتألف القمم من التراب و الحصى و قد انحدرت أكوام كبيرة منها إلى المنخفض.

و الحصى هنا أنواع عديدة، و هو مسبوك فى التراب على هيئة كتل متراصة، و الأرض مكسوة بالحصو يمازجه الجبسين. و تنمو مقادير كبيرة

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۳

من الأزهار البرية هنا، بعضها طيب الرائحة، و من بينها الشقائق و زهر الخشخاش البرى القرمزى البديع؛ و تحوم حولها الحباحب أو ذباب الأحراش.

إن أجود الأراضى الزراعية فى منطقة (كفرى) واقعة فى (اسكى كفرى)، لأن الأراضى المجاورة للبلد كثيرة الأحجار لا تصلح للزراعة الواسعة. و فى موسم الربيع و حتى يتم الحصاد يخرج أهالى كفرى إلى اسكى كفرى فيقيمون فى الخيام السوداء، و معهم نساؤهم و أولادهم.

و فى الليلة الماضية هب نسيم عليل من الناحية الجنوبية الشرقية لكنه انقلب اليوم إلى عاصفة هوجاء من الناحية نفسها تحمل سحب الغبار الأمر الذى أخشى أن يعيقنى عن عملية الرصد هذه الليلة.

و قد سجل المحرار فى خيمتى ۹۱ درجة فى أشد ساعات النهار حرارة.

۳۰ آذار: غادرنا (كفرى) فى السابعة إلا ربعا صباح اليوم فمررنا بجبلين واقعين إلى ۲۲ درجة من الجنوب غربا و بعد الثامنة بقليل مررنا بجبلين صغيرين يدعيان (تل- ايشان)، ثم عبرنا (كفرى صو) و هو الآن يابس ليس فيه سوى مجراه المملوء بالحصى. و كان السهل هنا أبيض بفعل السبخ الذى يكسوه كأنه الثلج. و قبيل الساعة العاشرة بلغنا (جمن كوبروسى)- جسر جمن- و هى قنطرة جديدة جيدة فوق (جمن) الجدول البطىء البشع المملوء بالقصب الذى يبلغ ارتفاعه نحو خمسة عشر قدما بحيث لا يكاد الماء يرى من خلاله. أما الماء فمملوء بالعلق. و لا شك أن الفيلسوف الوارد ذكره فى قصيدة الشاعر (وردزورث) كان يجد لنفسه هنا عملا متيسرا. و الناس هنا يأكلون لب القصب الأخضر من كعوبه. و قد مررنا ببعض مضارب للعرب يرعون أغنامهم فى مراعيها.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۴

توقفنا عند (جمن كوبروسى) زهاء الساعة و نصف الساعة ثم استأنفنا مسيرنا باتجاه شرقى ۱۵ غربا نحو (قه ره ته به) فممرنا بسلسلتين من الجبال بينهما واد أو قعر. و تقع (قه ره ته به) عند سفح السلسلة الأخيرة فبلغناها فى حوالى الساعة الثانية إلا ربعا، و تبلغ هذه المرحلة مسيرة سبع ساعات. و قد شاهدنا اليوم قطيعا كبيرا من الغزلان. و شاهدنا إلى يسارنا عند دخولنا البلد مقبرة فيها عدد من القباب الصغيرة كانت تظهر كأنها قرية.

و قد بلغ بدل التزام (قه ره ته به) من الحكومة هذه السنة أربعين ألف قرش. و هى تستقى من قناة تأتيها من (ديالى) فى أعلى (زه نكه باد) و أهم حاصلاتها القطن و الذرة أى الحبوب الهندية و يزرع فيها مقادير قليلة من الرز.

و يدّعى أهالى (قه ره ته به) بأنهم من التركمان و هم يتفاهمون باللّغة التركية وحدها. و بين سكانها عدد من العلى اللهية و الإسماعيلية أو (جراغ سوندیره ن).

كان اليوم رائقا باردا و الهواء يهب عليلا من الناحية الشمالية الغربية. و قد سجل المحرار ۸۲ درجة.

۳۱ آذار: ركبنا صباح اليوم فى الساعة السابعة إلا ربعا. و سرعان ما اختفت آثار الزروع و دخلنا سهلا قاحلا ليس فيه إلا بعض الأعشاب المتبعثرة، و الباقى أرض سبخة كثيفة كأنها مغطاة بالثلوج.

توجهنا نحو الجنوب إلى جسر (نارين) فبلغناه فى حوالى الساعة الثامنة. و هو جسر جيد قائم على ست عقود من بناء سليمان، باشا بغداد.

و من ثم اتجهنا إلى اتجاه جنوبى ب (۱۵) درجة غربا نحو جبال حمرين

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۵

فكانت هذه إلى يميننا و (نارين) إلى يسارنا. و بقينا نسير باتجاه جنوبى غربى نحو سفح الجبال فبلغناها فى الساعة العاشرة و النصف. و وجدنا أقسامها الأولى مؤلفة من الحصاة و التراب و هى تتدرج علوا خفيفا، فبلغنا قمتها فى الحادية عشرة إلا ثلثا و هى أعلى الأراضى المحيطة بنا، و رصدت بمزولتى نقاطا عديدة. و كان للأراضى المحيطة بنا كما شاهدتها من أعالى القرية منظر فريد. فقد كانت سلاسل التلال تظهر كأنها جبال محطمة تتعاقب على شكل موجات بحر جمدت أمواجه فجأة. و كان نهر (ديالى) يظهر جليّا على بعد قليل من المضيق، و هو يتلوى و يأخذ مياه (نارين). فلما تقدمنا إلى الأمام أخذت تبدو أمامنا الصخور الرملية و هى دائما على طبقات مائلة نحو الجانب الشمالى من الجبال، و كانت قطع هذه الصخور البارزة من التلال، فى أماكن عديدة، مستديرة متموجة كأن مياه البحر قد نحتتها فصقلتها.

و رأيت فى مكان آخر طبقة من الطلق حملت معى أنموذجا منه.

و أخيرا أصبحت الأرض كلها صخورا رملية و انتهت الجبال بسلاسل كثيرة متوازية. و كان بعضها حديث العهد لا يزيد ارتفاعها عن الأرض أكثر من عشرة أو اثنى عشر قدما. و فى الجبهة الجنوبية تلال غير منتظمة تنحدر إلى الأرض نحو الجهة الشمالية و قد شق أحد باشوات الترك بين إحدى هذه السلاسل طريقا ضيقة قبل زمن بعيد. و يظهر مما لاحظته فى الكتابة المنقوشة على الحجر كما أتذكر أن هذا الباشا كان يدعى حسن. هذا و السبخ منتشر هنا فى بعض الأماكن.

غادرنا هذه الجبال القبيحة المنظر عند الظهيرة، و كان طريقنا باتجاه جنوبى تقريبا. و قد تركنا واجهة الجبل الجنوبية إلى يسارنا و أخذنا اتجاه جنوبى شرقى (۴۰) درجة إلى (ادنه كوى) فبلغناها فى الساعة الواحدة و الثلث، و تقدر هذه المرحلة بثمانى ساعات.

و (أده نه كوى) قريبة من مجرى الخالص و هى قرية كبيرة على

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۶

مقربة من (ديالى) كانت فيما مضى أكثر ازدهارا و فيها جامع و منارة، و بدل التزامها فى هذا العام (۰۰۰، ۲۰) قرش.

و قد أعد لنا وكيلنا دارا فى القرية فوجدنا فيه عددا كبيرا من دود القز دائبا على عمله، لكن الرائحة قد أثرت فى رأسى فاضطررت أن

أهجر البيت إلى الحديقة حيث ضربت لى خيمة فشعرت براحة كبيرة.

و أهل هذا المكان من التركمان و هم من السنّة و الشيعة و من مطفئ الأضواء؛ و هنا ينتهى التفاهم باللّغة التركية. فالأهلون من هنا إلى بغداد من الفلاحين و القرويين العرب. و قد صادفنا فى طريقنا اليوم بعض الأعراب من عشيرة المهدوية كما صادفنا فى سهل (قه ره ته به) مضربا لعشيرة (الكروية) العربية، و قد خرج زعيمها بقصد مرافقتنا كحرس شرف و معه ستة من رجاله كلهم فرسان مسلحون؛ لكننى صرفتهم بلطف. و قد سجل المحرار ۸۲ درجة.

۱ نيسان: غادرنا (اده نه كوى) فى الساعة السادسة و النصف فلاحظت عن بعد آثار خيالات غريبة تتحرك. فعلمت أنها جيوش جرارة من الجراد قد ملأت الأرض بلون أصفر لماع. و بعد أن غادرنا القرية بلغنا نهر (ديالى) و صرنا نتعقب شاطئه بمسيرنا. و قد شاهدنا على عرض النهر سدودا مصنوعة من الحطب غايتها رفع مستوى الماء لإسقاء الجداول الكثيرة التى كانت تقاطع طريقنا فى كل ناحية. و دأبنا على المسير باتجاه غربى نحو الخالص و هو أكبر قناة رأيتها، و كانت تجرى إلى يسارنا و وراءها نهر ديالى. فمررنا بمرقد (السيد مبارك) و هو مقام للزيارة.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۷

و بعد الساعة الثامنة بقليل وصلنا إلى (ده لى عباس) حيث توجد قنطرة رديئة على الخالص، و أخذت القرى الواقعة فى هذه المنطقة تظهر فى الأفق الواحدة تلو الأخرى. كذلك كانت قرى خراسان ظاهرة للعيان على الجانب الآخر من ديالى. و كان طريقنا فى بادىء الأمر باتجاه ۵۵ درجة جنوبيّا غربيّا، و من ثم ۲۰ درجة جنوبيّا غربيّا. و فى الساعة العاشرة و النصف بلغنا (جوبوق) و هى قرية عربية حقيرة عندها قنطرة فوق جدول صغير من توابع الخالص و يأتى من ناحية (سراجق). و يصب هذا الجدول فى (ديالى) مقابل (بويوك أبى صيدا) على مقربة من ديالى و لا تبعد عن (جوبوق) إلا بضع ياردات. و هذا الجدول عبارة عن مصرف لمياه نهر ديالى عندما تفيض فجأة فيضانا عاليا. و عندئذ يفتح صدره لصد قوة المياه التى لولاها لكانت تحدث بنهر الخالص أضرارا جسيمة و لغرقت الأراضى المجاورة و تلفت الزروع و ما يزيد من مياه العظيم يصب فى هذا الجدول عند (جوبوق).

۲ نيسان: لقد اضطررنا طيلة الليل أن نحترس لأنفسنا من اللصوص الذين اشتهرت بهم هذه المنطقة. و عند الصباح هبت النسمات العليلة من الناحية الشمالية الغربية فتغير الجو و رحلنا فى الساعة الخامسة و النصف و نحن أشد ما نكون نشاطا و مرونة، فوجهنا طريقنا نحو (خان مصبح) الواقع إلى الغرب منا، و صرنا نتعقب مجرى (ديالى) الذى كان يتلوى قريبا عن يسارنا.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۸

و فى الساعة الثامنة إلا ربعا وصلنا إلى (خان مصبح)، حيث ترجلنا لتناول القهوة و رصد بعض النقاط بالمزولة. و فى الساعة الثامنة و النصف غادرنا الخان و بعد الساعة العاشرة بقليل شاهدنا النهروان الرائع يمر باتجاه شمالى غربى ب (۱۰) درجات و كانت (خرنابات) تبعد نحو الميل عن شرقنا. و بعد مسير ساعة بلغنا بعض الأقنية اليابسة الموازية للنهروان و منها بلغنا مرقد (السيد محسن) و هو مزار على جدول صغير يأتى من (الخالص)، و عند الظهيرة وصلنا إلى (طوبراق قلعه) و هو طنف مربع قليل الأبعاد و يسمى أيضا (مجيليبة). و على مسافة قليلة من شماله شاهدنا بعض الأطلال حيث وجدنا بعض الناس منهمكين باقتلاع الطابوق منها و إرساله إلى بغداد لتعمير بستان يوسف بك و كانت على بعض هذا الطابوق علامات تشبه رسم الأصابع الخمس و على بعضها دائرة مشوهة يظهر أنها رسمت عليها بالأصابع عند ما كان الطابوق طريّا. و كان الطابوق خشنا و لم يكن بحجم طابوق بابل، و مقاديره فى هذا المكان عظيمة.

و أغلب ظنى أن هذه الأطلال ساسانية، فقد وجدت بها شبها بالأطلال التى شاهدناها فى (قالان ته به) فى (زه نكه باد) و غيرها من الطنوف الاصطناعية فى هذه الأنحاء.

و فى الساعة الثانية إلا ثلثا بلغنا قرية (الحويش) و قد جئناها من طريق غير مطروقة أغلبها صحراء قاحلة مجدبة لم نجد فيها ما يستحق الاعتبار كثيرا أو قليلا سوى خنزيرة برية هائلة الحجم يتبعها ستة خنازير.

كان النهار لطيفا منعشا و قد سجل المحرار ۷۷ درجة.

۳ نيسان: غادرنا الحويش فى الساعة السادسة و النصف فبلغنا دار المقيمية ببغداد عند الظهيرة.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۳۹۹

الملحق الثالث معلومات مستقاة من الأهلين، عن الجزيرة و البلاد المجاورة لها

اشارة

ملحوظة: قد لا يكون للمعلومات التالية فى زمننا هذا خطورة جغرافية، و لكن رأى المترجم أن يثبتها كما هى.

*** هناك قسمان من الكرد ضمن منطقة حكومة الجزيرة و هما (البوهتانيون) أو (البوتانيون) و (الآشيتيون). و (الآشيتيون) يقطنون بوجه عام السهول جوار (نصيبين) و جبل آغا- جيم فارسية- و نظرا لما أصاب الحكومة من وهن مؤخرا فقد أصبحوا أقوياء، أشداء المراس.

جوميش كه زه ك- إمارة كردية، تبعد عن (أرغنى) اثنتى عشرة ساعة بالقرب من بحيرة (كول باشى)- كاف فارسية- فى جبل طوروس.

جه رنه ك- جيم فارسية- إمارة كردية أخرى تبعد عن (أرغنى) ثمانى ساعات عند جبل طوروس.

عائلة بايزيد، من عشيرة سيبكى.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۰

فنيك- حصن يقوم فى شمال الجزيرة على مسافة أربع ساعات، و على الضفة الشرقية من دجلة .

ايس- على مسافة أربع ساعات من شرقى دجلة و (فنيك).

به شيرو- بشيرى- تتبع إلى ديار بكر و هى على مسافة ست ساعات على طريق (رضوان) حيث يقطن الكرد البرازيون.

زه ركى- كاف فارسية- تقع بين (بتليس) و (سعرد) و (موش) و هى منطقة، مقرها (ده رزه نى) و تبعد أربع ساعات عن (سعرد).

روزه كى- بالزاء الفارسية (و صحيحها روسكى- المترجم)، قبيلة كبيرة تقطن حوالى (بتليس).

و على مرحلة واحدة من سيللوك، مزار مسيحى كبير اسمه (جه ن كه دى-Chengede) أو جه ن كه للى-Chengelli)، و هنا أيضا دير (سوورب قارابت) و هو دير القديس يوحنا المعمدان. و هو يبعد عن (موش) ست ساعات بالقرب من (ميغاكيات)، و هو رافد يصب فى الفرات. و هذا الدير مزار له شهرته العظمى بين الأرمن بعد (جه مبازين)، فهم يذهبون أولا إلى (قيصرى)، و فيها دير شهير، اعتقادا منهم أن رأس القديس يوحنا مدفون فيه، ثم يأتون إلى (جه ن كه دى) و من بعدها يتجهون إلى (جه مبازين)، و يروون عن الدير الرئيسى الكثير من القصص الخرافية، فالقديس هناك مشهور بتعليم الناس الفنون و التجارة كلها- إلا الموسيقى- و لا يسمح بدنو النسوة منه إكراما ل (هروديا س-Herrodias). و فى الدير بئر عميقة تتعالى منها أصوات الجان المحبوسين كما يدّعى الأرمن، و تشاهد حولها الأنوار فى

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۱

كثير من الأوقات، خاصة بعد هطول الأمطار القليلة؛ و هذه مظاهر طبيعية و لا شك.

به ل غين- أربع ساعات من (فنيك) شرقى دجلة.

آرزه ن- و اسمها المعروف هه رزين- محل بين (ديار بكر) و (سعرد) و هو قريب من الجبال.

باتمان: جسر خرب فوق نهر سعرد، على مسافة ثلاث ساعات فوق المدينة، و هنالك خرائب بلدان مهجورة الآن و (باتمان جاى) هو

نهر (سعرد)، أو نهر دجلة الأصلى.

و يقال إن هنالك أنقاضا أو بقايا جسر فوق دجلة بالقرب من الجزيرة.

حسن: و هو جبل يؤلف قسما من (طوروس) و (زغروس)، بين ديار بكر و (بالو)- باء فارسية- و (موش)، ليس ثمة ممرات و لا طرق تؤدى إليه، و سكانه مستقلون استقلالا تامّا و يسمى الكرد سكان تلك النواحى بال (زازا)، و يبدو أن هذا لقب تهكمى، و يعنى تلعثما أو تلكؤا أو كلاما غير مفهوم.

تقوم (رضوان) على بعد ثمانى ساعات من (هه زو) و إن عائلة (هه زو) قديمة جدّا، و محترمة أيضا.

كوفرا- مدينة تبعد عن (سعرد) بمسافة ست ساعات، و تقع على طريق (بتليس) فى منطقة (شيروان) و قلعة (شيروان) تبعد عن (كوفرا) بمسافة ساعة واحدة فقط. و رئيسها «بيكها» قوى و مستقل، و هو ينتمى إلى فرع حديث من عائلة (حسن كيف) أى أنه أيوبى من سلالة صلاح الدين الأيوبى. و هنالك منجم من الذهب فى (شيروان).

(ايروونIroon) تتصل ب (سى كوزه) و (جوقور) و هى تبعد عن (كوفرا) بثلاث ساعات و تستورد بغداد الكستنة من هذه الأماكن.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۲

و المسافة بين (سعرد) و (شيرين) ثلاث ساعات، و بينها و بين (معدن) ست ساعات و بينها و بين (هيزان) ست ساعات أيضا على وجه التقريب.

(كه رنى) تبعد بمسافة ساعتين عن (هيزان) و يتراوح بعدها عن (شيروان) بين الأربع و الخمس ساعات و هى منطقة منقطعة جدّا، جبلية و عرة. و بين الكرد الذين يقطنون هذه الأماكن، عشيرة (عمبرلو) و جنكنى- كاف فارسية- و يدّعى أحد رؤسائهم أنه من أصل ساسانى.

(كوركيت-Koor Keat) نهر تمر منه بعد رحيلك من (طوبراق قلعه) بثمانى ساعات بطريق (طوبراق قلعه)- (بايزيد). و هو ينحدر من جبال (قاغزمان) بالقرب من (قارص) و يصب فى الفرات. و كثيرا ما يفيض فيضانا عظيما، لكنه حتى فى تلك الحالة لا يحتوى إلا على القليل من المياه و مخاضاته خطيرة لكثرة الحفر الكبيرة فى قاعها و لشدة جريانه، لذلك لا بد من اصطحاب الأدلاء على الدوام عند عبوره.

(آوى ماسى) أو نهر السمك، و يقال إنه نهر كبير كالزاب، و يجرى بين (شوشيك) و (خاموور)، و هو ينبع من جوار (ارجش) بالقرب من بحيرة (وان) و يصب فى الفرات بالقرب من (مه لاز كرد). و يكثر فيه سمك النقط.

(خاموور) موقع سميت باسمه منطقة من مناطق (بايزيد) و هو يقع فى وسط الطريق بين (بايزيد) و (موش). و (شوشيك) تبعد عن (خاموور) مسافة ثمانى ساعات.

ليس ثمة نهر يصب فى بحيرة (وان) و يبدو أنها أعلى أقسام نجد (أرمينيا). و هناك الكثير من الخرائب فى (أخلاط)، و هى مهجورة تقريبا الآن و تقوم خرائب كثيرة أيضا بالقرب من (آجاواز)- عادل جواز- و قد جرفت مياه البحيرة قسما منها، إلا أنه لا تزال على ضفاف البحيرة أنقاض

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۳

لمدينة تضاهى مدينة بغداد فى سعتها، و (بين كول) بحيرة تقوم فى وسطها صخرة صعبة المنال ينبع فيها (آرراس) أو (آراكس).

و يجرى تحت الأرض نهر يبعد عن (بايزيد) مسافة أربع ساعات و يصب فى (آرراس) و مجراه غير مرئى، إلا أن خرير المياه تحت الأرض يسمع بوضوح من فوق كل مكان من مجراه، و يرى المرء مياه النهر الخضبة عند تلاقى النهرين بكل وضوح على شكل دوامات . و قد تشبث الناس دون جدوى للحفر فى قاع مجراه الذى ظهر أنه عميق جدّا.

و على الصخرة التى بنيت عليها قلعة (بايزيد)، رسوم محفورة تمثل ثلاثة رجال يحمل كل منهم عكازا بيده و متأبطا كتبا.

إن قلعة (مه كس) حيث ينبع نهر دجلة الشرقى، تبعد إلى ما وراء (جوله مه ركك) مسافة إحدى عشرة ساعة. و يتدفق النهر من مغارة فى الجبل و هو فى بداية مجراه أعظم من رافد (ديار بكر). كما أنه يمر بالقرب من (سعرد)، و عبوره صعب جدّا حتى فى أيام انخفاضه تلك الأيام التى تدعى بالصيهود. و يصب فيه رافد (ديار بكر) عند (ته لله نافرو)- فاء فارسية- بين ديار بكر و الجزيرة. و الطريق إلى مه كس من سعرد كما يلى:

من سعرد إلى:

ساعة (قورماس)،- قلعة تعود إلى بك شيروان/ .../ .../ ۴

ده ركه ن/ .../ .../ ۴

به رواری/ .../ .../ ۶

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۴

و هذه عشيرة تابعة إلى الجزيرة و هى عشيرة كبيرة عزيزة الجانب.

إن العسل و الشمع فى هذه المنطقة يستوردان منها.

مه كس/ .../ .../ ۶

المجموع/ .../ ۲۰

و (مه كس) تعود الآن إلى (هه كارى)، و يحكمها أحد أقارب مصطفى خان جوله مه ركك .. و من (سعرد) إلى (ديار بكر) ۳۴ ساعة، بالطريق التالية:

ساعة

ته لله نافرو/ .../ .../ ۵

رضوان / .../ .../ ۵

ره جير خراب/ .../ .../ ۴

سينه كه رى (عشيرة كردية رحالة)/ .../ .../ ۶

بله ى دوون/ .../ .../ ۸

ديار بكر/ .../ .../ ۶

المجموع/ .../ ۳۴

إن فرع ديار بكر من نهر دجلة يمر ب (رضوان) و (حسن كيف)، قبل أن يصب فى نهر دجلة الأصلى و يقطن كرد (محله مى) فى المغارات المتشتتة، و الواقعة على ضفاف دجلة و عددها كثير و يقال إنها قديمة جدّا، و فى داخلها الحجر و الغرف.

ينبع نهر (الخابور) الذى يمر ب (زاخو) من جبال العمادية، و له أربعة منابع. و قد خلط (ماكدونالد كيننه ر) بينه و بين نهر (سعرد).

و (فيشخابور) هو اسم النهر المزدوج من (الهيزل) و (الخابور).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۵

و (الهيزل) يبعد بمسافة ساعة أخرى بين (زاخو) و (سلوبى). و هما يلتقيان تحت (زاخو) و يلتقى نهر (شاخ) بهما .

الطريق من الموصل إلى الجزيرة:

ساعة

تل أسقف/ .../ .../ ۶

نمير (قرية يزيدية يقطنها رئيس يزيدى- ثم مخاض الهيزل/ ۶

تل كشان/ .../ .../ ۶

زاخو/ .../ .../ ۳

سلوبى، و هى فى المنطقة التى يقع فيها جبل جودى/ .../ ۵

الجزيرة/ .../ .../ ۵

المجموع/ .../ ۳۱

الطريق من (الجزيرة) إلى (سعرد):

ساعة

فينيك: حصن قديم جدّا و مشهور، جاء ذكره فى تاريخ الكرد// ۴

جه و ليك (جيم فارسية)/ .../ .../ ۸

ته لله نافرو: ملتقى فرعى نهر دجلة/ .../ .../ ۳

سعرد/ .../ .../ ۵

المجموع/ .../ ۲۰

الطريق من (سعرد) إلى (بتليس):

ساعة

سى كووز (شجرات الجوز الثلاث)/ .../ .../ ۶

بتليس/ .../ .../ ۶

المجموع/ .../ ۱۲

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۶

الطريق من (بتليس) إلى (أرضروم):

ساعة

جاقور/ .../ .../ ۶

خاص كوى/ .../ .../ ۸

جه ويرمه/ .../ .../ ۳

صو للوق: (جسر خشبى فوق الفرات)/ .../ .../ ۵

جاركور/ .../ .../ ۵

أروزه/ .../ .../ ۷

إلى آراس/ .../ .../ ۸

ده لى بابا/ .../ .../ ۵

قزلجة/ .../ .../ ۴

و من فوق جبل إلى أرضروم/ .../ ... ۵

المجموع/ .../ ۵۶

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۷

الملحق الرابع سلسلة أمراء العائلة البابانية من (سليمان بابا) أو (سليمان به به) حتى باشا (السليمانية)

اشارة

عام/ مدة الحكم

شهر/ سنة

۱- سليمان بك غازى (أى بابا سليمان) نجل مير سلمان. بدء مزاولته الحكم/ .../ ۱۰۸۸ ه ۱۶۷۷ م /- ۴

۲- ته مير (تيمور) خان بك/ .../ ۱۱۱۰ ه ۱۶۹۸ م/- ۴

۳- بكر بك/ .../ ۱۱۱۵ ه ۱۷۰۳ م/- ۱۳

و هنا مرت فترة، حكم فيها المتسلمون الأتراك كردستان/ .../ ۱۱۲۸ ه ۱۷۱۵ م/- ۴

۴- و بعد أربع سنوات حكم خانه باشا كردستان مدة ثلاث سنوات. ثم حكم (سنه) مدة سبع سنوات بعد أن استولى عليها و بنى جامعا فيها، خربه أمان اللّه خان قبل عام أو عامين/ .../ ۱۱۳۲ ه ۱۷۱۹ م/- ۳

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۸

۵- نواب خالد باشا، نجل بكر بك/ .../ ۱۱۳۵ ه ۱۷۲۲ م/- ۴

۶- فرهاد باشا/ .../ ۱۱۳۹ ه ۱۷۲۶ م/- ۲

۷- خالد باشا (ثانية)/ .../ ۱۱۴۱ ه ۱۷۲۸ م/- ۱۵

۸- نواب سليم باشا/ .../ ۱۱۵۶ ه ۱۷۴۳ م/- ۴

۹- نواب سليمان باشا/ .../ ۱۱۶۰ ه ۱۷۴۷ م/- ۳

۱۰- سليم باشا (ثانية)/ .../ ۱۱۶۳ ه ۱۷۴۹ م/- ۱۴

۱۱- سليمان باشا (أيضا). و قد شنق سليم باشا فى بغداد بمكائده. و بنى سليمان الجامع و الحمام فى (زه نكه باد). و كانت كل من (زه نكه باد مندلى).

و (بدرة جصان) على عهده جزء/ .../ ۱۱۶۴ ه ۱۷۵۰ م/- ۱۰

من كردستان

و قد تفشى الطاعون الكبير فى عهده عام/ .../ ۱۱۷۱ ه ۱۷۵۷ م

۱۲- محمود باشا نجل خانه باشا و قد قتل فى معركة دارت بينه و بين سليمان باشا/ .../ ۱۱۷۴ ه ۱۷۶۰ م/ ۵/-

۱۳- سليمان باشا (أيضا)/ .../ ۱۱۷۵ ه ۱۷۶۱ م/- ۱

۱۴- أحمد باشا نجل خالد باشا/ .../ ۱۱۷۶ ه ۱۷۶۲ م/- ۱

۱۵- سليمان باشا (أيضا)/ .../ ۱۱۷۷ ه ۱۷۶۳ م/ ۲/-

۱۶- أحمد باشا (أيضا)/ .../ ۱۱۷۷ ه ۱۷۶۳ م/ ۵/-

۱۷- سليمان باشا (أيضا) و قد قتله الفقيه إبراهيم/ .../ ۱۱۷۷ ه ۱۷۶۳ م/- ۱

۱۸- محمد باشا نجل خالد باشا و والد خالد بك/ .../ ۱۱۷۸ ه ۱۷۶۴ م/-/ ۸

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۰۹

۱۹- أحمد باشا (أيضا) ملحوظة:- هو والد إبراهيم باشا و خالد باشا الحالى و الأخ الأكبر لمحمود باشا/ .../ ۱۱۸۶ ه ۱۷۷۲ م/ ۳/ ۱

۲۰- أسر محمود باشا فى أحمد كلوان أحمد باشا الحالى و الأخ الأكبر لمحمود باشا/ .../ ۱۱۸۷ ه/ ۱۷۷۳ م/-/ ۲

۲۱- تغلب أحمد باشا ثانية على محمود باشا الذى ساعده على مراد خان فى (سه رسير) و (جوراتا)/ .../ ۱۱۸۹ ه/ ۱۷۷۵ م/ ۳/ ۱

۲۲- رجع محمود باشا من إيران ثانية. بمعاونة شفيع خان القائد الزندى و لكنه تقهقر و رجع إليها/ .../ ۱۱۹۰ ه ۱۷۷۶ م/ ۹/-

۲۳- رجع ثانية من محمود على سردار. و قامت معركة بين محمد باشا و خسرو خان. خان (سنه) بالقرب من (سه رى بار) و قد اندحر الأخير شر اندحار/ .../ ۱۱۹۱ ه ۱۷۷۷ م/-/ ۱

۲۴- جاء كلب على خان القائد الزندى لمساعدة أحمد باشا.

و أجلسه ثانية على دست الحكم و هرب محمد باشا إلى (كوى سنجاق)/ .../ ۱۱۹۱ ه ۱۷۷۷ م/-/-

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱۰

۲۵- رجع محمد باشا مع تيمور باشا، باشا (كوى سنجاق) فقاتلوا أحمد باشا عند (كلى زه رده) قتالا شديدا استمر لمدة ساعة بالسلاح الأبيض و السيوف و الخناجر و كانت الخسائر فيه عظيمة.

قتل تيمور باشا و أسر محمد باشا ففقعت عيناه فورا من قبل أخيه أحمد باشا الذى توفى بعد سبعة عشر يوما فى (قه ره داغ) إثر رجوعه إلى (قالاجوالان)/ .../ ۱۱۹۲ ه ۱۷۷۸ م/-/-

۲۶- نواب محمود باشا والد عبد الرحمن باشا قتل فى معركة (يه ل تيمار) بين (ساقز) و (صاووق بولاق) من قبل (بوداق خان) أمير (صاووق بولاق) الذى كان يقاتله/ .../ ۱۱۹۳ ه ۱۷۷۹ م/-/ ۵

۲۷- نواب إبراهيم باشا.

مؤسس السليمانية ألقى القبض على حسن خان بك و حسين بك و هما أميران من عائلته و أرسلهما أسيرين إلى بغداد فنفيا بادىء الأمر إلى الحلة ثم شنقا/ .../ ۱۲۰۰ ه ۱۷۸۵ م/-/-

۲۸- عثمان باشا. الأخ الأكبر لعبد الرحمن باشا/ .../ ۱۲۰۱ ه ۱۷۸۶ م/-/ ۲

۲۹- إبراهيم باشا (أيضا)/ .../ ۱۲۰۳ ه ۱۷۸۷ م/-/ ۱

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱۱

عام مدة الحكم

شهر سنة

۳۰- نواب عبد الرحمن باشا/ .../ ۱۲۰۴ ه/ ۱۷۸۹ م/-/ ۸

۳۱- إبراهيم باشا (أيضا) تفشى فى عهده ما سمى بالطاعون الصغير/ .../ ۱۲۱۲ ه/ ۱۷۹۷ م/-/ ۵

۳۲- عبد الرحمن باشا (أيضا)/ .../ ۱۲۱۷ ه/ ۱۸۰۲ م/-/ ۲

مات إبراهيم باشا فى الموصل خلال حملة على، باشا بغداد على (سنجار) و قد خلفه على باشا و توفى فى عام/ .../ ۱۲۱۷ ه/ ۱۸۰۲ م/-/-

شق عبد الرحمن باشا عصا الطاعة على على باشا و طعن بيده محمد باشا. باشا السليمانية عند انسحابه من بغداد، و بعد التغلب على خالد باشا فى (كوى سنجاق) مباشرة. و جاء باشا بغداد إثر هذه الحوادث بنفسه، و نصب خالد باشا فى السليمانية، فهرب عبد الرحمن باشا إلى إيران/ .../ ۱۲۱۸ ه/ ۱۸۰۳ م/-/-

۳۳- خالد باشا/ .../ ۱۲۱۹ ه/ ۱۸۰۴ م/-/-

۳۴- رجع عبد الرحمن باشا من إيران. و تغلب على جنود الأتراك الاحتياط و الكرد فى (زه رى بار). و أسر سليمان، كهية بغداد/ .../ ۱۲۲۱ ه/ ۱۸۰۴ م/-/-

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱۲

۳۵- أجبر عبد الرحمن باشا على الهروب من السليمانية و قد نصب الأتراك- و هم تحت أمرة سليمان كهية الذى أصبح الآن باشا بغداد- سليمان باشا نجل إبراهيم باشا / .../ ۱۲۲۳ ه/ ۱۸۰۸ م/ ۳/-

۳۶- نصب عبد الرحمن باشا نفسه مرة أخرى سيدا على كردستان اتفق شهزاده كرمنشاه مع الأتراك ضده و أجبره على الانسحاب إلى (كوى سنجاق) التى أحاط بها الإيرانيون. و قد فكوا الحصار عنها بعد شهر و أربعة أيام./ .../ ۱۲۲۶ ه/ ۱۸۱۱ م/-/ ۲

كان ذلك عام ۱۲۲۴ و رجع عبد الرحمن باشا إلى السليمانية وفاة عبد الرحمن باشا/ .../ ۱۲۲۸ ه/ ۱۸۱۳ م/-/-

۳۷- نواب محمود باشا. النجل الأكبر لعبد الرحمن باشا، خلف والده و هو الأمير الحالى/ .../ ۱۲۲۸ ه/ ۱۸۱۳ م/-/-

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱۳

تواريخ و حوادث لها علاقتها بتاريخ كردستان

(راجع الصفحتين ۲۱۴ و ۲۱۵) قهر القوات التركية و الإيرانية المتحالفة لسليمان بك و اضطراره على الهروب من كردستان و الالتجاء إلى (استانبول)/ .../ ۱۱۱۰ ه/ ۱۶۹۸ م

قهر بكر بك/ .../ .../ ۱۱۲۰ ه/ ۱۷۰۸ م

حصار بغداد/ .../ .../ ۱۱۳۰ ه/ ۱۷۱۷ م

استيلاء الأتراك على (همدان)/ .../ .../ ۱۱۳۵ ه/ ۱۷۲۲ م

قتل خانه باشا، باشا كردستان/ .../ .../ ۱۱۴۵ ه/ ۱۷۳۲ م

وقوع معركة طوبال (الأعرج) عثمان باشا/ .../ .../ ۱۱۴۴ ه/ ۱۷۳۱ م

حصار الموصل/ .../ .../ ۱۱۵۴ ه/ ۱۷۴۱ م

هروب خالد باشا، باشا كردستان إلى (أورفه)/ .../ .../ ۱۱۵۵ ه/ ۱۷۴۲ م

وفاة خالد باشا فى (أورفه)/ .../ .../ ۱۱۵۶ ه/ ۱۷۴۳ م

ثم تغلب على يكن باشا، القائد التركى/ .../ .../ ۱۱۵۶ ه/ ۱۷۴۳ م

قتل نادر شاه/ .../ .../ ۱۱۵۸ ه/ ۱۷۴۵ م

وفاة عادل باشا/ .../ .../ ۱۱۶۱ ه/ ۱۷۴۸ م

وفاة إبراهيم باشا/ .../ .../ ۱۱۶۲ ه/ ۱۷۴۸ م

بدء حكم سليمان باشا، باشا بغداد و قتل سليمان باشا، باشا (كوى سنجاق)، من قبل سليمان باشا، باشا بغداد/ .../ .../ ۱۱۶۴ ه/ ۱۷۵۰ م

قتل سليم باشا. باشا (قالا جوالان) فى بغداد/ .../ .../ ۱۱۷۱ ه/ ۱۷۵۷ م

تفشى الطاعون الكبير/ .../ .../ ۱۱۷۱ ه/ ۱۷۵۷ م

تغلب باشا بغداد على محمود باشا البابانى فى (نارين)/ .../ .../ ۱۱۷۶ ه/ ۱۷۲۶ م

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱۴

اغتيال سليمان باشا/ .../ .../ ۱۱۷۸ ه/ ۱۷۶۴ م

تفشى الطاعون الثانى (الصغير)/ .../ .../ ۱۱۸۷ ه/ ۱۷۷۳ م

قتل سليمان باشا، باشا بغداد/ .../ .../ ۱۱۷۱ ه/ ۱۷۵۷ م

أسر أحمد باشا. فى أحمد/ .../ .../ ۱۱۸۷ ه/ ۱۷۷۳ م

(كلوان) أسر على مراد خان من قبل أحمد باشا/ .../ .../ ۱۱۸۸ ه/ ۱۷۷۴ م

مجىء شفيع خان، لمساعدة محمد باشا/ .../ .../ ۱۱۸۸ ه/ ۱۷۷۴ م

مجىء كلب على خان- و تغلب محمد باشا على خسرو خان/ .../ .../ ۱۱۹۱ ه/ ۱۷۷۷ م

وقوع الهزة الأرضية فى (تبريز)/ .../ .../ ۱۱۹۴ ه/ ۱۷۸۰ م

ذهاب محمد باشا و أحمد باشا إلى كركوك/ .../ .../ ۱۱۹۱ ه/ ۱۷۷۷ م

تغلب أحمد باشا على محمد/ .../ .../ ۱۱۹۱ ه ۱۷۷۷ م

باشا وفاة أحمد باشا/ .../ .../ ۱۱۹۲ ه/ ۱۷۷۸ م

وفاة كريم خان شاه إيران/ .../ .../ ۱۱۹۲ ه/ ۱۷۷۸ م

وفاة عبد اللّه باشا، باشا (زهاو)/ .../ .../ ۱۱۹۳ ه/ ۱۷۷۹ م

بداية حكم محمود باشا، جد الباشا الحالى/ .../ .../ ۱۱۹۲ ه/ ۱۷۷۸ م

قتل رضا قولى خان/ .../ .../ ۱۱۹۷ ه/ ۱۷۸۲ م

هروب محمد باشا المخلوع إلى إيران و رجوعه و قتله مع رئيس آخر اسمه عمر باشا من قبل محمود باشا تحت الشجرة الكبيرة فى (قالا جوالان)/ .../ .../ ۱۱۹۴ ه/ ۱۷۸۰ م

بداية حكم إبراهيم باشا/ .../ .../ ۱۱۹۷ ه/ ۱۷۸۲ م

إنشاء مدينة السليمانية ثانية/ .../ .../ ۱۱۹۹ ه/ ۱۷۸۴ م

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱۵

قتل محمود باشا/ .../ .../ ۱۱۹۸ ه/ ۱۷۸۳ م

بداية حكم عثمان باشا/ .../ .../ ۱۲۰۱ ه/ ۱۷۸۶ م

وفاة عثمان باشا/ .../ .../ ۱۲۰۳ ه/ ۱۷۸۸ م

وقوع زلزال فى السليمانية/ .../ .../ ۱۲۱۷ ه/ ۱۸۰۲ م

وفاة سليمان باشا، باشا بغداد و عقبه على باشا/ .../ .../ ۱۲۱۷ ه/ ۱۸۰۲ م

وفاة إبراهيم باشا/ .../ .../ ۱۲۱۸ ه/ ۱۸۰۳ م

بداية حكم فتح على شاه، شاه إيران الحالى/ .../ .../ ۱۲۱۱ ه/ ۱۷۹۶ م

خرج عبد الرحمن باشا على طاعة على باشا- و قتل محمود باشا، باشا (كوى سنجاق) و تغلبه على خالد باشا، باشا (آلتون كوبرى) و على أثر ذلك سار على باشا من بغداد من فوره فتغلب على عبد الرحمن/ .../ .../ ۱۲۲۰ ه/ ۱۸۰۵ م

باشا فى (ده ربه ند) مجىء خالد باشا إلى السليمانية و تسلمه الحكم/ .../ .../ سنة واحدة

وقوع معركة (ده ربه ند) الثانية تحت إمرة سليمان باشا الصغير، باشا بغداد / .../ .../ ۱۲۲۳ ه/ ۱۸۰۸ م

وقوع معركة (كفرى)/ .../ .../ ۱۲۲۶ ه/ ۱۸۱۱ م

قتل سليمان باشا، باشا بغداد/ .../ .../ ۱۲۲۵ ه/ ۱۸۱۰ م

رجوع عبد الرحمن باشا إلى السليمانية نهائيا/ .../ .../ ۱۲۲۶ ه/ ۱۸۱۱ م

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱۷

الملحق الخامس معلومات مستقاة فى (أحمد كلوان) عن الطرق المؤدية إلى أماكن مختلفة فى منطقة (قزلجة) إلى (زه هاو)

اشارة

ساعة ملحوظات إلى (سووره جو) فى (شهر زوور) و يلفظها الكرد شاره زوور/ ۵، ۶/ بلاد ذات تلال، ليس فيها جبال عالية يقتضى اقتحامها

بانى خيلان/ .../ ۵، ۶/ القسم الأول من الطريق يمر بسهل (شهر زوور) و عند اقترابك من (بانى خيلان) تجتاز جبلا تصل من بعده إليها، حيث تصب فى نهر ديالى عدة جداول تسيل من كردستان.

زه‌هاو/ .../ ۱۰/ سهل (باجه لان).

۲۳

***

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱۸

من (أحمد كلوان) إلى (كرمنشاه) بطريق شاميان

ملاحظة: إن هذا أقصر الطرق التى تتجه من كردستان إلى (كرمنشاه) و أحسنها انبساطا و هو يمر بكامله تقريبا فى خانق بين جبلين.

ساعة ملحوظات ساولاوا/ .../ ۶/ فى منطقة سنه، فى واد على طوال الطريق

بالينكان (باء و كاف فارسيتان)/ .../ ۵/ على امتداد الوادى.

كرمنشاه/ .../ ۱۰/ طريق منبسط

۲۱

و يصف الكرد هذا الطريق بأنه أحسن الطرق الملائمة لمرور العشائر منه، مع عوائلهم و أثقالهم و قطعانهم. إلخ.

*** المعلومات المستقاة فى (سنه) عن الطريق من (سنه) إلى (همدان)

فرسخ

ده هكه لان/ .../ .../ .../ ۶

كوروه/ .../ .../ .../ ۶

حه ما قيسى/ .../ .../ .../ ۶

همدان/ .../ .../ .../ ۶ ۲۴

إلى (كرمنشاه)

فرسخ

كوروك/ .../ .../ .../ ۵

كام ياره/ .../ .../ .../ ۵

كرمنشاه/ .../ .../ ۱۷ ۷

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۱۹

إلى (تبريز)

فرسخ

باقلاباد/ .../ .../ ۶

كيله كه بوود/ .../ .../ ۶

ساقز/ .../ .../ ۹

كوول ته به/ .../ .../ ۶

مبان دوآو/ .../ .../ ۸

لووكله ر/ .../ .../ ۹

آق ته به/ .../ .../ ۱۱

تبريز/ .../ .../ ۱۲

۶۷

إلى (مه راغه)

فرسخ

هه له ده ره/ .../ .../ ۵

ديوان ده ره/ .../ .../ ۵

قابلان تو/ .../ .../ ۵

صفا خانه/ .../ .../ ۴

صايين قلعة/ .../ .../ ۷

ديزة/ .../ .../ ۶

مه راغه/ .../ .../ ۴

۳۶

***

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۲۰

الطريق من (سنه) إلى (همدان) كما صحح استنادا إلى مذكرات المستر (به ل لى نو)

كما يقال فى الحقيقة

ده ككيلان/ .../ ۷ فراسخ/ ۹ ساعات و ۵۵ دقيقة

كووربا/ .../ ۵ فراسخ/ ۷ ساعات و ۱۵ دقيقة

حه ماقيسى/ .../ ۵ فراسخ/ ۶ ساعات و ۲۰ دقيقة

همدان/ .../ ۵ فراسخ/ ۷ ساعات و ۳۰ دقيقة

۲۲ فرسخا/ ۳۱ ساعة

***

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۲۱

الملحق السادس تفاصيل خاصة بطوبوغرافية كردستان

اشارة

و قد جمعت من أوثق المصادر فى السليمانية و قورنت باعتناء مع المعلومات التى أدلى بها أشخاص عديدوه

من (أحمد كلوان) إلى نالباريز

- باء فارسية- مارين:

بمضيق (تاريه ر)/ .../ ۳ ساعات

إلى (جوتان) «جفتان- جيم فارسية» من أعلى التلال/ .../ ۲ ساعتان

إلى كل عمبر- خورمال الحالية- مركز (شهر زوور)/ .../ رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى ؛ ص۴۲۱

ى (كل عمبر) فى منتهى جبال (أورمان:- هه ورامان)/ .../ ۸ ساعات بطريق مستو

من (كل عمبر) إلى (خواجال؟) ساعتان بواد يمر فى جبال (آوروومان- هه ورامان).

من (كل عمبر) باتجاه غربى إلى (حلبجه) ساعتان بطريق تتسلط عليها الجبال أيضا و هى تنفصل من (جووان روو) بنهر (ديالى) الذى يسمى هناك بنهر (سيروان) و من (بانى خيلان)- مضيق ديالى- بالجبل أو السلسلة التى تؤلف الحدود الغربية لسهل (السليمانية).

و يفصل ديالى (آورامان- هه ورامان) عن (شاهوو). و تعد جبال (آوروومان) قسما من (شاهوو) الأصلية.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۲۲

طريق المسافرين فى (شهرزور)

من السليمانية إلى:

آربه ت «عه ربه ت» .../ ۴ ساعات/ فيها خرائب كبيرة و الخرابة المسماة ب (قيز قلعه سى) تقع بين (كريزه)- كاف فارسية- و (آربه ت).

و تقع كل من (بيستان سوور و ياسين تبه) بالقرب منها.

كريزه/ .../ ۴ ساعات/

حصار/ .../ ۲ ساعتان/

كل عمبر/ .../ ۲ ساعتان/ من السليمانية إلى (كل عمبر) و هى مركز (شهرزور).

۱۲

و (كل عمبر) قريبة من جبل (أزمر) أو (كويزه- زاء فارسية).

و يتصل نهر (كل عمبر) ب (تانجه رو) و الاثنان يصبان فى (ديالى).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۲۳

من السليمانية إلى (بانى خيلان)

من السليمانية إلى (ده ربه ند فه قه ره/ .../ ۵ ساعات مجتازا (تانجه رو)

كه وره قه لا- و هنا بعض الخرائب/ .../ ۴ ساعات

بانى خيلان/ .../ ۳ ساعات

۱۲ ساعة

من (حلبجه) إلى (بانى خيلان) خمس ساعات فى واد أو ممر اسمه (ده ربه ندى خان).

من (حلبجه) إلى (ده ربه ند فه قه ره) ست ساعات.

***- من بانى خيلان إلى (زه هاو)-

هه رسكه ل (؟)/ .../ .../ ۱ ساعة واحدة

هورين/ .../ .../ ۲ ساعتان

سه رقه لا/ .../ .../ ۴ ساعات

زه هاو/ .../ .../ ۳ ساعات

۱۰ ساعات

*** من (زه هاو) إلى (كرمنشاه)

(زه هاو) إلى (بيشه اوو- باء فارسية) (؟)/ .../ .../ ۳ ساعات

سووره دزه/ .../ .../ ۳ ساعات

كرند/ .../ .../ ۳ ساعات

ثم إلى (كرمنشاه). ۹ ساعات

***

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۲۴

من السليمانية إلى (كرمنشاه) بطريق (حلبجه)

من (حلبجه) إلى (خانه شوور)/ ۷ أو ۸ ساعات

دشته اوور/ .../ ۳ أو ۴ ساعات

دشته ليل/ .../ ۳ ساعات

دشته مرده/ .../ ۳ ساعات

تقع (حلبجه) بالقرب من جبل يتشعب من (شاهوو) يفصله (ديالى) عن (جووان روو) و هو يجرى بين تلال (حلبجه) و (جووان روو).

زمكان/ .../ ۲ ساعتان/ و هناك معبر فوق ديالى إلى (جووان روو) و هو جبل يصل ما بين الضفتين.

ثم يمضى مارّا بواد أم ممر إلى سهل (ماه ده شت). و من (زمكان) إلى (كرمنشاه) ۱۴ ساعة.

و يسمى هذا الطريق الطريق الأوسط و طريق (زه هاو) هو الطريق الأسفل أما الطريق الأعلى فيدعى كما هو مدون فى أدناه و يمر ب (آوره مان) و (جووان رو):-

ساعة من (جه مى خواجايى) إلى (طويله)/ .../ ۲

نه وسوود/ .../ ۲/ ۱/ ۱

ديشه/ .../ ۶

باوه- باء فارسية/ .../ ۲/ ۱/ ۲

قه لاى جووان روو/ .../ ۸ أو ۹

و منها بطريق (ماه ده شت) إلى (كرمنشاه) ۱۲

هذا و هنالك طريق آخر إلى (كرمنشاه) ينعطف من الطريق الأسفل

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۲۵

على مسافة ساعتين و نصف ساعة من هذا الجانب من (زه هاو) إلى (دشته مرده) مارّا ب (بزميراوه).

و (بزميراوه) مصيف أو مرعى (زه هاو) و هى فى (شاهوو). و يأتى من بعدها (ره زاو- زاء فارسية) ثم (طاووق). و كل هذه الأماكن هى فى (شاهوو) أو (زاغروس).

و (شاهوو) هو ذلك القسم من (زاغروس) الذى يفصل باشوية (قالا جوالان) فى كردستان التركية من كردستان الإيرانية.

هذا و لا يزال هنالك طريق آخر إلى (كرمنشاه) يمر ب (قزلجة) إلى (صالياوا) و اسمه طريق (شاميان) و قد جاء ذكره فى الجدول الثانى من الطرق إلى (قزلجة).

و يمتد (قه ره داغ) بعد أن يمر من (ده ربه ند) ليؤلف جبال (خال خالان) فى (كوى سنجاق).

ممرات زاغروس بين كردستان البابانيين و إيران

۱- كاران- ك. فارسية- الطريق إلى (سنه) و هو الممر الواقع فى النهاية الجنوبية.

۲- سوور كيو. يتشعب الطريق إلى (سوور كيو) من طريق (كاران) عند جسر (عصر آباد).

۳- كه لى با- ك. فارسية.

۴- ناو خووان.

۵- بيشان (؟)- ب. فارسية- من (بيستان) إلى (بانه).

۶- (كه لى بالين) من (بانه) إلى (بايين ده ره)- ك. فارسية.

۷- كه لى خان- ك. فارسية.

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۲۶

ثم ينعطف (زاغروس) إلى شرقى (سه رده شت) و غربى (صاووق بولاق) ثم إلى (سيكه نه).

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۲۷

فهرس المحتويات

حياة المستر ريج ۵

بداية الرحلة ۲۱

الفصل الأول ۲۳

بغداد ۱۶ نیسان ۱۸۲۰ ۲۳

الرحیل من دار الإقامة- کیفیة السفر- وصف جماعتنا- الزوابع- کفری- الخرائب الساسانیة- ضیافة رئیس عشیرة البیات- منابع النفط فی (طوز خور ماتو) ۲۳

الفصل الثانی ۵۳

۱ أیار ۵۳

مغادرة طوز خور ماتو- وادی لیلان- مخیم یوسف آغا- ضیافته- الدخول إلی کردستان- الزرع و مظهر البلاد- هدایا مؤن من باشا السلیمانیة- الوصول إلی مضربنا قبل السلیمانیة- زیارة الباشا- أمجاد الکرد ۵۳

الفصل الثالث ۸۷

۱۰ أیار ۸۷

عثمان بک- الدخول إلی السلیمانیة- زیارة الباشا- وصف دارنا- تعلق الکرد برؤسائهم- قصص- عراک الحجل- أفغانیون فی رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۴۲۸

شهرزور- زه نیفون و العشرة آلاف ۸۷

الفصل الرابع ۱۱۷

۱۸ أیار ۱۱۷

حدیث مع الباشا- کیخسرو بک- عشیرة الجاف الکردیة- مناخ السلیمانیة- فطور مع الباشا- نفوس السلیمانیة- الرمایة- تخت سلیمان- حفریات أثریة- حفل موسیقی- الزورخانة أو الملعب- عشاء فی بیت عثمان بک- الصلاة الشرقیة- سلیمان بک- المهارة فی استعمال السیوف- الزراعة- شهر رمضان ۱۱۷

الفصل الخامس ۱۴۱

۲۴ حزیران ۱۴۱

الجندی الروسی الباسل- قسوة أمیر کرمنشاه- التقی المسلم العظیم- منتجات کردستان الطبیعیة- تقوی محمود باشا- قصة- توقیف عبد اللّه باشا- العید- العشائر الکردیة- قصة- عشائر بلباس- العوائل الحاکمة فی کردستان ۱۴۱

الفصل السادس ۱۵۹

۱۷ تموز ۱۵۹

الرحیل من السلیمانیة إلی الجبال- مضیق کویزه- الخیام تنصب فی که ره دی- لطافة الموقع- الجلبة و الضوضاء عند التحمیل- جبال شامخة- الکروم- الحبوب- بلاد جمیلة- ضابط کبیر منطقة قزلجة- مغالطات مضحکة- صعود شاق- أولاد خالد بک- معسکر فی أحمد کلوان- الحاصدون یتغنون بفرهاد و شیرین- الجراد- درجة حرارة الینابیع- الضفادع الخضر- لعبة غریبة- الرحیل من أحمد کلوان- السفر إلی بیستان- الطنوف الاصطناعیة- بیستان غیر صحیة- مرض جماعتی کلهم- الرحیل من بیستان- بنجوین- مضارب الجاف- الجماعات الرحالة- سیدة و خدمها- الیهود ۱۵۹

رحلة ریج/ تعریب بهاءالدین نوری، ص: ۴۲۹

الفصل السابع ۱۸۳

۲۰ آب ۱۸۳

الدخول إلی إیران- بحیرة (زه ری بار)- کیخسرو بک- مضارب الجاف- مباراة الجرید- عبور جبل (زغروس)- قرویو (که ران)-

شتاء قارص- نزاع بين الجاف- سنه- فطور فخم- القصر- استبداد والى سنه- الحداد العام- الثورة- وفاة ابن الوالى- قنوط الوالى و قسوته- خوف رعيته- تغيير فى خطتنا- فزع وزراء الوالى- استعطاف المجلس- نجاح المجلس- فرحهم و امتنانهم- الرحيل من سنه إلى مضرب الوالى ۱۸۳

الفصل الثامن ۲۱۵

۳۰ آب ۲۱۵

الرحيل عن (سنه)- مناظر الأرض- خيام كولانه- ساسة الكرد العظماء- نهر قيزيل (أوزون)- المضارب- ملاحظات قروى- سلوك الجاف غير القانونى- طرق ناهد- مرطبات من العسل و الزبدة- الوصول إلى قرية ميك- السيدة ريج تؤخذ إلى قرى أخرى- خلايا النحل- التحاق السيدة ريج بنا- هدية فواكه من الوالى- الوصول إلى بانه ۲۱۵

الفصل التاسع ۲۳۳

۷ أيلول ۲۳۳

زيارتنا لوالى سنه- قلعة بانه- حديث الوالى- زواج ابنه- الوالى يرد زيارتى- قسوته فى بانه- التهيؤ للرحيل- عوائق غير منتظرة- صعوبة الحصول على دواب الحمل- اعتذار الوالى- سلطان بانه- بدء مسيرنا- رئيس القرية- رفضه السماح لنا باستمرارنا على المسير- موقف سيئ- القرار لشق طريقنا قتالا- خوف رئيس القرية- سماحه لنا بالمسير- جبال- دخول منطقة البابانيين- أتباع عمر آغا- خرائب قالا جوالان- تلال هدود- الوصول إلى السليمانية ۲۳۳

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۳۰

الفصل العاشر ۲۵۵

۲۳ أيلول ۲۵۵

فشل التطعيم ضد الجدرى- وفاة ابن عثمان بك- حزن الباشا- المواقع الأثرية فى شهرزور- الإسكندر الكبير و الأميرة الهندية- أسماء المناطق- عمر آغا- اضطهاده و حبسه- تعلق أتباعه به- نزاهته- كراهيته لعثمان بك- رحمة اللّه التاتار- رحلته فى الجبال المنيعة المنقطعة التى تسكنها عشائر الكلدانيين المسيحيين- العمادية- نصيحة الباشا إلى التاتار- مصاعبه و مخاطره- المضارب الكلدانية- خبز الرز- دهشة الكلدانيين لرؤيتهم رحمة اللّه بينهم- اليزيديون- مدينة وان- أسماء القبائل الكردية- حفلة عرس- السيدات يرقصن- مقام المرأة الكردية- لباس الرجال- قصة داره شمانه- شيخ بابانى جليل ۲۵۵

الفصل الحادى عشر ۲۸۳

۷ تشرين الأول ۲۸۳

كآبة الباشا و حزنه- نجله الأكبر يرسل رهينة إلى كرمنشاه- مرض نجله الأصغر- فتنة بين أفراد عائلته- أحمد بك الداره شمانى- عشائر راوندوز- مراسيم الجنازة عند الكرد- العائلة البابانية- شجرة الأمراء البابانيين- موت ابن الباشا الصغير بالجدرى- تأثر الباشا- سليمان بك- تجارة السليمانية- الحديث مع عثمان بك- رغبة الباشا فى التنازل عن منصبه- عمر آغا- ذكاؤه و دقته- المقارنة بين الكرد و الأتراك و الإيرانيين- لقمان- زيارة لوداع الباشا- محادثات دينية- عثمان بك يستدعى لتسنم منصبه- رفضه الامتثال- ميزات الخلق الكردى- هروب خالد الدرويش الكبير- زيارة الباشا الأخيرة إلى المستر ريج- حديث شيق- حزن الباشا لفقده ولده- خلقه- التهيؤ للرحيل من كردستان- الحزن على فراق أهل كردستان ۲۸۳

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۳۱

الفصل الثانى عشر ۳۰۹

۲۱ تشرين الأول ۳۰۹

الرحيل من السليمانية- وصف البلاد- قرية ده‌ركه‌زين- عمر آغا- نجله- مضيق (ده ربه ند)- مغادرة كردستان- أخبار من السليمانية- خيبة عمر آغا- سهل جميل- قرى- طنف اصطناعى- نهر كابروس (الباء فارسية) أو الزاب الصغير- آلتون كوبرى- مخيم فارس آغا- خسته- مشاهدة أربيل للمرة الأولى- وصف المدينة- سهل أربيل- كوكه مه لا (الكافان فارسيتان)- جبل مقلوب- قرية (كلك) اليزيدية- نهر الزاب أو (لى كوس)- مظهر البلاد- نهر الخاور أو (بومادوس Bumadus)- الحاج جرجيس آغا- مدينة كرمليس- خرائب نينوى- الوصول إلى الموصل ۳۰۹

الملاحق ۳۳۵

الملحق الأول: شذرات من مذكرات السيدة ريج فى رحلتها من بغداد إلى السليمانية ۳۳۷

۱۶ نيسان ۱۸۲۰ ۳۳۷

الملحق الثانى: رحلة إلى أطلال (زندان) و (قصر شيرين) و (حوش كه ره ك) ... إلخ عند حدود كردستان الجنوبية خلال شهرى آذار و نيسان ۱۸۲۰ ۳۶۳

خان السيد فى بعقوبة: ليلة ۱۸ آذار ۱۸۲۰ ۳۶۳

شهربان، فى ۱۹ آذار ۳۶۴

كفرى، ۲۷ آذار ۱۸۲۰ ۳۷۶

الملحق الثالث: معلومات مستقاة من الأهلين، عن الجزيرة و البلاد المجاورة لها ۳۹۹

رحلة ريج/ تعريب بهاءالدين نورى، ص: ۴۳۲

الملحق الرابع: سلسلة أمراء العائلة البابانية من (سليمان بابا) أو (سليمان به به) حتى باشا (السليمانية) ۴۰۷

تواريخ و حوادث لها علاقتها بتاريخ كردستان ۴۱۳

الملحق الخامس: معلومات مستقاة فى (أحمد كلوان) عن الطرق المؤدية إلى أماكن مختلفة فى منطقة (قزلجة) إلى (زه هاو) ۴۱۷

من (أحمد كلوان) إلى (كرمنشاه) بطريق شاميان ۴۱۸

المعلومات المستقاة فى (سنه) عن الطريق من (سنه) إلى (همدان) ۴۱۸

إلى (كرمنشاه) ۴۱۸

إلى (تبريز) ۴۱۹

إلى (مه‌راغه) ۴۱۹

الطريق من (سنه) إلى (همدان) كما صحح استنادا إلى مذكرات المستر (به ل لى نو) ۴۲۰

الملحق السادس: تفاصيل خاصة بطوبوغرافية كردستان و قد جمعت من أوثق المصادر فى السليمانية و قورنت باعتناء مع المعلومات التى أدلى بها أشخاص عديدون ۴۲۱

طريق المسافرين فى (شهرزور) ۴۲۲

من السليمانية إلى (بانى خيلان) ۴۲۳

- من بانى خيلان إلى (زه هاو) ۴۲۳

من (زه هاو) إلى (كرمنشاه) ۴۲۳

من السليمانية إلى (كرمنشاه) بطريق (حلبجه) ۴۲۴

ممرات زاغروس بين كردستان البابانيين و إيران ۴۲۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹